

تاريخ بطليوس الإسلامية وغرب الأندلس في العصر الإسلامي

الدكتورة
سمير السيد الغزير سام
مدرس التاريخ الإسلامي
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

الجزء الأول
التاريخ السياسي

مؤسسة شباب الجامعة
٤٠ ش. الدكتور مصطفى مشرق
ت ٤٨٣٩٤٧٢ - الإسكندرية

إهداء

الى والدى : أبى وامى

الى أبى ، أستاذى ومعلمى الأول :

الأستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم

الى أول من علمنى رسم الحروف وهجائها

الى الشمعة التى تضئ دوما وتحترق فى سبيل اسعاد الآخرين ،
الى رمز التضحية ، الى أحن الأباء وأعز الأحباء ،
الى من أتمنى أن أكون قطرة من بحر علمه الغزير ،
إليك يا أبى ، أعدك بأن أسير على خطاك ، وأسأل الله سبحانه
وتعالى أن يمنحنى القدرة على أن أكون جديرة بحمل اسمك .

الى أمى الحبيبة

الى من علمتنى بمضاء عزميتها وقوة شخصيتها معنى الصمود
فى الحياة ، والثبات على المبدأ .

الى من علمتنى بحكمتها ورجاحة عقلها ، البحث عن الحقيقة ،
الى من علمتنى بحنانها وحبها ، العطاء والبذل

الى من علمتنى بعلمها ضرورة أن أقدم ما تعلمته للآخرين .

سحر السيد عبد العزيز سالم

- ز -

تقديم

للاستاذ الدكتور محمود على مكى

أستاذ الأدب الأندلسى ورئيس قسم اللغة الاسبانية

بجامعة القاهرة وعضو مجمع اللغة العربية

- ١ -

على الرغم من التقدم الكبير الذى احرزته الدراسات الأندلسية خلال السنوات الماضية فى العالم العربى فانه قد بقيت هناك مساحات واسعة من تاريخ هذا القطر العزيز على العرب والمسلمين لاتزال مجهولة أو شبه مجهولة . فالتقدم الذى اشرنا اليه انما كان معظمه فى نشر كثير من النصوص التى كانت مخطوطة ، وتم تحقيقها بشكل اقرب الى الوفاء بمتطلبات المنهج العلمى السليم ، على ان استغلال هذه النصوص والانتفاع منها فى انجاز دراسات علمية تلقى الضوء على تاريخ الأندلس هو الذى لم يتحقق بعد على النحو المرجو ، وان كان تحقيق تلك النصوص ونشرها خطوة لابد منها لى تقوم الدراسات بعد ذلك على أسس متينة صالحة .

والحقيقة أن المستشرقين الأوربيين هم الذين سبقونا الى العناية بتاريخ الحضارة الأندلسية سواء بالبداية فى تحقيق ما استرعى نظرهم من امهات النصوص أو بالشروع فى القيام بدراسات علمية منهجية . ولابد فى هذا المقام أن نشيد بفضل العالم الهولندى الكبير راينهاردت دوزى (١٨٢٠ - ١٨٨٣) رائد الدراسات الأندلسية ، فهو الذى قام باتول محاولة لكتابة «تاريخ المسلمين فى اسبانيا» فأخرج فى هذا التاريخ كتابه الكبير فى أربعة أجزاء (ليدن ١٨٤٩ - ١٨٦١) ، وهو الذى أعاد طبعه ليفى بزوفنسال بعد تهذيبه وتنقيحه (ليدن ١٩٣٢) ، وكان دوزى قد رأى أنه لاسبيل لكتابة مثل هذا التاريخ العلمى الا بعد تحقيق اهم النصوص المتعلقة بتاريخ الأندلس ، ولم يكن قد نشر من

تلك النصوص في هذا الوقت المبكر الا اقل القليل . فاضطلع بنشر
الجزاين الاولين من «البيان المغرب» لابن عذارى المراكشى (ليدن
١٨٤٨ - ١٨٥١) والمعجب في تلخيص اخبار المغرب (ليدن ١٨٤٧)
والقسم الاول من نفح الطيب للمقرى بمعاونة عدد من تلاميذه وزملائه
(ليدين ١٨٥٥ - ١٨٦١) . واما تاريخه لمسلمى اسبانيا فقد تناول
به القرون الاربعة الاولى من تاريخ الاندلس اى حتى دخول المرابطين
في اواخر القرن الخامس الهجرى .

ومنذ ذلك التاريخ يبدأ الاهتمام بنشر ذخائر التراث الاندلسى
وتتكاثر الدراسات الجزئية حول فترات من التاريخ الاندلسى . وينهض
ليفى بروفنسال (١٨٩٤ - ١٩٥٦) خليفة دوزى بكتابة هذا التاريخ
من جديد ، ولكنه لا يبدأ من حيث انتهى سلفه العالم الهولندى الكبير ،
بل يرى أن ما نشر من نصوص جديدة شارك هو نفسه في تحقيق
الكثير منها يستلزم كتابة ذلك التاريخ منذ الفتح الاسلامى للاندلس ،
وهكذا يخرج مابين سنتى ١٩٥٠ و ١٩٥٥ كتابه الكبير «تاريخ اسبانيا
الاسلامية» فى ثلاثة مجلدات : الأولان منها فى التاريخ السياسى
للاندلس حتى سقوط الخلافة فى اوائل القرن الخامس الهجرى ،
والثالث حول النظم والحضارة .والذى يقارن بين ماكتبه ليفى بروفنسال
وما كتبه دوزى من قبل يلاحظ أن القرن الذى انقضى بين تاريخى
التأليفين لم يضع عبثا ، بل هو يشهد بالتقدم الهائل الذى ادركته
الكتابة التاريخية لهذا القطر سواء من ناحية الدقة المنهجية او الغنى
بالمعلومات الجديدة التى لم تتوفر لدوزى . ومنع ذلك فان ليفى
بروفنسال لم يجرؤ على اقتحام ميدان الكتابة فى تاريخ ملوك الطوائف
الذى يمتد على طول القرن الخامس منذ سقوط الخلافة المروانية حتى
دخول المرابطين ، وهى الحقبة التى عالجها دوزى فى القسم الاخير
من كتابه . وظل المشتغلون بالاندلسيات ينتظرون من ليفى بروفنسال
أن يواصل التاريخ لهذه الفترة لاسيما بعد أن خدمها هو نفسه بنشره

مقدمة

أولا - موضوع الرسالة :

لم تكن مدينة بطليوس في فترات طويلة من تاريخها الاسلامى مجرد مدينة تخضع للحكومة المركزية ، وانما ظهرت كامارة مستقلة على أيام الامير محمد بن عبد الرحمن الاوسط في سنة ٢٦١ هـ (٨٧٤ م) حتى استنزلها الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله في سنة ٣١٨ هـ (٩٣٠ م) ، ثم كملكة لها حدودها مع الممالك المسيحية وجاراتها الاسلامية في عصر الطوائف في الفترة من سنة ٤٠٣ هـ (١٠١٢ م) وحتى سنة ٤٨٨ هـ (١٠٩٥ م) عندما اجتاحتها قوات المرابطين ، ثم عادت للظهور مرة أخرى امارة صغيرة لأشهر معدودة قرب نهاية عصر دولة المرابطين في الاندلس . ولقد لعبت بطليوس في كلتي حالتها ، كمدينة ثم كقاعدة لامارة مستقلة أو حاضرة لمملكة ، دورا هاما وخطيرا في التاريخ السياسى للاندلس منذ نشأتها حتى سقوطها في أيدي الليونيين في سنة ٦٢٧ هـ ، اذ كانت بحكم موقعها الاستراتيجى الهام على نشر من الارض شديد الحصانة يطل على نهر واديانه من الجنوب ، ويشرف من الشمال على بسيط من الارض يمتد امتدادا كبيرا الى أعماق الغرب ، ثغرا جوفيا للاندلس يصاقب بلاد جليقية ، ثم مملكة البرتغال (فيما بعد) التى أخذت في التوسع فى غرب الاندلس منذ منتصف القرن السادس للهجرة ، وربما كان هذا الموقع الهام سببا فى أن تصبح مقرا لحكومات مستقلة مثل دولة بنى مروان ابن الجليقى فى عهد الدولة الاموية ومملكة بنى الافطس فى عصر الطوائف ، وامارة ابن الحجام قرب نهاية عهد النفوذ المرابطى على الاندلس .

ومما لا شك فيه أن امتداد التاريخ الاسلامى لبطليوس عبر هذه الحقبة الطويلة (٢٦١ - ٦٢٧ هـ) (٨٧٤ - ١٢٣٠ م) أى خلال ما يقرب من ثلاثة قرون وثلثى القرن مع التغير المستمر لأحوالها السياسية ، وتتابع الوقائع التى مرت عليها ، بالاضافة الى قلة ما استطعنا أن نحصله

من مادة علمية في المصادر العربية ، كل ذلك كان يشكل صعوبة في كتابة التاريخ السياسى والحضارى لبطليوس .

وقد تطلب الامر مرونة في معالجة الموضوع ، على نحو يمكننى من أن أركز في دراستى على تاريخ مدينة بطليوس كمركز عمرانى في كل مراحل تاريخها الاسلامى ، وحتى في الفترات التى كانت تنفصل فيها عن الحكم المركزى لتصبح امارة مستقلة أو دويلة تتمتع بكل خصائص الدولة . وعلى الرغم من الدور الهام الذى لعبته بطليوس في تاريخ الاندلس فانها لم تلق الاهتمام الذى تستحقه من مؤرخى الاندلس وجغرافيينهم ، فكانت أقل مدن الاندلس حظا فيما سجله هؤلاء المؤرخون من أخبار ووقائع أو ما أورده الجغرافيون من نصوص جغرافية عن خططها وسماتها الجغرافية ، وربما كان مرجع ذلك أنها لم تلتزم بالطاعة للحكومة المركزية الا لفترات قصيرة أو لأنها كانت ثغرا يتعرض في معظم الاحيان للحروب والمعارك ، وهدفا عسكريا للجلافة أو البرتغاليين أو القشتاليين أو الليونيين الذين وضعوا نصب أعينهم ، استرداد الاندلس من مناطق الغرب ، لاسيما بعد أن نشأت مملكة البرتغال وتوسعت على حساب أراضيها ، ولعل ذلك كان يحمل العدد الاعظم من سكانها على النزوح عنها في الفترات التى تتعرض خلالها للغزو الخارجى، وهذا يفسر الى حد كبير أن كثيرا ممن نبغ من أهلها في فترات الازدهار ارتحلوا عنها ، الى شرق الاندلس أو وسطها كالطبيب البطليوسى يحيى بن اسحاق البطليوسى الذى استقر في قرطبة في عصر الخلافة الاموية، أو العالم الاديب ابن السيد البطليوسى الذى نزل ببلنسية ، واستقر بها خلال الفترة المتبقية من عمره ، ومع ذلك فقد كانت منزلا للمجاهدين الماثغرين ممن يلتمسون الجهاد ، ومن الاسماء البارزة لهؤلاء ابن الابار الذى أقام فترة في هذا الثغر .

والحق لقد عانيت كثيرا في تحصيل المادة العلمية لهذه الدراسة، وهى مادة متناثرة هنا وهناك في بطون المصادر العربية التاريخية أو الجغرافية

أو الادبية ، ومقارنتها بالنصوص الواردة في المدونات المسيحية والمراجع الاسبانية المتخصصة لتتوصل الى الحقيقة التاريخية المجردة . والاختلاف في المصادر العربية عن هذه المدينة ، على اختلاف تخصصاتها ، شحيحة ، كما سبق أن ذكرت اذا ما قورنت بما يتعلق بمدن الاندلس الأخرى . والباحث في تاريخ الاندلس العام يمكنه أن يلاحظ ذلك بوضوح من خلال ما أورده كتب التراجم والمصادر التاريخية والجغرافية وحتى الادبية .

ومع ذلك فالتاريخ السياسى لبطلوريوس كان عامرا بالحوادث المثيرة والوقائع المتتالية ، سواء من الجانب الاسلامى أو المسيحى ، فقد كانت حركة الاسترداد قد بلغت ذروتها في عصر دويلات الطوائف عندما تمزقت وحدة الاندلس في أعقاب الفتنة ، وما ترتب عليها من سقوط الخلافة المروانية ، ولكن لبطلوريوس صمدت أمام هذه العواصف العاتية التى هبت عليها من الممالك المسيحية في الشمال الغربى ، وقاومت ببسالة لا نظير لها حركة الاسترداد التى تزعمها ملوك قشتالة وليون في الشمال الذين تلقبوا بالباطرة ، ومنهم من تلقب بذى الملتين ، تمهيدا لما كان يستهدفه من القضاء على الاسلام في الاندلس ، وملوك البرتغال منذ الفونسو انريكى في الشمال الغربى والغرب ، ولم تستسلم رغم اقنطاع البرتغاليين والليونيين لكثير من مدنها الا في سنة ٦٢٧هـ (١٢٣٠م) عندما فقدت حصونها الامامية التى كانت تشكل خط دفاعها الرئيسى ، وفقدت في غمرة الاضطراب الذى اكتنف الاندلس الرئيس والزعيم الذى يجمع الصفوف ويلم الشعب ، وعندئذ فقط استسلمت لمصيرها المحتوم .

هذا التاريخ الطويل الذى سجل أمجادا تزهو بها مدينة بطلوريوس في فترات معينة كما سجل نكسات تعرضت لها ، لم يكتب كاملا وعلى نحو منهجى ، وكل ما صدر عن تاريخها الاسلامى العام لا يعدو مجملا لتاريخ بطلوريوس الاسلامى ، لا يعتقد به ، أصدره في طليعة هذا القرن مؤرخ بطلوريوس يدعى مارتينث اى مارتينث تغلب عليه سمات التعصب

الدينى الاعمى ، فقد أمتلأت صفحات هذا البحث بالاخطاء الفاحشة ، كما أن كل فصوله لا تخلو من تحامل عنيف ضد المسلمين وتمجيد للثوار المولدين ، ومبالغات ممقوتة تنفى منه الصفة العلمية .

ومع ذلك فقد اهتم أحد المحدثين من أهل بطليوس بتدوين أخبار هذه المدينة فى أعز فترات ازدهارها وهى فترة الطوائف ، وأعنى به الاستاذ مانويل تورون البران الذى صنف كتابا عن أرض بنى الافطس ، ولكن هذا البحث مع أهميته يقتصر على عصر الطوائف ، كما أن مؤلفه لجهله باللغة العربية شأن زميله مارتينث اعتمد على بعض الترجمات الاسبانية المشوهة .

كان ذلك أيضا مبررا كافيا لأن اختار التاريخ السياسى لبطليوس فى العصر الاسلامى موضوعا لدراستى ، وعلى الرغم من أن موضوع الرسالة يركز أساسا على مدينة بطليوس فاننى اضطررت اضطرارا الى أن أخوض فى تاريخ بطليوس كامارة مستقلة أو كمملكة لارتباط القاعدة الادارية بطليوس بالنواحى التى تتبعها ، وواضح أن دراسة التاريخ السياسى لمدينة ما لا يقتصر على نطاقها العمرانى الذى يسبغ عليها صفة المدينة ، وانما يتجاوز هذا النطاق ليشمل الاقليم الذى ينتسب الى هذه القاعدة الادارية ، اذ أن الوقائع السياسية تفيض عادة عن هذا النطاق وتتجاوزه الى كل الاقليم ، ويجرى عليه ما يجرى على المركز .

ومن الجدير بالذكر أن الكتابة فى التاريخ المحلى تشغل اليوم اهتماما بالغا من الباحثين ، وقد عرف التاريخ الاسلامى هذا الاتجاه منذ القرن الثالث الهجرى فظهرت تواليف هامة خصصت لهذا النوع من الكتابة التاريخية مثل تاريخ دمشق لابن عساكر ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى، وتاريخ واسط لابن نهشل، وتاريخ حلب لابن العديم، وتاريخ فاس للجزنائى . وتاريخ غرناطة لابن الخطيب ... الخ . واستمر هذا

الاتجاه قائما عند مؤرخى العرب المحدثين . وعلى هذا النحو صدرت بحوث عن تاريخ دمياط والاسكندرية ، وقوص ، وطرابلس ، واهدن ، وصيدا ، ودمشق ، وواسط ، وبغداد ، وقرطبة ، والمرية ، وبلنسية ، ومجريط . . . الخ .

ومن الغريب حقا أن يهتم الباحثون الاسبان بهذا النوع من التاريخ فيصنفون فيه المصنفات العديدة ، فكتبوا فى تاريخ مالقة ومرسية ووادى الحجاره وقرمونه وغرناطة وجيان . . . الخ .

هذا وقد قسمت بحثى الى ثلاثة أبواب رئيسية يتضمن كل من البابين الاول والثانى فصلين فى حين يقتصر الباب الثالث على فصل واحد ، وقد مهدت لهذه الابواب الثلاثة بدراسة تمهيدية ، وفيما يلى عرض موجز لأهم فصول البحث .

الدراسة التمهيدية :

وتنقسم الى نقطتين رئيسيتين ، الاولى عالجا فيها الحقائق التاريخية عن الموقع القديم لبطليوس وأوليته ، وقمنا بدراسة نشأة بطليوس وتمصيرها على يد عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، وتوصلنا الى أن بطليوس مدينة موعلة فى القدم ، يرجع تاريخها الى عصور قديمة للغاية استنادا الى النصوص التاريخية والى الاكتشافات الاثرية .

كما بحثنا فى اصل اسم بطليوس والمصدر الذى اقتبس منه الاسم العربى لهذه المدينة والآراء المختلفة التى دارت حول أصول الاسم .

أما النقطة الثانية فقد استعرضنا فيها المسرح الجغرافى لأهم الحوادث التاريخية التى تعرضت لها بطليوس فى العصر الاسلامى ، فأشرنا الى سطح الاقليم ووديانه وأنهاره وسهوله ، هذا بالإضافة الى الطرق الرومانية القديمة التى كانت تخترقه ، كما استعرضنا حصون اقليم بطليوس ومدنه الواقعة على نهر وادى آنة والمتوزعة فى مختلف

أنحاء الاقليم بالاضافة الى الحصون الموزعة بين وادى تاجه ووادى يانه مع اهتمامنا البالغ بذكر أسمائها الواردة فى المصادر العربية ، وما يقابلها فى الوقت الحاضر .

أما الباب الأول وعنوانه «بطليوس فى ظل بنى مروان الجليقى» فيشتمل على فصلين ، أفردنا الفصل الاول لدراسة بطليوس فى عهد مؤسسها عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، فتحدثنا عن بداية ظهور عبد الرحمن بن مروان الجليقى وعن أسرته التى ينتمى اليها ، ثم انتقلنا الى الحديث عن المراحل الاربعة المختلفة لثورته فى عهد كل من الامير محمد بن عبد الرحمن الاوسط والامير عبد الله ، وجهوده فى تمصير مدينة بطليوس التى اتخذها مقرا له فى عهد الاميرين المذكورين مع عرض لاهم منشآته فى المدينة ، وقد توصلنا الى أن قصبة بطليوس المنسوبة الى الموحدين كانت من بنائه .

وخصصنا الفصل الثانى لدراسة مدينة بطليوس فى عهد خلفاء عبد الرحمن بن مروان الجليقى فتناولنا بالدراسة حوادث السنوات الاربع الاخيرة من عهد عبد الرحمن الجليقى مع الاهتمام بعلاقاته الودية مع جيرانه من الثوار المولدين والعرب والبربر ومناهضته للحكومة المركزية فى قرطبة . ثم تحدثنا عن بطليوس فى عهد حفيده عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، فتناولنا بالدراسة الاوضاع السياسية فى بطليوس فى مرحلة الانتقال ، من رئاسة عبد الرحمن الجليقى الى حفيده عبد الله ، ثم تعرضنا لموقف بطليوس من حركة الداعى أحمد بن معاوية بن محمد بن هشام المعروف بابن القط القرشى الذى يرتفع نسبه الى عبد الرحمن الداخل ، وبيننا اعتماد ابن القط على بربر سكان منطقة الجوف بما فى ذلك بطليوس وأحوازها ، وكيف انتهت حركة ابن القط بفشل ذريع ، فقد أوقع به الفونسو السادس هزيمة شنعاء على ضفاف وادى دويرة أباد فيها «الأستوريون قوات ابن القط» وفيها لقى مصرعه ، وانتقلنا بعد ذلك الى

الحديث عن حوادث بطليوس في ظل السنوات الاولى من عهد عبد الرحمن الناصر فأشرنا الى اعتداء قوات أردون الثانى ملك اشتورياش وليون على يابرة فى سنة ٣٠١ هـ (٩١٣ م) وانهزام المسلمين بداخلها وما جرى بعد ذلك من مذابح رهبية فى صفوف المسلمين . وأوضحنا رد فعل عبد الله الجليقى صاحب بطليوس أمام هذه الفجيرة واهتمامه بتحسين مدينة بطليوس وسور قصبتها ، ودوره فى إعادة تعمير يابرة بمن عاد اليها من أهلها ، كما أشرنا أيضا الى علاقة عبد الله بن محمد الجليقى مع جيرانه من المولدين فى غرب الاندلس ، وانتقلنا بعد ذلك الى عرض شامل للاخطار التى أحاطت ببطلبيوس منذ سنة ٣٠٣ هـ (٩١٥ م) حتى مصرع عبد الله الجليقى سنة ٣١١ هـ (٩٢٣ م) وأبرزها الحملة التى قادها أردون الثانى على ماردة وبلاد الغرب ، وناقشنا الآراء المختلفة حول تاريخ هذه الحملة وأثبتنا أنها قامت سنة ٣٠٣ هـ (٩١٥ م) . كما ذكرنا انتصاره على المسلمين فى مكناسة الاصنام وقلعة الحنش وقيامه بهدم الحصن .

وانتقلنا الى الحديث عن مصرع عبد الله بن محمد الجليقى فى سنة ٣١١ هـ (٩٢٣ م) على يد جماعة من أتباعه ، وبينما أن مصرعه كان خاتمة مرحلة خطيرة فى تاريخ غرب الاندلس ، امتدت فيها حركة الاسترداد La Reconquista ، ثم تحدثنا عن ولاية ابنه عبد الرحمن بن عبد الله الذى خلفه على إمارة بطليوس واستمر يقوم بأمرها حتى استرجع عبد الرحمن الناصر مدينة بطليوس فى سنة ٣١٨ هـ (٩٣٠ م) ، وتعرضنا بالتفصيل لذكر الحملة الخالافية على بطليوس وكيف انتهت بالسيطرة عليها واسقاط حكم دولة بنى مروان الجليقى ، واختتمنا هذا الفصل بالحديث عن بطليوس فى ظل الخلافة وذكر أهم عمالها وكيف أصبحت فى عهد الحكم المستنصر ثغرا للمسلمين فى الجوف ومنطلقا للجهاد الى مملكة ليون ونبرة .

أما الباب الثانى وعنوانه « مملكة بطليوس فى عصر تدويلات

الطوائف « فينقسم بدوره الى فصلين آخرين ، وقد خصصنا الفصل الاول من هذا الباب للحديث عن بطليوس فى عصر المنصور بن الافطس ، مؤسس الاسرة الافطسية وولده المظفر ، وبدأنا دراستنا لهذا الموضوع بعرض لأهمية بطليوس كقاعدة لغرب الاندلس فى عصر دويلات الطوائف، وكيف استقل بها بادىء الامر سابور العامرى فى بداية الفتنة وقد بينا أنه ليس فارسيا كما يزعم المستشرقون ، وانما كان فتى من فتيان الحكم المستنصر ، ظهر فى أيام المنصور بن أبى عامر ثم انتزى ببطلليوس والشعر الجوفى .

كذلك أوضحنا بداية ظهور بنى الافطس الذين استقلوا ببطلليوس فى عصر الطوائف وأولهم أبو محمد عبد الله بن مسلمة الذى استوزره سابور واعتمد عليه فى تصريف شئون الدولة ، وكيف انتزع عبد الله بن مسلمة حكم بطليوس من ولدى سابور بعد وفاته ، كما تحدثنا عن أصل بنى مسلمة ورجحنا أنهم من بربر مكناسة البلديين الذين استقروا بغرب الاندلس منذ سنين طويلة . وجرنا الحديث عن أصلهم الى دراسة منازل البربر فى غرب الاندلس ، وتوزيع قبائلهم استنادا الى طبوغرافية غرب الاندلس ، والمدن التى تحمل أسماء محرفة من أسماء القبائل البربرية ، ثم اهتمنا بدراسة عهد المنصور ، فاستعرضنا بداية الصراع ، بين المنصور بن الافطس ، وبين أبى القاسم محمد بن عباد ، وأسباب الخلاف القائم بينهما ونتائجه، ثم انتقلنا الى الحديث عن الاوضاع السياسية فى الغرب فى عهد المنصور ابن الافطس وعلاقته بالامارات البربرية المستقلة فى نواحى دولته ، ودخلت فى فلك مملكة اشبيلية مثل امارة البكرين فى ولبة وشلطيش ، وامارة بنى اليحصبى فى لبلة ، وامارة بنى خزرون فى أركش ، وبنى نوح فى مورور ، وامارة بنى طيفور فى ميرتلة ، ثم تحدثنا عن بطليوس فى عهد المظفر محمد بن المنصور ، فذكرنا حروبه مع المعتضد ابن عباد ، واستمرار العلاقات العدائية بين اشبيلية وبطلليوس حتى تم الصلح بينهما فى سنة ٤٤٣هـ (١٠٥١ م) . ثم تحدثنا أيضا عن حروبه مع المامون بن ذى النون ، وكيف انتهت بهزيمة

المظفر بن الافطس فى معركة يابرة ، كما تحدثنا عن توقف هذه المصادمات بين طليطلة وبطليوس بسبب حملات فردناند الاول ملك قشتالة على اراضى كل من مملكتى بنى الافطس وبنى ذى النون بطليطلة .

وتحدثنا بالتفصيل عن طبيعة الغزو القشتالى الليونى لاراضى مملكة بطليوس ودور جماعات المستعربين فى تسهيل مهمة القشتاليين ، وكيف انتهت هذه الغزوة بسقوط عدد من مدن مملكة بطليوس أهمها لميق ، وبازو وقلمرية الى أن عقدت الهدنة بين مملكة ليون وبين مملكة بنى الافطس .

وانهينا هذا الفصل بدراسة عن المظفر بين ملوك الطوائف ، فتحدثنا عن شخصيته وأثر مواهبه الادبية والسياسية والفكرية فى رسم سياسته الخارجية ، وقارنا بين المعتضد بالله العبادى من جهة والمأمون بالله بن ذى النون من جهة أخرى .

وخصصنا الفصل الثانى من الباب الثانى لدراسة تاريخ بطليوس فى عصر المتوكل على الله بن الافطس ، فبدأنا الحديث بعرض لأهم أحداث بطليوس فى مرحلة الانتقال من المظفر الى المتوكل .

وناقشنا مختلف الآراء فى تاريخ وفاة المظفر بن الافطس ورجحنا وفاته سنة ٤٦٠هـ (١٠٦٧م) . وتوصلنا أيضا الى القول بأن المظفر كان قد اعتزل الحياة السياسية بعد سقوط قلمرية فى سنة ٤٥٦هـ (١٠٦٣م) تاركا الحكم لولديه يحيى وعمر المتوكل ، فلما توفى اشتد النزاع بين الاخوين ، وثار عمر على أخيه يحيى ، وضرب عملات باسمه ، فلما توفى يحيى فى سنة ٤٦١هـ (١٠٦٨م) انفرد عمر المتوكل ببطليوس ، وتحدثنا أيضا عن أثر الصراع بين الاخوين على الاحوال الاقتصادية والسياسية لمملكة بطليوس اقتصاديا وسياسيا وتجروا ملك ليون على مهاجمة هذه المملكة ، ثم تحدثنا عن المرحلة الاولى من عصر المتوكل ،

وفيهما دعا أهل طليطلة المتوكل بن الافطس الى رئاستهم ، فاستجاب لمطلبهم ، وأقام يدبر أمرها عشرة شهور ثم تركها الى بطليوس عندما أقبلت جيوش الفونسو السادس تعضد القادر بالله بن ذى النون ، ثم فصلنا الحديث عن الاسباب التى حملت أهل طليطلة على الاستعانة بالمتوكل بن الافطس فى حكم بلدهم ، ثم انتقلنا الى المرحلة الثانية من حكم المتوكل وتبدأ باستيلاء الفونسو السادس على طليطلة فى سنة ٤٧٨هـ (١٠٨٥ م) ، والنتائج الخطيرة التى ترتبت على ذلك من قيام ابن الافطس بحملته الاعلامية لجمع شمل ملوك الطوائف أمام تهديدات الفونسو السادس ، ثم تحدثنا عن اطماع الفونسو السادس فى مملكة بطليوس منذ أن استولى على قورية الى أن اغتصب مملكة طليطلة بأكملها ، وتطلعه الى السيطرة على مملكة بطليوس بعد ذلك .

ثم دافعنا عن المتوكل بن الافطس وأبرزنا دوره البطولى بالنسبة للموقف المخزى لغيره من ملوك الطوائف ، وتوصلنا الى أن المتوكل هو أول من فكر فى الاتصال بيوسف بن تاشفين أمير المرابطين ، وطلب منه التدخل عسكريا فى الاندلس ، وجرنا الحديث عن هذا التدخل المرابطى الى دراسة موقعة الزلاقة وعن ساحة المعركة والآراء المختلفة حول تحديد الموضع الذى دارت فيه ، وأثبتنا أن الموقعة دارت فى فحص الزلاقة على مسافة تبعد نحو ٧ أو ٨ كم من بطليوس ، وعن استراتيجية المسلمين فى المعركة التى ضمنت لهم النصر ، وعن دور ابن الافطس فى هذا الانتصار . واضطررنا فى حديثنا عن تفاصيل المعركة الى التحدث عن ارتباط ذلك بطبوغرافية الموقع ، كما تحدثنا عن تفسير اسم الزلاقة ، وتوضيح الاسماء الاسبانية التى أطلقت عليه والعلاقة بين الزلاقة وحصن الزجالة ، القريب من أرض المعركة .

واختتمنا الفصل الثانى بذكر النهاية الحزينة لبنى الافطس أصحاب بطليوس ، والاسباب التى حملت يوسف بن تاشفين على الغدر

بهم ، وقد دافعنا كثيرا عن المتوكل ابن الافطس بالذات وأثبتنا أنه كان أكثر ملوك الطوائف اخلاصا لقضية الاسلام في الاندلس ، وأنه قتل غدرا .

أما الباب الثالث وعنوانه بطليوس منذ دخولها في فلك دولة المرابطين سنة ٤٨٧هـ (١٠٩٤م) حتى سقوطها في أيدي الليونيين في سنة ٦٢٧هـ (١٢٣٠م) فيشتمل على فصل واحد أفردته لدراسة تاريخ المدينة والامارة ، في عصر المرابطين والموحدين .

وبدأنا الحديث بالبحث عن أحداث بطليوس على أيام على بن يوسف ، فأشرنا الى نشاط عسكر المرابطين في الغرب في عهده واسترجاع المرابطين لشنترين وبرتقال ويابرة والاشبونة وشنتر وقورية .

ثم انتقلنا الى الحديث عن نشاط تاشفين بن على بن يوسف الحربى في أحواز بطليوس والغرب ، وأهم حملاته التى وجهها الى بلاد الغرب ، ردا على غارات الليونيين ، وانتصاره من جديد على جيوش القشتاليين في نفس موقع الزلاقة . وخرجنا من هذه الدراسة بأن بطليوس كانت قاعدة عسكرية للمرابطين في الغرب ، ثم انتقلنا الى الحديث عن الثورة في غرب الاندلس ، وانهيار سلطان المرابطين ، فبيننا أسباب الثورة ضد المرابطين ، والمحرك الاول لها في غرب الاندلس وهو أبو القاسم أحمد بن قسى ، ووضع بطليوس ازاء هذه الحركة الثورية ، وخضوعها لابن الصميل حينما ولا بن الحجام حينما آخر ، الى أن بذلت الطاعة لجيوش الموحدين ، واعتمدنا في تاريخ هذه المرحلة السابقة لدخول الموحدين بطليوس على شواهد أثرية تحمل أسماء أفراد استشهدوا على أيدي المرابطين عند خروجهم من بطليوس ، وتحدثنا أيضا عن بطليوس في عهد عبد المؤمن بن على وابنه يوسف ، وأوضحنا كيف نشطت حركة الاسترداد البرتغالى في الغرب بفضل طموح أول ملوك البرتغال ألفونسو انريكث ، الذى استعان بالصليبيين المارين على سواحل بلاده في طريقهم الى الاراضى المقدسة في السيطرة على أشبونة .

كما تحدثنا عن الصراع بين البرتغاليين والليونيين حول بطليوس نفسها ، وكيف استولى عليها البرتغاليون واستردها فرناندو الثانى الببوج ملك ليون الملقب بالسليطين وسلمها الى حلفائه الموحدين .

كذلك تحدثنا عن جهود أبى يعقوب يوسف الموحدى فى تحرير أحواز بطليوس وتطهيرها من الاحتلال البرتغالى ، ثم عن استيلاء البرتغاليين على باجة ونتائجها بالنسبة للغرب الاندلسى ، وأهمها عودة البرتغاليين الى العيث فى بلاد الغرب ، الامر الذى أدى الى تصدى يوسف بن عبد المؤمن لهم فى شنترين حيث لقى مصرعه .

كذلك تحدثنا عن بطليوس فى عهد يعقوب المنصور ، فتتبعنا تحركات مملكتى ليون والبرتغال فى الغرب التى أدت الى سقوط لشب فى أيدي البرتغاليين ، ودور الصليبيين فى اسقاطها ، ورد الفعل الموحدى فى موقعة الارك ، وآثار انتصار الموحدى فى هذه الموقعة وأهمها استردادهم لقصر أبى دانس وشلب ومتابعتهم الجهاد فى بلاد الجوف ، ثم تحدثنا عن بطليوس فى عهد خلفاء المنصور ، وبينما ضعف دولة الموحدى فى عهد كل من محمد الناصر ويوسف المستنصر ، وكيف عجل الانهيار السياسى الذى أصاب دولة الموحدى فى المغرب والاندلس عقب هزيمة العقاب سنة ٦٠٩هـ (١٢١٢م) ، وحالة التفكك والانقسام بين أفراد أسرة عبد المؤمن ، فى التعجيل بنهايتها المحتومة ، وأشرنا الى نتائج هذا الضعف وأثره فى زيادة نشاط حركة الاسترداد المسيحى فى الغرب ، الامر الذى أدى الى سقوط قصر أبى دانس نهائيا فى أيدي البرتغاليين بفضل المعونة الصليبية التى قدمها أسطول صليبي كان فى طريقه الى بيت المقدس سنة ٦١٤هـ (١٢١٧م) .

واختتمت هذا الفصل بذكر حملات الفونسو التاسع ملك ليون التى استولى بها على قنطرة السيف وقاصرش وماردة وحصن الحنش حيث هزم ابن هود ، الى أن سقطت بطليوس فى أيدي الليونيين سنة ٦٢٧هـ

(١٢٣٠م) وما تبع ذلك من سيطرة البرتغاليين على حصونها الغربية وهى البش وجلمانية وشيرة، والعوامل التى عجلت بسقوطها ، واختتمنا رسالتنا بخاتمة تضمنت أهم النتائج التى توصلنا اليها فى الرسالة .

كما ذيلناها بأربعة ملاحق : أولها دراسة تفصيلية عن الممالك المسيحية فى أسبانيا التى كانت لها صلة بوقائع بطليوس ، والثانى رسالة من المتوكل بن الافطس الى يوسف بن تاشفين ، والثالث رسالة من المتوكل بن الافطس الى ألفونسو السادس ، والرابع ثبت بأسماء الاعلام الجغرافية الواردة فى الرسالة وما يقابلها فى اللغة الاسبانية .

ولا يسعنى فى ختام هذه المقدمة الا أن أوجه عظيم شكرى وامتنانى وتقديرى لأستاذى الجليل الدكتور السيد عبد العزيز سالم ، لما أولانى اياه من رعاية ، وما أحاطنى به من اهتمام وعناية ، وما وجهه الى من نصائح غالية كانت الضوء الساطع الذى أنار لى الطريق ومهد لى طريق البحث ، وكان محفوفاً بالمشاكل ، وذلل لى الصعوبات، وترك لى مكتبته العامرة أستعير منها ما أشاء ، ولم يضمن على بتوجيه أو نصيح فى أى ساعة من ساعات النهار أو الليل ، أطال الله بقاءه وأنفع به العلم والباحثين .

كذلك أوجه الشكر العميق الى أستاذى الدكتور أحمد الطوخى الذى قبل الاشراف على رسالتى وأحاطنى بالرعاية والتوجيه العلمى السليم ، وتجشم الكثير من المتاعب فى الاطلاع على فصول الرسالة وتقويمها بثاقب رأيه ، ولم يبخل على بملاحظاته القيمة وتوجيهاته السديدة جزاه الله عنى خير الجزاء .

ولا يفوتنى أن أشكر من الاعماق أستاذى الجليل الاستاذ الدكتور جوزيف نسيم يوسف الذى تعهدنى خلال سنى حياتى الجامعية بالرعاية ، وشملى بجميل فضله وعلمه وأمدنى بطاقة فكرية عظيمة

بتشجيعه المتواصل وعطائه العلمى الفياض ، وعلمنى المنهج العلمى
السليم ، أطال الله فى عمره وأنفع تلاميذه بعلمه الغزير .

كما لا يفوتنى أن أوجه عظيم شكرى وامتنانى الى أستاذى العالم
الكبير الاستاذ الدكتور محمود على مكى الذى تتلمذت عليه من كتاباته
العديدة وتحقيقاته القيمة ، ودراساته الرائدة ، فى التاريخ والحضارة
الاندلسية التى أثرت المكتبة الاندلسية ، والذى تفضل مشكورا بقبول
الاشتراك فى لجنة المناقشة .

كما أوجه شكرى للاستاذ يوسف شكرى الذى علمنى الرسم
المعمارى وقدم لى العون فى رسم بعض الخرائط التوضيحية والمخططات
الهندسية والدراسات التفصيلية لبعض العناصر المعمارية ، والى الدكتور
محمد عبد العزيز محمود الذى أبى الا أن يسجل بقلمه أسماء المدن
والمواضع على الخرائط والرسوم وأن يزين بهذا الخط الجميل عنوان
الرسالة ، والى زملائى بالقسم الذين لم ينقطعوا قط عن الوقوف
الى جانبى ومساندتى .

والله ولى التوفيق

ثانيا - دراسة نقدية لأهم المصادر والمراجع :

١ - ابن القوطية القرطبي (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م) كتاب تاريخ افتتاح الاندلس :

هو أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن ابراهيم بن عيسى بن مزاحم ويعرف بابن القوطية ، والمقصود بالقوطية سارة حفيدة غيطشة Witiza ملك اسبانيا القوطى ، وهو بذلك يكون مولدا من طبقة المولدين ، فقد تزوج عيسى بن مزاحم مولى هشام بن عبد الملك من سارة ، وتم ذلك عندما ارتحلت سارة القوطية الى دمشق لتطالب بميراث والدها ، فالتقى بها ابن مزاحم وتزوجها ، وعادت سارة الى الاندلس وهى زوجة لعيسى بن مزاحم ، ومن سلالتها ولد أبو بكر محمد (١) .

ويعد انتماء ابن القوطية الى طبقة المولدين عاملا هاما فى غلبة عصبية المولدة ، وتتمثل فى اهتمامه الكبير بتتبع ثورات المولدين على الحكم الاموى ، ولا يعنى هذا أن ابن القوطية قد هاجم فى كتاباته الاسلام ، فابن القوطية كان مسلما شديدا التعصب لاسلامه ، وقد أقبل على دراسة الفقه واللغة ، ولكن سخطه على العرب كطبقة حاكمة كان عميقا فى نفسه رغم اسلامه العميق (٢) .

وقد أفدنا من نزعة ابن القوطية نحو أصله الاسبانى ، فقد رجعنا اليه فى كثير من المواضع خاصة تلك التى يتحدث فيها عن ثورات المولدين ضد حكم الامارة العربى ، وقد أشار على وجه الخصوص الى ثورة

(١) أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ٥٢٤ .
(٢) ابن الفرضى ، تاريخ علماء الاندلس ، رقم ١٣١٦ ، مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٢٤ ، جوناثان بالنتيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٠٢ .

ابن مروان الجليقي ، الذى لقبه « بريس المولدين فى الغرب » (٣) .
كما ذكر جملة أخبار عن أصحابه وفى مقدمتهم سعدون السرنباقي .

كذلك أفاض فى الحديث عن ثورة ابن حفصون (٤) . ولعل
اهتمامه بتتبع أخبار ثورات المولدين على السلطة المركزية فى قرطبة
هى التى دفعت مؤرخا كبيرا مثل الدكتور أحمد مختار العبادى الى
اعتبار كتاباته بداية ظهور القومية فى الاندلس ، وقد عبو الدكتور
العبادى عن ذلك بقوله « فنزعة القوطية فى هذا الكتاب ، نلاحظ فيها
تعصبا ضد الجنس العربى وضد السيادة العربية ، ولذلك يمكن ان
نعتبرها النواة الاولى لحركة الشعبية فى اسبانيا ، وان كانت هذه
الحركة لم تظهر بوضوح الا فى عصر ملوك الطوائف ، فى القرن الخامس
الهجرى (الحادى عشر الميلادى) » (٥) ومع ذلك فان أخباره
عن حركاه هؤلاء المولدين تخلو من التحيز لهم ، وتتجرد من التحامل
الذى يسميه الدكتور العبادى بالتعصب ، وكل ما فى الامر انه كان يتقصى
أخبارهم شأنه فى ذلك شأن ابن حيان عندما يتحدث عنهم ، فتبرره
لقيام ثورة الجليقي بأن الوزير هاشم بن عبد العزيز أهانه واراد كذلك
فى المقتبس لابن حيان ، بل اننا نرى على الضد مما نسبوه اليه من
تعصب ، بأن اهتمام ابن القوطية بأخبار المولدين زودنا بكثير من
الحقائق التاريخية الهامة التى انفرد بها ابن القوطية دون غيره من
مؤرخى الاندلس كحديثه مثلا عن خبر هروب عمر بن حفصون الى
تاهرت ، وانفراده أيضا بالحديث عن ثورة قعناب (٦) .

(٣) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، مدريد ، سنة ١٨٦٨ ،
ص ٨٩ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٩١ .

(٥) أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٢٤ .

(٦) هو ثائر مولد ، اشاع الفتنة بين العرب والموالى والبربر فى
نواحي مورور ثم فر الى ماردة حيث انضم الى محمود بن عبد
الجبار وأخته جميلة ، وكان الحكم الربضى قد مات ، وتولى
بعده عبد الرحمن الأوسط . وتعرف سائر المصادر العربية قعناب =

ويتناول كتاب « تاريخ افتتاح الاندلس » لابن القوطية تاريخ الاندلس منذ أن افتتحها المسلمون حتى وفاة الامير الاموى عبد الله بن محمد عام ٣٠٠هـ (٩١٢م) . وقد جمع أحد تلاميذ ابن القوطية هذا الكتاب ، وأخرجه الى الوجود عقب وفاته بمدة ، بدليل أننا اذا قرأنا هذا المصدر الهام نجد أن الرواية لا ترد في الكتاب على لسان ابن القوطية بل على لسان أحد سامعيه ، مما يدل على أن ابن القوطية لم يكن هو الذى كتب هذا الكتاب ، وانما كتبه أحد تلاميذه (٧) .

وقد أشار ابن القوطية الى الطريقة التى تم بها أسر الوزير هاشم بن عبد العزيز (٨) حين واجه عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، ومن خلال اشارته الموجزة لهذا الموضوع ، نستنتج أن هاشم بن عبد العزيز قاتل الجليقى فهزم ثم أسر ، وهذا الرأى هو الذى قد رجحناه ، وهو فى ذات الوقت يتفق ورأى كل من ابن عذارى (٩) وابن الخطيب (١٠) ، ويتفق مع المنطق كما سوف نوضح فى الفصل الخاص بذلك .

هذا وقد تناول ابن القوطية أحداث ثورة ابن الجليقى فى عام ٢٧٢هـ (٨٨٥م) على نحو من الدقة والاتزان بحيث أفدنا منها الى حد كبير فى التوصل الى الحقيقة التاريخية ، لاسيما وأن أحداث هذه المرحلة متشابهة الى حد أن مؤرخا عظيما كابن خلدون اختلطت عليه

هذا باسم سليمان بن مرتين ، ولكن ابن القوطية ، ذكر لقبه قعنب لاهتمامه الخاص بدراسة ثورات المولدين فى عهد الامارة (انظر ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٦٧) .
وقد فصل ابن القوطية فى أمر هؤلاء الثوار المولدين ، واهتم بذكر تفاصيل أحداث ثورتهم .

(٧) أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٢٥ ،

جونثال بالنيثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٠٣ .

(٨) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٨٩ .

(٩) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٠٣ .

(١٠) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٢١ .

بعض الامور بشأنها ، ولكننا تمكننا بفضل الرجوع الى ابن القوطية من التوصل الى الحقيقة (١١) .

وفي ختام حديثنا عن ابن القوطية تجدر بنا الاشارة الى أن كتابه « تاريخ افتتاح الاندلس » يكمل النقص الذى يتسم به كتاب « الاخبار المجموعة » (١٢) وقد قام بنشر الكتاب العالم الاسبانى باسكوال دى جاينجوس P. Gayangos ، وقام بترجمته الى الاسبانية المستشرق الاسبانى خوليان ريبيرا J. Ribera فى مدريد عام ١٩٢٦ (١٣) .

٢ - ابن بسام الشنترينى « الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة » :

هو أبو الحسن على بن بسام الشنترينى ، وينسب الى شنترين Santarem ، وهى مدينة من أهم مدن البرتغال فى الوقت الحاضر ، وكانت فيما مضى من كبريات مدن الغرب أو الثغر الجوفى من بلاد الاندلس (١٤) .

وينتمى ابن بسام الى أسرة عريقة عاشت فى شنترين ، وفى هذه البلدة نشأ وعاش صباه ، ثم رحل الى أشبونة عام ٤٧٧هـ (١٠٨٤م) حيث أقام فترة من الوقت ، ثم اجتذبه قرطبة فرحل اليها فى عام ٤٩٤هـ (١١٠٠ م) هاجرا بلده التى نهبها النصارى ، وتوفى فى عام ٥٤٢هـ (١١٤٧ م) (١٥) .

ومن المرجح أن يكون ابن بسام قد ألف موسوعته الادبية التاريخية « الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة » فى اشبيلية فى عام ٥٠٢هـ (١١٠٩ م) .

-
- (١١) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٩٠ .
(١٢) جونثال بالثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٠٢ .
(١٣) أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٢٥ .
(١٤) المرجع السابق ، ص ٥٣٧ .
(١٥) جونثال بالثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٨٨ .

وكتاب الذخيرة يتضمن تراث القرن الخامس الهجرى بأسره (الحادى عشر الميلادى) ، وهى فترة من أكثر فترات التاريخ الاندلسى ازدهارا فى العلم ، وتألقا فى الادب والفن ، وتجمع هذه الفترة تاريخيا بين عصر الدولة العامرية وما أعقبه من قيام الفتنة ، وبين عصر دويلات الطوائف حتى ما يقرب من ختامه .

وقد اعتمد ابن بسام الشنترينى فيما كتبه على المؤرخ القرطبى ابن حيان فى كتابه المتين لأن ابن بسام كان أديبا أكثر منه مؤرخا ، ولما كان كتاب المتين من الكتب الادبية فقد كان بالنسبة لابن بسام أهم مصادره فى الذخيرة ، وقد أشار ابن بسام الى رجوعه الى ابن حيان فى بداية القسم الاول من المجلد الثانى من الذخيرة ، وأورد بعض فصول من كلام ابن حيان فى مواضع مختلفة من كتاب المتين (١٦) .

وينقسم كتاب الذخيرة الى أربعة أقسام طبقا للاقاليم الجغرافية الاندلسية ، خصص كل قسم منها للبحث فى تاريخ الاقليم وفى ذكر ملوكه وشعرائه وأمرائه :

فالقسم الاول أفرده لأهل قرطبة وما يجاورها وما يصاحبها من بلاد موسطة الأندلس (١٧) . أما القسم الثانى فيتناول أهل منطقة غرب الأندلس وأشبيلية ، والقسم الثالث يتعلق بأهل الجانب الشرقى وبلنسية (١٨) . وأما القسم الرابع فقد أفرده للحديث عن الغريباء الذين وفدوا الى الأندلس من الادباء شعراء وكتابا على السواء (١٩) وكذلك للحديث عن أدباء المشرق .

ومن الجدير بالملاحظة أن ابن بسام لم يترجم لشخصياته وفقا

(١٦) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الاول ، المجلد الثانى ، ص ٥٧٣ - ٦١٤ .

(١٧) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٨٩ ، أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٣٧ .

(١٨) أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٣٨ .
(١٩) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٩٠ .

لترتيب السنين الا في الجزء الخاص ببطلوريوس وما يجاورها من بلاد الغرب ، أما في باقى الذخيرة فقد ترجم لأعلامه وفقا لمكانتهم وحسبما تراءى له ، وكان يبدأ عادة بترجمة الشخصية في نثر مسجوع ، ثم يحدد مؤلفاته ويمتدح صاحب الترجمة ويقرظ موهبته الادبية ، ويختتم الترجمة ببعض مقتطفات من شعر أو نثر المترجم له .

وقد استهدف ابن بسام من تأليف الذخيرة ، ابراز أشهر أدباء أهل الاندلس وعلمائهم ، اذ أنه رأى الناس في ذلك الزمان لا يعطونهم حقهم من التبجيل والاحترام (٢٠) .

وقد أفادنا « الذخيرة » في معرفة أصل بنى الافطس وأولويتهم وادعائهم الانتساب الى تجيب العربية ، وسلط ضوءا ساطعا على مكانة المظفر أبى بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة فى الادب ، فكتابه المظفرى كان أحد أشهر كتب زمانه (٢١) . كما يصور براعة المتوكل بن الافطس فى مجال الشعر ، ويأتى بنماذج عديدة من نثره وشعره . وفيما بين السطور التى تشيد بمكانة المتوكل الادبية ، يسجل جملة من الاحداث التاريخية التى أفادتنا فى تتبع الاحوال السياسية لدولة بنى الافطس أصحاب بطوريوس ، فقد نقل على سبيل المثال من ابن حيان فى معرض وصفه لشعر المتوكل عمر بن الافطس تفاصيل الصراع الذى دار بينه وبين أخيه يحيى المنصور فى أعقاب وفاة والدهما المظفر ، كما وضع لنا الدور الذى لعبه ألفونسو السادس فى الضغط على يحيى المنصور بن الافطس ليدفع اليه الجزية . ومما لا شك فيه أن هذه الاخبار التى أوردها ابن بسام عن بنى الافطس قد أزالنا الى حد كبير الغموض الذى كان يكتنف تلك الفترة من تاريخ المملكة الافطسية (٢٢) .

(٢٠) جونثال بالنتيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٩٠ .
(٢١) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٦٤٠ .
(٢٢) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى المجلد الثانى ، ص ٦٤٩ .
- ٦٥٠ -

وبالإضافة الى ما سبق ذكره يورد تراجم لأهم وزراء مملكة بنى
الافطس ، كانوا فى ذات الوقت من أعظم أدباء عصر الطوائف مما يؤكد
السمة الغالبة على الرجال الذين كانوا وراء أحداث هذه المملكة
البطليوسية ، فهم وزراء كتاب لم يغفروا الجانب الادبى ، وانما وضعوه
نصب أعينهم ، واشتغلوا به بنفس اشتغالهم بتأمين الجانب الدفاعى
لدولتهم ، ومن بين هؤلاء الوزراء الادباء الوزير الكاتب أبو عبد الله
محمد بن أيمن (٢٣) الذى ينسب اليه ابن بسام الرسائل التى وجهها
المتوكل بن الافطس الى يوسف بن تاشفين ، والوزير الكاتب الشاعر
أبو محمد عبد المجيد بن عبدون اليابرى (٢٤) والوزير الكاتب أبو بكر
عبد العزيز بن سعيد البطليوسى ، (أحد ثلاثة بنى القبطرنة) (٢٥)
والوزير الكاتب ابن قزمان . . . الخ (٢٦) .

ومن الجدير بالملاحظة أن ابن بسام أورد نص رسالة المتوكل عمر
ابن الافطس التى كتبها ابن أيمن الى يوسف بن تاشفين حين استنجد به
طالباً من أمير المرابطين أن يبادر بالتحرك لانقاذ الاسلام فى الاندلس من
الخطر الاسبانى المسيحى الذى يمثله الفونسو السادس (٢٧) .

وقد أورد صاحب كتاب الحلل الموشية (٢٨) نفس النص ، وان كان
ابن بسام قد انفرد بذكر حقيقة هامة استندنا عليها فى اثبات رأينا أن
المتوكل بين الافطس لم يكن بالخائن الذى تقاعس عن خدمة الاسلام
أو حمايته ، ذلك أن هذه الرسالة لم تكن الرسالة الاولى التى وجهها
المتوكل الى الامير المرابطى ، وانما كان ترتيبها الثانية أو الثالثة (٢٩) .

(٢٣) المصدر السابق ، ص ٦٥٢ .

(٢٤) نفسه ، ص ٦٦٨ - ٧١٩ .

(٢٥) المصدر نفسه ، ص ٧٥٣ - ٧٧٤ .

(٢٦) المصدر نفسه ، ص ٧٥٣ - ٧٧٤ .

(٢٧) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٦٥٣ .

(٢٨) الحلل الموشية ، ص ٣٥ .

(٢٩) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٦٥٣ .

وعرفنا من الذخيرة كذلك خبرا هاما عن الصراع الذى دار بين الوزيرين أبى المطرف بن الدباغ وأبى عبد الله بن أيمن ، وانتهى بارتحال الدباغ عن بطليوس (٣٠) ، كما أورد ابن بسام بعض المراسلات التى تبودلت بين المتوكل ابن الافطس والمعتمد بن عباد ، وكلها تشير الى أن روح الاحترام والتقدير كانت تسود بينهما رغم العداء الذى كان يسود بين أبويهما ، وقد أكد الامير عبد الله الزيرى فى مذكراته أن نوعا من التحالف كان يربط بين هذين الاميرين ، مما يثبت ما ذكره ابن بسام عن روح المودة التى ربطت بينهما (٣١) . ومن بين هذه المراسلات رسالة يصور فيها المتوكل للمعتمد ما تعرض له من هجوم خيالة العدو على بلاده البطليوسية واكتساحهم لها (٣٢) .

وكان ابن بسام قد ذكر بعض الحروب التى خاضها المظفر ابن الافطس مع ابن عباد ، فى معرض ترجمته لابن عباد ، موضحا أن السبب فى خلافهما انما يرجع الى ابن يحيى صاحب لبلة (٣٣) . ومما سبق عرضه يتبين أن كتاب الذخيرة من المصادر الهامة الرئيسية التى اعتمدنا عليها فى تأريخنا لأحداث بطليوس فى عصر الطوائف ، وهو فى الحق ذخيرة حية زاخرة بالمادة العلمية ، ثرية بالاخبار التاريخية والادبية ، ومعظمها ورد مشوها أو مبتورا فى المصادر المتأخرة . واذا كان ابن بسام قد اعتمد فى معظمها على مصنفات ابن حيان فان كل الروايات والنصوص التى نقلها عن هذه المصنفات قد اتاحت لنا ولكثير من الباحثين الاطلاع على محتوى المصنفات الضائعة لابن حيان ، والتى لم تصل الينا (٣٤) .

(٣٠) المصدر السابق ، ص ٦٥٣ .

(٣١) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الثانى ص ٦٦٤ .

٦٦٨ .

(٣٢) المصدر السابق ، ص ٦٦٧ .

(٣٣) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الاول ، ص ٣٣ .

(٣٤) عبد الله جمال الدين ، أبو مروان بن حيان أمير مؤرخى

الاندلس ، منزلته وكتبه ومنهجه التاريخى ، ومصادره ، مجلة

أوراق ، العدد الثانى ، مدريد ١٩٧٩ ، ص ٢٢ .

٣ - مذكرات الامير عبد الله الزيرى الصنهاجى ملك غرناطة المعروفة بالتبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بنى زيرى فى غرناطة :

وهو الامير عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيرى ، ثالث ملوك غرناطة فى عصر الطوائف وآخرهم ، ويرتفع نسبه الى زيرى بن مناد الصنهاجى (٣٥) ، وكان الحاجب المظفر عبد الملك بن المنصور محمد بن أبى عامر قد دعا ولده زاوى بن زيرى المعروف بدهائه ومكره (٣٦) ، وسائر أولاده فنزلوا قرطبة ، واستقبلهم عبد الملك أروع استقبال ووصلهم بصلات سنية ، ولكنهم استصغروا ما وصلهم على كثرتهم ، وابتذلوا الخلع التى خلعها عليهم وعبروا عن ضيقهم بالمقام فى الاندلس والتمسوا التسريح جهلا وأنفة (٣٧) . وقد نجح بنو زيرى فى اقامة ملك لهم فى غرناطة ، واشتهر منهم حبوس بن ماكسن ، وباديس بن حبوس ، وقد استطاع بنو زيرى أن يكونوا ملكا لهم فى المغربين الأدنى والاوسط بعد أن أسند اليهم الفاطميون ولاية المغرب نيابة عنهم بعد انتقالهم الى مصر (٣٨) .

وهكذا كان عبد الله بن بلقين ينتسب الى صنهاجة التى ينتسب اليها المرابطون الى حد أنه قيل أن والدته الامير عبد الله قالت له حين دخل المرابطون غرناطة « انزل وسلم على عمك يوسف بن تاشفين » . ويعزو الدكتور أحمد مختار العبادى السبب الذى جعل المرابطين يبقون عليه بعد استيلائهم على غرناطة الى هذه القرابة (٣٩) .

ولد الامير عبد الله فى عام ٤٤٧هـ (١٠٥٦ م) ، واعتلى عرش

(٣٥) انظر مقدمة ليفى بروفندسال ، فى تحقيقه للتبيان ، ص ٧ .
(٣٦) مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، ص ١٧ .
(٣٧) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الرابع ، المجلد الاول ، ص ٨١ .
(٣٨) السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ص ٦٤١ - ٦٥١ .
(٣٩) أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٣٦ .

غرناطة في عام ٤٦٩ هـ (١٠٧٧ م) عقب وفاة جده باديس بن حبوس ،
وفي نفس الوقت استقل أخوه تميم بمالقة .

ومذكرات الامير عبد الله تشتمل على أخبار تاريخية لها قيمتها ،
فبفضلها استطعنا أن نتعرف على العديد من الاحداث المعاصرة للمؤلف ،
ومرت بها دويلات الطوائف في أيامها الاخيرة ، وكان هو نفسه أحد
الاطراف المشتركة فيها ، بل أن هذه المذكرات أوردت تفاصيل دقيقة
لأحداث تلك الفترة بكثير من الامانة والصدق مما أتاح لنا الفرصة
لتصحيح بعض الاخبار التي وصلت إلينا في المصادر الأخرى .

ومن الجدير بالذكر أن الامير الزيرى كتب هذه المذكرات أثناء
منفاه في أغمات ، وأغمات في ذلك الوقت كانت مركزا حضاريا وعلميا
كبيرا بالمقارنة بمراكش المرابطية التي كانت بمثابة قاعدة عسكرية (٤٠) .
وقد أشار صاحب الحلل الموشية الى هذه المذكرات فذكر أن الامير عبد الله
الزيرى قام بكتابة مصنف عن أسرته ودولته في غرناطة (٤١) ، كذلك
أشار ابن الخطيب في أعمال الاعلام الى كتابه هذا الذى دونه بأغمات ،
ويعبر العنوان الذى وضعه الملك الزيرى لمذكراته عن الغرض الذى من
أجله كتبها وهو سرد تاريخ دولته وظروف عزله ، وقد قام بنشر هذه
المذكرات المستشرق الفرنسى الاستاذ ليفى بروفنسال مرتين ، المرة
الاولى في مجلة الاندلس Al-Andalus في عامى ١٩٣٥ - ١٩٣٦ ، وفي
المرة الثانية في كتاب مستقل تحت عنوان « مذكرات الامير عبد الله آخر
ملوك بنى زيرى بغرناطة ٤٦٩ - ٤٨٣ هـ المسماة بكتاب التبيان » ونشرها
بالقاهرة في عام ١٩٥٥ م .

وقد اتسمت هذه المذكرات بالصدق والامانة ، وزادت قيمتها

(٤٠) المرجع السابق ، ص ٥٣٦ .

(٤١) الحلل الموشية ، ص ٧١ .

التاريخية باعتبارها معاصرة لأحداث عصر الطوائف في الفترة التي تسبق دخول المرابطين الاندلس .

ويعد الامير عبد الله الزيرى المؤرخ الوحيد الذى انفرد بالاشارة الى ابن الاحسن ، ذلك الشيخ والفقيه السلجماسى الذى كان رسولا من قبل المرابطين الى المعتمد بن عباد قبيل سيطرة المرابطين على الاندلس (٤٢) .

ومن الغريب أن يلعب ابن الاحسن دورا هاما في الايام الاخيرة لمملكة بنى الافطس في بطليوس .

وقد أفدنا للغاية مما ذكره الامير عبد الله عن ابن الاحسن الذى كان بمثابة عامل مرابطى يشارك المتوكل عمر بن الافطس في حكم مملكة بنى الافطس ، كما أن ما ذكره الامير الزيرى عن المنصور بن عمر بن الافطس ، وعن نصائحه العديدة لوالده فيما يتعلق بعلاقته بابن الاحسن قد ساعدنا على رسم صورة واضحة المعالم لكل من الرجلين ، ابن الاحسن والمنصور ، من جهة ، وعلى وضع تفسيرات لبعض سلوكيات المتوكل بن الافطس في أواخر عهده خاصة فيما يتعلق بتحالفه مع ألفونسو السادس من جهة أخرى (٤٣) .

ومن الملاحظ ان الامير الزيرى التزم جانب الصدق والصراحة مع الدقة والعمق في تحليله للأحداث وتعليله لسقوط دويلات الطوائف ، رغم أنه كان ملكا من هؤلاء الملوك ، مما يؤكد أنه كان يتمتع بأهم صفات المؤرخ وهى الموضوعية،والحييدة التامة،والبعد عن التحيز وان كان فى ذلك يحاول تبرير موقفه،وقد أرجع الامير عبد الله الزيرى انهيار دويلات الطوائف الى الخلافات الشديدة التى كانت تنشب بين الملوك فيما بينهم مما أفسح المجال

(٤٢) مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، التبيان ، ص ١٠٢ .

(٤٣) المصدر السابق ، ص ١٧٢ - ١٧٣ .

لأمير المرابطين يوسف بن تاشفين لكى يتدخل في خصوماتهم ، وانتهى به الامر الى تطلعه للسيطرة على الاندلس .

وقد ذكر في موضع من كتابه على سبيل المثال « ولما انقضت غزوته تلك جمعنا في مجلسه ، أعنى رؤساء الاندلس ، وأمرنا بالاتفاق والاتلاف وأن تكون الكلمة واحدة . . وأخذ الامير في الانصراف الى بلاده وهو قد اطلع عيانا وسمعا من اختلاف كلمتنا . . » (٤٤) .

ان مذكرات الامير عبد الله الزيرى تعتبر وثيقة سيكولوجية من الطراز الاول تساعد على الحكم على مظاهر الانحلال الاجتماعى والتفكك السياسى فى الاندلس قبيل الزلافة ، وفى أعقابها بالاضافة الى أنها تسد فراغا كبيرا فى تاريخ الاندلس ابتداء من الفترة التى تنتهى فيها مؤلفات ابن حيان (٤٥) ، كذلك تمدنا هذه المذكرات بكثير من المعلومات عن العلاقات السياسية لمملكة بطليوس مع جاراتها اشبيلية وقرناطة ومع المرابطين .

٤ - ابن حيان القرطبى (أبو مروان حيان بن خلف) ٣٧٧ - ٤٦٩ هـ
(٩٧٧ - ١٠٧٦ م) « » « المقتبس فى تاريخ رجال الاندلس » .

هو أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن محمد بن حيان ابن وهب بن حيان ، شيخ مؤرخى الاسلام فى الاندلس بلا نزاع (٤٦) . وعلى الرغم من المكانة الكبيرة التى وصل اليها ابن حيان بين مؤرخى عصره الا أن ماوصلنا عنه من اخبار يعتبر شحيحا للغاية ، اذا ما قورن بما كتب عن غيره ، فهذه الكتابات لا تعدو سطورا تتضمن اشارات عن

(٤٤) مذكرات الامير الزيرى ، التبيان ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

(٤٥) المصدر السابق ، ص ٩ .

(٤٦) انظر مقدمة الدكتور محمود على مكي فى تحقيقه للمقتبس لابن حيان (القسم الخاص بامارة عبد الرحمن الاوسط ومعظم امارة الامير محمد بن عبد الرحمن) ص ٧ - جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٠٨ .

تاريخ مولده وسنة وفاته ، وأسماء شيوخه وأهم مصنفاته ، ومن الخسارة الكبيرة أن هذا المؤرخ الجليل لم يترجم لنفسه كما فعل كثير ممن سبقه أو لحقه من المؤرخين ، ولعل ذلك يرجع الى تواضع ابن حيان الشديد ، وهى صفة لازمتها كما تلازم كبار رجال العلم فى كل زمان ومكان ، فقد لام نفسه كثيرا لأنه فى اعتقاده ، لم يسهب فى كتابة تفاصيل الفتنة ، رغم أن ما كتبه ووصل إلينا فى كتاب الذخيرة لابن بسام كاف الى حد كبير (٤٧) .

وينتسب ابن حيان الى أسرة عريقة ، فجده الأعلى وهب بن حيان كان مولى للامير عبد الرحمن الداخل ، وربما كان ينتمى على حد رأى الاستاذ الدكتور محمود على مكى الى أسرة اسبانية قديمة لعبت دورا هاما فى تأييد عبد الرحمن بن معاوية عقب دخوله الاندلس ، مما جعل لابناء وهب بن حيان واحفاده مكانة خاصة لدى ملوك الدولة المروانية فيما بعد (٤٨) ، وان كانت هذه الاسرة لم تتول من المناصب الكبرى والخطط الكثير ، فنحن لم نر أحدا من أسرته قد تولى منصبا كبيرا فى الدولة باستثناء والده أبى القاسم خلف بن حسين الذى ولى منصب وزير أثناء حجابة المنصور بن أبى عامر لما كان يربط الاثنين من أواصر الصداقة والمحبة (٤٩) .

ولم يكن خلف بن حسين والد مؤرخنا مجرد وزير فى عهد المنصور بن أبى عامر ، وانما كان عالما راسخا فى العلم مما كان له أعظم الاثر فى صقل ابنه أبى مروان حيان ، وتشكيله وتوجيهه الى مجال العلم

(٤٧) انظر كتابات ابن بسام عن ابن حيان فى الذخيرة ، القسم

الاول ، المجلد الاول ، ص ٣٥ .

(٤٨) ارجع الى مقدمة الدكتور محمود على مكى فى تحقيق المقتبس ،

ص ٩ - وانظر ترجمة بالنثيا لابن حيان فى كتابه تاريخ الفكر

الاندلسى ، ص ٢٠٨ - ٢١٢ .

(٤٩) ابن الابار ، التكملة لكتاب الصلة ، نشر كوديره ، مدريد

١٨٨٩ ، ترجمة رقم ١٤٩ .

والادب ، فقد درس خلف بن حسين على يد أبى الحسن على بن محمد الانطاكى (٥٠) ، العلوم القرآنية ، واللغة العربية والحساب والفقه على مذهب الشافعى ، ومما لا شك فيه أن وصول خلف بن حسين والد ابن حيان الى منصب الوزارة فى عهد المنصور يدعونا الى الاعتقاد بأنه لابد أن يكون المنصور وخلف بن حسين قد عملا معا أيام الحكم المستنصر ، فى بعض مناصب الدولة مما ربط بين الرجلين بروابط الود وال صداقة ، ومهد لخلف أن يتلقى منصب الوزارة فيما بعد (٥١) . وفى هذه الفترة اشتغل خلف بالكتابة التاريخية فقد كان يسجل للمنصور بن أبى عامر الكثير من وقائع عصره بأمانة شديدة ، ويكفى أن ابن الخطيب فى أعمال الاعلام قد اعتمد فى وصفه لموقعة جرييرة Gervera (٥٢) على ابن حيان الذى كان قد نقل تفاصيل هذه الموقعة من والده .

وورث ابن حيان هذه الصفات عن والده ، فكان دقيقا فى رواياته ، أميناً فى كتاباته . وظل ينعم بمكانة سامية فى عهد عبد الملك بن المنصور

(٥٠) أبو الحسن على بن محمد الانطاكى ، من أهل انطاكية ، ولد سنة ٢٩٩ هـ (٩١١ م) وقدم الى الاندلس فى شهر ربيع الآخر سنة اثنين وخمسين وثلثمائة (٩٦٣ م) ، وحظى بمكانة رفيعة فى الدولة ، فقربه الخليفة الحكم المستنصر ، وكان عالما بالقراءات لا يفوقه فيها أحد ، كما كان بصيرا باللغة العربية والحساب ، وكذلك كان حجة فى الفقه ، وتوفى فى قرطبة يوم تسع وعشرين من ربيع الاول سنة ٣٧٧ هـ (٩٨٧ م) ، ودفن فى مقبرة الربض (انظر ابن الفرضى ، تاريخ علماء الاندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ ، ص ٣١٦) .

(٥١) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٧٠ - ٧٣ .
(٥٢) توثقت العلاقة بين خلف وبين المنصور محمد بن أبى عامر، فكان خلف أشبه بأمين سره يلازمه فى مجالسه ويصاحبه فى غزواته ، وروى عنه ابنه حيان أخبارا كثيرة فى هذا الشأن ، وكان خلف أحد المصادر الهامة له أثناء كتابته لتاريخ الدولة العامية
(P. Melchor Antuna, Abenhayan de Cordoba y su obra historica, El Escorial, 1924, P. 12.

وانظر عبد الله جمال الدين ، أبو مروان بن حيان أمير مؤرخى الاندلس ، مجلة أوراق ، ص ٢٠) .

بن أبى عامر ، فارتبط بصلات وثيقة برجال الدولة ، مما هيا له المجال ليتعرف منهم على أدق تفاصيل الحوادث التى تمر بها البلاد .

وعندما اندلعت أحداث الفتنة فى قرطبة بقى خلف بن حسين وابنه فى قرطبة لم يغادرها على الإطلاق ، رغم ما أصاب قرطبة من فوضى واضطراب .

ولعلنا نقدر فضل هذا الرجل خلف بن حسين ، وما كان يتمتع به من حميد الصفات اذا أدركنا أنه كان الاستاذ الاول الذى تلقى ابنه حيان عنه أول دروس الحياة ، لاسيما وأنه رزق بابنه حيان وهو بعد فى السادسة والثلاثين من عمره ، وكان قد تقلد بعض المناصب الكبيرة مما جعله يعد من طبقة الموسرين ، فانف أن يعلم ابنه بالطريقة السائدة فى ذلك العصر وقوامها التردد على رجال العلم وشيوخه والتعلق مع طلاب العلم حولهم ، وانما اختصه بثلاثة أساتذة ، يتلقى على أيديهم العلم ، اما فى داره أو فى دار العالم الشيخ ، وبهذا كان بعد نظير هذا الاب العالم عاملا من العوامل التى ساعدت على بروز حيان ونبوغه . وهؤلاء الاساتذة الذين أخذ عليهم العلم ، هم : الفقيه المحدث عمر بن حسين بن محمد بن نابل الاموى (٥٣) ، واللغوى النحوى

(٥٣) عمر بن حسين بن نابل الاموى ، يقول عنه الحميدى « سمع أباه ، وثاسم بن أصبغ البيهقي ، روى عنه أبو عمر بن عبد البر النمرى الحافظ ، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن مسعود شيخ أبى العباس أحمد بن عمر بن أنس » (انظر الحميدى ، جذوة المقتبس فى ذكر وفاة الاندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، سنة ١٩٦٦ ، ص ٣٠٠) ، ويذكر ابن بشكوال أنه كان شيخا دالعا من بيت علم ودين ، كف بصره فى أواخر أيامه ومع ذلك فقد تتلمذ على يديه عدد كبير من طلاب العلم (انظر ابن بشكوال ، كتاب الدلة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ ، ج ٢ ، ص ٣٩٦) . وكان عمر بن نابل قد تلقى العلم فى المشرق حيث اصطحبه والده لتلقى العلم هناك ، ويقال أنه كان على صلة قوية ببني ذكوان ، فلما ابتلى بنو ذكوان فى الفتنة البربرية اشتد تأثيره بذلك ففقد عقله ومات والده (انظر تحقيق د . مكى للمقتبس فى المقدمة ، ص ٢١) .

أبو عمر أحمد بن عبد العزيز بن فرج المعروف بابن أبي الحباب القرطبي (٥٤) ، والعالم اللغوي الشهير ، صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي البغدادي (٥٥) . وعاش ابن حيان عصر الفتنة بما فيه من مساوئ واضطرابات دون أن يرحل عن قرطبة ، وقد سجل ابن حيان مادة تاريخية خصبة عن عصر الفتنة ، وتمكن بفضل صداقاته العديدة بمن خاضوا الفتنة أو عايشوها من التعرف على كل تفاصيل أحداثها ، ولهذا فقد نقل لنا سيرة بنى جهور بداية من أول رجالهم أبي الحزم جهور بن محمد بن جهور الذي كان قد بدأ يتعامل مع أهل قرطبة طبقاً لنظام جديد ، وكانت الديمقراطية هي أساس معاملته لجماعة أهل قرطبة ، واستمر هذا الوضع في عهد ولده أبي الوليد محمد بن جهور الذي خلف والده عقب وفاته عام ٤٣٥هـ (١٠٤٣م) وحين بلغ الكبر بأبي الوليد بن جهور ، بدأ الصراع بينه وبين ابنه مما هدد أمور بنى

(٥٤) أبو عمر أحمد بن عبد العزيز المعروف بابن أبي الحباب القرطبي ، ويرجع في أصله إلى بربر مضمودة . وباستقراره في الأندلس أصبح في عداد الأندلسيين ، ولد عام ٣١٠هـ (٩٢٢م) وتوفي عام ٤٠٠هـ (١٠٠٩م) . تتلمذ على يد ابن القاسم الثغري قاضي قلعة أيوب وعلى يد العالم البغدادي أبي علي القالي نزيل قرطبة ، وقد عهد المنصور بن أبي عامر إليه بتأديب ولده عبد الملك (انظر مقدمة د . محمود على مكي في تحقيقه لكتاب المقتبس ، ص ٢٢) .

(٥٥) صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي البغدادي ، يكنى أبا العلاء وقد روى عن القاضي أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي ، وأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي ، وأبي بكر بن مالك القطيعي ، وأبي سليمان الخطابي ، ووفد إلى الأندلس في أيام هشام المؤيد ، وحجابه المنصور محمد بن أبي عامر في حدود الثمانين والثلاثمائة ، وأصله من الموصل ، وكان عالماً باللغة والآداب والأخبار ، ومن عيوبه أنه كان حاذقاً في السؤال لاستخراج الأموال ، وقد قصد صقلية حيث توفي فيما يقرب من عام ٤١٠هـ (١٠١٩م) وقيل في عام ٤١٧هـ (١٠٢٦م) ، وكان صاعداً يتهم بالكذب ، وقلة الصدق (انظر ابن بشكوال ، الصلة ، ج ١ ، ص ٢٣٧ ، الحميدى ، جذوة المقتبس ، ص ٢٤٠ ، ٢٤٤) .

جهور في قرطبة ، وكان أبو الوليد محمد بن جهور يبذل قصارى جهده دائما لحل النزاع بين ملوك الطوائف ، وانتهى أمر بنى جهور في نهاية الامر بأن نفوا جميعا من قرطبة بعد امتيلاء المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية عليها (٥٦) . كان ابن حيان يعيش في قرطبة أيام الجهاورة ، الذين كانوا افضل من غيرهم من ملوك الطوائف ، ويبدو أن أمانة ابن حيان ، ودقته العلمية ، ورفضه المجاملة في العلم ، وصراحته ، واحترامه لعمله ، قد أوقعته في بعض المشاكل على أيام الجهاورة ، ولا نعرف الكثير عن المشاكل التي تعرض لها ابن حيان ، ولكننا نستطيع من خلال رواية ابن سعيد أن ندرك أن ابن حيان قد انتقد بعض أعمال أبى الوليد بن جهور فأنار عليه عبد الملك ولده الذى هم بالفتك به ، لولا أن أبا الوليد بادر بوقف سيل الغضب العارم الذى اجتاح ابنه تجاه ابن حيان لما كان يعرفه الاب من جموح الابن وطيشه (٥٧) .

وكان أبو الوليد بن جهور قد قلد ابن حيان منصب صاحب الشرطة (٥٨) ، وان كان الدكتور محمود على مكى لا يرى أى صلة بين مكانة ابن حيان الادبية وبين وظيفة صاحب الشرطة ، ولهذا فانه يفترض أن يكون ابن حيان قد نال هذا اللقب على نحو تشريفى أو فخرى (٥٩) ، فان منح الالقاب النظرية قد أصبح تقليدا جاريا منذ أيام الحكم المستنصر ، واستمر طوال عصر الدولة العامية ، ثم تولى ابن حيان وظيفة « املاء الذكر فى ديوان السلطة » (٦٠) وهو العمل

-
- (٥٦) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ١٥٠ .
(٥٧) ابن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب ، ج ١ ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، القاهرة ١٩٥٣ ، ص ١١٧ .
(٥٨) المقرئ (أحمد بن محمد) ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق محيى الدين عبد الحميد ، ج ٢ ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٤٩ ، ص ١٠٢ .
(٥٩) الدكتور محمود على مكى ، مقدمة تحقيقه لكتاب المقتبس لابن حيان ، ص ٤٤ ، وانظر أيضا عبد الله جمال الدين ، المرجع السابق ، ص ٣٦ .
(٦٠) محمد أحمد أبو الفضل ، شرق الاندلس فى ظل الدولة الموحدية (رسالة دكتوراه) ، المقدمة ص ح .

الذى كان يتلاءم الى حد كبير مع عمله وشخصيته ، وهناك ملاحظة لابد لنا من ذكرها وهى أن هذه الوظيفة لم تحول ابن حيان الى مؤرخ للبلاط ، وانما ظل يتابع كتابة مؤلفاته التاريخية ، وظل يحتفظ بأهم صفاته كمؤرخ من امانة ونزاهة علمية .
أهم كتب ابن حيان :

ألف ابن حيان عددا كبيرا من الكتب لا يقل عن الخمسين (٦١) ، ولكن لم يصل اليها من هذه المؤلفات الا أجزاء قليلة من أهمها المقتبس والمتين (٦٢) (وهو المسمى بالتاريخ الكبير ، والمقتبس يسمى بالتاريخ الصغير) وأخبار الدولة العامية (٦٣) ، وكتابه عن غدر بنى عباد ببني جهور في قرطبة بعد أن استعانوا بهم ، وسماه البطشة الكبرى ، وكان ذلك آخر كتبه التى صنفها قبل وفاته وهو فى الخامسة والثمانين (٦٤) .
ونحن نذكر فى موضوعنا هذا المقتبس الذى رجعنا اليه فى كثير من مواضع بحثنا . ولم يتبق من المقتبس الذى كان يضم نحو عشرة أجزاء سوى خمسة قطع منفصلة .

(٦١) عن مؤلفات ابن حيان ارجع الى :

P. Melchor Antuna Aben hayan de Córdoba y su obra histórica, el Escorial, 1924 — E. Garcia Gomez, a propósito de Ibn Hayyan, al-Andalus Vol. XI, fasc. 2, 1946, P. 395-423.

مقدمة د . محمود على مكى لكتاب المقتبس فى تاريخ رجال الاندلس لابن حيان ، القسم الخاص بالامير عبد الرحمن الاوسط، والامير محمد بيروت ١٩٧٣ .

عبد الله جمال الدين ، أبو مروان بن حيان أمير مؤرخى الاندلس ، مجلة أوراق ، العدد ٢ ، مدريد ١٩٧٩ ، ص ١٩ - ٢٨ . ومن الملاحظ أن هذا الرقم مبالغ فيه وأن كتبه لا تتجاوز تاريخه الكبير .

(٦٢) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الاول ، المجلد الاول ، ص ٣٥ .

(٦٣) المقرئ ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٧٦ .

(٦٤) بخصوص كتاب ابن حيان « البطشة الكبرى » انظر رأى د. حسين مؤنس فى تحقيقه لكتاب ابن الابار ، الحلة السيرة ، ج ١ ، ص ٢٦٩ ، حاشية ٢ ، وانظر رأى الدكتور محمود على مكى الذى أخذنا به فى مقدمة تحقيقه لكتاب المقتبس ، ص ٨١ .

القطعة الاولى : وتتناول عصر الحكم الربضي وجزءا من عصر عبد الرحمن الاوسط وقد حصل عليها المستشرق ليفى بروفنسال من الخزانة العامة لجامع القرويين بفاس ورجع اليها ليفى بروفنسال في كتابه «تاريخ اسبانيا الاسلامية» وكان قد بعث بصورة لهذا المخطوط الى الاستاذ عبد الحميد العبادى اول عميد لكلية آداب الاسكندرية ليقوم بالاشتراك معه في نشر وتحقيق هذا المخطوط، ولكن وفاة كل من العالمين وضعت حدا لنشره ، ثم اختفت النسخة المحفوظة بمكتبة العبادى ، وظن الباحثون في تاريخ الاندلس أنها فقدت ولكن تبين أنها مازالت موجودة ، وأنها في طريقها الى الظهور .

القطعة الثانية :

وهى التى تلى القطعة السابقة وتبدأ من عام ٢٣٢هـ (٨٤٦م) حتى عام ٢٦٧هـ (٨٨٠م) وتتناول ست سنوات من عهد عبد الرحمن الاوسط ، ومعظم عهد الامير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٨٣هـ) (٨٥٢ - ٨٨٦م) وهذه القطعة هى التى نشرها الدكتور محمود على مكى . وقد استفدنا الى حد كبير من هذا الجزء من المقتبس خاصة عند الحديث عن بطليوس فى زمن عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، وقد وضع لنا هذا الجزء من المقتبس كثيرا من النقاط التى كانت غامضة لاسيما فيما يتعلق بتفاصيل ثورة ابن مروان الجليقى ، الذى فر من قرطبة أكثر من مرة متجها الى أكثر من حصن من حصون الغرب ، وقد اتاح لنا المقتبس الفرصة لادراك كثير من الحقائق التاريخية حول أحداث هذه الثورة التى رواها ابن حيان بأسهاب ، فى حين وردت هذه الاخبار مبتسرة للغاية بل ومشوهة أحيانا فى بعض المصادر العربية الأخرى ، مثل ذلك التفصيلات التى أوردها ابن حيان حول واقعة البربرية التى دارت بين عبد الرحمن بن مروان الجليقى الذى كان فى تلك الآونة فارا

عند ملك ليون وبين احدى سرايا المسلمين . وقد أورد ابن عذارى (٦٥) خبر هذه الواقعة موجزا ، وكذلك ابن الاثير (٦٦) وان كان قد تحدث عنها باستفاضة أكثر من ابن عذارى ، ولكن ابن حيان قد أسهب في ذكر تلك الواقعة (٦٧) على نحو فاق فيه غيره من المؤرخين .

كما أننا بالرجوع الى ابن حيان في كثير من تفاصيل أحداث ثورة ابن الجليقى قد استطعنا أن نسد العديد من الثغرات وأن نصحح الكثير من الاخطاء التاريخية التى وقع فيها كوديره في بحثه عن بنى مروان الجليقى .

وهذا يدعونا الى القول بأن كوديره الذى يرجع الى هذا الجزء الهام من كتاب ابن حيان المقتبس (لأن هذا الجزء كان لايزال مخطوطا ، ولم يتم نشره وتحقيقه الا في عام ١٩٧١) قد فاته الكثير واختلطت عليه بعض الاحداث ، فهو قد رجع في بحثه عن « بنى مروان الجليقى في ماردة وبطليوس » الى البيان لابن عذارى ، ولكتاب ابن القوطية ، ولكتاب العبر لابن خلدون ، وللجزء الذى نشره انطونية من المقتبس لابن حيان ، ولكن هذا كله لم يكن كافيا ، لتغطية الاحداث كلها ، فابن حيان في كتابته لهذا الجزء من المقتبس قد أوضح تماما جميع التفاصيل المتعلقة بثورة ابن مروان الجليقى وتتبع تطوراتها بحيث مرت بخمسة مراحل . أما كوديره فقد اكتفى بجمع النصوص والسطور التى تتعلق ببطليوس أو ماردة في تلك الفترة من الامارة ، والتى ظهر فيها ابن مروان الجليقى ، من المصادر المختلفة ، واقتصر في دراسته على ترتيب هذه النصوص وفقا لترتيب السنين ، فعندما تعرض كوديرة مثلا لثورة ابن مروان الجليقى في عام ٢٦١هـ (٨٧٤م) اعتمد

(٦٥) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، س ١٠٣ .

(٦٦) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٧ ، ص ٣١٠ .

(٦٧) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د.مكى ، ص ٣٨٤ .

نص ابن الاثير وابن عذارى واكتفى بذكر هروب عبد الرحمن من قرطبة ، ونزوله بقلعة الحنش حتى هزيمته أمام جيش الامارة ثم طلبه الامان من الامير محمد ونزوله ببطليوس التى كانت حينئذ قرية خالية ، ولم يذكر كوديره بطبيعة الحال تفاصيل كثير من الاحداث لأن هذه التفاصيل التى انفرد بها ابن حيان ، لم تكن قد صدرت بعد ، فقد ذكر ابن حيان على سبيل المثال أن الثوار فى الغرب ، وعلى وجه الخصوص مكحول ، الذى كان قد تحصن فى جلمانية قد استنجدوا بسعدون السرنباقي فى ذلك العام ٢٦١هـ (٨٧٤م) وكان هذا الثائر سعدون السرنباقي مقيما فى ذلك الوقت عند الفونسو الثالث ملك ليون ، فترك ليون ونزل جلمانية لمساعدة مكحول (٦٨) . هذا الى جانب انفراذه برواية تفاصيل ثورة ابن مروان الجليقي فى هذا العام مما أتاح لنا فرصة التعرف على مزيد من التفصيلات وتتبع الاحداث بكل دقة ، وبذلك أمكننا بفضل هذه التفاصيل أن نربط الاحداث التى جاءت أخبارها مفككة فى المصادر الأخرى .

وعلى الرغم من رجوعنا الى معظم المصادر العربية ، والى كتابات بعض المستشرقين ممن كتبوا حول هذه الثورة أمثال كوديره الذى رجع بدوره الى كافة المصادر العربية التى تحدثت عن ثورة الجليقي ، إلا أن ما ورد فى المقتبس قد فاق جميع هذه المصادر ، ففى حديثه عن حصار الامير محمد للجليقي ، فى قلعة الحنش سنة ٢٦١هـ (٨٧٤م) على سبيل المثال يسوق أخبارا مطولة ، كما يفوق غيره من المصادر عند عرضه لتجدد ثورة ابن الجليقي فى عام ٢٦٢هـ (٨٧٥م) عندما انتقل من بطليوس الى حصن منت شلوط ومنه الى حصن كركى ، وسوف نتأكد من أنه المؤرخ الوحيد الذى انفرد بذكر أفعال هاشم بن عبد العزيز وزير الامير محمد الاثير لديه مع أهالى منطقة أمسين وحصن مقالش

التي ان اوضحت شيئاً ما فانما توضح توجهه الشديد وحذره من هؤلاء
الاهالي وقسوته في معاملتهم (٦٩) .

كما أننا استفدنا من هذا الجزء من المقتبس لابن حيان في توضيح
الظروف التي أدت الى وقوع الوزير هاشم بن عبد العزيز في الاسر ،
وكيفية انتقاله الى بلاط الفونسو الثالث ملك ليون ، وكيف عاد الى قرطبة
مرة ثانية بعد أن دفع الامير محمد الفداء له مع مزيد من التفاصيل حول
هذا الموضوع .

كذلك استفدنا من هذا الجزء من المقتبس عند تعرضنا لدراسة
أهم حوادث سنة ٢٦٣هـ (٨٧٦م) عندما كان الوزير هاشم بن عبد
العزيز لا يزال أسيراً لدى الفونسو الثالث ملك ليون الذي رحب بابن الجليقي
ودعاه الى ليون ، وقد لبى الجليقي هذه الدعوة وهاجم قوات المسلمين
وانتصر عليهم بمعاونة قوات مملكة ليون ، في موقعة البربرية ، هذا الى
اغاراته مع الليونيين على غربى بطليوس ، في منطقة حصن دويل .

القطعة الثالثة :

وهي التي نشرها المستشرق الاسباني الأب ملشور انطونيه ،
وصدرت في باريس عام ١٩٣٧ ، ويتناول هذا الجزء فترة امارة الامير
عبد الله بن محمد (٢٧٥ - ٣٠٠ هـ) و (٨٨٨ - ٩١٢) وقد استعنا
بمادة هذا الجزء في تتبع العلاقات بين ابن الجليقي ، وجيرانه المولدين
المنتزين في الغرب ، فقد بدأ ابن حيان هذا الجزء بالتعريف بأهم الثوار
المنتزين على الامارة في عهد الامير عبد الله ، ومن خلال هذا العرض
سلط الضوء على العلاقات السياسية بين بعض الثوار وبعضهم الاخر ،
ومن أمثلة ذلك أن عبد الملك بن أبي الجواد ، وهو أحد الخارجين على

السلطة المركزية» اقتعد مدينة باجة وملكها، وتحصن بحصن مارثلة وله حظ من المنعة تشييدا وعدة ، وكان قائما بدعوة المولدين معاندا لابن مروان صاحب بطليوس وابن بكر صاحب اشكونية ٠٠٠ « (٧٠) .

ومن نص ابن حيان نعرف أنه كان على خلاف مع ابن مروان الجليقي . ومنهم حجاج بن عمير اللخمي ، والد ابراهيم بن حجاج أحد الثوار العرب ، الذين انتزوا في اشبيلية وقرمونة ، وقد شارك الأب حجاج بن عمير في الواقعة التي أسر فيها هاشم بن عبد العزيز الوزير ، وقتل أثناء القتال ، وفي ذلك يقول ابن حيان « قتل أبوه حجاج بكرى في الواقعة التي أسر فيها هاشم بن عبد العزيز ، فرأس بعده ابنه ابراهيم وثار ببلده عند ارتجاج الفتنة ٠٠٠ « (٧١) .

كذلك نستدل من بعض نصوص هذا الجزء على أن أحد الثوار وهو كريب بن خلدون تعاون مع عبد الرحمن بن مروان الجليقي في أحد مراحل الثورة التي قام بها الجليقي (٧٢) . هذا وقد اعتمدنا اعتمادا خاصا على رواية ابن حيان عن ثورة ابن القط في عام ٢٨٨هـ (٩٠٠ م) وكان هدفها الرغبة في الجهاد في سبيل الله ، لاعلاء كلمة الدين (٧٣) ، فقد أفاض في ذكر تفاصيل هذه الثورة فكان خير مصدر لنا عند حديثنا عن هذا التأثير المجاهد .

القطعة الرابعة :

وتتعلق بسنوات من خلافة عبد الرحمن الناصر ، وقد قام بنشر هذا الجزء وتحقيقه كل من الاستاذ بدرو شالميتا ، وفيدريكو كورينطى ومحمود صبح ، وهذا الجزء أفادنا كثيرا عند تعرضنا لدراسة أحداث

(٧٠) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق ملشور انطونيه ، ص ١٥ .

(٧١) المصدر السابق ، ص ١٥ .

(٧٢) نفسه ، ص ٦٨ - ٧٠ .

(٧٣) نفسه ، ص ١٣٣ - ١٣٨ .

استيلاء أردون بن ادفونش ملك ليون على يابرة في عام ٣٠١ هـ (٩١٣ م)
وقد وصف ابن حيان المدينة في ذلك الوقت ، وذكر الجهود التي بذلها
آنذاك عبد الله الجليقي صاحب بطليوس في تحصين مدينته واعدادها
لهجوم متوقع يشنه أردون ملك ليون ، كذلك وضح ابن حيان دور
عبد الله الجليقي في اعادة بناء أسوار يابرة وتعميرها ، واتاحة الفرصة
لصديقه مسعود السرنباقي لسكنها (٧٤) .

كما استفدنا من هذا الجزء من المقتبس لابن حيان في رسم صورة
واضحة المعالم لطبيعة العلاقات القائمة بين عبد الله الجليقي ومن
عاصره من الثوار في المنطقة أمثال سعيد بن مالك صاحب باجة ، ويحيى
بن بكر صاحب اكشونبه ، وبكر بن سلمة صاحب أروش (٧٥) .

وأخذنا برواية ابن حيان فيما يختص بتاريخ حملة أردون
ابن الفونسو على الغرب ، فابن حيان يؤرخها سنة ٣٠٣ هـ (٧٦)
(٩١٥ م) في حين يؤرخها ابن خلدون (٧٧) الذي اعتمد عليه كل من
كوديرة وليفي بروفنسال (٧٨) سنة ٣٠٢ هـ (٩١٤ م) . وقد ناقشنا رأي
ابن حيان وتمكنا من اثباته وفقا لتسلسل الاحداث .

كما اعترضنا على ما ذكره كوديره بشأن قيام أهل بطليوس بتقديم
الهدايا الثمينة الى أردون حتى يرحل عن بلادهم استنادا الى رواية
مدونة سيلوس (٧٩) ، حيث أن هذا الخبر لا وجود له في المصادر
العربية كما أن عدم وروده في المقتبس لابن حيان المؤرخ الثقة يؤكد

-
- (٧٤) ابن حيان ، المقتبس تحقيق شاليتا ، ص ٩٥ ، ص ١٠٦ ،
(٧٥) المصدر السابق ، ص ١١٨ .
(٧٦) نفسه ، ص ١٢٠ .
(٧٧) ابن خلدون ، العبر ، المجلد الرابع ، ص ٣٠٧ .
(٧٨) Codera, Los Beni Meruan, P. 54.
(٧٩) Ibid, P. 55.

اعتراضنا عليه لاسيما وقد ثبت أن كثيرا من الاخبار الواردة في مدونة سيلوس عن حوادث هذه الغزوة مبالغ فيها ، وبالإضافة الى كل ما سبق استطاع ابن حيان أن يميظ اللثام عن مصرع عبد الله بن محمد بن مروان الجليقي صاحب بطليوس ويسلط الضوء على هذه الحادثة فيزيل ما اكتنفها من غموض اذ أن النص الذي أورده ابن عذارى بهذا الشأن لم يوضح أية تفاصيل ، ولم يشرح الظروف التي مات فيها ابن الجليقي ، مما دفع العديد من المؤرخين الى الدوران في حلقة مفرغة حول هذا الموضوع (٨٠) .

ويلى ذلك بداية عهد عبد الرحمن الناصر ، وكان ابن حيان اكثر توفيقا من غيره في رسم صورة متكاملة لهذه الفترة ، أوضح فيها سياسته تجاه الثوار المنتزعين في هذه المرحلة ، وقد رجعنا الى ابن حيان لمعرفة تفاصيل تحركاته في السنوات المختلفة (٨١) ، الى أن تم له محاصرة بطليوس والاستيلاء عليها ، وزودنا ابن حيان باسم أول ولاية بطليوس من قبل الخلافة وهو عثمان بن عبد الله (٨٢) .

بل ان ابن حيان انفرد دون غيره من المؤرخين في تزويدنا بأسماء عمال جميع كور ومدن الاندلس في عهد خلافة عبد الرحمن الناصر ، ومن خلال هذا الثبت الذي كان مرتبا وفقا للسنين تمكنا من اعداد قائمة بأسماء أهم ولاية بطليوس في الفترة الاولى من ولاية عبد الرحمن الناصر . ونصل الى :

Ibid. P. 56. (٨٠)

(٨١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شاليتا ، ص ٢٣٨ - ٢٤٥ .

(٨٢) المصدر السابق ، ص ٢٤٩ .

القطعة الخامسة :

وهى الاخيرة التى نشرت ، وقد قام بنشرها الاستاذ الدكتور عبد الرحمن الحجى ، وقد عالج فيها ابن حيان أحداث خمس سنوات غير كاملة من سنى خلافة الحكم المستنصر بالله (٣٦٠ - ٣٦٤ هـ) (٩٧٠ - ٩٧٤ م) . وقد كان المخطوط الاصلى مفقودا الا أن نسخة مصورة من هذه القطعة كانت محفوظة لدى المستشرق كوديرة ، قام د . الحجى بنشرها وتحقيقها (٨٣) .

ولكتب ابن حيان أهمية كبيرة ، فهو مؤرخ يمتاز بالصدق والامانة العلمية ، وعنه يقول جونثال بالنتيا ، « أن كتبه لو بقيت لألقت على تاريخ الاندلس الغامض ضياء باهرا ، وصورته لنا أحسن تصوير ، ولوجدنا أنها تبلغ من الامتياز مبلغا يجعلنا نستغنى بها عن غيرها من الكتب التى تتناول تاريخ هذه العصور . ان ابن حيان سيال الاسلوب ولكنه مع ذلك يتعثر فى الاطناب والقعقة اللفظية . . . أنه ليسوق التاريخ مساق من يبدى رأيه وحكمه فيما يعرض من القضايا ، ويبحث عن أسباب الاشياء ويناقشها عن علم وفهم وذكاء . . . » (٨٤) . ويمتاز ابن حيان بدقته الشديدة وموضوعيته ومنطقية تفكيره ، فكثيرا ما رفض الاساطير والقصص الخرافية التى واكبت فتوحات المسلمين للاندلس (٨٥) . هذا الى جانب قدرته على التفصيل وشرح الاحداث بتفصيلات وافية ، والتنبه الى كل صغيرة وكبيرة وهذا ان دل على شيء فانما يدل على عمق الحاسة التاريخية لدى شيخ مؤرخى الاندلس .

(٨٣) مقدمة د . مكى من تحقيقه لكتاب المقتبس لابن حيان ، ص ١٤٩ .

(٨٤) جونثال بالنتيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢١١ .
(٨٥) انظر مقدمة الدكتور مكى فى تحقيقه لكتاب المقتبس لابن حيان ، ص ١٠٧ .

الفتح ابن خاقان (ت ٥٢٩هـ / ١١٣٤م) قلائد العقيان :

هو أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله القيسى الاشبيلي الكاتب ، يرجع أصله الى قرية «صخرة الولد» القريبة من قلعة يحصب ، من أعمال غرناطة ، وقد نشأ ابن خاقان نشأة فقيرة ، وكانت لهذه النشأة أكبر الاثر في تشكيل حياته التي قضاها متنقلا من مملكة الى أخرى ، يسأل أولى الامر العطاء ليتمكن من اشباع نزواته خاصة وأنه كان يدمن شرب الخمر (٨٦) .

وقد كان بينه وبين ابن باجة الفيلسوف عداء شديد ، وأسفر هذا العداء عن صفحات كتبها ابن خاقان ضد خصمه في كتابيه القلائد والمطمح .

وقد رويت لابن خاقان بعض الاشعار ، ولكنه لم يجد فيها اجادة كبيرة . وأهم ما ألفه كتابي « مطمح الاندلس ومسرح التأنس » و« قلائد العقيان ومحاسن الاعيان » .

ويقدم ابن خاقان في كتابه مطمح الانفس تراجم لأهم رجال الاندلس وأعيانها ، وقد جعله ثلاث نسخ كبرى ووسطى وصغرى . أما القلائد ، وهو الكتاب الذي رجعنا اليه في بحثنا هذا فتكرار للمطمح في بعض الاجزاء ، وقد قسمه الى أربعة أقسام الاول « في محاسن الرؤساء وأبنائهم ودرج أنموذجات من مستعذب أنبائهم » والثاني « في غرر حلية الوزراء وفقر الكتاب واللغاء » ، والثالث « في ملمع أعيان القفظة ولح اعلام العلماء السراة » والرابع « في بدائع نبهاء الادباء وروائع فحول الشعراء » ، وتعد كتاباته من أبدع ما ألف الاندلسيون في مجال النثر المسجوع « (٨٧) .

(٨٦) جوثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ٢٩٧ .

(٨٧) جوثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ٢٩٨ .

ولم يكن ابن خاقان يعبا بأحد ممن يأخذ عنهم فكان ينقل منهم دون أن يشير الى ذلك ، من ذلك ما نقله عن ابن بسام في الذخيرة ، وقد أدى ذلك الى اقدام ابن بسام على شكايته الى القاضى .

وقد قتل الفتح بن خاقان ذبحا في مسكنه بفندق لبيدة من حضرة مراکش في ٢٢ محرم عام ٥٢٩هـ (٨٨) (١٣ نوفمبر ١١٣٤ م) بايعاز من الامير على بن يوسف بن تاشفين الذى أشار بقتله ، وقيل أنه توفى قتيلا سنة ٥٣٥هـ (١١٤٠ م) بمدينة مراکش بالفندق (٨٩) ، وقيل في ليلة عيد الفطر من سنة ٥٢٨هـ (١١٣٣ م) وذكر أنه لما توفى ظلت جثته مطروحة في غرفته ثلاثة ليالى دون أن يشعر به أحد (٩٠) . وقد أوعز على بن يوسف بقتله لنقده الشديد لحاشيته ، ودفن بباب الدباغين من مراکش .

ولكتاب « قلائد العقيان » قيمة تاريخية كبيرة الى جانب قيمته الادبية ، وقد افادنا للغاية في ترجمته للمتوكل عمر بن الافطس الذى وصفه فيها بعظيم الصفات ، وروى فيها قصة بنى الافطس ونهاياتهم التعيسة مما ساعدنا على التوصل الى بعض التفاصيل الهامة بهذا الشأن ، ومن ذلك قوله « قد توسدوا التراب بدلا من الارائك وتضرجوا بالدماء بعد التضمخ بالمسك الصانك ، وغدا مصرعهم من نجيعهم أحمر كأنهم ما اعملوا أبيض ولا أسمر ... وصارت في لحومهم للسباع ولائم وعلى دمائهم من النسور حوائم ، وطالما وردوا للمنى مناهل ، ووجدوا الديار بها أوائل » (٩١) . ومما يحمده أنه أورد قصيدة الشاعر

-
- (٨٨) ابن الابار ، المعجم فى أصحاب القاضى الامام أبى على الصدفى ، مجريط ، ١٨٨٥ ، ترجمة رقم ٢٨٥ ، ص ٣٠٠ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٤ ، تحقيق د . احسان عباس ترجمة رقم ٥٢٥ ، ص ٢٣ ، ٢٤ .
(٨٩) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٤ ، ص ٢٣ .
(٩٠) ابن الابار ، المعجم ، ص ٣٠١ .
(٩١) ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص ٣٧ .

عبد المجيد بن عبدون في رثاء بنى الافطس بأكملها(٩٢) .

وتسلط كتابات ابن خاقان كثيرا من الاضواء على مظاهر الحياة الاجتماعية في مملكة بنى الافطس ، وكثيرا من الصفات والملامح الشخصية لعمر المتوكل بن الافطس من خلال ترجمته له في قلائد العقيان ، فقد روى في هذه الترجمة كيف أن المتوكل ترك فاخر الملابس وعظيمه ، وأظهر الخشوع والزهد حين حل الجذب بمنطقة حضرة التابعة لمملكته(٩٣) .

كذلك تعرفنا من خلال وصفه لمجالس المتوكل على أن قصبة بطليوس كانت تطل على البطحاء(٩٤) ، وهى المناطق الممتدة شمالى بطليوس ، وفيها دارت وقعة الزلافة ، كما تعرفنا على اسم أحد المغنين فى بطليوس وهو أبو يوسف المغنى(٩٥) . ويذكر ابن خاقان عذد وصفه لمجلس راح حضره الوزير أبو بكر بن القبطرنة اسم ولدين للمتوكل حضرا المجلس أيضا هما سعد بن المتوكل ، وكان بعد غلاما ، والفضل أخوه(٩٦) ، كما أفادتنا الى حد كبير ترجمته لأبرز أعلام بطليوس أمثال الوزير الشاعر ابن عبدون اليابرى والوزراء بنو القبطرنة الشعراء فى معرفة الحياة اليومية لبعض وزراء المتوكل عمر بن الافطس .

البكرى : « جغرافية الاندلس وأوروبا » .

هو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكرى ، نسبة الى بكر بن وائل ، وشهرته أبو عبيد البكرى ، من أبرز أعلام

(٩٢) المصدر السابق ، ص ٣٨ - ٤١ .

(٩٣) نفسه ، ص ٤٣ .

(٩٤) ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص ٤٤ .

(٩٥) نفس المصدر .

(٩٦) نفس المصدر .

القرن الخامس الهجرى وأشهر علمائه وجغرافيينه (٩٧) . ولد البكرى فيما يقرب من عام ٤٠٥ هـ (١١٤ م) فى مدينة ولبة حاضرة اماره ولبة وجزيرة شلطيـش وتوفى فى شوال من عام ٤٨٧ هـ (١٠٩٤) (٩٨) ، ودفن فى مقبرة أم سلمة (٩٩) بقرطبة الواقعة خارج باب اليهود .

ويرجع البكرى الى أسرة عريقة والى بيت وصف بأنه بيت اماره ، فقد كان جده أيوب بن عمرو البكرى صاحب خطة الرد والقاضى بلبله كما أن جده هذا كان واحدا من كبار رجال الدولة بدليل أنه شهد على عقد تجديد الالفه بين هشام المؤيد وبين المنصور بن أبى عامر (١٠٠) ، فى صفر سنة ٣٨٧ هـ (مارس ٩٩٧ م) ، ولعل هذا الموقف يوضح لنا أن هؤلاء البكرين كانوا من أتباع المنصور بن أبى عامر ، فأيوب جد البكرى ومعه أخوه محمد كانا شاهدين على العقد الذى أدى الى تسرب السلطة والسلطان من يد هشام المؤيد ، ثم تولى أيوب اماره ولبة وشلطيـش فى أواخر أيامه الى أن توفى فى رمضان عام ٣٩٨ هـ (١٠٠٨ م) وخلفه عليها فيما بعد ولده أبو زيد محمد ، وهذه المناصب التى تولوها تؤكد مرة أخرى أن هذه الاسرة كانت موالية للمنصور ابن أبى عامر ، الذى لم يكن يثق فى اسناد أمثال هذه المناصب الا فى أعوانه المخلصين .

وخلف أباً زيد محمد البكرى ، ولده أبو المصعب عبد العزيز والد أبى عبيد الله عبد الله ، وورث الملك عن والده ولكن الامر لم يهنا للبكرين

(٩٧) حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين ، مدريد ١٩٦٧ ، ص ١٠٨ .

(٩٨) البكرى، جغرافية الاندلس وأوروبا، مأخوذة من المسالك والممالك، انظر المقدمة التى كتبها د . عبد الرحمن الحجي ، ص ٢٩ - ٣٠ . ومحمد أحمد أبو الفضل ، أبو عبيد الله البكرى والبكريون فى ولبة وشلطيـش ، مجلة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية ، العدد ٣١ ، مجلد ٨٢ (سنة ١٩٨٣) ، ص ١٤٢ .

(٩٩) ابن بشكوال ، كتاب الصلة ، ترجمة ٦٣٣ .
(١٠٠) ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ١٨١ ، حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الاندلس ، ص ١١٠ .

طويلا في امارتهم ، اذ سرعان ما أصبحت هدفا للمعتضد بن عباد فضمها الى مملكته بعد مضي احدى واربعين عاما من قيامها ، وانتهى أمر عبيد العزيز والد البكرى الى الرحيل الى قرطبة حيث عاش في ظل بنى جهور (١٠١) ، وكان البكرى شابا في تلك الفترة العصبية حين أرغم على الرحيل الى قرطبة مع أسرته ووالده ، ولكنها كانت فرصة ذهبية أمامه ليحتك بعلماء قرطبة ورجال الفكر ، وكان البكرى حين دخل قرطبة يبلغ من العمر نحو خمس وعشرين سنة (١٠٢) ، ولم يغادر البكرى قرطبة بعد أن ذاع صيته وسطع نجمه في سماء العلم والادب والجغرافية ، وتشهد بذلك مصنفاته المتنوعة من كتب أدبية وفقهية ولغوية بالإضافة الى المصنفات الجغرافية ، واذا تابعنا ترجمة ابن حيان وابن بسام وابن خاقان للبكرى لا نجد الا امتدادا لمعرفته بالعلوم الادبية واللغة ويلاحظه فيها ، وقد ألف البكرى في هذه الفترة المبكرة من شبابه كتاب « التنبيه على اغلاط ابى على في أماليه » ، واتصل في هذه المرحلة بالشاعر القرطبي ابراهيم بن محمد بن يحيى المعروف بابن السقاء ، وبخطابه ببضعة أبيات من الشعر ولكنه كان شعرا ضعيفا مما يدل على أن صاحبه كان في بداية اشتغاله بالشعر (١٠٣) .

ثم انتقل البكرى من قرطبة الى المرية وعاش فيها فترة من الزمن ، ولكن لم يطل بقاءه بها لفقر الحياة الفكرية فيها بالمقارنة الى دويلات الطوائف الأخرى ، لذا فقد شد رحاله الى اشبيلية التي كانت من أعظم مدن الاندلس ازدهارا في الحياة الفكرية والعلمية لاسيما في عهد المعتمد بن عباد ، ولم يلبث أن ارتفع الى مصاف ندمائه الذين

(١٠١) البكرى ، جغرافية الاندلس وأوروبا ، ص ٣٠ - حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين (لمزيد من التفاصيل) انظر ، ص ١١١ - ١١٤) .

(١٠٢) حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص ١١٥ .
(١٠٣) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الاول ، ص ٢٣٧ .

يحضرون مجالس بلاطه (١٠٤) . وظل البكرى مقيما باشبيلية حتى وفاته في عام ٤٨٧ هـ (١٠٩٤ م) وقد أثرت الظروف التي مر بها البكرى في بداية شبابه على مسلكه الشخصي في حياته ، فهو لم يستطع أن ينسى كيف أنه هجر ملكه وملك أبيه الى قرطبة ، ثم كيف تحطمت الخلافة في قرطبة (١٠٥) . لقد قضى شبابه وعمره كله يعاني مأساة الفتنة وما أعقبها من تفتت سياسى مما دفعه الى العكوف على احتساء الخمر ، وهذه الصفة كانت سببا في تحامل المؤرخين عليه المؤرخين عليه وانتقاده ، وعلى الرغم من انه كان في قدرة البكرى في هذه الفترة السياسية القلقة أن يميل الى جهة سياسية معينة ليلمع نجمه ويسطع في مجال الحكم والسياسة الا أنه فضل العلم والكسب على التأليف والانتاج العلمى لحبه الشديد له ولاجلاله للعلم والمعرفة (١٠٦) .

وكان البكرى كسائر علماء عصره موسوعيا في علمه فهو لم يكتف بالنبوغ في مجال الجغرافية ، وانما كان عالما في اللغة ومؤرخا ونباتيا وشاعرا ، وكانت « الموسوعية » سمة جيله من العلماء أمثال ابن حزم وابن حيان وابن بسام . . . ، فتلك كانت صفة علماء هذ العصر ، كذلك اتسم البكرى بالدقة ، فهو يتقصى ويتحرى عن كل خبر أو معلومة ، يسوقها في مؤلفاته (١٠٧) .

وللبكرى مؤلفات عديدة في مختلف المجالات العلمية ، وقد أحصى له اثنى عشر مؤلفا في مجال الادب واللغة ، هذا بخلاف كتابى « معجم ما استعجم » المسالك والممالك « في مجال علم الجغرافية .

وكتاب « معجم ما استعجم » هو معجم عن الاماكن الجغرافية

-
- (١٠٤) حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين ، ص ١١٩ .
(١٠٥) البكرى ، جغرافية الاندلس وأوربا ، ص ٣٠ .
(١٠٦) البكرى ، جغرافية الاندلس وأوروبا ، ص ٣٠ .
(١٠٧) حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيين ، ص ١٠٨ .

الخاصة بالمشرق دون الاندلس ، وهو مطبوع ، ولكنه لا يعيننا في بحثنا هذا بطبيعة الحال .

أما كتاب « المسالك والممالك » فكان آخر ما صنفه البكرى ، بدأ في كتابته وهو قرب الخمسين أو الستين من عمره فجاء الكتاب لذلك صورة عظيمة لخبراته وقمة نضجه العلمى ، مما جعله يتربع على عرش الجغرافية الاندلسية ولهذا يعد من أعظم كتب الجغرافية على مستوى العالم الاسلامى بأسره (١٠٨) .

ولا يعرف عدد الاجزاء التى يتكون منها هذا الكتاب ، وحتى يومنا هذا لم يدرس ككل واحد (١٠٩) لتعدد وجود قطعة فى أكثر من مكان وأكثر من مكتبة .

وقد بدأ البكرى فى المسالك والممالك بالحديث عن بدء الخليقة واستمر فى حديثه حتى وصل الى عصره ، فتحدث عن البلاد وشعوبها المختلفة ومدنها وما تمتاز به ، وما اشتهرت به وعادات سكانها وأخلاقهم وطبيعة البلاد ... الخ .

ومن المؤكد أن ما وصل الينا من « المسالك والممالك » ليس هو الاصل الذى كتبه البكرى ، فالقطع والمخطوطات التى عثر عليها لا تتماثل ولا تتشابه ، وعن ذلك يقول الدكتور الحجى ، « والقطع التى لدينا ليست كلها متماثلة بل ان بعض الموضوعات موجودة فى أكثر من مخطوطة واحدة كما أن البعض الآخر موجود فى مخطوطة واحدة فقط ، » (١١٠) .

وقد اعتمد البكرى على مصادر قديمة غير اسلامية فهو يذكر فى

(١٠٨) البكرى ، جغرافية الاندلس وأوروبا ، ص ٣٤ .
(١٠٩) حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين ، ص ١٣٢ .
(١١٠) البكرى ، جغرافية الاندلس وأوروبا ، تحقيق د . الحجى ، ص ٣٥ .

المسالك والممالك أسماء بعض الجغرافيين والرياضيين اليونان ، بالإضافة الى اعتماده على عدد من الجغرافيين الرومان أمثال بطليموس ، هذا الى جانب اعتماده على من سبقه من الجغرافيين المسلمين أمثال المسعودي وابن رسته والوراق .

كذلك أخذ البكرى عن معاصريه من الجغرافيين والمؤرخين أمثال ابن حيان والعذرى بدليل أنه يذكر في كثير من مواضع كتابه عبارة « أخبرنى العذرى » وهذا يدل على أنه استقى مادته منه مباشرة ، كما يشير الى رحالة أندلسى من القرن الرابع الهجرى ، اعتمد عليه فى كثير من الاحيان ، هو ابراهيم بن يعقوب الطرطوشى ، كذلك اعتمد البكرى على الكثير من كتابات الرازى ، وهنا لابد من أن نلفت الانظار الى حقيقة هامة وهى أن هذه الخبرة وهذا العلم الغزير ، لم يكتسب عن طريق الرحلات والاسفار المتعددة ، وانما نتيجة لقراءات البكرى لكتابات من سبقوه ووصفهم لرحلاتهم التى قاموا بها بالإضافة الى اعتماده على الوثائق الرسمية فى قرطبة مما جعله يقدم لنا أوصافا غاية فى الدقة لبعض المناطق الجغرافية الاندلسية التى لم يصفها أحد من قبل .

وقد اعتمدنا على الجزء المنشور من « المسالك والممالك » الخاص بالاندلس الذى حققه الدكتور عبد الرحمن الحجى ، فى التعريف بالمدن والمواقع الجغرافية فى كثير من مواضع الرسالة كما أخذنا برأى البكرى فى انشاء مدينة بطليوس ، وهو يرى أن الجليقى قد تلقى الاذن لبنائها وسكنها من الامير محمد ، وذلك بعد خروج ابن مروان الجليقى من قلعة الحنش وليس من الامير عبد الله كما ذكر الحميرى (١١١) .

ملاحظة هذا المصدر نستطيع أن نقرر أن البكرى يعد من أعظم جغرافيين إسبانيا ، وأنه يتميز بدقته العلمية وتحري الصدق فى كتاباته ، وهو لذلك يعتبر على

حد قول الدكتور مؤنس قمة من قمم التأليف الجغرافي (١١٢) .
ابن الابار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعى) ،
الحلة السيرة :

هو أعظم مصنف لمعاجم الرجال في الاندلس (١١٣) ، ولد في مدينة
بلنسية بشرق الاندلس في عام ٥٩٥ هـ (١١٩٨ م) (١١٤) ، وعمل كاتباً
لأمراء الموحدين ، وكان أبو زيد بن أبي عبد الله بن أبي حفص
بن عبد المؤمن بن علي أحد السادة الموحدين الذين استعانوا بابن الابار
ليكتب لهم ، وقد خرج معه ابن الابار الى قلعة أيوب ،
ليلاقي الملك خايى الفاتح Jaime el Conquistador
ملك أرغون ، ولكن ابن الابار شك في نوايا سيده ، فقد خشى أن يرتد عن
الاسلام (١١٥) ، فتركه وشأنه ودخل في خدمة زيان بن مردنيش وأصبح
كاتباً له (١١٦) . وقد أوفده ابن مردنيش الى تونس عندما حاصر الملك
خايى مدينة بلنسية ، ليستنجد بالسلطان الحفصى أبى زكريا الحفصى ،
أقوى ملوك المغرب في ذلك الزمان ، ونجح ابن الابار في مهمته اذ
استجاب السلطان المسلم لنداء ابن مردنيش ، فأرسل الاساطيل المشحونة
بالمدد والاموال والاسلحة ، ولكن هذه الامدادات وصلت الى مقصدها
بعد فوات الاوان ، اذ كانت بلنسية قد سقطت في يد خايى الاول
سنة ٦٣٦ هـ (١٢٣٨ م) قبل وصول أية نجدة اليها .

وهاجر ابن الابار عقب سقوط بلنسية الى تونس ، حيث حظى
بمكانة رفيعة في البلاط السلطاني ، ولم يلبث السلطان أبو زكريا الحفصى
أن قربه اليه فعينه كاتباً له ، ولما توفي أبو زكريا عام ٦٤٧ هـ (١٢٤٩ م)
وخلفه ولده المستنصر بالله ، لم يستطع ابن الابار أن يحفظ للسلطان

-
- (١١٢) حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين ، ص ١٤٨ .
(١١٣) جونثال بالنتيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٧٧ .
(١١٤) أحمد مختار العبادى ، في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٤٣ .
(١١٥) Pons-Boigues, Ensayo Bio-bibliografico sobre los historia-
dores y geógrafos arabigo-espanoles, Madrid 1898, P. 291.
(١١٦) جونثال بالنتيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٧٧ .

الجديد نفس المودة السابقة التى كان يستشعرها نحو والده المتوفى ، با أن ابن الابار أثار حنق السلطان عليه مما أعطى الفرصة لأعدائه الحاقدين فأخذوا يكيلون له الاتهامات لدى السلطان ، وكانت أخطر تلك الاتهامات أن أعداءه الصقوا تهمة الاشتراك فى التدبير لمؤامرة ضد السلطان وعثروا فى داره على ورقة تحمل بيتا من الشعر يقول ابن الابار فيه :

طغا بتونس خلف سموه ظلما خليفة

وقد تسبب هذا البيت فى غضب الخليفة عليه ، فأمر بقتله وحرقه وكان ذلك فى عام ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م) .

وقبل أن نتحدث عن مؤلفات ابن الابار لابد أن نذكر أن البيئة التى نشأ فيها ابن الابار كانت بيئة علمية صحيحة (١١٧) ، فقد كان والد عبد الله بن أبى بكر رجل علم ودين ، يكثر من تلاوة القرآن الكريم ويؤم المسلمين للصلاة ، ومن الجدير بالذكر أن والد ابن الابار تو فى بلنسية عام ٦١٩ هـ (١٢٢٢ م) وكان ابنه (ابن الابار) فى بطليو آنذاك .

وعلى الرغم من نشأة ابن الابار فى هذا الجو العلمى النقى ، أنه لم ينهج نهج أبيه ، فقد اتجه منذ المرحلة الأولى من حياته الى السياسة وشغل الوظائف المربحة ، وكان ذلك فى نفس الوقت سبب با ونكته والنهائية الطبيعية لطموحه بعيد المدى (١١٨) . وقد تلا ابن الابار دراسته التاريخية على يد كل من الشيخ أبى الخطاب أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن واجب القيسى (٥٣٧ هـ - ٦١٤ هـ) (١١٤٢ - ١٢١٧ م) والشيخ أبى سليمان داود بن سليمان بن حوط

(١١٧) ابن الابار ، الحلة السراء ، المقدمة ، ص ١٤ .
Pons Boigues, Ensayo Bio-Bibliografico sobre los (١١٨)
historiadores y geógrafos arabigo-espanoles, Madrid, 1898,
p. 291.

الانصارى (٥٥٢هـ - ٦٢١هـ) (١١٥٧ - ١٢٢٤م) (١١٩) ، هذا
بالإضافة الى عدد من كبار العلماء الذين لقنوه سائر أنواع العلوم
الأخرى من فقه ونحو وأدب وقراءات ... الخ .

ومن أهم المؤلفات التى صنفها ابن الأبار ووصلت إلينا :

١ - كتاب التكملة لكتاب الصلة :

ويقصد به تكملة الصلة لابن بشكوال ، وهو من أعظم كتب التراجم
لأسماء علماء وملوك الأندلس ، طبقا لترتيب حروف الهجاء ، وقد
حرص ابن الأبار فى آخر كل حرف على ذكر الغرباء الذين وفدوا الى
الأندلس .

وقد استعنا بهذا المصدر فى بعض المواضع من بحثنا حينما اقتضى
منا الأمر ذلك . وأول من تولى نشر هذا الكتاب المستشرق الأسباني
الكبير دون فرنثيسكو كوديره عام ١٨٨٧م فصدر فى جزئين ، ثم عثر فى مكتبة
سليمان باشا أباطة بالقاهرة على نسخة خطية من هذا المصدر ، فأعاد كل
من جونثال بالنيثيا والاركون نشره ، ثم عثر الأستاذ محمد شنب
الجزائرى على جزء من هذا المصدر كان ناقصا فقام بنشره فى المجلة
الأفريقية عام ١٩٣٢ (١٢٠) .

٢ - كتاب المعجم لأصحاب الصدفي :

والصدفي هو أبو على الحسين بن محمد السرقسطى الأندلسى ،
وكان قاضيا فاضلا ومحدثا من أعظم محدثى الأندلس ، توفى عام ٥١٤هـ
(١١٢٠م) . وقد ألف ابن الأبار هذا الكتاب وخصه لسيرة الصدفي
وتراجم تلاميذه طبقا لحروف الهجاء ، وتولى المستشرق كوديره نشره .

(١١٩) ابن الأبار ، الحلة السيرة ، المقدمة ، ص ١٦ .
(١٢٠) أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٥٤٤ .

٣ - الحلة السيرة :

الحملة السيرة أى الثوب المخطط بمعنى الكتاب الذى يتضمن الادب والشعر والتاريخ ، ويتناول تاريخ المغرب والاندلس منذ الفتح الاسلامى حتى منتصف القرن السابع الهجرى ، وقد قسمه ابن الأبار الى قرون وتحدث عن أشهر رجال كل قرن .

ويعد كتاب الحلة السيرة أفضل كتب ابن الأبار وأعظمها فائدة ، ولا يمكن لآى باحث فى مجال تاريخ المغرب والاندلس أن يستغنى عن هذا المصدر (١٢١) . ومن كتاب الحلة السيرة يتبين لنا أن ابن الأبار كان مؤرخا غزير المادة وناقدا يقظا لا يمر بخطأ أو اسم علم الا واستدركه فى الحال ، هذا الى جانب أن أسلوب ابن الأبار فى الحلة السيرة يتسم بالقوة، ويرتفع الى أعلى المستويات .

وقد قام دوزى بنشر هذا الكتاب فى بادىء الامر ، وأعاد المستشرق الالماني مولر نشره ، وأخيرا نشره د . حسين مؤنس عام ١٩٦٣ فى جزأين ، وقد أفدنا من الحلة السيرة فى بحثنا الى أقصى حد ، فقد أشار ابن الأبار من خلال ترجمته لكثير من رجالات الاندلس الى كثير من الاخبار المتعلقة ببطلوريوس ، وعلى سبيل المثال ترجم ابن الأبار لعبيد الله بن أحمد بن يعلى بن وهب من رجال المائة الرابعة ، ومن خلال الترجمة أدركنا أن والده أحمد بن يعلى كان قائدا كبيرا للخليفة الناصر أسند اليه قيادة بطلوريوس وإعمالها (الجوف كله) وإن عبید الله نفسه، ولى كل ما كان بيد أبيه من بعده (١٢٢) .

كذلك ترجم ابن الأبار للمتوكل عمر بن الافطس ، وعرض فى هذه الترجمة لأصل أسرة بنى الافطس منذ بدايتها حتى وصول يوسف بن تاشفين الى الاندلس ، وأشار الى اشتراك أبى اسحاق بن مقانا قاضى

(١٢١) ابن الأبار ، الحلة السيرة ، المقدمة ، ص ٥١ .

(١٢٢) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٥٦ .

بطليوس في وفد القضاة الذين أوفدوا الى يوسف بن تاشفين لاعطائه
ضرورة صادقة عن الاوضاع السياسية السيئة واستنهاضه للعبور الى
الاندلس (وكان هذا الوفد يتكون من قاضى بطليوس المذكور ، والقلعى
قاضى غرناطة ، وأبو بكر بن أدهم قاضى اشبيلية والوزير أبو بكر
بن زيدون ، وقاضى قرطبة) (١٢٣) . وظل ابن الأبار يسرد تفاصيل
أحداث تلك الفترة حتى محاصرة سير بن أبى بكر لبطلبيوس ثم اقدمه
على قتل ابن الافطس عمر وولديه فضل والعباس . كما ينفرد ابن الأبار
بالإشارة الى ولد رابع للمتوكل عمر بن الافطس اسمه سعد وعنه يقول
« حدثه أنه (أى الوزير أبو بكر بن القبطرنة) دخل على نجم الدولة
سعد بن المتوكل ، وهو محبوس فى سجن المثلثة ، بعد غلبتهم على أبيه
المتوكل وقتلهم إياه وابنيه العباس والفضل ، فلما رآه أجهش باكيا ثم
أنشده . . . » (١٢٤) .

كذلك أشار ابن الأبار الى أحد كبار رجال مملكة بنى الافطس
أصحاب بطليوس هو أبو محمد بن هود الجذامى وهو من بنى هود
ملوك سرقسطة والشعر الأعلى ، تولى الاشبونة فى عهد المتوكل -عمر
بن الافطس (١٢٥) .

هذا وقد أفدنا أعظم فائدة من « الحلة السراء » عند تناولنا لأهم
ثورات الاندلس فى أواخر عهد المرابطين ، فقد ترجم ابن الأبار لكبار
رجال غرب الاندلس وهم أحمد بن الحسين بن قسى ومحمد بن سيدراى
بن عبد الوهاب بن وزير ، ومحمد بن عمر بن المنذر .

وعرفنا من خلال كتاباته أن أبا القاسم أحمد بن الحسين بن قسى

(١٢٣) ابن الأبار ، الحلة السراء ، ج ٢ ، ص ٩٩ .

(١٢٤) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٠٤ .

(١٢٥) نفسه ، ص ١٦٥ .

كان قائد الثوار بالغرب ، بل أنه كان « أول الثائرين بالاندلس عند
اختلال دولة الملثمين » (١٢٦) .

وكان يرجع الى أسرة مسيحية من بادية شلب ، وقد قام ابن الأبار
بمسرد أحداث ثورته منذ بدايتها حتى نهايتها ودخول الغرب الاندلسي في
طاعة الموحدين ، وأوضح لنا كيف أن بطليوس كانت تابعة لابن قسى
شأنها في ذلك شأن ميرتلة من ولايات الغرب طوال عام ٥٣٩هـ
(١١٤٤م) . وعرفنا من خلال ترجمة ابن الأبار لكل من محمد بن عمر
بن المنذر وأبى محمد سيدرأى بن وزير كيف أن ابن وزير انتزع كل من
بطليوس وميرتلة من يد ابن قسى بسبب خلاف نشب بينهما ، كذلك
عرفنا أن ابن المنذر كان صاحب الفضل الأعظم في نجاح ثورة ابن قسى ،
وساعده الأيمن قبل وقوعه في أسر سيدرأى ، بعد نشوب الخلاف الكبير
بين سيدرأى من جهة وابن قسى من جهة أخرى ، وقد انضم ابن المنذر
الى حليفه ابن قسى ، وانتهى أمر ابن المنذر حين أرسل سيدرأى أسيره
ابن المنذر الى خاله عبد الله بن الصميل يأمره « بأن يسير الى باجة
ويستخرج ابن المنذر من سجنه ويسمل عينيه ، ففعل ذلك
وأقام في معتقله الى أن فتح الموحدون أعزهم الله باجة ٠٠٠ » (١٢٧) .

ويعتبر كتاب الحلة السبراء في الواقع ثروة تاريخية لها قيمتها
بالنسبة للدارسين في تاريخ الاندلس بوجه عام والغرب الاندلسي بوجه
خاص في عصر دولة المرابطين ، وبداية حكم الموحدين للاندلس .

الشريف الادريسي : « وصف المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس »
من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق :

هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس ، الذي

(١٢٦) ابن الأبار ، الحلة السبراء ، ج ٢ ، ص ١٩٧ .

(١٢٧) ابن الأبار ، الحلة السبراء ، ج ٢ ، ص ٢٠٧ .

ينتسب الى بيت الاشراف الادارسة الحموديين (١٢٨) ، ويعتد الادريسي أول جغرافي متخصص في علم الجغرافية الى حد أنه فاق في هذا الميدان بطليموس وزاد عليه ، وقد تمكن هذا الجغرافي العظيم من رفع علم الجغرافية الى مصاف العلوم الكبرى (١٢٩) ، وكان بحق قمة علم الجغرافية عند المسلمين على حد تعبير الدكتور حسين مؤنس (١٣٠) . وليس لدينا أخبار عن حياة الادريسي الا أقل القليل ، فهو لم يظفر بترجمة كاملة مستقلة ، مفصلة البيانات في أى كتاب من كتب التراجم في المغرب أو المشرق مما دفع بعض المستشرقين الى القول بأن عدم اهتمام المسلمين به يرجع الى اتصال الادريسي بالملك الصقلي روجر الثانى ، وقد قلل هذا الاتصال من قدر الادريسي عند العرب .

غير أن هذا الرأى غير صحيح لأن الادريسي لقى الكثير من التقدير والتعظيم من الجغرافيين المسلمين ، كما مدحته كتب المختارات الادبية والموسوعات الكبرى ، أما عدم وجود ترجمة مفصلة عنه في احدى كتب التراجم فيرجع الى كثرة سفره وترحاله في بلاد المسلمين مما جعل أصحاب التراجم لا يقعون على سيرته أو تفاصيل حياته (١٣١) .

وقد تلقى الادريسي علومه أول الامر في المغرب ، ثم انتقل بعد ذلك الى الاندلس ، فأقام فترة في قرطبة ، أتم فيها دراساته ، ثم زار مصر وآسيا الصغرى وصقلية (١٣٢) .

وفي صقلية أقام الادريسي لفترة طويلة في كنف الملك روجر الثانى ،

-
- (١٢٨) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢٦ .
(١٢٩) حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس ، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ١٩٦٧ ، ص ١٦٧ .
(١٣٠) المرجع السابق ، ص ٢٥٧ .
(١٣١) نفسه ، ص ١٦٨ - ١٦٩ .
(١٣٢) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢٦ - التاريخ والمؤرخون العرب ، الاسكندرية ، ١٩٨١ ، ص ٢٠٦ .

وقد يقفز الى الاذهان تساؤل هام وهو كيف قبل الادريسي أن يقيم في بلاط ملك مسيحي ، يؤلف له كتباً ، ويقدم له خدمات علمية جليلة ؟ والواقع أن دولة النورمان في صقلية كانت نورمانية الاسم والرئاسة فقط ، أما المقومات الحضارية التي قامت عليها في صقلية فكانت مزيجاً من العربية والبيزنطية ، وهذا يفسر روابط الصداقة بين روجر ملك صقلية وبين الادريسي ، وأسباب قبول واستساغة الادريسي ، وهو الشريف العلوي ، الإقامة والعمل في البلاط النورمندی (١٣٣) ، ولا غرابة في ذلك اذا علمنا أن البلاط الصقلي كان يضم عدداً كبيراً من علماء المسلمين ، كما كانت صقلية تموج بالمسلمين ، ولذلك لم يكن وضع الادريسي بالغريب أو الشاذ في ذلك الوقت (١٣٤) . ثم ان الملك روجر الثاني كان مغرمًا بعلوم الفلك والجغرافية الامر الذي جعله يتمسك بالادريسي ، ويعهد اليه بتأليف كتاب عن صفة الارض من خلال ما شاهده في رحلاته وتنقلاته ، وقد تمكن الادريسي من انجاز هذا العمل في عام ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م) وأضاف اليه جزءاً أسماه « نزهة المشتاق في اختراق الافاق » عرف أيضاً باسم الكتاب الرجاري Libro Rogeriano (١٣٥) . وقد أثنى الادريسي على الملك روجر الثاني ثناء حاراً في مقدمة هذا الكتاب ووصفه بأنه الملك المعظم المعتز بالله ، المقتدر بقدرته مما ساعد على رواج اشاعة ظهرت في هذا العصر تؤكد اسلام روجر سرا (١٣٦) .

وقد قام دوزي بنشر الجزء المتعلق بافريقية والاندلس من نزهة المشتاق في ليدين عام ١٨٦٦ ، ثم أعاد سافدرا Saavedra نشر هذا الكتاب مصححاً في مدريد عام ١٨٨١ (١٣٧) .

-
- (١٣٣) حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيين ، ص ١٨٢
 - (١٣٤) المرجع السابق ، ص ١٨٢
 - (١٣٥) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢٧
 - (١٣٦) حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيين ، ص ١٨٢
 - (١٣٧) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢٧

وكتاب نزهة المشتاق غنى بالمادة الجغرافية والتاريخية وقد وصف بطليوس وصفا ساعدنا على استنتاج بعض ما كانت عليه عمرانينا في زمنه ، فقله على سبيل المثال بأن بطليوس « كان لها ربح كبير أكبر من المدينة في شرقها فخلا بالفتن ٠٠٠ » (١٣٨) دفعنا الى افتراض أن هذه الفتن التي أشار اليها الادريسي ، والتي أدت الى اخلاء ذلك الربح الشرقى لبطليوس ، اما أن تكون معاصرة لفترة ابن قسي ، خاصة بعد دخول بطليوس وميرتلة في سلطانه عام ٥٣٩هـ (١١٤٤ م) ، واما أن تكون هذه الفتن قد حدثت في عهد ابن الحجام الذي ثار على الحكم المرباطي أيضا (٥٤١ - ٥٤٢ هـ) (١١٤٦ - ١١٤٧ م) . وبالإضافة الى ذلك أمدنا هذا المصدر الجغرافي الهام بأسماء مواقع سائر المدن التي تعرضنا لها في بحثنا هذا ، وتقع جميعها في منطقة غرب الاندلس ، فالادريسي يعرف كل مدينة ويذكر أهم ما اشتهرت به ويصف حصونها وأسوارها ، ويعدد مواردها الاقتصادية في حالة اشتهارها بمورد معين ، ويورد المسافات التي تفصل بينها وبين ما حولها من المدن المجاورة بحيث يرسم للقارئ خريطة تامة الوضوح .

عز الدين ابن الاثير : « الكامل في التاريخ » :

هو على بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ، كنيته أبو الحسن ، ولقبه عز الدين ، ويعرف باسم ابن الاثير الجزري نسبة الى جزيرة ابن عمر التي ولد فيها . اما لقبه الشيباني « فان الاستاذ عباس العزاوي يقول أن ابن الاثير من أسرة عربية من بني بكر وشيبان حيث كان يسكن بنو شيبان العراق منذ بداية الفتح الاسلامي (١٣٩) .

(١٣٨) الادريسي ، المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس ، ص ١٨١ .
(١٣٩) عباس العزاوي ، التعريف بالمؤرخين ، ص ٢٦ - ٢٧ نقلا عن رسالة الدكتوراه عن ابن الاثير التي تقدم بها الدكتور عبد القادر طليمات الى جامعة عين شمس كلية الآداب سنة ١٩٦٧ ، ص ١٣ .

وتتبع جزيرة ابن عمر على مقربة من الموصل ، ويحيط بها نهر
دجلة من جهة واحدة .

وعلى بن محمد الشيباني هو أحد ثلاثة أخوة هم مجد الدين
المحدث الاصولي النسابة اللغوي الاديب ، وضياء الدين أبو الفتح
نصر الله في النقد والبلاغة ، وعز الدين موضوع الدراسة (١٤٠) ، وكلهم
شارك في التأليف العلمي ، وعرفوا بالعلم والادب كل في مجال تخصصه .
وكان نصيب على أن انصرف الى دراسة التاريخ فتفوق فيه . وفي ذلك يقول
القزويني « وينسب اليها بنو الاثير الجزيريون (جزيرة ابن عمر) ،
كانوا ثلاثة اخوة فضلاء رأيت فيهم الضياء ، يقصد ضياء الدين ، كان
شيخا حسن الصورة فاضلا حلو الحديث . » (١٤١) .

وقد ألف المؤرخ عز الدين بن الاثير مجموعة من الكتب منها
« كتاب اللباب في تهذيب الأنساب » وكتاب « أسد الغابة في معرفة
الصحابة » و « تاريخ الدولة الاتابية » وأهمها على الاطلاق كتاب
« الكامل في التاريخ » الذي رجعنا اليه فيما يتعلق بأحداث الاندلس .

ولد عز الدين ابن الاثير في جزيرة ابن عمر عام ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م)
وتوفي عام ٦٣٠ هـ (١٢٣٢ م) عن خمسة وسبعين عاما . وينتسب
إلى الاثير الى أسرة ثرية الى حد ما ، فقد كان أبوه متوليا لديوان
المدينة من قبل قطب الدين مودود بن زكي صاحب الموصل ، ولعل هذه
البيئة الكريمة كانت أحد العوامل التي ساعدت ابن الاثير على سهولة
التنقل بين حواضر العالم الاسلامي في ذلك الوقت مثل بغداد ودمشق
والقدس وحلب ، يرى بعينه ما يريد (١٤٢) ويحفظ ويجمع ليؤلف ،

(١٤٠) مجد الدين ابن الاثير ، المرصع في الالباء والامهات والبنين
والبنات والأخواء والذوات ، تحقيق د . ابراهيم السامرائي ،
بغداد ١٩٧١ ، ص ١٠ .

(١٤١) القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٣٥٢ .

(١٤٢) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ج ١

كذلك هيأت تلك الظروف الاقتصادية المستقرة التي نشأ في ظلها أسباب الحياة الرغدة المترفة ، فقد وفر أبوه لأولاده سبيل التعليم فألحق أبنائه وعلى الأخص عز الدين منذ طفولته بأحد مكاتب الجزيرة بالعراق ليتعلم فيها أرقى أنواع التعليم في ذلك العصر ، وفي هذه الفترة تعلم عز الدين بن الاثير الكتابة والقراءة وحفظ القرآن ، ولما وصل الى مرحلة الشباب أتاح له انتمائه الى أسرة ثرية بارزة ن ينتقل بين الجزيرة والموصل ليتلقى العلم على أيدي شيوخها الى أن استقر به المقام في الموصل ، وكانت آنذاك من أعظم المراكز العلمية في العالم الاسلامي ، وبرزت فيها أسرات ذاعت شهرتها في العلم والمعرفة ، كآسرة بنى منعه ، وبنى الشهرزورى ، وبنى بلده جى ، وبنى المهاجر ، وبنى هبل ، وبنى النقيب . وكان من أبناء هذه الأسر شيوخ وعلماء متخصصون في شتى أنواع العلوم والآداب وفيها شباب من قرناء ابن الاثير يعملون على تحصيل العلوم ، مما أشعل من حماسة ابن الاثير ودفعه على الاقبال على مواصلة التحصيل ، وشجعه على ارتياد مجالس العلم في الموصل وفي بغداد ودمشق ، وعندئذ وافته الفرصة للتنقل بين المدن الاسلامية المجاورة لتلقى العلم .

ولم يكن ابن الاثير ليستطيع ارتيادها لولا ثراء أسرته وقدره والده الاقتصادية ، ويحدثنا ابن الاثير في ثانيا بعض الاخبار ، وعن طريق تراجمه لشيوخه عن العلوم التي تلقاها في شبابه من شيوخ العلم ، كالاصول والفرائض والمنطق والهيئة والنجوم والقراءات ، بالإضافة الى العلم الذي تخصص فيه (١٤٣) .

ومن الجدير بالذكر أن ابن الاثير ظهر في فترة كانت الكتابة التاريخية قد بلغت أوجها بفضل كتابات عدد من كبار كتاب التاريخ

(١٤٣) انظر رسالة الدكتوراه المقدمة من الدكتور عبد القادر طليمات ، ص ١٥ .

أمثال الطبري ومسكويه والوزير أبي شجاع والخطيب البغدادي ، وابن الجوزي ، وقد عمل ابن الاثير على الاستفادة بمنهج كل واحد منهم ، فقد سلك كل مؤرخ منهم منهجا مختلفا عن الآخر . وبهذا يكون ابن الاثير قد استفاد من خبرات وتجارب هؤلاء المؤرخين ، الذين سبقوه ، وساعده ذلك على تكوين منهج خاص به وسمات تميزت بها كتاباته عن غيرها ، أبرزها اعتماده على الاسلوب المرسل الذي يخلو عادة من المحسنات البديعية والالفاظ المعقدة وهذا أسلوب يتفق مع الاساليب العلمية السليمة ويشير شغف القارئ ويشوئته على متابعة الموضوع ، كما تتسم كتاباته بمراعاة ترتيب الموضوعات على نحو يسهل مهمة الباحث ، في الرجوع الى المادة التي يطلبها .

هذا مع العناية بشرح الالفاظ والمصطلحات والاهتمام بضبط كثير من أسماء الأعلام والاماكن وتحديد المواقع المتشابهة اسما والمختلفة من حيث المكان صقعا والحرص على ذكر مصادره ومنهجه في التأليف وظروف تأليف الكتاب (١٤٤) . ومن الجدير بالذكر أن ابن الاثير جمع في كتابه « الكامل في التاريخ » أخبار ملوك بلاد المشرق والمغرب الاسلامي ، كما أنه بدأ كتابه ، منذ بدء الخليقة حتى نهاية عام ٦٢٨هـ (١٢٣٠م) . وكان ابن الاثير يذكر أخبار الاندلس ضمن مجموعة أخبار متفرقة ، فأساس رواياته أنه يروي تاريخ بلاد المشرق الاسلامي وفقا للمنهج الحولي ثم يذكر أخبار مجموعة حوادث تمت في نفس العام الذي يسرد فيه أبرز الوقائع ، وكان يضمن هذه المجموعة الاضافية من الحوادث أخبار الاندلس ، وكان المؤرخون السابقون عليه يأتون بالحادثة واحدة ويذكرون منها في كل شهر أشياء فتأتى متقطعة لا يحصل منها على غرض ولا تفهم الا بعد امعان النظر (١٤٥) . وقد عالج ابن الاثير

(١٤٤) المرجع السابق ، ص ٣٤ .

(١٤٥) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ١٢ - وانظر السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ١٠٣ .

هذا العيب فعمل على تجميع الحادثة الواحدة في مكان واحد حتى تأتي الاخبار متسقة ومتتابعة .

وقد اعتمد ابن الاثير في الاجزاء السبعة الاولى من كتابه بوجه خاص على الطبرى ، وكذلك على ابن الكلبي والمبرد والبلاذري ، والمسعودي ، ولم يكن ابن الاثير بالناقل الجامع للمادة ، فله الكثير من الاستدراكات والتعليقات على العديد من المؤرخين الذين رجع اليهم امثال الطبرى والشهرستاني ، وان كان قد بالغ في الاستهانة بكتابات المؤرخين الذين سبقوه واعتمد هو عليهم ، وهذا خطأ فاحش وقع فيه ، فبعد ان خص الطبرى وحده بالذكر كمصدر اساسى له وامتدحه طويلا عاد لينقده ويذكر عيوبه . وعلى كل حال سواء كان ابن الاثير جادا في حكمه على كتب من سبقه أم غير جاد فاننا لا نعفيه من اللوم ، لتجريحه السابقين عليه جملة .

ويعد كتاب « الكامل في التاريخ » لابن الاثير أهم وأشهر مؤلفاته وهو نموذج كامل للكتابة في التاريخ العام العالى والاسلامى على وجه الخصوص ، فمنذ ظهور الطبرى لم يظهر مؤرخ مسلم في المشرق والمغرب اهتم بشؤون العالم الاسلامى اجمالا ، وكان هذا من أهم العوامل التى دفعت ابن الاثير الى تأليف كتاب ، يجمع فيه اخبار العالم الاسلامى مشرقه ومغربه وما بينهما على حد وصفه (١٤٦) ، وقد وصف ابن كثير هذا الكتاب بأنه من أحسن مؤلفات ابن الاثير (١٤٧) ، ووصفه ابن خلكان بأنه من خيار التواريخ (١٤٨) ، وكذلك وصفه النسوى في مقدمة كتابه « سيرة السلطان جلال الدين منكبرى » (١٤٩) . ويعتمد ابن الاثير في

(١٤٦) رسالة الدكتوراه المقدمة من الدكتور عبد القادر طليمات ،

ص ٤٥ .

(١٤٧) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ١٣٩ .

(١٤٨) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٤٣٨ .

(١٤٩) النسوى ، سيرة السلطان جلال الدين منكبرى ، ص ٣٣ - ٣٤

(مقدمة المؤلف) .

أخباره التي أوردها عن الأندلس على مصادر أندلسية مغربية ، فقد

كانت هذه المصادر متوفرة في عصره (١٥٠) .

وقد رجعنا الى ابن الأثير في مواضع متعددة عند حديثنا عن ثورة ابن مروان الجليقي ، وأفدنا من الروايات التي أوردها عن الأندلس بهذا الصدد ، وقد انفرد ابن الأثير بذكر حادثة رجل يدعى الولد في مدينة باجة من المدائن الكبار بغرب الأندلس ، وقعت في عام ٢٠٣ هـ (٨١٩ م) ، ورجحنا أن يكون الولد المذكور في ذلك النص هو مروان الجليقي . ومن الجدير بالذكر أن ابن الأثير أورد معظم أخبار ابن مروان الجليقي : ففي حوادث سنة ٢٦١ هـ (٨٧٤ م) على سبيل المثال أورد ابن الأثير ، الخبر التالي « وفيها هرب ابن مروان الجليقي من قرطبة فقمده قلعة الحنش ، فملكها وامتنع بها فصار اليه محمد صاحب الأندلس فحصره ثلاثة أشهر ، فضاق به الأمر ، حتى أكل دوابه ، فأمنه محمد ، فصار الى مدينة بطليوس » (١٥٢) .

وفي حوادث عام ٢٦٢ هـ ، (٨٧٥ م) ذكر أن الأمير محمد جهز جيشه للتوجه لقتال ابن مروان الجليقي في بطليوس ، فلما بلغ ابن الجليقي ذلك رحل عن بطليوس ودخل حصن كركر، وحوصر فيه (١٥٣) . كذلك أمدنا ابن الأثير بأخبار هامة ووافية عن موقعة البربرية (١٥٤) Polvararia وهي الموقعة التي انتصر فيها ابن الجليقي وأنصاره من نصاري ليون على سرية من سرايا المسلمين ، كان ابن الأثير أحد مؤرخين أربعة أوردوا أخبارها مفصلاً وهم ابن حيان وابن عذاري وابن الأثير وابن خلدون ، وعلى الرغم من أن ابن الأثير من المؤرخين

(١٥٠) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب الاسلامي ، ص ١٢ .

(١٥١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٣٥٦ .

(١٥٢) المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٢٨٨ .

(١٥٣) نفسه ، ص ٣٠٦ .

(١٥٤) نفسه ، ص ٣١٠ .

العرب المشاركة المتأخرين ، فان روايته تعتبر مقاربة في الدقة والكمال لرواية ابن حيان ، وربما يرجع ذلك الى اعتمادها على مصدر مشترك مفقود نرجح أنه الرازي وهو المصدر الرئيسي لابن حيان (١٥٥) . ومع أن ابن الاثير قد أورد تفاصيل هذه الواقعة الا أنه لم يطلق عليها اسم « البربرية » وانما عرفنا هذا المسمى من خلال ما كتبه كل من ابن عذارى وابن حيان ، ويقول ابن الاثير في شرحه لأحداث هذه الواقعة « وفيها سير محمد ، صاحب الاندلس ، ابنه المنذر في جيش كبير ، وجعل طريقه على ماردة ، فلما جاز ماردة الى أرض العدو تبعه تسع مائة فارس من المعسكر ، فخرج عليهم جمع كثير من المشركين قد استظهر ، فاقتتلوا قتالا كثيرا صبروا فيه ، وقتل من المشركين عدد كثير ، ثم استظهر ابن الجليقي ، ومن معه من المشركين على السبعمائة ، فوضع السيف فيهم فقتلوهم عن آخرهم ، أكرمهم الله بالشهادة » (١٥٦) .

هذا بالإضافة الى الخبر الهام الذي ساقه ابن الاثير ضمن أحداث عام ٢٧١هـ (٨٨٤م) ويشير الى هجوم جيش الامارة ، بقيادة الامير المنذر ولد الامير محمد على مدينة بطليوس وقيامه بحرقها ، بينما تركها عبد الرحمن بن مروان الجليقي فارا الى حصن اشبر غزة (١٥٧) ، وقد أخذنا برواية ابن الاثير هذه ويتفق مع رواية ابن عذارى في أن الجليقي ، قد هرب الى حصن اشبر غزة ، وليس الى حصن مونت مولين كما ذكر ابن خلدون .

ومن هذه الامثلة السابقة يتضح لنا أن ابن الاثير رغم كونه مؤرخا

(١٥٥) ابن حيان ، المقتبس من أنباء اهل الاندلس ، تحقيق د.محمود على مكي ، تعليق رقم ٦١١ ، ص ٦٥٦ ، ٦٦٥ .

وليزيد من التفاصيل عن هذه الواقعة أرجع الى :

Sanchez Albornoz, La batalla de la Polvoraria, anales de la Universidad, de Madrid, fasc. III 1932 PP. 225-238.

(١٥٦) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٧ ، ص ٣١٠ ، ٣١١ .

(١٥٧) المرجع السابق ، ج ٧ ، ص ٤١٦ .

شرقيا ، أحسن في ذكره لبعض أخبار الاندلس ، وقد استفدنا الى حد كبير من هذا المصدر وأخذنا بأخباره في كثير من الاحيان لما عرف عن صاحبها من الصدق والدقة والامانة الامر الذى يجعله من ثقة المؤرخين المسلمين ، الذين كتبوا عن وقائع الاندلس .

ابن عذارى المراكشى : « البيان المغرب فى أخبار المغرب » :

هو مؤرخ يرجع الى أصل مغربى ، عاش فى عصر الموحدين ، ويعد كتابه البيان المغرب من أهم مصادر تاريخ المغرب والاندلس على الاطلاق ، تناول فيه دراسة هذا التاريخ منذ الفتح الاسلامى للمغرب حتى سنة ٦٦٧هـ (١٢٦٨م) . وقد اعتمد ابن عذارى فى كتابه على مصادر مغربية أندلسية ترجع الى كل من القرنين الخامس والسادس الهجريين ، بل انه ذكر بنفسه أنه قد رجع الى العديد من المصادر من أهمها الطبرى والبكرى والرقيق والقضاعى والى كتاب نظم الجمان وكتايب الاشيرى والبيذق . . . الخ ، لذا فقد جاءت أخباره أكثر دقة وتفصيلا عما أورده كل من ابن عبد الحكم والبلاذرى .

قسم ابن عذارى كتابه « البيان المغرب » الى ثلاثة أجزاء : ففى الجزء الاول اختصر أخبار المغرب منذ الفتح الاسلامى فى خلافة عثمان حتى انتقال الفاطميين الى مصر واستخلافهم صنهاجة على افريقية كما عالج فيه أيضا فتنة العرب وأسبابها وأخبار أمراء بنى زيرى وبنى حماد حتى ظهور المرابطين . والجزء الثانى ذكر فيه أخبار الاندلس منذ الفتح الاسلامى حتى ظهور المرابطين فى المغرب ، واستيلائهم على الاندلس فى عام ٤٧٨هـ (١٠٨٥م) . والجزء الثالث خصصه لتاريخ المرابطين والموحدين حتى انتهاء دولة الموحدين وظهور دولة الحفصيين ، والنصرية والمرينية حتى عام ٦٦٧هـ (١٥٨) (١٢٦٨م) .

(١٥٨) ابن عذارى ، البيان ، تحقيق ليفي بروفنسال ، ج ٣ ، انظر المقدمة . أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٤٠ .

وكان المستشرق الهولندي دوزى ، قد نشر جزءا من كتاب البيان المغرب فى الفترة التى تقع ما بين عام ١٨٤٧م وعام ١٨٥١ بليدن ، ويبدو أن المخطوط الذى اعتمد عليه دوزى كان مشوها الى حد كبير ، وقد اشتمل القسم الذى نشره دوزى على الجزء الاول من الكتاب ، وقسم من الثانى نشرهما فى جزئين الاول يتعلق بتاريخ المغرب منذ الفتح العربى حتى ظهور الدولة المرابطية ، اما الجزء الثانى فينتهى بوفاة المنصور محمد بن بى عامر .

وقد أعيدت طباعة هذا الكتاب فى بيروت عام ١٩٥٠ ، ولكن هذه الطبعة الجديدة ظهرت بصورة أسوأ من الاولى ، اذ امتلأت بالعديد من الاخطاء (١٥٩) ، مما دفع كلا من ليفى بروفنسال وكولان الى اعادة نشر هذا الجزء الذى نشره دوزى من جديد ، بعد أن عثر ليفى بروفنسال على مخطوطة جديدة للبيان فى المغرب (١٦٠) فى خزانة الفقيه المحدث الشريف السيد محمد عبد الحى بن عبد الكريم الكتانى من مدينة فاس ، وكانت هذه المخطوطة الجديدة منسوخة بخط عتيق للغاية ، وكانت بعض أوراقها قد تعرضت للتلف ، ولم يذكر فى هذه المخطوطة اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ . كما ذيل ليفى بروفنسال كتاب البيان بمجموعة من الاوراق من تاريخ قديم « عديم الرأس والعقب ، مجهول الاسم والصاحب عن بعض ملوك الطوائف ، منحها له صديق بالمغرب ، هو المؤرخ السيد أبو عبد الله محمد بن على الدكالى السلوى (١٦١) .

وكان ليفى بروفنسال قد نشر فى عام ١٩٣٠ فى باريس ، القسم

(١٥٩) انظر مقدمة ليفى بروفنسال فى البيان ، ج ٣ ، المقدمة -

السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب فى العصر الاسلامى ،

ص ١٦ .

(١٦٠) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب فى العصر الاسلامى ،

ص ١٦ .

(١٦١) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، مقدمة ليفى بروفنسال .

الخاص بملوك الطوائف ، وكان يعتقد أن هذا الجزء ، هو الجزء الثالث من البيان المغرب ثم اتضح فيما بعد أنه تكملة للجزء الثانى من البيان .
وفي عام ١٩١٧م كان المستشرق الاسبانى امبروسيو اويثى ميراندا قد اهتم بنشر الجزء الثالث من البيان ، وكان يعتقد أن هذه المخطوطة لمؤلف مجهول الى أن تبين له أنها نسخة موجزة الى حد ما من الجزء الثالث من البيان المغرب ، فعاد الى تحقيق هذا الجزء مع كل من الاستاذين محمد ابن تاويت ، ومحمد ابراهيم الكناني في عام ١٩٦٣ (١٦٢) .

والواقع أن كتاب البيان يعد من أكثر الكتب التى اعتمدنا عليها في هذا البحث ، فهو الى جانب صدق رواياته ودقتها بحيث جعلت منه مؤرخا ثقة لا يقل أهمية عن ابن حيان ، اهتم باستيفاء كل الاخبار التى يأتى بها ، الامر الذى يتيح للباحث فرصة التفهم الكامل لجميع هذه الحوادث .

وقد اخذنا برواية ابن عذارى في أن بطليوس كانت مدينة سابقة على الفتح الاسلامى للاندلس ، فقد ذكر أنها كانت عند استقرار ابن الجليقى بها مجرد قرية صغيرة (١٦٣) ، وهذا يعنى أنها كانت ذات ماض قديم . ويعتبر البيان المغرب لابن عذارى من أهم المصادر التى تضمنت أخبارا مفصلة عن ثورات المولدين في منطقة الغرب وعلى وجه الخصوص في ماردة قبيل ثورة عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، فعلى سبيل المثال ، أشار الى ثورات ماردة من عام ١٩٠ - ١٩٧هـ (١٦٤) (٨٠٥ - ٨١٢م) وإلى حصار جيوش الامارة لها في عام ٢١٧هـ (١٦٥) (٨٣٢م) وإلى تجدد ثورة ابن مرتين بماردة في عام ٢٢٠هـ (١٦٦)

-
- (١٦٢) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ١٧ .
(١٦٣) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٠٢ .
(١٦٤) المصدر السابق ، ص ٧٢ .
(١٦٥) نفسه ، ص ٨٣ .
(١٦٦) نفسه ، ص ٨٤ .

(٨٣٥ م) ، وهذه الاشارات مكتتنا من رسم خلفية تاريخية واضحة عن الظروف التى اندلعت فيها ثورات عبد الرحمن الجليقى فيما بعد فى بطليوس وماردة •

وكذلك كان البيان من أهم المصادر التى اعتمدنا عليها فى دراستنا لثورات ابن الجليقى فى مختلف مراحلها ، كما اعتمد عليه كمصدر أساسى العديد من كبار المؤرخين أمثال المستشرق الاسبانى كوديرة الذى كان البيان من أهم مصادر بحثه القيم عن بنى مروان الجليقى •

كذلك زودنا البيان بأخبار دقيقة ومفصلة عن كيفية استرجاع الخليفة عبد الرحمن الناصر لمدينة بطليوس من يد آخر بنى الجليقى (١٦٧) •

وبالاضافة الى ذلك يعتبر البيان من أهم المصادر التى أوردت بالتفصيل حوادث الحروب التى دارت بين بنى الافطس أصحاب بطليوس وبين بنى عباد ملوك أشبيلية •

وقد جاءت هذه الاخبار غاية فى الدقة والوضوح ، ولعل السبب فى ذلك يرجع الى اعتماد ابن عذارى على ابن حيان كمصدر هام لمعلوماته عن هذه الفترة من عصر دويلات الطوائف خاصة فى مجال العلاقات بين بطليوس وأشبيلية (١٦٨) • كما كانت ترجمته للوك بنى الافطس من أفضل ما كتب عنهم وأهم ما اعتمدنا عليه فى بحثنا فى الفصل (١٦٩) الخاص بذلك •

وينفرد ابن عذارى بروايات هامة سلطت الضوء على ما اكتنف فترة الحكم المرابطى فى الاندلس من غموض ، من ذلك أنه أورد خبرا هاما عن المنصور ابن الافطس وهو دخوله فى خدمة على بن يوسف فى

(١٦٧) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١١٩ - ٢٠٠ •

(١٦٨) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٠٩ •

(١٦٩) نفسه ، ص ٢٣٤ - ٢٤٢ •

سنة ٥٠٤هـ بعد أن تمكن من الهروب من مملكة ليون الى اراضى الاسلام وأعلن عن توبته من الضلال، فأحسن الامير المرابطى اليه وجعله أحد قادته بل أحد اعظم قائدين فى الجيش المرابطى المتجه الى غزو مدينة قلمرية ، وكان ذلك عام ٥١١هـ (١٧٠) (١١١٧ م) .

وقد أخذنا برواية ابن عذارى فيما يتعلق بتأريخه لغزوة أمير المرابطين تاشفين الى بطليوس لتأديب الملك الفونسو السابع ، الذى كان قد هاجم نواحي بطليوس وباجة ويابرة ، واشتبك معهم فى فلاة على مقربة من الزلاقة ، فابن عذارى يذكر أن تاريخ هذه الغزوة هو عام ٥٢٨هـ (١٧١) (١١٣٣ م) بينما ورد الخبر فى سنة ٥٢٦هـ (١١٣١ م) فى بعض المصادر الأخرى (١٧٢) .

ومن الملاحظ أن هذه الرواية التى ساقها ابن عذارى تتفق مع رواية ابن القطان مما يجعلنا نرجح صحة التاريخ الوارد فيها وأخذ به ابن عذارى عنه (١٧٣) . كذلك اعتمدنا على وصف ابن عذارى لجيش الامير تاشفين قبل معركته مع الملك الفونسو السابع فى نفس موقع الزلاقة الذى كان جده يوسف بن تاشفين قد انتصر فيه على عدوه الفونسو السادس (١٧٤) .

هذا وقد وفق ابن عذارى فى توضيح نشاط الفارس البرتغالى المرتزق جيرالدو سمبافور المعروف فى البيان باسم « العليج جراندة الجليقى » (١٧٥) وتحركاته فى الغرب . وكان ابن عذارى ثانى مؤرخين

(١٧٠) نفسه ، ج ٤ ، ص ٦٤ .

(١٧١) نفسه ، ص ٨٨ .

(١٧٢) ابن الخطيب ، الاحاطة ، ص ٤٥٢ .

(١٧٣) ابن القطان ، قطعة من نظم الجمان ، ص ١٩٨ .

(١٧٤) ابن عذارى ، البيان ، ج ٤ ، ص ٨٨ .

(١٧٥) ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، تحقيق اويشى ميراندا ،

ص ٧٨ .

تتبعاً تحركات هذا الفارس في منطقة الغرب هو ، وابن صاحب الصلاة ، فكان كلاهما أهم مصدرين اعتمدنا عليهما عند تأريخنا لهذه الفترة من فترات الصراع الموحدى/البرتغالى في منطقة غرب الاندلس .

كذلك وردت في البيان تفاصيل الغزوة البرتغالية على مدينة بطليوس سنة ٥٦٤هـ (١٦٦٨م) وهى الغزوة التى قادها الملك البرتغالى الفونسو انريكث بنفسه ، وساعده فى ذلك جيرالدوسمبافور ، وقد أوضح ابن عذارى كيف أنقذ الله بطليوس بتدخل فرناندو الثانى ملك ليون فى الوقت المناسب لاستخلاص المدينة للموحدين تنفيذا للحلف الذى عقده مع الموحدىين ، وللحفاظ على مصالحه الشخصية كما سنوضح فى الفصل الخاص بذلك (١٧٦) .

كذلك أخذنا برواية ابن عذارى فيما يتعلق بالمعركة الاخيرة التى دارت بين جيوش ابن هود والليونيين تحت قيادة الفونسو التاسع ، ورأينا أن فى عبارات ابن عذارى ما يشير الى أنها جرت بعد سقوط ماردة فى أيدي النصارى وليس قبلها مما يتفق مع ما ذكرته المصادر المسيحية عن هذه المعركة ، ويؤكد ثقتنا فى جميع ما ورد فى البيان من اخبار (١٧٧) .

وأخيرا يلقي ابن عذارى أضواء باهرة على هذه المرحلة من تاريخ بطليوس فى ظل الحكم الموحدى ، وعلى الرغم مما يشوب هذه الفترة من تشابك فى الاحداث ، الا أن مؤرخنا بدقته وأمانته ، وصدق حاسته التاريخية قد فصل تاريخ الدولة الموحدية ، مما مكنا من الاستفادة الى اقصى مدى فى الاحاطة بكل حوادث بطليوس ، ولهذا فاننى اعتبره من أهم المصادر التى اعتمدنا عليها فى التأريخ لهذا العصر الموحدى

(١٧٦) المصدر السابق ، ص ٧٧٩ - ٨١ .

(١٧٧) نفسه ، ص ٢٧٠ .

وحتى سقوط بطليوس في أيدي الليونيين ١٢٣٠م (٦٢٧ - ٦٢٨ هـ) .
ابن صاحب الصلاة « تاريخ المن بالامامة على المستضعفين بأن جعلهم الله
أئمة وجعلهم الوارثين » :

هو أبو مروان عبد الملك بن أحمد بن محمد بن ابراهيم الباجي ،
المعروف بابن صاحب الصلاة . ويرجع أصله الى مدينة باجة الا أنه عاش
في اشبيلية واستوطنها مما جعل ابن الابار الذي ترجم له ، ينعتة
بالاشبيلي (١٧٨) .

ووظيفة صاحب الصلاة كانت احدى الوظائف التي ظهرت في المجتمعات
الاسلامية لتنظيم المجتمع الاسلامي وضبطه ، ومهمة صاحبها امامة
المسلمين في الصلاة . ومن بين هذه الوظائف وظيفة صاحب الاحباس
وصاحب المدينة وصاحب السوق ، وصاحب الرد وصاحب الشرطة وصاحب
البريد وصاحب الخمس وصاحب المظلة ، وصاحب الوضوء وصاحب
السجادة وهاتانوظيفتان الاخيرتان لاتزال قائمتين بالمغرب حتى
يومنا هذا . وقد ظهر لقب صاحب الصلاة منذ القرن الثالث الهجري بدلا
من لقب الامام منعا للالتباس امام المسلمين ويقصد به وليهم وحاكمهم
وبين متولى صلاة المسلمين الذين يؤمهم .

وقد بدأ اسم عبد الملك ابن صاحب الصلاة في الظهور عام ٥٥٧هـ
(١١٦١م) ، وكان ذلك في مدينة قرمونة عندما تقدم ابن صاحب الصلاة
الى الشيخ أبي محمد عبد الله ابن أبي حفص ، فاتح مدينة قرمونة في
مسجد المدينة ، يهنئه بفتحه لها ، ثم تكرر ظهوره في هذا العام ، عندما
تقلد أحد المناصب في مدينة قرطبة ، ورشح للكتابة في دوائر الحكومة ،
ولكنه اعتذر عن قبول هذا المنصب ، ورغم اعتذاره الا أنه اقام في

قرطبة مدة ، ظهر فيها كأحد الكتاب المشهورين ، وقد خرج في هذا العام ضمن وفد كبير من كتاب اشبيلية ، لاستقبال السيدين أبى يعقوب وأبى سعيد في ١٢ شوال من ذلك العام . ولم يظهر اسم ابن صاحب الصلاة فيما بعد الا في عام ٥٦٠ هـ (١١٦٤ م) عندما صاحب السيد أبا سعيد والى قرطبة لمقابلة أخيه السيد أبى حفص في جبل طارق ، وورد اسم ابن صاحب الصلاة في هذه المناسبة ضمن الشعراء الذين هنأوا بأشعارهم السيد أبا سعيد ، وكان مؤرخنا أحد هؤلاء الشعراء المهنيين ، وقد كان من نصيب ابن صاحب الصلاة أن يصحب السيد أبا حفص للقاء الخليفة أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن في مراكش . وهناك أقام فترة كافية ، تلقى خلالها العلم على أيدي كبار العلماء الذين كانوا يملأون البلاط الموحدى ، وشهد ابن صاحب الصلاة الاحتفال بانتصار الموحدين على ابن مردنيش يوم الاحد من ٢٣ ذو الحجة عام ٥٦٠ هـ (١١٦٥ م) ويقال أن ابن صاحب الصلاة هو الذى تنبأ بهذا الانتصار (١٧٩) .

ثم عاد اسم ابن صاحب الصلاة الى الظهور مرة ثانية في عام ٥٦٤ هـ (١١٦٨ م) عندما نصب الخليفة الموحدى أبو يعقوب يوسف الشيخ أبا عبد الله محمد بن أبى ابراهيم واليا على غرناطة عام ٥٦٤ هـ (١١٦٨ م) ، وفي هذه السنة كان ابن صاحب الصلاة واحدا من أكثر الناس اتصالا بالشيخ أبى عبد الله ، بحيث عد كاتم سره .

وفي سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠ م) يرحل ابن صاحب الصلاة الى مراكش ربما بصفة رسمية ليقدم تهانيه الى خليفة الموحدين أبى يعقوب يوسف بابلاله من مرضه . وظل ابن صاحب الصلاة مقيما في مراكش الى أن تأهب الخليفة أبو يعقوب للغزو فى الاندلس ، عندئذ تجهز ابن صاحب الصلاة للعبور الى الاندلس ، وقد وصف خلال هذه الرحلة حالات

(١٧٩) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ١٨ .

الاسعار ، التى تتعرض لها الاسواق المتنقلة مع الركب الخلافى ، كما روى قصة شيخ من أهل بطليوس خرج الى الخليفة الموحدى فى المهديّة يستعطفه ويطلب منه قليلا من المال فبذل له الخليفة بذلا سخيا ومنحه مائتى دينار وثلاثمائة مثقال (١٨٠) .

ويتردد اسم ابن صاحب الصلاة مرة أخرى فى الاندلس عام ٥٦٧هـ (١١٧١ م) عندما يقصد حصن بنيول ليطلب القوت فيشتري حبة تين بدرهم كامل ، ولكنها لم تسد رمقه ، فيمضى بعد ذلك الى بلنسية .

ثم يرحل ابن صاحب الصلاة الى مراكش ، ويلازم الخليفة فترة من الوقت ثم يعود من جديد الى الاندلس فى عام ٥٨٠هـ (١١٨٤ م) ويواصل اتصاله بالبلاط الموحدى ، قبل استشهاد الخليفة أبى يعقوب يوسف ، فلما اعتلى المنصور الموحدى دسّت الخلافة لم يتردد فى تكريمه لكبر مكانته ، فلما شاخ اشركه فى الخطبة مع أبى الحكم عبد الرحمن بن حجاج بالجامع الاعظم من اشبيلية عام ٥٩٤هـ (١١٩٨ م) .

ومن المرجح أن يكون ابن صاحب الصلاة قد ولد حوالى عام ٥٣٧هـ (١١٤٢ م) كذلك لا نستطيع أن نحدد تاريخ وفاته على وجه الدقة ، ومع أن بعض المستشرقين أمثال بروكلمان وامارى وليفى بروفنسال يؤكدون أنه توفى فى عام ٥٧٨هـ (١١٨٢ م) الا أننا لا نأخذ برأيهم استنادا على أن ابن صاحب الصلاة قد أرخ فى كتابه المن بالامامة لأحداث وقعت فى عام ٥٩٤هـ (١١٩٧ م) وبالتالي فلا يمكن أن يكون قد مات فى عام ٥٧٨هـ (١١٨٢ م) . ويعتقد الدكتور عبد الهادى التازى لهذا السبب أن تكون وفاة ابن صاحب الصلاة قد حدثت فى أواخر المائة السادسة (١٨١) . ومن أهم مصنفات ابن صاحب الصلاة بخلاف كتاب

(١٨٠) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٢١ .
(١٨١) المصدر السابق ، ص ٢٦ .

«المن بالامامة»الذى رجعنا اليه ، واعتمدنا عليه فى بحثنا كتاب « ثورة المريدين »(١٨٢) . وتمتاز كتابات ابن صاحب الصلاة بالاسلوب البسيط المعبر الذى لا يخلو أحيانا من السجع ، ودقة السرد ، والصدق والامانة العلمية الفائقة مما جعله مؤرخا وأديبا فى ذات الوقت ، وان كانت تعبيرات البلاغيين تأخذه بعيدا فى بعض الاحيان فيتمادى فى السجع ، وقد اهتم كذلك ، بالاستعانة بأبيات الشعر كلما أمكنه ذلك(١٨٣) . وقد اتبع فى كثير من الاحيان عرض الاحداث طبقا للترتيب الحولى متبعا فى ذلك منهج الطبرى وابن الاثير ولكنه وجد أنها كثيرا ما تعوقه ، ولذلك فقد تناساها أحيانا كثيرة فى كتاباته(١٨٤) .

ويعد كتاب (المن بالامامة) من أهم المصادر التى يعتمد عليها دارس هذه الفترة من تاريخ الدولة الموحدية ، ولذلك اعتمد عليه كل من ابن القبطان فى كتابه « نظم الجمان » وابن عذارى فى البيان ، وابن الأبار فى الحلة السيرة وابن عبد الملك فى الذيل والتكملة وابن الخطيب فى الاحاطة وابن خلدون فى العبر والمقرى فى نفح الطيب . وقد ذكره كمرجع من أهم مراجعهم ومن أمثلة ذلك أن ابن الأبار رجع الى كتاب ثورة المريدين لابن صاحب الصلاة عندما تعرض لذكر خبر أبى الوليد محمد بن عمر بن المنذر(١٨٥) .

وقد اعتمدنا على كتاب « المن بالامامة » اعتمادا خاصا منذ أن تناولنا بالدراسة تاريخ بطليوس فى عصر الخلافة الموحدية ، فهو المصدر الرئيسى الذى أمدنا بالمادة العلمية لهذا القسم من الدراسة ، فقد أوضح

(١٨٢) عن كتاب ثورة المريدين ، انظر مقدمة د . عبد الهادى التازى ، ص ٢٩ - ٣٤ ، وقد أشار اليه ابن الأبار فى الحلة السيرة (ج ٢ ، ص ٢٠٨) .
(١٨٣) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٤٢ .
(١٨٤) المرجع السابق ، ص ٢٤٢ .
(١٨٥) ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ٢٠٨ .

من خلال كتاباته الموقف في الغرب الاندلسى عند دخول الموحدين الى الاندلس ، عندما بدأت مملكة البرتغال الناشئة تطمح في ضم تلك المناطق النائية المتطرفة من بلاد المسلمين بالاندلس ، فأخذ الملك البرتغالى الفونسو انريكث يوجه ضرباته المتتالية على ذلك الجناح الغربى من الاندلس ، ويذكر ابن صاحب الصلاة أن سيدراى بن وزير ، الزعيم الاندلسى الذى كان له الدور الهام في تحطيم سيادة المرابطين في غرب الاندلس ، اقترح على الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن على أن يتجه بحملة كبيرة لصد هذا الخطر البرتغالى الى جانب توجيهه قوات مماثلة لصد الخطر النصرانى في مملكتى ليون وبرشلونة (١٨٦) .

وقد رسم لنا ابن صاحب الصلاة صورة واضحة المعالم للفراس البرتغالى المرتزق جبرالدو سمبافور المعروف في المصادر العربية « بالعلاج الذميم جراند » وقد وضع لنا الكيفية التى تمكن بها جراند من الاستيلاء على المدن الاسلامية وأشار الى غدر هذا البرتغالى المغامر بمدينة ترجاله ثم يابرة (١٨٧) فقاصرش واستيلائه على حصن منتانجش ، والحق أن كتاباته عن هذا الرجل كانت أساسية وضرورية لتكوين خلفية تاريخية صحيحة للاحداث التى كان يعيشها الغرب الاندلسى ، وبطليوس حاضرتة .

وعرفنا من رواية ابن صاحب الصلاة أنه ورد على اشبيلية في أواخر عام ٥٦٣هـ فرنانده صهرادفونش السليطن ملك قشتالة (١٨٨) (فرناندو رودريجث) صاحب ترجاله يطلب الدخول في طاعة الموحدين (١٨٩) .

كما أفدنا كثيرا من الخبر الذى ساقه ابن صاحب الصلاة عن الصلح

-
- (١٨٦) ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة ، ص ٢٢٠ .
 - (١٨٧) ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة ، ص ٣٧٣ .
 - (١٨٨) هو نفس الفونسو السابع المعروف بالفونسو ريمندس ملك قشتالة .
 - (١٨٩) ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة ، ص ٣٦٨ .

الذى تم بين الموحدين وبين فرناندة الثانى البيجوج فى عام ٥٦٣هـ (١١٦٧م) والذى بمقتضاه أرسل الموحدون جيشا ليقاتل الى جانب الفونسو ضد أعدائه من النصارى ، وكان أحد القادة الذين أرسلوا على رأس الجيش الموحدى أبو على بن تمصيلت الذى سيتولى بطليوس فى عام ٥٦٤هـ (١٩٠) (١١٦٨م) . وكان لهذا الصلح أكبر الاثر فى دفاع فرناندة الثانى عن بطليوس عند تعرضها للهجوم البرتغالى فى ذلك العام (١٩١) .

ومما لا شك فيه أن التفاصيل التى أوردها ابن صاحب الصلاة عن أخبار جرانده أوجيرالدو سمبافور ساعدتنا على تتبع أخبار بطليوس فى هذه الحقبة مساعدة فعالة ، ذلك أن ابن صاحب الصلاة كان يتابع بهرد أخباره ومعاركه مع حكام الغرب وغاراته المتتالية واستيلائه على المؤن التى كانت تصل الى بطليوس بحيث حظيت هذه الفترة بنصيبها كاملا من البحث والتحقيق .

ويضاف الى ما سبق ، إشارة ابن صاحب الصلاة الى اهتمام الخليفة الموحدى أبى يعقوب يوسف بتحسين بطليوس فأعاد بناء قصبتها ، وتأكد من وصول المياه اليها وأمدّها بالرجال والمؤن (١٩٢) ، لهذا كله اعتبرنا تاريخ المن بالامامة من أهم المصادر التى اعتمدنا عليها فى بحثنا هذا ، وهو مصدر قيم يمتاز بالصدق ، وفى اعتقادنا أنه لا غنى عنه عند التأريخ أو التعرض لهذه الفترة من التاريخ الاسلامى ، وهى فترة حاسمة عاصرها المؤلف وشاهد حوادثها بنفسه .

(١٩٠) المصدر السابق ، ص ٣٧٠ .

(١٩١) نفس المصدر ، ص ٣٨٠ .

(١٩٢) ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة ، ص ٢٣٦ .

عبد الواحد المراكشى « المعجب فى تلخيص أخبار المغرب » :

هو محبى الدين عبد الواحد بن على المراكشى ، ولد فى مراكش فى عام ٥٨١ هـ (١١٨٥ م) فى بدء خلافة أبى يوسف يعقوب المنصور الموحدى (١٩٣) ، ورحل من مراكش الى مدينة فاس وهو فى التاسعة من عمره ، حيث تتلمذ على العالم العظيم أبى بكر بن زهر (١٩٤) . ثم رحل الى الاندلس فى الثانية والعشرين من عمره وتلقى العلم هناك على أيدى علماء أندلسيين أجلاء ، نذكر منهم على سبيل المثال أبو جعفر الحميدى فى قرطبة حيث تتلمذ عليه مدة تقارب العامين . وفى عام ٦١٠ هـ (١٢١٣ م) عاد عبد الواحد المراكشى الى مراكش وشهد بيعة الخليفة الموحدى يوسف الثانى (١٩٥) ، ثم ترك مراكش بعد فترة وجيزة ورحل الى الاندلس للمرة الثانية ، وفى عام ٦١٣ هـ (١٢١٦ م) غادر المغرب والاندلس الى المشرق لأسباب غير معروفة وبدأ يطوف فى بلاد الاسلام المشرقية من مصر الى الحجاز الى الشام الى العراق (١٩٦) . وفى أثناء تجواله فى بلاد المشرق توطدت صلته بأحد الوزراء العباسيين الذى طلب منه أن يؤلف كتابه الموسوم بالمعجم ضمنه أخبار المغرب ، اقطاره ومدنه ، وملوكه خاصة الموحدين ، فاستجاب له عبد الواحد ، وانتهى

(١٩٣) انظر عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، ومحمد العربى العلمى ، ص ٣٦٠ (ترجمة المؤلف لنفسه) .

(١٩٤) ولد ابن زهر عام ٥٠٧ هـ (١١١٣ م) وتوفى فى عام ٥٩٥ هـ (١١٩٨ م) فى نفس العام الذى التقى به عبد الواحد المراكشى ، وكان ابن زهر قد بلغ وقتئذ من العمر نحو ثمانين عاما ، وكان ابن زهر طبيبا ، عالما ولغويا وشاعرا ذو نسب رفيع ومال كثير (انظر عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ٨٨ ، حاشية ٢) .

(١٩٥) عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ٣٢٦ ، التقديم ، ص ح . ويوسف الثانى هو يوسف بن محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ، بويغ له بعد وفاة أبيه الناصر محمد فى شعبان سنة ٦١٠ هـ (١٢١٣ م) وعمره يومئذ ١٦ سنة (أرجع الى المعجب ، ص ٣٢٣) .

(١٩٦) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢٢ .

من كتابة المعجب عام ٦٢١هـ (١٩٧) (١٢٢٤م) .

ويتكون كتاب « المعجب فى تلخيص اخبار المغرب » من جزء واحد يشتمل على تاريخ المغرب والاندرلس منذ الفتح الاسلامى للاندلس حتى نهاية عصر الموحدين ، وقد اعتمد عبد الواحد المراكشى فى الاخبار السابقة على عهده ، على بعض اخبار استقاها من الحميدى ، لم تصل اليينا الا عن طريق عبد الواحد المراكشى .

ولعل رحلة عبد الواحد المراكشى الى المشرق ، وهى التى تسببت فى تصنيفه لكتابه المعجب كانت هروبا من بلاد المغرب لبعض الاسباب السياسية ، فما الذى يدفع رجلا مثل عبد الواحد المراكشى الى الهجرة والغربة ، والمعاناة والفقر والاحزان ، وهو الذى كان ينتمى الى أسرة عربية عريقة فى المغرب ، بلغت من الثروة والجاه ان اتاحت له فى سن مبكرة ان يتجول فى بلاد المغرب والاندلس عدة مرات ، ولم يكن هذا الرحيل الى المشرق لأداء فريضة الحج ولا رغبة فى طلب العلم ، فلو كانت للحج لما تأخر عن أداء هذه الفريضة منذ عام ٦١٣هـ (١٢١٦م) وهو العام الذى بدا فيه رحلته الى عام ٦٢٠هـ (١٢٢٣م) وهو العام الذى أدى فيه فريضة الحج (١٩٨) ، ولو أن هذه الرحلة كانت لطلب العلم لكنا قد لحنا فى روايته ما يشير الى ما حصله واستوعبه من علوم خلال هذه الرحلة الطويلة أو على الأقل أسماء الشيوخ الذين أخذ عليهم فى الاقطار التى طاف بها .

ولا يعرف لعبد الواحد المراكشى أسماء مؤلفات أخرى ، ولكن بعض الباحثين يرون أن جودة أسلوبه واتسامه بالدقة والبلاغة دليل أكيد على

(١٩٧) عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ٣٧٦ ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢٢ .
(١٩٨) انظر مقدمة محمد سعيد العريان ، والعلمى فى كتاب عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، التقديم .

أن « المعجب » لم يكن أول مؤلفاته وإنما كان أحد مؤلفات عديدة سبقتها ، ويعلل البعض سر هذا الأسلوب القوي بأنه كان من كتاب الانشاء في بلاط بعض أمراء الموحدين قبل أن تلقى به الاحداث الى المشرق (١٩٩) .

وقد قام دوزى بنشر هذا المصدر للمرة الاولى في عام ١٨٤٧م من المخطوطة الوحيدة المحفوظة في لندن رغم عدم كونها كاملة ، ولعلها قد جلبت من المشرق ، بعنوان The history of Almohades (٢٠٠) ، ثم طبع طبعتين أخريين في مصر بدون تحقيق نقلا عن طبعة دوزى باسم « تاريخ الاندلس » (٢٠١) ، ثم أعاد دوزى نشره للمرة الثانية في عام ١٨٨١م .

ثم قام المستشرق الفرنسى فانيان Fagnan بترجمته الى العربية في عام ١٨٩٣م بالجزائر ، وقد أعاد الاستاذ محمد الفاسى المراكشى طباعته بمدينة فاس في عام ١٩٣٨ ، ثم نشره الاستاذان محمد سعيد العريان ، ومحمد العربى العلمى بالقاهرة في عام ١٩٥٠م . ومما لا شك فيه أن عبد الواحد المراكشى كان أحد ثلاثة مؤرخين عظام للدولة الموحدية بالاضافة اليه ابن عذارى وابن صاحب الصلاة ، ولهذا السبب فقد اخذنا من هذا المصدر الكثير من مادة الرسالة لاسيما ما يتعلق بالاحداث التى أحاطت ببطليلوس طوال فترة الحكم الموحدى .

ومن أمثلة ذلك براعة المراكشى في تصوير محاولة الخليفة الموحدى أبى يعقوب يوسف افتتاح شنترين ، فقد أوضح كافة الظروف المحيطة بهذه الغزوة وانتهت بهزيمة المسلمين واصابة الخليفة بجراحه التى أدت الى وفاته (٢٠٢) .

-
- (١٩٩) نفس المصدر السابق ، انظر التقديم .
(٢٠٠) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢٣ .
(٢٠١) عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ٢٣ .
(٢٠٢) المصدر السابق ، ص ٢٥٩ - ٢٦١ .

وكان الخليفة أبو يعقوب يوسف قد غزا شنترين وكانت تابعة لمملكة البرتغال ، على أثر الهجمات المتكررة التى كان يشنها الفارس البرتغالى جيرالدو سمبافور على بطليوس ، وعلى أحواز اشبيلية ، وطريانة والشرف وشلوكة ، ولعب نصارى شنترين دورا هاما فى هذه الغزوات البرتغالية مما دفع الخليفة الى التفكير فى ضرورة الاستيلاء على شنترين ليؤمن بطليوس والجوف من هذا الخطر الشديد ، كذلك أشار عبد الواحد المراكشى الى دخول بطليوس فى طاعة ابن هود فى أواخر عهد الموحدين (٢٠٣) ، وقد أفدنا كثيرا من المعجب ولاسيما ما يتعلق بفترة الدولتين المرابطية والموحدية . ولم يغفل عبد الواحد المراكشى بنى الافطس فخصهم بجانب كبير من اهتمامه، ووضح مكانة كل من المظفروابنه المتوكل ابن الافطس فى مجال الادب والشعر والنحو وكتابة التاريخ (٢٠٤) ، كما أشار الى الكاتب أبى محمد عبد المجيد بن عبدون وزير المتوكل بن الافطس وقد مدح فى قصيدته التى رثا بها أسياده ملوك بنى الافطس عقب مقتل المتوكل وولديه العباس والفضل على ايدى المرابطين خارج ابواب بطليوس ، كما أورد لنا هذه القصيدة كاملة فى المعجب (٢٠٥) .

وهكذا خرجنا من رجوعنا الى هذا المصدر بحصيلة كبيرة من مادة الرسالة على الاخص فى عصر الطوائف وعصر دولتى المرابطين والموحدين .

(٢٠٣) عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ٣٣٥ وابن هود هو سيف الدولة أبو عبد الله محمد بن يوسف من سلالة بنى هود الجذامين ، أصحاب سرقسطة ، استقل بشرق الاندلس ، ودانت له ماردة وبطليوس وقرطبة والمرية وجيان سنة ٦٢٥هـ (١٢٢٧م) وتلقب بالمتوكل على الله واتخذ السواد شعارا له ، ثم ضم اليه اشبيلية فى سنة ٦٢٩هـ (١٢٣١م) . وتعرض ابن هود لمؤامرة لقتله دبرها له وزيره ابن الرميمى فى المرية فى سنة ٦٣٥هـ (١٢٣٧م) ودفن بمرسية (ابن خلدون ج ٤ ، ص ١٦٩ - المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٦ ، ص ٢٠٨) .

(٢٠٤) المصدر السابق ، ص ٧٥ .

(٢٠٥) نفسه ، ص ٧٥ - ٨٩ .

ابن أبي زرع (توفي في منتصف القرن الثالث الهجري) « روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس » :
هو على بن محمد بن أحمد بن عمر بن أبي زرع الفاسي ،
وكان معاصرا لدولة بني مرين ، فقد عمل كاتباً للسلطان المريني الخامس
أبي سعيد عثمان المريني (٧١٩ - ٧٣١ هـ) (١٣١٩ - ١٣٣٠ م) ويرى
الدكتور السيد عبد العزيز سالم أنه بالرغم من أن كتابه الانيس المطرب
« بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس » من أهم
مصادر تاريخ المغرب لاشتماله على أخبار هامة عن تلك البلاد منذ قيام
دولة الادارسة وتأسيس فاس حتى عصره ، إلا أنه تشوبه الكثير من
الاطعاء التاريخية في كثير من الاحيان ، وقد ضرب لنا الدكتور
عبد العزيز سالم مثالا لهذه الاطعاء ، وهو أن ابن أبي زرع نسب بناء
مدينة مراكش خطأ الى يوسف بن تاشفين في حين أنها من بناء أبي بكر
بن عمر الممتوني (٢٠٦) .

ويتفق معه في ذلك الاستاذ الدكتور احمد مختار العبادي الذي يذكر
أن عددا كبيرا من المؤرخين القدامى والمحدثين قد ينتقدون ابن أبي زرع
بسبب هذه الاطعاء ويتهمونهم بالكذب والتلفيق ، ومن المؤرخين
القدامى ، أحد الكتاب المعاصرين له وهو الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق
صاحب كتاب « المسند الصحيح الحسن في مآثر أبي الحسن » (٢٠٧)

(٢٠٦) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢٨ .
(٢٠٧) جاء في المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي
الحسن محمد بن مرزوق التلمساني (تحقيق ماري خيسوس
ببغويرا ومحمود بوعياد ، الجزائر ١٩٨١ ، ص ١٠٨ - ١٠٩
قوله « فبنو مرين (أعزهم الله) أعلام زناتة ورؤساؤها وكبار
قبائلها وعظماؤها وقد وقفت قديما على رفع نسبهم في زناتة ،
وقرأت بين يدي المولى المرحوم (يقصد أبي الحسن المريني)
ما كتبه ابن أبي زرع في ذلك ، ومنهم سمعت (قدس الله روحهم)
أن كثيرا من أخبار ابن أبي زرع أنكرها والدعم المرحوم المولى
أبو سعيد واكذبه فيما أدركه بما حكاه على خلاف ما
وقع عليه » .

ومن المؤرخين المحدثين انتقده كل من دوزى وبونس بويجس واويثى
ميراندا (٢٠٨) .

وقد نسب البعض كتاب روض القرطاس الى صالح بن عبد الحليم
الغرناطى الذى عاش ومات فى المغرب مثل ابن أبى زرع فى النصف
الاول من القرن الثامن الهجرى ، ولم يكن « روض القرطاس »
المصدر الوحيد لآبى أبى زرع الذى استفدنا منه ، فهناك مصنف آخر
له رجعنا اليه فى الرسالة وهو « الذخيرة السنينة فى تاريخ الدولة
المرينية » .

أما روض القرطاس وهو المصدر الذى أفدنا منه الى حد كبير عند
سردنا للأحداث التى جرت فى غرب الاندلس فى عهد الدولة الموحدية
فيشتمل على تاريخ لكل من دولة الادارسة وزناته (المغراويين ،
اليفرنيين) ثم دولتى المرابطين والموحدين وأخيرا دولة بنى مرين .

وكان ابن أبى زرع قد أورد أخبار بعض المراسلات التى دارت بين
ابن عباد ويوسف بن تاشفين قبل عبور الأخير الى الاندلس ، ووضح كيف
كان ابن عباد أول من استقبل الأمير المرابطى من ملوك
الطوائف (٢٠٩) .

كذلك ذكر ابن أبى زرع اسم المتوكل عمر بن الافطس بين أمراء
وملوك الطوائف الذين عزموا على الاشتراك مع أمير المرابطين فى قتاله

Pons Boigues, Op. Cit., P. 421 — Huici Miranda, La Salida (٢٠٨)
de los Almoravides del desierto, Hesperis, 3-4, trimestres
1959, P. 159.

أحمد مختار العبادى ، دراسة حول كتاب الطلل الموشية ،
مجلة تطوان ، العدد الخامس ١٩٦٠ ، ص ١٤٢ ، هامش ٢١
- فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٥٩ .
(٢٠٩) ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ٩١ - ٩٣ .

ضد الملك الفونسو السادس في موقعة الزلاقة (٢١٠) . وقد أوضح كذلك كيف استقر ابن تاشفين في بطليوس اياما حتى أحس بوصول الفونسو ومتجها الى بطليوس بعد تركه حصار سرقه، طة (٢١١) ، فارتحل الى سهل الزلاقة حيث دارت المعركة . ويسوق ابن أبي زرع رواية متضمنة الإشارة الى أن المعتمد بن عباد ومعه المتوكل بن الافطس وبقية ملوك الطوائف نزلوا بمنطقة بها ربوة حاجزة لمفاجأة العدو وارهابه ، وقد اعتمد الاستاذ مانويل البران على هذا النص، وقد استخلصنا من هذه الرواية أن يوسف بن تاشفين كان من الذكاء بحيث أحسن استغلال طبوغرافية المكان لصالح جند المسلمين .

والمواقع أن كتاب روض القرطاس كان أحد المصادر الهامة التي عرفنا من خلالها تفاصيل موقعة الزلاقة وادق دقائقها من ترتيب الجيوش ووضع جيوش الاندلس ودورهم ودور القائد المراتبى داوود بن عائشة فيها (وهو الذى وصفه ابن أبي زرع بأنه لا نظير له فى الحزم والادارة) (٢١٢) ودور ابن الافطس وقواته من بداية المعركة حتى نهايتها .

كما يحدثنا ابن أبي زرع عن حصار يوسف بن تاشفين لحصن لبيط وفشله فى الاستيلاء عليه مما كان له أكبر الاثر فى استيلاء ابن تاشفين من ملوك الطوائف فى الاندلس ، وفى تصميمه على ضرورة خلعهم عن عروشهم (٢١٣) .

ويتابع ابن أبي زرع سرد أحداث الفترة التى سبقت الاحتلال المراتبى لشبه الجزيرة ، ولكنه لم يوضح ما اذا كان يوسف بن تاشفين

(٢١٠) المصدر السابق ، ص ٩٤ .

(٢١١) نفسه ، ص ٩٤ .

(٢١٢) ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٤ ، ٩٥ .

(٢١٣) المصدر السابق ، ص ٩٩ .

هو الذى أمر قائده سير بن أبى بكر بفتح اشبيلية وبطليوس بعد استيلائه على غرناطة ، أم أن سير قد توجه من تلقاء نفسه لفتحها (٢١٤) .

ومن الجدير بالذكر أن ابن أبى زرع هو المؤرخ الوحيد الذى انفرد بذكر استيلاء النصارى على بطليوس من أيدي المرابطين عقب وفاة ابن الافطس ، ثم استردها سير بن أبى بكر عام ٥٠٤ هـ (١١١٠ م) كما نجح فى استرداد يابرة (٢١٥) ، وكان الاستاذ محمد عبد الله عنان قد انتقد هذا الخبر الذى ساقه صاحب روض القرطاس ولكن أحد المراجع الاسبانية المتخصصة وهو كتاب تاريخ مملكة بطليوس :

«Historia del Reino de Badajoz» للمؤرخ Martinez y Martinez يؤكد هذا الخبر استنادا الى عدد من المدونات المسيحية الاسبانية والبرتغالية التى اجمعت على أن بطليوس وقعت فى أيدي البرتغاليين عقب دخولها فى طاعة المرابطين (٢١٦) . واتفاق المصادر المسيحية على وقوع هذا الحادث يدعوننا الى الاخذ بهذه الرواية .

وقد أشار ابن أبى زرع (٢١٧) الى جهود الامير تاشفين بن على فى منطقة الغرب التى كانت تتعرض دائما لغارات الممالك المسيحية المجاورة ، من ذلك اشارته الى خروج الامير تاشفين بن على عام ٥٢٨ هـ (١١٣٣ م) الى منطقة الغرب حيث استولى على قنطرة محمود ، وان كان هذا الخبر يختلف مع ما أورده ابن القطان (٢١٨) الذى يؤكد أن تاشفين فى هذا العام استولى على حصن انطاطة وليس قنطرة

(٢١٤) نفسه ، ص ١٠٠ .

(٢١٥) نفسه ، ص ١٠٥ .

(٢١٦) Martinez y Martinez, Historia del Reino de Badajoz, P. 184.

(٢١٦) ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٠٧ .

(٢١٨) ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ٢٠١ .

محمود ، وأيا ما كان الامر ، فإن ما أورده ابن أبى زرع رغم اختلافه عن نص ابن القطان يشير الى أن الامير تاشفين كان مهتما بتحسين منطقة الغرب وتأمينها .

وقد أفادنا هذا المصدر الى حد كبير في معرفة الظروف التي ظهرت فيها الدعوة الموحدية ، فقد أفاض ابن أبى زرع في عرضه لأحوال الدولة المرابطية في هذه الفترة التي أخذت فيها الدعوة المهدوية في الظهور والانتشار (٢١٩) .

وقد رجعنا الى روض القرطاس عند حديثنا عن غزوة شنترين عام ٥٨٠هـ (١١٨٤م) وكانت روايته من أكثر الروايات التاريخية تفصيلا عن هذه الواقعة (٢٢٠) . ولم يغفل ابن أبى زرع الإشارة الى غزوات النصراني في منطقة غرب الاندلس في عهد الخليفة المنصور ، وان كانت أخباره يشوبها بعض الاخطاء ، والمبالغة (٢٢١) .

ولم يكف هذا المصدر عن اسعافنا بالمادة العلمية وتزويدنا بالنصوص التي اعتمدنا عليها في كتابنا لما تبقى من عصر الدولة الموحدية ، فقد أفدنا من روايته لهزيمة المسلمين في قصر أبى دانس عام ٦١٤هـ (١٢١٧م) أمام جيوش مملكة البرتغال (٢٢٢) . وكرر ابن أبى زرع أحداث قصر أبى دانس في كتابه الذخيرة السنية (٢٢٣) ، وان كانت بعض نصوصه فيما يتعلق بالصراع الاسلامي /المسيحي، على هذه المدينة تتضمن بعض التحريف والخطأ مما يؤكد ما سبق أن ذكرناه في بدء حديثنا من أن ابن أبى زرع رغم أهميته ومعالجته لعصر دولتي المرابطين والموحدين

(٢١٩) ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ١١٠ - ١٣٣ .

(٢٢٠) المصدر السابق ، ص ١٤٠ .

(٢٢١) نفسه ، ص ١٤٤ .

(٢٢٢) نفسه ، ص ١٤٤ .

(٢٢٣) ابن أبى زرع ، الذخيرة السنية ، ص ٥٠ .

الا انه لا يعد مصدرا موثوقا به تمام الثقة ، فعلى الباحث أن يلتزم الحذر والحيطه في تناوله وأخذه لأخبار ابن أبى زرع ، كما يجب عليه مقارنتها دائما بما يعاصره من مؤرخين .

البيذق ، « كتاب أخبار المهدي بن تومرت » :

صاحب الكتاب هو أبو بكر بن على الصنهاجى الملقب بالبيذق ، وقد تغلب هذا اللقب على اسمه الى حد أنه كان يضطر في كثير من الاحيان الى كتابة لقبه هذا في كتابه كلما أراد التحدث عن نفسه .

و « البيذق » هذه كلمة تستخدم في بلاد المغرب كصفة يوصف بها من كان قصير القامة تشبيها له باحدى قطع لعبة الشطرنج ، وأحيانا تستخدم بصيغة التصغير فيقال « البويذق » .

ولم يكن البيذق من كبار الشخصيات ، أو ممن شغلوا مناصب سياسية هامة في دولة ابن تومرت ، وإنما كان يقوم ببعض المهام البسيطة اثناء مصاحبته للمهدي بن تومرت ، فكان بمثابة وصيف للمهدي أو خادم خاص له يرعى فراشه ويحمل له السراج عندما يشرع في القراءة بخيمته ٠٠٠ الخ (٢٢٤) . ولم تكن علاقة البيذق بالمهدي تقتصر على هذه الخدمات فقد كان البيذق أحد تلاميذ المهدي . ويؤكد البيذق ذلك في كتابه فيذكر كيف أنه كان جالسا مع بعض أصحابه فدخل عليهم المهدي ، وتساعلا قائلا « أين الصبيان » فأجابوا جميعا ها نحن حاضرون بما فيهم البيذق (٢٢٥) .

ويرى البعض أن البيذق بعد وفاة المهدي قام بالانضمام الى جماعة

(٢٢٤) البيذق ، أخبار المهدي بن تومرت ، تقديم وتعليق وتحقيق عبد الحميد حاجيات ١٩٧٤ ، ص ١١ المقدمة .
(٢٢٥) المصدر السابق ، ص ٥٢ .

الحفاظ الذين كانوا يبثون تعاليم الدعوة الموحدية في جميع أنحاء البلاد (٢٢٦) .

ومن المرجح أن يكون مولد البيذق قد حدث فيما يقرب من عام ٤٩٠ هـ (١٠٩٦ م) ووفاته في عام ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م) ولذلك فمن المعتقد أن كتاب « أخبار المهدي ابن تومرت » لم يكن كله من تأليفه ، وأن ماصنفه البيذق منه ينتهي عند أحداث عام ٥٥٠ هـ (١١٥٥ م) ، أما بقية الكتاب فمن تأليف كاتب آخر ، ويؤكد هذا الاعتقاد اختلاف المنهج والاسلوب وطريقة عرض الأحداث في هذا الجزء المتبقى من الكتاب عن الجزء الأول (٢٢٧) .

ويستعرض البيذق في القسم الأول من كتابه أحداثا هامة من أهمها عودة المهدي ابن تومرت الى بلاد المغرب ليدعو بدعوته الموحدية التي كان أساسها اصلاح الاسلام وقيام دولة جديدة أساسها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بدلا من دولة المرابطين ، وفيه يذكر البيذق أهم المواضع التي زارها المهدي كما يذكر أسماء الطلاب الذين يقبلون على التلمذ له .

أما في القسم الثاني من الكتاب فانه يوضح الظروف والملابسات التي أحاطت بوفاة المهدي ، ثم بيعة عبد المؤمن من بعده ، وما تلا هذه البيعة من علو شأن عبد المؤمن وتعاضم نفوذه ، وضعف سلطان المرابطين أمام سلطانه ، بحيث انتهى الامر بسقوط مراكش حاضرة المرابطين في أيدي الموحدين ، وفتح بجاية بعد ذلك ، وتخلص عبدا لمؤمن من جميع المعارضين له .

أما القسم الثالث من الكتاب فقد ضمنه أخبار أهم الثائرين على

(٢٢٦) نفسه ، ص ١١ .

(٢٢٧) البيذق ، أخبار المهدي بن تومرت ، ص ١٥ .

الموحدين في كل من المغرب والاندلس موضحا أحداث الاندلس بشيء من التفصيل مثل ثورة ابن مردنيش ونهاية هذه الثورة ، ونهاية جرائدة الجليقي ، وجهاد يوسف بن عبد المؤمن في الاندلس .

ويختلف منهج البيذق اختلافا كبيرا عن غيره من المؤرخين القدامى الذين أرخوا لدولة الموحدين ، فقد عاصر نشأة تلك الدولة ، وكان شاهد عيان لكل وقائعها ، ولهذا السبب اعتمد بوجه خاص على الذاكرة دون المصادر المدونة في تسجيل هذه الوقائع ، فهو يقص ما شاهده ويروى ما عاينه وما سمعه الامر الذي دعا الباحثين الى وصف كتاباته بالدقة والبساطة لخلوها من اقوال المؤرخين وتضارب الروايات المختلفة (٢٢٨) .

ويزخر الكتاب بأسماء الاماكن والانهار والقبائل والمدن الى جانب العديد من أسماء اعلام مغمورين ، فكان البيذق بذلك من قلائل المؤرخين الذين اهتموا بالتاريخ للانسان العادي البسيط الذي لم يرتفع الى منصب حكم او سياسة .

وقد آمن البيذق بعصمة الامام المهدي بن تومرت ، وحاول تأكيد هذا الاعتقاد بصور متعددة ، فمن تسجيل بعض الاساطير ، وذكر الروايات الخيالية وتدعيم قوله ببعض الآيات القرآنية . هذا الايمان الشديد بعصمة المهدي بن تومرت الذي نتبينه من خلال كتابات البيذق انما يعكس روح ذلك العصر ، فالناس كانوا منقادين ، انقيادا تاما لحكامهم ، الى جانب خوفهم من بطش هؤلاء الحكام وقسوتهم اذا ما انقلبوا عليهم ، وقد انفرد البيذق بذكر مثل من الامثلة الدالة على قسوة المهدي بن تومرت على اعداء دعوته حين أصدر اوامره بقتل عشرات

(٢٢٨) البيذق ، اخبار المهدي بن تومرت ، المقدمة ، ص ٢٠ .

الآلاف من المعارضين له ، وقد سمى البيذق هذا الحادث بحادثة الاعتراف (٢٢٩) .

ويتميز أسلوب البيذق بالبساطة مع القوة ، ويخلو من أساليب البلاغة كالمحسنات البديعية والكنائيات والاستعارات ، وكثيرا ما استعمل البيذق بعض الكلمات المستخدمة في اللهجة الشعبية سواء كانت عربية أم بربرية .

ورغم هذه المفردات الشعبية إلا أن أسلوب البيذق قد يتسم عامة بالقوة والدقة والبساطة في آن واحد . أما ما أضيف الى ما ألفه البيذق ، وهو الجزء الذى كتبه مؤلف آخر بعد وفاة البيذق فيحمل عيوباً عديدة من إيجاز واقتضاب الى غموض فى وصف الأحداث ، مما يؤكد الرأى القائل بأن مؤرخاً آخر بخلاف البيذق هو الذى قام بتأليف هذا الجزء المتبقى من الكتاب .

وقد رجعنا الى البيذق عند تعرضنا للحديث عن بداية ظهور الدعوة الموحدية على يد المهدي ، وكيف انتهت هذه الدعوة المناوئة للدولة المرابطية بقيام دولة قوية ارتفعت على أنقاض دولة المرابطين المنهارة وورثت كل ممتلكاتها فى المغرب والاندلس .

كما رجعنا اليه عند تأريخنا لوفاة ابن الحجام والى بطليوس من قبل الدولة الموحدية ، ويسوق البيذق خبر استشهاد ابن الحجام وابن وزير وابن عزون فى معركة خاضوها مع ثوار الاندلس فى الشرق وهم ابن مردنيش وابن همشك وحلفائهم من النصارى بقيادة العليج الذميم مدار الاقرع ، ولكن البيذق لم يحدد لنا التاريخ والعام الذى جرت فيه هذه الموقعة واسفرت عن مقتل محمد بن على بن الحجام ، ويذكر

الاستاذ عبد الحميد حاجيات ، محقق الكتاب ، أن هذه الموقعة دارت عام ٥٥٧هـ (١١٦١ م) بعد استرجاع ابن سعيد لمدينة قرمونة وقبل استيلاء ابن همشك وابن مردنيش على غرناطة (٢٣٠) .

وبالرجوع الى ابن عذارى تبين لنا أن هذه الموقعة التي لم يحدد لها البيهقي تاريخا قد وردت في البيان تحت أحداث عام ٥٥٢هـ (١١٥٧ م) وليس ٥٥٧هـ (١١٦١ م) كما ذكر الاستاذ عبد الحميد حاجيات ، وعلى هذا النحو يؤكد ابن عذارى الخبر الذي ذكره البيهقي ، ولكنه لا يشير الى مصرع ابن وزير في هذه الموقعة ، وقد رفضنا هذا الخبر الذي أورده البيهقي بشأن مقتل ابن وزير وأخذنا برواية ابن عذارى لأن اسم ابن وزير سيتردد كثيرا في الاحداث التالية مما يؤكد ، صحة رواية ابن عذارى ، وخطأ البيهقي (٢٣١) .

كذلك رجعنا الى البيهقي عند حديثنا عن نهاية الفارس جيرالدو سمبافور الذي كان قد التجأ الى خليفة الموحدين بمراكش طالبا الدخول في خدمته ، ولكنه خانه وحاول الاتصال بملكه السابق انريكي ملك البرتغال فكان جزاءه القتل (٢٣٢) .

وقد أخذنا من البيهقي الى حد كبير ، لاسيما فيما يتعلق بالاحداث التي وقعت في بطليوس في أواخر عهد ابن الحجام ووفاته .

(٢٣٠) البيهقي ، أخبار المهدي بن تومرت ، حاشية ٦ ، ص ١٤٨ .
(٢٣١) ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، ص ٣٨ .
(٢٣٢) البيهقي ، أخبار المهدي بن تومرت ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية لمؤلف أندلسي مجهول من أهل القرن الثامن الهجري :

لم يسجل مؤلف هذا الكتاب الهام اسمه على كتابه ، ولكنه ذكر أنه انتهى من تأليفه يوم الخميس ١٢ ربيع الاول عام ٧٨٣هـ (١٣٨١ م) ، أي في عصر السلطان محمد الخامس الغني بالله ، سلطان غرناطة ، وأبي زيد بن عبد الرحمن بن أبي الحسن المريني سلطان المغرب (٢٣٣) .

ولقد حاول بعض المؤرخين المغاربة نسبة هذا المصدر الهام الى أديب مالقى اسمه أبو عبيد الله بن أبي المعالي بن السماك العاملي ، الذي كان يعيش في أواخر القرن الثامن الهجري ، ويرى د . أحمد مختار العبادي والاستاذ عبد القادر زمامة أنهم لم يدعموا افتراضهم هذا بالأدلة ، مما دفعهم الى رفض هذا الافتراض وطرحه جانبا . كذلك نسبه المؤرخ بشير الفرتي الذي كان قد طبع هذا المصدر الهام عام ١٩١٠ في تونس الى الوزير لسان الدين بن الخطيب ، ولكن لما كانت وفاة هذا الوزير الغرناطي سبقت تاريخ تأليف هذا الكتاب بنحو سبع سنوات فقد أصبح هذا الرأي قائما على غير أساس (٢٣٤) .

ولكن الدكتورة ماريا خيسوس ريبيرا ترجح في بحث نشرته بالفرنسية بعنوان « حول مؤلف محتمل لمدونة الحلل الموشية » نسبة هذا الكتاب « الحلل الموشية » الى نفس مؤرخ كتاب « الزهرات المنثورة في نكت الاخبار الماثورة » وهو محمد بن أبي المعالي بن السماك العاملي الذي سبق للدكتور مختار العبادي ، ود . عبد القادر زمامة أن رفضا

(٢٣٣) أحمد مختار العبادي ، دراسة حول كتاب الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية وأهميته في تاريخ المرابطين والموحدين ، مجلة تطوان ، العدد الخامس ، ١٩٦٠ ، ص ١٣٩ ، وكتابه في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٥٦ .
(٢٣٤) أحمد مختار العبادي ، في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٥٦ ، ٥٥٧ - انظر التقديم في الحلل الموشية ، ص ٩ .

فكرة تأليفه للحلل الموشية (٢٣٥) . ثم قام الاستاذ الدكتور محمود على مكي أخيرا بتقديم دراسة تحليلية في غاية الدقة ، قدم بها لكتاب « الزهرات المنثورة في نكت الاخبار الماثورة » وعالج فيها الحجج ، التي ساقتها الدكتور ماريّا خيسوس مع دراسة مقارنة لكتّابي « الزهرات » و « الحلل » أيد فيها رأى الدكتور ماريّا خيسوس في أن الكتّابين يمكن أن ينسبا لمؤلف واحد هو محمد بن أبى العلاء محمد بن سمالك العاملى (٢٣٦) .

ويبدأ كتاب الحلل الموشية بالحديث عن تأسيس مدينة مراكش ولكن المؤرخ صاحب هذا الكتاب لم يقصد بكتّابته التأريخ لمراكش وحدها أو سرد الاخبار المراكشية التى تتعلق بهذه المدينة العظيمة التى كانت حاضرة المرابطين والموحدين ، والتى حفلت وامتلات بذخائر الفن والآثار ، فقارئ هذا الكتاب لن يجد ما يهمه من أخبار مراكش عن قصورها ومساجدها وحماماتها وبيمارستاناتها وأسواقها وخططها ، ولا عن قواعد بنائها فبرغم من أن هذا الكتاب يحمل عنوانا عن مراكش ، يمكن أن يضعه ضمن قائمة الكتب التى تتحدث وتتناول تاريخ المدن ، الا أن الكتاب يتناول تاريخا عاما ، وذكر تاريخ عدة دول ، وليس تاريخ مدينة مراكش (٢٣٧) .

وقد تناول صاحب الحلل الموشية بالبحث والسرد والتفصيل تاريخ دولتى المرابطين والموحدين معتمدا على العديد من المصادر الهامة

Maria Jesus Rubiera, Sur un possible auteur de la chronique (٢٣٥) intitulée Al-Hulal al Mowasiyya fidkir al ajbar al Mur-rakusiyya, en II coloquio hispano — Tunecino de estudios Arabes, Madrid — Barcelona, Mayo, 1972, 143-146.

(٢٣٦) محمود على مكي ، الزهرات المنثورة في نكت الاخبار الماثورة لابن سمالك العاملى ، مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية ، العدد العشرين ، ١٩٨٠ ص ٣٥ - ٤١ .
(٢٣٧) الحلل الموشية ، انظر التقديم ، ص ٤ .

المعاصرة ، ذكر أسماء أصحابها ومنهم أبو زكريا يحيى بن محمد بن يوسف الانصارى الغرناطى المعروف بابن الصيرفى (ت عام ٥٧٠ هـ) (١١٧٤ م) (٢٣٨) ، وأبى الحسن الكتامى المعروف بابن القطان ، صاحب كتاب « نظم الجمان فى أخبار الزمان » ، والجغرافى الاندلسى عبيد الله البكرى المتوفى عام ٤٨٧ هـ (١٠٩٤ م) والبيذق صاحب كتاب المهدي بن تومرت ، وابن صاحب الصلاة (٢٣٩) ، ومحمد بن الخلف وابن بجير ، وأبو يحيى بن اليسع .

ولقد طبع هذا الكتاب لأول مرة فى تونس عام ١٩١٠ ، ولكن هذه الطبعة كانت مليئة بالأخطاء ، وأصاب نصه السقوط والبتير فى أماكن فى أماكن مختلفة ، ولم يلحق به فى هذه الطبعة أية فهرس ولا تحقيقات ولا حواشى ، مما جعل أحد الاساتذة المغاربة ويسمى ي . س . علوش يعيد طباعته بالرباط عام ١٩٣٦ ، وجاءت هذه الطبعة أفضل من الاولى الى حد ما ، وقد الحق بالكتاب بعض الفهارس ، ولكن رغم جمال المظهر الخارجى لهذه الطبعة الا أن المضمون كان متناقضا مع المظهر كل التناقض ، فقد كانت الطباعة للمرة الثانية مليئة بالأخطاء والتحريف . وأخيرا اشترك كل من الاستاذين سهيل زكار وعبد القادر زمامة فى تحقيق ونشر الحل الموشية بصورة جيدة ومتقنة فى عام ١٩٧٨ ، وكان المستشرق الاسبانى اويثى ميراندا قد أصدر الترجمة الاسبانية لهذا الكتاب فى عام ١٩٥٢ بمدينة تطوان من بين منشورات معهد الجنرال فرانكو (٢٤٠) .

-
- (٢٣٨) كان ابن الصيرفى كاتباً للامير تاشفين بن على بن يوسف ، ومن كتبه التى ألفها كتاب « الأنوار الجلية فى أخبار الدولة المرابطية » (انظر السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢٤) .
- (٢٣٩) أحمد مختار العبادى ، دراسة حول كتاب الحل الموشية ، ص ١٤٠ ، ١٤١ ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٥٧ - السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢٤ .
- (٢٤٠) انظر الحل الموشية ، التقديم ، ص ٩ ، ١٠ - السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢٤ .

وكتاب الحلل الموشية من أهم المصادر التي اعتمدنا عليها للتاريخ لدولتي المرابطين والموحدين ، وقد تناول بالاشارة والحديث أيضا أخبار المتوكل عمر بن الافطس قبيل السيطرة المرابطية على الاندلس ، بل اننا اعتمدنا على كتاب الحلل الموشية ، في اثبات أن المتوكل عمر بن الافطس لم يكن بالملك الخائن أو المتواطىء مع العدو المسيحي منذ البداية ، بل أنه حاول بقدر امكانه انقاذ الاندلس من العدوان القشتالي/ الليوني ، فوفقا للروايات التي اوردها صاحب كتاب الحلل الموشية ، أثبتنا ان المتوكل ابن الافطس ، كان أول من بادر من ملوك الطوائف ، بارسال رسالة استغاثة الى الامير المرابطي يوسف بن تاشفين ، وذلك في عام ٤٧٤هـ (١٠٨١ م) أى قبل سقوط طليطلة ٤٧٨هـ (١٠٨٥ م) أى أنه سبق المعتمد بن عباد في تحركه لانقاذ الاندلس ، في حين ان المعتمد ، لم يبدأ اتصاله بيوسف ابن تاشفين الا بعد سقوط طليطلة ، ونص هذه الرسالة قد اورده صاحب الحلل الموشية كاملا (٢٤١) ، كما أورد صاحب الحلل نص الرسالة التي رد بها المتوكل عمر بن الافطس على الرسالة التي وجهها اليه الفونسو السادس ، وكان يهدده فيها ويتوعده ان لم يبادر بالتسليم له (٢٤٢) .

ويعتبر صاحب الحلل الموشية من أعظم من كتب عن مقدمات الفتح المرابطى لاندلس ، فقد وضح دور ملوك الطوائف في استقدام اللمتونيين الى بلادهم لانقاذها من الخطر المسيحي المترص بها ، كما سجل وصف استئقبال هؤلاء الملوك للامير يوسف بن تاشفين ، بعد طول انتظار (٢٤٣) ، ثم فصل أخبار موقعة الزلاقة ، ودور ابن الافطس فيها ، ولم يترك شاردة ولا واردة فيما يتعلق بواقعة الزلاقة بما في ذلك الاساطير والروايات الخرافية التي انتشرت قبيل حدوث الواقعة مثل

(٢٤١) الحلل الموشية ، ص ٣٥ .

(٢٤٢) المصدر السابق ، ص ٣٦ .

(٢٤٣) نفسه ، ص ٥٢ ، ٥٣ .

الرؤيا التي ظهرت للملك الفونسو السادس (٢٤٤) . كذلك سجل في صورة حية فرحة ابن الافطس بانتصار المسلمين في الزلاقة ومبادرته بارسال نبأ هذا الانتصار الى اهل مملكة بطليوس ليشاركوه فرحته بهزيمة العدو (٢٤٥) .

كما استنتجنا من أحد الاخبار التي أوردها صاحب الحلل الموشية أن الامير على بن يوسف زود بطليوس بعدد من أجناد المرابطين استنادا الى أنه وزع أربعة آلاف جندي على الثغور ، ولما كانت بطليوس من المناطق الثغرية ، فمن المؤكد أن تكون قد نالت نصيبا من هذه الالاف الاربعة (٢٤٦) .

كذلك أوضح صاحب الحلل الاسباب التي حملت الامير تاشفين بن على بن يوسف الى التوجه لملاقاة جيش الفونسو السابع عند الزلاقة حيث انتصر جده من قبل على الفونسو السادس ، وقد عرفنا أنه قبيل الموقعة هاجم العدو اراضى بطليوس واحوازها وعاثوا فسادا بها (٢٤٧) .

ومن خلال كتابات صاحب الحلل عن هذه المواقع يتضح لنا قدرته الفائقة على وصف ساحة القتال ونظام الجند واسلحتهم كما لو كان قد عاين المعركة ، وسجل تعبير الحماس والعزيمة على وجوههم ، كما قوم أسلوب قتالهم مما جعله الفارس الاول في ميدان وصف المعارك الحربية المرابطية والموحدية (انظر على سبيل المثال وصفه لمعركة تاشفين بن على بن يوسف في الزلاقة) (٢٤٨) .

(٢٤٤) نفسه ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٢٤٥) نفسه ، ص ٩٦ .

(٢٤٦) نفسه ، ص ٨٠ .

(٢٤٧) الحلل الموشية ، ص ١٢٢ .

(٢٤٨) المصدر السابق ، ص ١٢٢ .

أما ما يتعلق بالقسم المخصص لدولة الموحدين فرغم أهميته ، فلم نستفد منه في بحثنا بنفس القدر الذى استفدنا من هذا المصدر فيما يتعلق ببطلبيوس في عصر المرابطين .

لسان الدين بن الخطيب ، (٧١٣ - ٧٧٦هـ / ٣١٣ - ١٣٧٤م) :

هو لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد المعروف بابن الخطيب السلماتي . ولد في لوشة Loja عام ٧١٣هـ (١٣١٣م) ، وهى من مدن مملكة غرناطة ، وان كان أصل بيتهم من قرطبة (٢٤٩) . وقد تلقى ابن الخطيب العلم في غرناطة التى كان يسودها جو من العلم والادب ، ومال منذ صغره الى دراسة الطب وعلوم الفلسفة ، وتلقى أصول هذين العلمين عن أستاذه يحيى بن هذيل (٢٥٠) .

ثم انخرط ابن الخطيب بفضل كفاءته ومهارته في سلك الوزارة في مملكة بنى الاحمر ، وأصبح وزيرا في عهد أبى الحجاج يوسف بن محمد الخامس، وقد تولى هذا المنصب بعد وفاة الوزير ابن الجياب عام ٧٤٩هـ (١٣٤٩م) . ومن العوامل التى تسببت في ارتفاع شأن ابن الخطيب ويلوغه هذه المكانة العالية ، نبوغه في الآداب والفنون والشعر والتاريخ ، والطب والفلسفة الى حد أن السلطان محمد الخامس الغنى بالله أرسله سفيراً له الى المغرب لدى سلطانها أبى عنان المرينى لينتصر به ضد عدوه ملك قشتالة (٢٥١) .

ولكن انقلاباً وقع في عام ٧٦٠هـ (١٣٥٨م) وأسفر عن طرد السلطان محمد الغنى بالله الى المغرب ومعه وزيره ابن الخطيب الذى الذى عاش في فاس مدة ثلاث سنوات تألق فيها نجمه ، و ألف عددا من

(٢٤٩) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ١٩ .
(٢٥٠) جونثال بالنتيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٥٢ - أحمد مختار العبادى ، في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٤٦ .
(٢٥١) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢٠ .

الكتب في بلاد المغرب من أهمها « اللوحة البدرية في الدولة النصرية » و « نفاضة الجراب في علالة الاغتراب » وكتاب « معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار » .

ثم عاد محمد الغنى بالله الى غرناطة مرة أخرى سنة ٧٦٣هـ (١٣٦١م) بعد أن تمكن من استعادة عرشه ، وعمل على ارجاع ابن الخطيب ، ولكن ظروف ابن الخطيب بعد عودته الى مملكة غرناطة لم تكن مواتية ، فسرعان ما بدأ الحاقدون عليه يوقعون بينه وبين السلطان ، ونجحت هذه السعايات في اثارة غضب السلطان عليه ، وعندئذ شد ابن الخطيب رحاله وانتقل الى المغرب حيث التجأ الى السلطان أبى فارس عبدالعزيز بن أبى الحسن المرينى ، فى تلمسان ، وهناك حظى بتكريم السلطان له والاحسان اليه ، فلما توفي السلطان أبو فارس عام ٧٧٤هـ (١٣٧٢م) ، غادر ابن الخطيب تلمسان ورحل الى فاس ، وخلف أبا فارس على السلطنة ، ابنه الطفل « السعيد » (٢٥٢) ولكن الامر لم يدم له فسرعان ما خلع ونوذى بأحمد بن أبى سالم سلطانا على دولة بنى مرين عام ٧٧٦هـ (١٣٧٤م) ، غير أن ابن الخطيب لم يسلم من المؤامرات التى دبرها له اعداؤه فى غرناطة وعلى رأسهم الوزير سليمان بن داود الذى ضم اليه من اعداء ابن الخطيب ابن زمرك الشاعر وأبا الحسن النباهى قاضى غرناطة ، وصاحب كتاب « تاريخ قضاة الاندلس » المسمى « المرقبة العليا » واتفق معهما على اتهام ابن الخطيب بالزندقة ، وقد بادر هؤلاء باحراق كتبه فى غرناطة ، ثم أمر بعض أتباعه بقتله سرا ، وبالفعل تم قتل ابن الخطيب خنقا ، ثم حملت جثته وأحرقت ، وبعدها تم دفنه (٢٥٣) .

من هذا العرض السريع لحياة ابن الخطيب يتضح لنا أن نشاط ابن الخطيب السياسى لم يقتصر على مملكة غرناطة ، وإنما تمكن بذكائه

(٢٥٢) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٥٦ .
(٢٥٣) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٥٧ - السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ص ٢١ .

ومهاراته الادبية والسياسية من التأثير في سياسة دول المغرب، وكذلك اثر في سياسة الممالك النصرانية ، وقد وصلت اليها رسائل عديدة باللغات العربية تم تبادلها بين ابن الخطيب وبين ملوك هذه البلاد (٢٥٤) .

ولعل موهبة ابن الخطيب العلمية وقدراته في العديد من المجالات الفلسفية والادبية كانت من أهم الاسباب التي ساعدت على تألق نجمه السياسى وارتفاع شأنه ، ولعل هذه الموهبة كانت من أهم العوامل أيضا التي جعلت رسائله وقصائده التي أرسلها الى سائر الملوك في ذلك العصر مسلمين ومسيحيين ، تلقى أكبر الاثر في نفوسهم ، ومن أهم تلك الرسائل نصائحه التي أرسلها الى الملك القشتالى دون بطره (بدر و الاول القاسى) باللغة الاسبانية .

ومن أهم مؤلفات ابن الخطيب التي ألفها في فترة اقامته بالمغرب :

١ - كتاب اللوحة البدرية في الدولة النصرية ، وقد تناول في هذا الكتاب الحديث عن أهل غرناطة وعاداتهم وذكر ملوكهم ، ويتكون هذا الكتاب من جزء واحد قد تم طبعه في القاهرة عام ١٣٧٤هـ (٢٥٥) .

٢ - كتاب « نفاضة الجراب في علالة الاغتراب » ، وقد صور فيه ابن الخطيب حياته في الفترة التي قضاها بعيدا عن غرناطة ، وفيه يصف مشاهداته في بلاد المغرب، كما يصف الاحداث السياسية التي مرت بها تلك البلاد اثناء مقامه بها . ويتكون هذا المصدر من ثلاثة أجزاء ، قام الدكتور أحمد مختار العبادى بنشر وتحقيق الجزء الثانى منه في القاهرة عام ١٩٦٧ ، وهو الجزء الذى كان معروفا في تلك الفترة ، ثم تم

(٢٥٤) أحمد مختار العبادى ، في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٤٧ .
(٢٥٥) المرجع السابق ، ص ٥٤٩ .

العثور على الجزء الثالث من هذا المصدر في مكتبة الرباط في الآونة الأخيرة (٢٥٦) .

٣ - كتاب « معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار » ويتضمن وصفا شائقا لمدن المغرب والاندلس ، استخدم فيه أسلوبا طريفا ينتمى الى فن المقامات المعروف في الادب العربى ، وأخيرا قام الدكتور مختار العبادى بنشر هذا الكتاب سنة ١٩٥٨ ضمن مجموعة من رسائل ابن الخطيب بعنوان « مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في بلاد المغرب والاندلس » .

٤ - كتاب « الحل المرقومة في اللمع المنظومة » ، لم يصل اليينا ويعتبر من الكتب المفقودة ويتعلق بأصول علم الفقه ، غير أن هناك شروحا لهذا الكتاب منها شرح ابن خلدون ، وشرح أبى سعيد بن لب ، المسمى « بالطرر المرسومة على الحل المرقومة » تعوضنا عن فقده .

٥ - كتاب « رقم الحل في نظم الدول » ، أرجوزة تاريخية أهداها ابن الخطيب الى السلطان المرينى أبى سالم إبراهيم .

٦ - كتاب « كناية الدكان بعد انتقال السكان » ، وهو على هيئة من الرسائل على لسان سلطان سلطان غرناطة ، يوجهها الى سلطان فاس (٢٥٧) ، حققه الدكتور أحمد مختار العبادى .

ومن المعروف أن ابن الخطيب واصل بعد عودته الى غرناطة الكتابة والتأليف عن بلاده ، ومن أهم هذه المؤلفات « الاحاطة في أخبار غرناطة » ، ويعد هذا الكتاب بمثابة « معجم أعلام جمع ابن الخطيب فيه سير النابهين من أهل مملكة غرناطة ومن وفد عليها وسكنها ، وقسمه

(٢٥٦) أحمد مختار العبادى ، في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٤٩ .
(٢٥٧) المرجع السابق ، ص ٥٥٠ .

أقساماً بحسب المنصب أو بحسب ناحية الامتياز، فقسم للملوك والامراء
وثان للعمال ، وثالث لذوى النباهة كالقضاة والمتحققين بعلوم القرآن
والمحدثين والفقهاء، وأورد فيه ترجمة لنفسه ٠٠٠ « (٢٥٨) نشره الاستاذ
محمد عبد الله عنان كاملاً في أربعة أجزاء .

وقد قام أحد المؤرخين المصريين واسمه بدر الدين البشتكى المصرى
باختصار كتاب الاحاطة فى عام ٧٩٣ هـ (١٣٩١ م) وسماه « مركز
الاحاطة » .

ومن أهم مصنفات ابن الخطيب أيضاً فى تلك الفترة كتاب
« ريحانة الكتاب ، ونجعة المنتاب » ، وهذا الكتاب يضم المراسلات
السلطانية التى دارت بين ملوك غرناطة وبين ملوك الدول المجاورة
ومعظم هذه المراسلات من انشاء ابن الخطيب .

وقد قام العالم الاسبانى Gaspar Remiro بنشر الجزء الخاص
بالمراسلات بين ملوك غرناطة وملوك فاس من بنى عبد الحق أو بنى
مربى فى القرن الثامن الهجرى ، وباستثناء هذا الجزء المنشور فان
كتاب الريحانة لايزال مخطوطاً (٢٥٩) .

أما كتاب «أعمال الاعلام» الذى اعتمدنا عليه فى دراستنا هذه ورجعنا اليه
فى كثير من نقاط البحث ، فمن أهم المصادر التى تناولت تاريخ المغرب
والاندلس (٢٦٠) .

وقد قام ابن الخطيب بتقسيمه الى ثلاثة أقسام :

الاول : لايزال مخطوطاً ، وقد تحدث فيه عن تاريخ المشرق
الاسلامى .

-
- (٢٥٨) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٥٧ .
 - (٢٥٩) أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٥١ .
 - (٢٦٠) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢١ .

والثانى : تناول فيه تاريخ الاندلس منذ الفتح الاسلامى حتى عصر السلطان محمد ابن يوسف بن اسماعيل، وقد نشره الاستاذ ليفى بروفنسال للمرة الاولى عام ١٩٣٤ بالرباط ، ثم أعيد نشره فى بيروت عام ١٩٥٦ .

أما القسم الثالث : فقد تناول فيه ابن الخطيب تاريخ المغرب منذ قيام دولة الاغالبية وحتى عصر الموحدين ، وكان ابن الخطيب يرغب فى استكمال هذا القسم حتى عصره ولكن بسبب ظروفه الخاصة ومأساته التى كان قد بدأ يعيشها فى ذلك الوقت لم يستطع ان يستكمل مادته .

ويعد « أعمال الاعلام » آخر مؤلفات ابن الخطيب ، فقد انتهى من تأليفه عام ٧٧٦هـ (١٣٧٤م) أى قبيل مقتله مباشرة (٢٦١) .

وقد استفدنا الى حد كبير من كتاب أعمال الاعلام ، ورجعنا اليه فى كثير من نقاط البحث ، ويمتاز أعمال الاعلام بصدق الرواية وقوة الاسلوب وسلاسته واستفاضة المادة التاريخية ، وقد رجعنا اليه خاصة عند حديثنا عن ثورة أهل طليطلة على ملكهم القادر بن ذى النون ، واستدعائهم لعمر المتوكل بن الافطس ليحكم بلدهم بدلا من القادر ، وقد وضح لنا ابن الخطيب كيف كان ابن الافطس كارها لهذه المهمة العسيرة ، فجاءهم ملبيا لندائهم وهو متثاقل للغاية (٢٦٢) .

كذلك ترجم ابن الخطيب للملك بنى الافطس فى بطليوس ، وأشار الى ادعائهم النسب العربى الى تجيب معتمدا فى ذلك على ابن حيان (٢٦٣) . ومن الملاحظ انه رجع الى ابن حيان فى كثير من مواضع الكتاب مما يدل على أن ابن حيان كان واحدا من أهم مصادر ، وكان « المتين » أحد كتب ابن حيان التى اعتمد عليها ابن الخطيب .

(٢٦١) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢٩ .
(٢٦٢) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ١٨٠ .
(٢٦٣) المصدر السابق ، ص ١٨٢ ، ص ٤٨ ، ص ٨٤ .

كذلك أشار ابن الخطيب الى كتاب « المظفرى » الذى كتبه المظفر بن الافطس ووضح لنا مكانته الادبية والعلمية ، وأشار الى براعته الشديدة فى مجال الشعر ، هذا الى جانب حديثه عن علاقته بملوك النصارى وعن استيلاء هؤلاء على مدينة قلمرية فى عهده ، وقد اعتمد عند سرده لسيرة المتوكل عمر بن الافطس على الفتوح ابن خاقان (٢٦٤) .

وكان ابن الخطيب اُحد المؤرخين القلائل الذين أشاروا الى المنصور ابن المتوكل عمر بن الافطس وذكر خروجه الى الفنش السادس ودخوله فى بلاطه ، وارتداده عن دينه (٢٦٥) .

كما استفدنا من « أعمال الاعلام » عند تعرضنا لذكر الثورات التى قامت ضد الحكم المرابطى فى غرب الاندلس فى اواخر عهد المرابطين ، ونقصد بذلك ثورة أبى القاسم ابن قسى الذى يعد اول ثائر ضد المرابطين فى الاندلس . وقد أشار ابن الخطيب باستفاضة تامة الى تفاصيل ثورة ابن قسى ، كما أشار الى عدد آخر من الثوار الذين شاركوا فى الاطاحة بالحكم المرابطى امثال ابن وزير ويوسف البطروجى ولييد بن عبد الله صاحب شنترين وأبى القمر بن عزوز صاحب شريش ومحمد بن على بن الحجام فى بطليوس ومحمد بن المنذر الخ (٢٦٦) .

(٢٦٤) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ١٨٥ .

(٢٦٥) المصدر السابق ، ص ١٨٦ .

(٢٦٦) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٢٤٨ .

الحميرى ، « صفة جزيرة الاندلس » من كتاب « الروض المعطار في خبر الاقطار » :

من اهم المصادر الجغرافية والتاريخية لمدن الاندلس لأبى عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميرى ، وهو كتاب جامع ، اختار منه ليفى بروفنسال ما يتعلق بالاندلس ، ونشره فى القاهرة سنة ١٩٣٨ على حروف المعجم الى جانب ترجمة فرنسية له وتعليقات وفهارس وافية (٢٦٧) .

وقد اعتمد الحميرى فى تأليفه للقسم الخاص بالاندلس من كتاب « الروض المعطار » على الكثير من الجغرافيين الذين سبقوه ، خاصة عند كتاباته للمادة الجغرافية ، وممن اعتمد عليهم اعتمادا خاصا ، الادريسي فى كتابه « نزهة المشتاق » ، والبكرى فى كتابه « المسالك والممالك » والعذرى فى « نظم المرجان » . وكذلك اعتمد على كتاب « الاستبصار فى عجائب الامصار » لمؤلف مغربى من أهل القرن السادس الهجرى . أما المادة التاريخية فقد اعتمد فى جمعها على كتاب « مجموع المقتصر » لمؤلف مجهول ، وكتاب « المغرب فى أخبار المغرب » لأبى التقي طاهر بن عبد الرحمن ، وكلا الكتابين مفقود اليوم (٢٦٨) .

ومن عيوب الحميرى انه يغفل ذكر أهم المراجع التى اعتمد عليها ، ومن الغريب أنه على الرغم من ذلك كان ينتقد أصحاب تلك المصادر نقدا عنيفا ، من ذلك انتقاده للادريسي رغم أخذه عنه العديد من المعلومات بنفس أسلوبه الذى انتقده فيه (٢٦٩) .

(٢٦٧) جونثال بالنتيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٣١٠ .
(٢٦٨) حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين فى الاندلس ، ص ٥٣٧ .
(٢٦٩) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، المقدمة ، ص ح ، حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين ، ص ٥٣٩ .

ويرى البعض أن الحميري قد رجع إلى ياقوت الحموي دون أن يشير إليه ، فقد كان ياقوت قد أتم معجمه في عام ٦٢٤هـ/ (١٢٢٤م) ، وبعدها ذاع صيته للغاية ، أما الحميري فقد عاش في النصف الثاني من القرن السابع الهجري وزار الحجاز وأدى فريضة الحج ، وأطال المقام هناك ، وليس من المعقول ألا يكون الحميري قد رجع إلى هذا المعجم الذي ألفه ياقوت لاسيما وأنه كان بصدد (٢٧٠) تأليف معجم ، هذا إلى جانب أن أسلوب الحميري في سرد المعلومات الجغرافية مع خلطه بالأدب يشابه إلى حد كبير أسلوب ياقوت ، بل أننا نجد في بعض الأحيان أن المادة الجغرافية عند الحميري تقتصر على ذكر شاعر أو أديب ظهر في موضع معين (٢٧١) .

أما مواد هذا المصدر الجغرافي الهام فمرتبة ترتيباً أبجدياً ، وقد حاول الحميري ربط التاريخ بالجغرافية بطريقة رائعة ، ولعل أكثر هذه المادة التاريخية يرجع إلى عصر الموحدين ، وهو العصر الذي سقطت فيه معظم حواضر الأندلس وقواعده في أيدي النصارى (٢٧٢) .

وقد استعنا بكتاب الحميري هذا عند حديثنا عن بطليوس أو أي مدينة من أعمالها . ورغم ضخامة هذا العمل وأهمية المادة الجغرافية التي أوردها إلا أنها لا تخلو من الأخطاء التاريخية ، فبالنسبة لموضوع بناء بطليوس وإنشائها على يد عبد الرحمن بن مروان الجليقي ، فقد ذكر الحميري أن ابن الجليقي حصل على موافقة الأمير عبد الله على بناء بطليوس (٢٧٣) ، وهذا خطأ بالغ لأن الذي منحه هذا الحق لم يكن الأمير عبد الله وإنما كان الأمير محمد . أما عبد الله فهو الذي جدد الأسجال لابن الجليقي . ومن أمثلة الأخطاء التاريخية التي وقع فيها

(٢٧٠) حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص ٥٤١ .

(٢٧١) نفسه ، ص ٥٤١ .

(٢٧٢) جهنثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٣١٢ .

(٢٧٣) الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ٤٦ .

ارجاعه تاريخ بناء مرسية الى سنة ٢١٦هـ (٨٣١م) (٢٧٤) بينما يؤكد العذرى أنها بنيت فى سنة ٢١٠هـ (٨٢٥م) (٢٧٥) ويؤيده فى ذلك ابن عذارى (٢٧٦) . وواضح أن الحميرى نقل رواية العذرى ولكن بصورة مختصرة ولكنه أخطأ فى ذكر التاريخ . ويبدو أن سبب الخطأ يرجع الى أن الحميرى قرأ تاريخ الانشاء الوارد على هذا النحو فى العذرى « سنة عشرومائتين » على أنه « ستة عشر ومائتين » . ولكن بخلاف هذه النقطة ، فقد أمدنا بمعلومات هامة عن بطليوس ، فقد وصف لنا المسجد الجامع الذى بناه الجليقى بها ، والمساجد الأخرى وسور المدينة وربضها الشرقى ونهرها .

أما عن المدن والحصون التى كانت تتبع إقليم بطليوس فقد ذكر الحميرى العديد منها ، نذكر منها على سبيل المثال حصن أبطير (٢٧٧) ، ورغم أن ما ذكره عنه كان ضئيلا إلا أنه أفادنا الى حد ما لتكوين فكرة عن هذا الحصن ، كما أطنب الحديث عن الاشبونة ، ووصفها ووصف حصن المعدن ، الذى يقع بالقرب منها ، هذا الى جانب تعليقه على رحلة المخربين منها ، الذين أخذوا يكتشفون الجزر المتناثرة فى المحيط الاطلسى (٢٧٨) .

وحظيت مدينة قصر أبى دانس بنصيب كبير من اهتمام الحميرى ،

-
- (٢٧٤) الحميرى ، المرجع السابق ، ص ١٨١ .
(٢٧٥) أحمد بن عمر بن أنس العذرى ، نصوص عن الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الاثار ، تحقيق الدكتور عبد العزيز الالهوانى ، مدريد ١٩٦٥ ، ص ٦ ، وراجع فى ذلك أيضا رسالة الماجستير المقدمة من السيد عزت قاسم أحمد عن تاريخ مدينة مرسية الإسلامية منذ انشائها حتى استيلاء المرابطين عليها ، الاسكندرية ١٩٨٤ ، ص ٣٦ وما يليها .
(٢٧٦) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٨٢ .
(٢٧٧) الحميرى ، صفة الاندلس ، ص ١١ .
(٢٧٨) المصدر السابق ، ص ١٦ .

كما وصف سقوطها على أيدي البرتغاليين في عام ٦١٤هـ (٢٧٩)
(١٢١٧ م) .

كذلك يذكر الحميري أن باجة التي بناها يوليوس قيصر هو الذي سماها باجة ، وهي تعنى الصلح أو السلم (من Paz) ، وذكر أنه ينتسب إليها أبو الوليد الباجي ، وعرض لتاريخها أيام الأمير عبد الرحمن الداخل (٢٨٠) .

ومن المدن التي أوردها الحميري وتدخل في نطاق مملكة بطليوس ، قلمرية وشنترين وقورية وشنترية ويابرة ، وقد رجعنا إلى تعريفه لهذه المدن عند حديثنا عن حصون إقليم بطليوس وأهم المدن التي كانت تابعة لمملكة بطليوس في عصر الطوائف .

المقرى ، « نفح الطيب ، من غصن أندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب » :

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي العيش بن محمد ، المقرى ، التلمسانى المولد ، فقد ولد في تلمسان ودرس بها في نشأته الأولى ، وحفظ القرآن الكريم ، وكان استأذه في تلك الفترة المبكرة من حياته هو الشيخ أبو عثمان سعيد بن أحمد المقرى مفتى تلمسان ، ثم رحل بعد ذلك إلى مدينة فاس للدراسة (٢٨١) والاستزادة من العلم ، وكان يذكر عنها أنها دار خلافة المغرب . وزار المقرى في شبابه بلاد الحجاز ليحج بيت الله الحرام ، ثم بيت المقدس ومنها تمكن من الذهاب إلى القاهرة ، وقد كرر ، زيارته مكة والمدينة ، كما زار دمشق في تلك الفترة من حياته ، وقد تعلق بأهل

(٢٧٩) نفسه ص ١٦٢ .

(٢٨٠) نفسه ص ٣٦ .

(٢٨١) جونثال بالنتيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٣٠٣ .

دمشق تعلقا كبيرا ، وأحب هذه المدينة للغاية (٢٨٢) .

سار المقرئ على نفس النهج الذى سار عليه ابن الخطيب فى كتاباته ، وإن كانت هناك صفة لازمته لم تتوفر عند ابن الخطيب ، وهى استطراداته الكثيرة ، وخروجه عن الموضوع الاصلى للدراسة اعتقادا منه أن التزامه بمعلومة محددة وعدم اطلاقه العنان لقلمه نوع من التقصير فى الكتابة الامر الذى جعل الادباء يعتبرونه لهذه الصفة جاحظ المغرب ، ومن أشهر مؤلفاته :

١ - « أزهار الرياض ، فى أخبار القاضى عياض » وهو فى حقيقة الامر ترجمة للقاضى المغربى عياض بن موسى بن عمرو بن موسى اليحصبى السبتي ، وقد نشر من هذا الكتاب ثلاثة أجزاء ، أصدرها المعهد الخلقى بالقاهرة بتحقيق الاساتذة مصطفى السقا وابراهيم الابيارى وعبد الحفيظ شلبى سنة ١٩٣٩ ، ثم نشر فى خمسة أجزاء مع الابقاء على الاجزاء الثلاثة الاولى تحت اشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الاسلامى بين حكومة المغرب ودولة الامارات العربية ، فتولى تحقيق الجزء الرابع ، الاستاذان سعيد أحمد أعراب ومحمد بن تاويت وصدر فى الرباط سنة ١٩٧٨ ، أما الجزء الخامس فقد حققه الاستاذان د . عبد السلام الهراس وسعيد أحمد أعراب ، وصدر فى الرباط سنة ١٩٧٩ .

٢ - « أزهار الكمامة » وهو مفقود ولا نعرف عنه شيئا سوى اسمه . وهناك أسماء عديدة لكتب أخرى مثل « اتحاف المغرى ، تكميل شرح الصغرى » ، و « الدر الثمين فى أسماء الهادى الامين » ، و « عرف النشق فى أخبار دمشق » ، و « الغث والسمين والثرث والثمين » ، و « قطف المهتمصر فى أخبار المختصر » ، و « فتح المتعال » ، و « روض الآس ، العاطر الانفاس »

وأخيرا نفح الطيب ، وكان اسمه في بداية الامر « عرف الطيب في أخبار ابن الخطيب » اذ كان ينوى تخصيص هذا الكتاب للتعريف بالوزير ابن الخطيب ، ولكنه رأى أن يقدم الكتاب بدراسة موسوعية عن الاندلس : تاريخها وجغرافيتها وتراجم أهلها ممن رحلوا الى المشرق أو قدموا منه الى الاندلس ، فعدل عنوان الكتاب لذلك الى عنوانه الحالى . وكان المقرئ أثناء اقامته بدمشق يروى لعلمائها وكبار رجالها عن الاندلس وروائعها الطبيعية من حدائق وخضرة ومناظر خلابة الى جانب ذكره لكبار علمائها ورجالها وخاصة لسان الدين بن الخطيب ، فكثيرا ما ذكر لأهل دمشق نبذا من أحاديثه وكلماته مما دعا بعضهم وعلى رأسهم المولى أحمد الشاهينى الى أن يطلبوا منه أن يصنف لهم كتابا للتعريف بهذا الرجل العظيم (ابن الخطيب) ، ولكنه لم يبدأ بكتابة نفح الطيب في دمشق ، وإنما بدأ في تأليفه بعد أن استقر في مصر .

ويتألف كتاب «نفح الطيب» من أربعة أجزاء، ويعتبر الجزآن الأولان مقدمة للجزئين الثالث والرابع ، ويحتوى الجزآن الاول والثانى على ثمانية أبواب ، الاول فى وصف جزيره الاندلس وحسن هوائها واعتدال مزاجها ، وذكر أهم مدنها ، وكورها ، والثانى تحدث فيه عن فتح طارق بن زياد وموسى بن نصير للاندلس ، كما ذكر فيه أهم ولاية الاندلس من قبل بنى أمية ، والثالث تحدث فيه عن خلفاء الاندلس وملوكه ، والرابع عن قرطبة حاضرة الخلافة ، وقد قام فى هذا الفصل بوصف جامع قرطبة العظيم ، وخصص الفصل الخامس للتعريف ببعض من رحل من رجال الاندلس الى بلاد الشرق ، وفى السادس ترجم للوافدين على الاندلس من المشرق ، والفصل السابع استعرض فيه فضائل أهل الاندلس والثامن ذكر فيه تغلب العدو المسيحى على الاندلس (٢٨٤) .

ولعل أهم خصائص كتاب « نفح الطيب » أن مؤلفه عمد الى التكرار ، فقد كان يذكر الخبر الواحد في أكثر من موضع من الكتاب ، وقد فسر محقق نفح الطيب الاستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد ذلك بقوله « ومعذرة المؤلف في ذلك أنه يحكى في الامر الواحد عبارة كثير من المؤرخين بجملتها في كثير من الاحيان ومقتصر على موضع الحاجة أحيانا أخرى ، فتكرر لذلك المسائل بتكرار المنقول عنهم ، وقد تكون في العبارة عدة مسائل فينقلها بطولها مرتين أو أكثر تبعا للمسائل التى يبحثها ويضن بتجزئة المنقول رغبة منه في ربط أجزاء الكلام ، فقد يدل بعضه على بعض ، وقد تضيع فائدة تقطيع أوصاله .. » (٢٨٥) .

وترجع أهمية هذا المصدر الى أن المقرئ يعتمد الى نقل فقرات هامة للغاية من مصادر أخرى ضاعت ولم تصل اليها (٢٨٦) .

وقد قام كل من دوزى Dozy ودوجا Dugat ، وكريل Krehl ورايت Wright بنشر الجزأين الاولين من هذا المصدر في مدينة ليدن فيما بين عامى ١٨٥٨ و ١٨٦١ ، وقدموا لهذا الكتاب بمقدمة وافية عن المقرئ وعن كتابه النفح ، هذا الى جانب أن نفح الطيب قد نشر في بولاق بمصر كاملا عام ١٨٦٢ ، ثم أعيدت طباعته بمصر وقام بتحقيقه الشيخ محيى الدين عبد الحميد عام ١٩٤٩ (٢٨٧) ، وفي هذه الطبعة حاول الشيخ محيى الدين التغلب على التكرار الذى يتميز به المقرئ ، فوضع عناوين صغيرة لكل جزء من أجزاء الكتاب وفي كل موضع الى جانب كتابته لفهرس شامل لكل ما ورد في الكتاب ، مما أفاد القارئ الى حد كبير فى تتبع الخبر الذى يريده فى مواضعه المختلفة ، ثم صدرت طبعة أخيرة من نفح الطيب تحت اشراف الدكتور احسان عباس زودها بفهارس قيمة للأعلام والاماكن .

(٢٨٥) المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ١٣ .
(٢٨٦) جونثال بالنيثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٣٠٣ .
(٢٨٧) المرجع السابق ، ص ٣٠٤ .

وقد اشار المقرئ فى الجزء الاول من النفح الى قصيدة الوزير ابن عبدون فى رثاء بنى الافطس وأورد البيت الاول منها (٢٨٨) . كذلك اورد بيتين من شعر أبى محمد عبد الله بن السيد البطليوسى الذى وصفه بأنه نحوى زمانه وعلامته ، ومن هذين البيتين ، تمكنا من تخيل صورة لما كانت عليه بطليوس من حسن وجمال ، فابن السيد وصف غورها ونجدها وما فيها من دوحات وحدائق غناء ذات اشجار مورقة وورود مزهرة (٢٨٩) .

كما نقل المقرئ فى هذا الجزء رسالة الشقندى عن فضائل الاندلس وفيها خص بالذكر المظفر بن الافطس باعتباره من أعظم أدباء عصره ، وباعتباره مؤلف كتاب « المظفرى » (٢٩٠) .

وفى الجزء الثانى يترجم المقرئ للعديد من الشخصيات البطليوسية الشهيرة مثل أبى الوليد الباجى والاخوة الثلاثة من بنى القبطرنة وابن السيد البطليوسى، ومن خلال هذه التراجم تتضح لنا بجلء صورة الحياة العلمية المزدهرة فى بطليوس بالوزراء والشعراء والعلماء لاسيما فى عصر بنى الافطس الذى تألفت فيه دولة الادب والشعر ، كما يساعدنا هذا على رسم صورة للحياة الاجتماعية للبلاط البطليوسى فى ذلك الوقت .

(٢٨٨) المقرئ ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص ١٧٣ .
(٢٨٩) المصدر السابق ، ص ١٧٣ .
(٢٩٠) نفسه ، ص ٤١٧ .

ثانيا : المصادر المسيحية

تقتصر اخبار الاندلس الواردة في المصادر المسيحية على معلومات مقتضبة ومبالغ فيها بالقياس الى ما زدوتنا به المصادر العربية الغنية بالنصوص التفصيلية ، وتنسب اهم الروايات الواردة في المصادر الاسبانية المسيحية فيما يتعلق بحوادث بطليوس الى الاسقف سامبيرو والى دون بلايو ، ولوزيتانو ، وكلها حوليات تخلو من أية حقائق تاريخية ذات قيمة علمية لموضوع الدراسة (١) ، باستثناء بعض النصوص الواردة في مدونة لوزيتانو ومدونة سامبيرو التي استشهدنا بنصوصها في كثير من مواضع البحث . ومن أهم المدونات المسيحية ، التي اعتمدنا عليها أيضا في البحث المدونة الاولى العامة لتاريخ اسبانيا ، للملك الفونسو العاشر الملقب بالحكيم أو العالم .

اما مدونة سامبيرو Chronicon de Sampiro ، فتنسب الى سامبيرو اسقف استرقة Astorga الذي كتب هذه المدونة عندما كان يعمل كاتباً في البلاط الملكي في حدود سنة ٣٨٠هـ (٩٩٠م) ، وبدأها بحوادث سنة (٢٥٢هـ) ٨٦٦م حيث انتهى سباستيان اسقف شلمنقة واستمر يؤرخ لأهم الأحداث التي مرت بأسبانيا حتى سنة ٣٧٢هـ (٩٨٢م) دون أن يتعرض للحديث عن برمند الثاني أو ابنه الفونسو الخامس (٢) .

يبدأ سامبيرو بالتاريخ لعصر الملك الفونسو الثالث العظيم ملك ليون (٣٥٢هـ) (٢٦ مايو ٨٦٦م) ، ثم يتابع تاريخه لعهود خلفائه ، وهم غرسية ، وأردون الثاني ، وفرويلة الثاني ، والفونسو الرابع ، وردمير

(١) Sanchez Alonso, Historia de la historiografia española, Madrid, 1947, P. 111 — Fray Justo Perez de Urbel, Historia de Condado de Castilla, t. I. Madrid, 1948, PP. 14-27.

(٢) Franc. Henrique Florez, España Sagrada, t. XIV, Madrid MDCCCC, PP. 422-423.

الثانى ، وأردون الثالث ، وشانجة الاول وردمير الثالث ، وقد اعتمدت على هذه المدونة فى دراستى لممالك اسبانيا المسيحية ، من ذلك على سبيل المثال اشارته الى توجه شانجة الاول الى قرطبة ليعالج نفسه من بدانته المفرطة ، ثم استرداده العرش من أردون الشرير (٣) .

أما مدونة دون بلايو Chronicon de D. Pelayo فتبدأ من حيث انتهى سامبيرو أى من سنة (٣٧٢ هـ) ٩٨٢م ويستمر فى سرد تاريخ مملكة ليون على مدى ١٢٧ سنة وتنتهى بوفاة الملك الفونسو السادس فى سنة (٥٠٣ هـ) ١١٠٩م ، وقد اعتمدنا على هذه المدونة فى تأريخنا لموقعة الزلاقة (٤) .

ويهمنا الحديث عن المدونة الاولى العامة لاسبانيا Primera Cronica general de Espana وتنسب الى الملك الفونسو العاشر العالم ، وكتبت بالقشتالية فى القرن الثالث عشر ، واستعين فى كتابتها ببعض علماء المسلمين واليهود ، وقد اعتمد هؤلاء فى تدوينها على كثير من المصادر التاريخية العربية والبيزنطية واللاتينية بالاضافة الى جميع الحوليات الاسبانية التى سبقتها وعلى الاخص الحولية الطليطية لرودريجو دى رادا اسقف طليطلة (٥٦٦ - ٦٤٥ هـ) (١١٧٠ - ١٢٤٧م) وتتضمن المدونة العامة لتاريخ اسبانيا روايات لا تختلف كثيرا عن الروايات الواردة فى مصادر التاريخ الاندلسى مما يدل دلالة واضحة على ان هذه المدونة نقلت اخبارا مترجمة من المصادر العربية ، لاسيما ما يتعلق بحوادث السيد الكنبيطور واستيلائه على بلنسية ، وابرز المصادر العربية التى يظن أنها كانت المصدر الرئيسى لهذه المدونة كتاب الاكتفاء فى اخبار الخلفاء لابن الكردبوس ، وكتاب البيان الواضح فى العلم

Chronicon de Sampiro, en Espana Sagrada, Op. Cit., P. 455- (٣)
456.

Chronicon de D. Pelayo, en Espana Sagrada, PP. 473-474. (٤)

لابن علقمة البلبسى ، وهو كتاب مفقود لم يصل إلينا ولكن وصلتنا فقرات متعددة منه فيما رواه ابن عذارى فى البيان (٥) .

وقد اعتمدنا على المدونة العامة لاسبانيا عندما تعرضنا للحديث عن وقعة الزلاقة وعند تحديدنا لموقع المعركة وتقديرنا لأعداد المحاربين من الجانبين وأعداد القتلى .

ومن الغريب ان تنهج مدونة الفونسو العاشر نفس رواية مدونة لوزيتانو فى سرد وقعة الزلاقة اذ تتشابه تشابها صارخا مع ذلك المدونة فيما يتعلق بنتيجة الموقعة وان كانت تتحرج من الاشارة الى اغماء الملك بسبب احتسائه الخمر بدلا من الماء (٦) .

ثالثا ... المراجع الاوروبية الحديثة

مارتينيث اى مارتينيث (تاريخ مملكة بطليوس) :

Matias Ramon Martinez y Martinez, «Hitoria de Reino de Badajoz». Badajoz, 1904.

يعتبر من أهم المراجع الحديثة المتخصصة التى رجعنا إليها ، اذ يؤرخ لبطليوس منذ نشأتها قديما وحتى سقوطها فى أيدي الليونيين ، وقد زود كتابه بالعديد من الملاحق التى تتعلق بتاريخ بطليوس قبل وبعد سقوطها . وقد طبع هذا الكتاب فى بطليوس عام ١٩٠٤ ، وهو نفس العام الذى توفى فيه المؤلف .

وقد ذيل الكتاب بتكريم المؤلف ماتيئاس مارتينيث اى

(٥) جمال الدين الشيال ، التاريخ الاسلامى وأثره فى الفكر التاريخى الاوروبى فى عصر النهضة ، بيروت ١٩٦٩ ، وراجع أيضا :
Gamal el Din El Shayal, Ahmed Mokhtar el Abbadi, Islamic and arab contribution to the European Renaissance, Cairo, 1977, P. 287.

(٦) Primera Cronica General de Espana, ed. por R. Menendez Pidal, P. 557-558.

مارتينث ، وتأبينه بعد وفاته ، في عام ١٩٠٤ سجلته الصحف الصادرة في بطليوس وقاصرش عن المؤلف .

ويحتوى هذا المرجع على نحو أربع وأربعين ملحقا ، تتعلق العشرة الاولى منها بموضوعات تتصل ببطليوس قبل سقوطها في أيدي الليونيين سنة ١٢٣٠م ، أو لها صلة باحدى المدن التابعة لاقليم بطليوس ، فالملحق الاول على سبيل المثال عبارة عن ذكر الكتابات الواردة على شاهد قبر دانيال أسقف بطليوس المستعرب سنة ١٠٠٠م (٣٩١ هـ) (٧) .

أما الملحق الثانى فيتضمن وصف الادريسي للاندلس نقلها عن الترجمة الاسبانية التى قام بها انطونيو فلاسكت فى مدريد عام ١٩٠١ (٨) .

والملحق الرابع سرد لأهم الحملات التى قام بها أهل طليطلة ، وشلمنقة نقلا عن مدونة الامبراطور الفونسو السادس ضد بطليوس قبل واقعة الزلاقة (٩) . والملحق الخامس يتحدث عن سقوط قورية فى يد الفونسو السادس (١٠) ، والسادس يتحدث عن اسقفية قورية الجديدة التى انشأت عام (٥٣٧ هـ) ١١٤٢م (١١) .

ومعظم ما تبقى من ملاحق تتعلق بموضوعات مسيحية لا علاقة لها بالتاريخ الاسلامى لبطليوس ، وفى الملحق العاشر يتحدث عن الهبات التى قدمها فرناندو الثانى فى اقليم بطليوس لنظام سانتاجو عام (٥٦٧) ١١٧١م (١٢) .

Martinez y Martinez, Historia del Reino de Badajoz. P. (٧) 311-319.

Martinez y Martinez Op. Cit., P. 319-325. (٨)

Ibid, P. 330-333. (٩)

Ibid, P. 334-335. (١٠)

Ibid, P. 335-336 (١١)

Ibid, P. 346. (١٢)

والمحقق الرابع عشر يتحدث عن هبة الفونسو الثامن لنظام جماعة فرسان
ترجالة في عام (٥٩٢ هـ) (١١٩٥) (١٣) . والمحقق الخامس والعشرين
يتضمن هبات ملكيات من ماردة الى نظام القنطرة عام (٦٢٨)
١٢٣٠م (١٤) .

والمحقق الثامن والعشرين يدور حول هبة منتانجش الى نظام
سانتييجو عام (٦٢٨) (١٢٣٠م) (١٥) .

أما بقية الملاحق فتعالج أحداثا تمت بعد سقوط بطليوس في أيدي
الليونيين ، فالمحقق الثاني والأربعين مثلا يعالج هبة حصن الحنش الى
نظام سانتياجو عام (٦٤٣ هـ) (١٢٤٥م) (١٦) .

ويختتم Martinez y Martinez كتابه بفهرسة أو قاموس جغرافي
غاية في الأهمية يضم كل الأسماء الجغرافية لمدن إقليم بطليوس بالعربية
وما يقابلها بالإسبانية مثل جلمانية هي Jurumenha بالإسبانية ، وقد
استولى عليها الملك البرتغالي الفونسو أنريكث عام (٦٢٨ هـ)
١٢٣٠م . وعلى الرغم من المآخذ التي نأخذها على هذا الكتاب من
تعصب لبنى دينه ضد المسلمين ومن مبالغات ممقوتة وأخطاء في الأسماء
والتواريخ فقد أفادنا كثيرا ، وعلى وجه الخصوص عندما تناولنا سقوط
بطليوس في أيدي الليونيين (٦٢٨ هـ) ١٢٣٠م ، فقد رجع مارتيث أي
مارتيث الى العديد من المدونات المسيحية التي تتبع سقوط بطليوس
منذ نشأة نظام جماعات الفرسان ، وتناولت هذه الفترة بنوع من
الاستفاضة بعكس المصادر العربية التي أشارت إشارة عابرة عن سقوط
مدن الغرب ، فتحدثت عن سقوط ماردة وقيام الحرب بين جيش ابن هود

Tbid, P. 357-359.

(١٣)

Tbid, P. 383.

(١٤)

Tbid, P. 395.

(١٥)

Tbid, P. 437-438.

(١٦)

وبين الجيوش الليونية ، وهزيمة المسلمين ، وانتقال الليونيين عقب انتصارهم الى بطليوس للاستيلاء عليها ، ولكنها لم تذكر أية تفاصيل حول سقوط المدينة ، مما دفع مؤرخا مسلما مثل المقرئ الى القول بأن بطليوس كانت في حالة سيئة للغاية مما دفعها الى الاستسلام بسرعة دون أى مقاومة (١٧) .

وقد اخذنا برأى مارتينث أى مارتينث فيما يتعلق بالمناقشة التى دارت حول سقوط ماردة فى يد الفونسو التاسع ، فهل سقطت فى يده بعد الموقعة التى دارت بينه وبين ابن هود أم سقطت قبل بداية المعركة مع ابن هود ؟ ومن الجدير بالذكر أن مارتينث يؤيد سقوطها قبل بداية الموقعة .

وقد تتبع مؤرخنا خطوات نظام جماعات الفرسان منذ نشأته فى الممالك المسيحية ، ووضح أثره فى تنشيط حركة الاسترداد Reconquista بحيث يمكننا ان نقول أنه بظهور نظام جماعات الفرسان فى اسبانيا ، تكون حركة الاسترداد المسيحية قد صبغت بصيغة دينية بحثة بعد ان فقدت الطابع القومى وحده الذى كانت تتسم به من قبل (١٨) .

وقد رجع المؤلف مارتينث فى كتابه هذا الى العديد من الوثائق والمدونات المسيحية الاسبانية والبرتغالية ، يضاف الى ذلك أنه لم يغفل العديد من المصادر العربية الهامة ، فقد رجع الى الكثير منها ، مثل ذلك أنه يأخذ برواية ابن عذارى (١٩) فى أن بطليوس ترجع فى حقيقتها التاريخية الى عصور أقدم من العصر الوسيط الاسلامى ، فكانت عند نزول ابن الجليقى بها ، قرية بسيطة مما يؤكد أسبقيتها على

(١٧) المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٢ ص ٥٨٢ .

(١٨) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٠٥ .

Martínez y Martínez Op. Cit., P. 278-288.

(١٩)

العهد الاسلامى (٢٠) . ومن الامثلة الدالة على ذلك أيضا اعتماده على ابن عذارى عند تأريخه لتاريخ الخلافة في عهد المنصور بن أبى عامر (٢١) ، كما أنه يعتمد على كتاب تاريخ افتتاح الاندلس لابن القوطية وعلى كتاب العبر لابن خلدون حينما يتحدث عن ثورة عبد الرحمن بن مروان الجليقى (٢٢) ويعتمد كذلك على الحلل الموشية وروض القرطاس لابن أبى زرع حينما يؤرخ لبطليوس في العهد المرابطى (٢٣) .

ولنا ملاحظة هامة للغاية ونحن بصدد تقويم هذا العمل الكبير الذى قام به مارتينث اى مارتينث ، هذه الملاحظة تتعلق بالمنهج الذى اتبعه المؤلف فى بحثه ، فمن صفات الباحث أو المؤرخ أن يكون موضوعيا بعيدا عن التحيز أو الميل لطرف دون الآخر أو تأييد رأى على رأى ، وفى كتاب مارتينث وجدنا العديد من العبارات التى تدل على تعصبه الشديد للجانب المسيحى وكراهيته العمياء للاسلام والمسلمين ، بل أنه لم يكن يخفى أحيانا احتقاره الشديد للمسلمين واعتقاده بأن العرب والبربر المسلمين ليسوا سوى همجا بدائيين يتسمون بالقسوة والغلظة والبداءة ، ومن امثلة أسلوبه القاسى اللاذع الذى جرح به الاسلام وافترى به على الشريعة الاسلامية عبارته التالية « وفى عهد عبد الرحمن الداخل تحولت الادارة الى حكم استبدادى وعندئذ بدا المسيحيون المستعربون فى الثورة على الظلم الغاشم الواقع عليهم ، من جانب الحكومة التى نكثت بعهودها التى ارتبطت بها مع المسيحيين منذ الفتح ، وأمام هذا الوضع المضطرب ، ساندتهم المولدون الذين كانوا موضع احتقار من العناصر العربية، وكان العرب يعاملونهم معاملة قاسية شأن المسيحيين ، على الرغم من أعدادهم الكبيرة وثقافتهم الواسعة (٢٤) ٠٠٠ » ، وكذلك قوله « أما

Martinez y Martinez, Op. Cit., P. 21, 52.

(٢٠)

Ibid, P. 86.

(٢١)

Ibid, P. 56.

(٢٢)

Ibid, P. 288, 181.

(٢٣)

Martinez y Martinez, Historia del reino, Op. Cit., P. 53.

(٢٤)

مسيحيو قرطبة الذين لم يستطيعوا الثورة لكثرة قوات الحرس الاميرى
فى قرطبة فقد قصروا ثورتهم على المقاومة السلبية وعلى الاستشهاد فى
صمت ، وتعرضوا بذلك لمذابح الشريعة الاسلامية (٢٥) . . . » .

كذلك طعن مارتينث فى الامير محمد بصورة مبالغ فيها ويتمثل
ذلك فى قوله « وبدأت الفوضى تسود كل المملكة ، فبينما كان الامير
مستغرقا فى جمع الاموال واشباع بخله ، وبينما كان البلاط مشغولا
فى محاكمة واعدام المسيحيين القرطبيين » (٢٦) .

هذا الى جانب طعنه الشديد للمرابطين واحتقاره لهم فى كتاباته ،
فنعتهم بالجهل والافق المحدود والهمجية ، ومن أمثلة ذلك قوله « كان
امراء المرابطين لجهلهم بالعلوم حريصين على استلهاهم سياستهم بمشورة
الطبقة الكهنوتية (٢٧) الذين أسلموا لهم القيادة فى الادارة الحكومية ،
ولهذا تعرض الشعراء والفلاسفة وسائر الطبقة المستنيرة لنوع من التعصب
غير المحتمل ، لقد حل بهؤلاء الرجال ، علماء الادب والفكر الذين
كانوا ينعمون بالتقدير والاعزاز فى عصر الطوائف ، من التعصب الدينى
المرابطى الفاحش ، ومن التحقير الذى لازمهم بصورة متواصلة ، وكانوا
ساخطين على هذا الوضع المجحف الذى اضطرهم الى شراء سلامتهم
وراحتهم بالاموال (٢٨) . . . » وقوله « أما بالنسبة للنصارى فقد
تحملوا آنذاك ظروفًا غاية فى الشدة اذ أن تعصب المرابطين الذى استغله
بحذق فقهاء الاندلس لم يقف عند حد ، وبسببه تعرضت كثير من الكنائس
للهجوم والتدمير (٢٩) . . . » وبسبب حقه الشديد على المرابطين ،

Ibid, P. 53.

(٢٥)

Ibid, P. 57.

(٢٦)

(٢٧) هذا خطأ فاحش فلا يوجد فى الاسلام طبقة كهنوتية أو كما يفهم
من هذا الاصطلاح طبقة رجال الدين .

Martinez y Martinez, P. 182.

(٢٧)

Ibid, P. 182.

(٢٩)

لتدنيهم وحرصهم على مصلحة الاسلام والمسلمين فى الفترة الاولى من حكمهم اخطأ فى التاريخ لحكومتهم ، فذكر تحت عنوان « حكومة المرابطين » : « نعمت طبقة رجال الدين والفقهاء بكثير من الامتيازات فى عهد المرابطين » (٣٠) . ومرجع خطئه فى هذه النقطة أن الاسلام لم ينشئ طبقة من رجال الدين ، واذا كان يقصد بهم الفقهاء فان فقهاء الاندلس المالكية فى دولة المرابطين ، لم يكن لهم أى مظهر كهنوتى ، وكل ما فى الامر أن هؤلاء الفقهاء كانوا أكثر من غيرهم من الناس تفقها فى العلوم الدينية ، ولهذا كانوا موضع احترام الخاص والعام ولم يشككوا طبقة متميزة فى المجتمع المرابطى .

ولكن بخلاف هذا الخطأ الذى وقع فيه مارتينث أى مارتينث فان كتابه يعد عملا كبيرا افادنا الى حد كبير فى رسالتنا ، فهو تعرض لتاريخ بطليوس منذ عصر ما قبل الفتح الاسلامى، وحتى ما بعد سقوطها فى ايدى الليونيين عام ٦٢٨هـ (١٢٣٠م) وان كان قد مر فى بعض أجزاء كتابه مرا سريعا على تاريخ المدينة دون أن يوجه له ما يستحقه من اهتمام بينما فصل الحديث فى مواضع أخرى من بحثه .

فرنثيسكو كوديرة : « بنو مروان الجليقى » :

يعتبر هذا البحث الذى اعتمدنا عليه عند تأريخنا للثورة التى قام بها بنو مروان الجليقى فى ماردة ويطليوس من أهم البحوث التى تناولت فترة متقدمة من التاريخ السياسى البطلليوسى، وهو بحث أساسى لدارتسى هذه الفترة الهامة من تاريخ الغرب الاندلسى فى عهد الامارة ، وقد رجعنا الى ذلك المقال وعنوانه « Los Beni Meruan en Mérida y Badajoz » . هو أحد مجموعة مقالات جمعها فرانثيسكو كوديرة فى كتاب فى عنوانه (Estudios críticos de Historia arabe española)

وقد صدر في مدريد عام ١٩١٧ ، ويشمل المقال الاربعة وسبعين صفحة الاولى من هذا الكتاب .

ويستعرض كوديرة في هذا المقال الكثير من الاحداث السياسية الهامة التي سبقت عصر مروان الجليقي وولده عبد الرحمن في ماردة ، ويوضح لنا كيف أن ماردة كانت من أكثر مناطق الاندلس عصيانا للحكم الاموي (٣١) ، مما جعل هذه الاخبار بمثابة خلفية رائعة للقارئ والباحث عن أهم أحداث تلك الفترة الهامة ، وأن كنا نعيب على هذا المستشرق الكبير أنه أورد العديد من التفاصيل من الاحداث التي سبقت عهد بنى الجليقي في ماردة وبطليوس بحيث لم تعد مجرد خلفية للاحداث وانما شكلت مقالا آخر من الممكن أن يكون مستقلا بذاته ، فعلى مدى أربع وعشرين صفحة أخذ كوديرة يستعرض تلك الاحداث . وقد اعتمد في كتابته لهذا البحث أساسا على جمع أقوال المؤرخين وترتيبها ترتيبا زمنيا ، الأقدم فالأحدث ، ففي بداية البحث يرجع الى ابن سعيد ويعتمد على نصوصه عندما يتعرض لذكر أحداث عام ٢٠١هـ (٣٢) (٨١٦ م) ، ثم يأتي بنصوص اقتبسها من الكامل في التاريخ لابن الاثير لأحداث عام ٢٠٣هـ (٨١٨ م) (٣٣) ، وينتقل بعد ذلك الى ثورة محمود بن عبد الجبار ويتناولها بالتفصيل فيعرض لتطوراتها وأسباب انتقاله الى الملك الفونسو العفيف واستقراره هناك في كنفه بعد أن تحصن في حصن سانتا كريستينا على نهر مينة Mino وهو حصن يبدو أنه وهبه له واتخذه محمود بن عبد الجبار حصنا له ، كما أوضح أن العلاقة الطيبة التي ربطت بين الثائر المسلم وبين الملك الجليقي لم تستمر طويلا ، وقد رجع كوديرة هنا في هذه النقطة التي تختص بثورة

Codera, los Benimeruan en Merida y Badojoz, P. 3.

(٣١)

Codera, Ios Benimeruan, en Merida y Badajoz, P. 5.

(٣٢)

Ibid, P. 5-6.

(٣٣)

محمود بن عبد الجبار الى العديد من المصادر العربية مثل ابن خلدون (٣٤) وصاحب أخبار مجموعة وابن القوطية ، ورجع كذلك الى العديد من المدونات المسيحية وقارنها بالأخبار الواردة في المصادر العربية . ومن أهم المدونات المسيحية التي رجع اليها كوديرة وجمعها فلوريث في كتابه الكبير *Espana sagrada* مدونتا البلدة وسباستياني (*Cronicon Albeldense*) (٣٥) ومدونة (*Cronicon Sebastiani*) .

ومن أهم مزايا كوديرة الحيدة والموضوعية التامة وعدم الانحياز الى آراء المؤرخين النصارى التي وردت في المدونات السابق ذكرها ، لذلك فقد كان يأخذ بالآراء التي يراها أكثر استساغة للعقل والمنطق وترتيب الأحداث زمنيا ، وعلى سبيل المثال فقد أخذنا بما أوردته المصادر العربية عن سنة وفاة محمود بن عبد الجبار في عام ٢٢٥هـ (٨٣٩ م) (٣٦) .

ورغم هذه الفضائل والمزايا التي تميز بها بحث كوديرة عن بنى مروان الجليقى الا أن استطراده وتوسعه في شرح ثورة محمود بن عبد الجبار وسليمان بن مرتين قد خرج به عن صميم الموضوع وهو ثورة بنى

Ibid, P. 11-13.

(٣٤)

(٣٥) عثر عليها في دير البلدة الواقع قريبا من مدينة لوجرونيو Logrono في وادي ابره وتشتمل على تاريخ مختصر للملوك القوط في اسبانيا وتاريخ الممالك المسيحية التي ظهرت في شمال اسبانيا ومختصر لتاريخ العرب في المشرق وفي الاندلس ، وتنتهى الاخبار بأحداث السنوات العشر الاولى من عهد الملك الفونسو الثالث العظيم (انظر جمال الدين الشيال ، التاريخ الاسلامى واثره في الفكر التاريخى الاوروبى في عصر النهضة ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ٢٧ ، وانظر أيضا :

Gamal El Din el Shayal, Ahmed Mokhtar el Abbadi, Islmaic and arab contribution to the european Renaissance, Cairo, 1977, P. 283).

Codera, los Benimeruan en Merida y Badajoz, P. 22.

(٣٦)

مروان في ماردة وبطليوس ، ورغم أن الثورات السابقة على ثورة الجليقى في الغرب الاندلسي تعد خلفية هامة للامام بالظروف والأحداث التي أثرت في ثورة بنى الجليقى ، وطبعتها بسمات مميزة إلا أن هذا لا يمنعنا من القول بأن هذا التفصيل من كوديرة في شرح تلك الأحداث توسع كان يمكن اختصاره ، فبدلاً من أن يشتمل هذا الجزء الذي نعهده نحن بمثابة مقدمة تفيد في تسليط الضوء على الظروف السياسية المحيطة ببداية ثورة بنى الجليقى على خمس وعشرين صفحة ، كان من الممكن أن يقتصر على عشر صفحات فقط تجنب الباحث من تشتت الذهن أو ربما كان الأفضل أن يضع كوديرة لبحته عنواناً يقتصر على ما يلي « ثورات ماردة وبطليوس ضد السلطة المركزية في عهد الامارة » .

وإذا انتقلنا الى صميم موضوعنا وهو بنى مروان الجليقى فسنرى أن كوديرة يفتتح حديثه عنهم بقوله « وقد كتبت فيه (يقصد عبد الرحمن بن مروان الجليقى) وفي أسرته مصنفات ومصنفات ، ولكن للأسف لم يصل إلينا عنه إلا أخبار متفرقة من الصعب تجانسها في دراسة علمية ، ولهذا فسنتصر على ترجمة النصوص (٣٧) (٠٠٠) ولعل هذه الفقرة التي ذكرها كوديرة في بدء حديثه عن بنى الجليقى هي بمثابة تحليل للمنهج الذي انتهجه في بحثه ، وهو ما سبق أن ذكرناه ، من جمعه للنصوص العربية المتعلقة بالموضوع وترتيبها حسب أقدميتها دون تدخل كبير منه ، ولنضرب لذلك مثلاً ، فهو قد بدأ حديثه عن عبد الرحمن بن مروان بترجمة الضبى له ، وهي التي جاءت تحت رقم ١٠٤٥ رغم أنها ترجمة هزيلة لم تزودنا بمعلومات وافية عن هذا الشائر القوى ، واكتفى كوديرة بترجمة ما أورده الضبى ووضعه كما هو في مقاله ، ثم أورد ما ذكره ابن عذارى عن ابن مروان عند حديثه عن ثوار الاندلس ، ثم أورد ما ذكره ابن القوطية (٣٨) . . . الخ .

نقل كوديرة كل هذه النصوص دون أن يكلف نفسه مشقة استنباط حقائق تاريخية من خلالها أو يعلق تعليقا ما أو يثير بعض القضايا الجديرة بالتأمل والتفكير .

ومن أهم الآراء التي أوردها كوديرة (٣٩) وأخذنا بها نقده لرأى دوزى ، فقد استعرض دوزى في براعة تامة الاخبار المتعلقة بأعمال ابن مروان ، ولكنه خصص له دورا أكبر من حقه ، فقد ذكر أن ابن مروان بعد أن تمكن من حشد عصابة من مسالة ماردة ومولديها ، أخذ يدعوهم الى دين جديد ، هو وسط بين الاسلام والمسيحية ، متعاهدا مع الفونسو الثالث ملك ليون ، الذى كان بمثابة الحليف الطبيعى لجميع من يثور ضد حكومة قرطبة ، ويبدو أن العبارة التى ذكرها دوزى عن دعوة الجليقى من معه لدين جديد قد اقتبسها من ابن حيان وترجمها ترجمة حرفية ، ويهمنى أن نسجل عبارة ابن حيان « فارق الجماعة ، وجاور أهل الشرك ووالاهم على أهل القبلة ثم بدا له غير ذلك آخر ، ففارق مجاورة الكفرة ولاذ بالطاعة (٤٠) » . كذلك يقول ابن عذارى « ومنهم عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقى اقتعد مدينتى بطليوس وماردة ففارق الجماعة وجاور أهل الشرك ، ووالاهم على أهل القبلة » (٤١) .

ومن خلال هذه النصوص العربية اتضح لكوديرة كما اتضح لنا أن دوزى قد أساء فهم تلك النصوص أو أنه بالغ في تخيل قوة ونفوذ الجليقى ، فليس معنى استعانة الجليقى بملك ليون والتجائه اليه ان يقوم بالدعوة لدين جديد ، ولقد كان تحليل كوديرة لرأى دوزى وعرضه لرأيه فيما يختص بتلك النقاط قويا ، مما جعلنا نأخذ بهذا الرأى ونغلبه على رأى دوزى .

Tbid, P. 27.

(٣٩)

(٤٠) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ١٥ .

(٤١) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٣٥ .

وكما سبق أن سقنا مثالا يوضح التزام كوديرة في كثير من الأحيان بالنصوص العربية إذا ما تعرض لذكر نقطة أو خبر ورد ذكره في كل من المصادر الإسلامية والنصرانية ، فإننا سنأتى هنا بمثل آخر يوضح هذه السمة التى اتسم بها كوديرة ، فقد رجع كوديرة الى كل من ابن عذارى وابن الاثير عند تعرضه لذكر حملة الامير محمد الى ماردة فى عام ٢٥٤هـ (٨٦٨م) وهى الحملة التى حاصر فيها المدينة مدة من الزمن حتى اذعن أهلها فنقلهم الى قرطبة بأموالهم ، وهدم سور ماردة ، ولم يترك الموضع الذى كان يقيم به عماله وولاته هناك . ولم يتردد كوديرة فى الاخذ برواية هذين المصدرين بدلا من الرواية المسيحية التى ساقها الاسقف دون رودريجو الطليطلى فى مدونته عن تاريخ العرب (Roderici Toletani, Historia Arabum) الذى تعرض لحملة الامير محمد ، ولكنه أدرجها تحت سنة ٢٤٨هـ (٨٦٢م) (٤٢) .

ولكننا نعيب على كوديرة اعتماده فى كثير من الأحيان على ابن خلدون كمصدر أساسى لمعلوماته رغم ما اتسمت به نصوص ابن خلدون والتواريخ التى يسجلها من أخطاء ، ومع ذلك فنحن نلتزم لكوديرة الكثير من الاعذار ، فمصادره فى ذلك الوقت عام ١٩١٧ كانت تقتصر على ابن عذارى وابن الاثير وابن الخطيب ، وأخبار مجموعة وتاريخ ابن القوطية ، وابن خلدون . ورغم تعدد هذه المصادر الا أنها لا تكفى لتزويدنا بتفاصيل الأحداث التى جرت فى عهد الامير محمد بينه وبين الثائر عبد الرحمن الجليقى ، ولم يرفع النقاب عن تلك التفاصيل الهامة الا بعد نشر القطعة الخاصة بتلك الفترة من الامارة من المقتبس لابن حيان وهى التى قام بنشرها وتحقيقها الدكتور محمود على مكى ، فبظهورها أميط اللثام عن كثير من النقاط الغامضة وتراپطت بها الاخبار التى وردت ممزقة ومليئة بالثغرات ، واعتمد عليها كوديرة ، ومما لا شك فيه

أن كوديرة بذل جهدا كبيرا «حاول الافادة بقدر المستطاع من كل النصوص التى فى متناول يده للكشف عن الغموض الذى خيم على تلك الفترة التاريخية .

ولكن اعتماده على بعض النصوص والاخبار التى أوردها ابن خلدون قد أوقعه فى بعض الاخطاء التاريخية ، فقد اخذ كوديرة بما ذكره ابن خلدون عام ٢٥٥ هـ (٨٦٨ م) عندما اكد ان عبد الرحمن بن مروان الجليقى قد ذهب فى هذا العام الى ليون واتصل وده بملكها الفونسو وأقام عنده ولذلك فقد عرف بالجليقى (٤٣) . وفى حقيقة الامر فان ابن مروان الجليقى لم يذهب الى ليون الا فى عام ٢٦٣ هـ (٨٧٦ م) وكان يقوم حتى منتصف عام ٢٦٣ هـ (٨٧٦ م) أى قبيل رحيله الى ليون مباشرة بالسلب والنهب ، وقد وضحنا بالتفصيل هذه المرحلة من ثورة الجليقى فى الفصل الخاص بذلك من رسالتنا ، وذكرنا اهم المصادر التى اعتمدنا عليها (٤٤) .

والشئ الغريب أن كوديرة عاد بعد عدة صفحات لياخذ برواية ابن عذارى التى تؤكد انه فى عام ٢٦٣ هـ (٨٧٦ م) خرج الجليقى الى بلاد العدو واستقر بها (٤٥) ، ورغم ذلك فان كوديرة لم يعلق على الخبر الذى نقله من ابن خلدون ولم يوضح رايه الشخصى فى رحيل ابن مروان الى ليون ولم يذكر اية تفاصيل عن ذلك . ومع ذلك كله فان كوديرة فى بداية مقاله سجل رفضه لراى ابن خلدون فى النص السابق ذكره القائل بأن الجليقى قد تلقب بهذا اللقب بسبب رحيله الى ليون والتجائه الى ملكها الفونسو (٤٦) ، وقد أخذنا نحن برأى كوديرة هذا

(٤٣) Coderia, Los Beni Meruan, Op. Cit., P. 31.

(٤٤) ابن حيان ، المقتبس من انباء أهل الاندلس ، ص ٣٨٣ ، ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٠٣ .

(٤٥) Coderia, Op. Cit., P. 38.

(٤٦) Ibid, P. 3.

كما سيتضح في الفصل الخاص بابن مروان ، فلقب الجليقي قد اكتسبه ابن مروان قبل رحيله الى ليون ، وقد تلقب به لأن اصوله واصل أسرته ترجع الى منطقة استراما دورة التي التي كانت تسمى في تلك الآونة باسم جليقية .

ومما سبق عرضه يتضح لنا أن كوديرة رغم أنه خلق من مجموعة النصوص التي لديه مقالا هاما ، حاول فيه أن ينسق بين الروايات المختلفة ، وأن يعرض مجموعة من الافكار التي بلا شك فتحت امام العديد من الباحثين مجالات وآفاق جديدة ، الا انه لم يعن بترتيب تلك الافكار وتوضيحها ، فهو قد تعرض للقب « الجليقي » على سبيل المثال في الصفحة الثالثة من مقاله ، ثم وضع نص ابن خلدون الذي اعتمد عليه في الحادية والثلاثين ، وبهذا يكون نقده لنص ابن خلدون قد سبق وروده بحوالى ثلاثين صفحة ثم عاد في الصفحة الثامنة والثلاثين الى ذكر نص لابن عذارى يناقض ما ورد في نص ابن خلدون دون تعليق منه أو تحقيق ، وهذا لا يعنى سوى أن كوديرة كان يأخذ النصوص العربية دون أن يفحصها أو يدقق فيها وكأنه كان يهتم بجمع أكبر قدر ممكن من تلك الاخبار والنصوص في المصادر العربية دون تحقيق أو تعليق .

ويعتمد كوديرة في سرد أحداث عام ٢٦١هـ (٨٧٤م) على كل ما كان في متناول يده من نصوص عربية في ذلك الوقت مثل نص ابن الاثير وابن عذارى وابن سعيد . ولكنها تشير الى ان ابن الجليقي وأصحابه رحلوا بعد هروبهم من قرطبة في ذلك العام الى قلعة الحنش . وبالرجوع الى المقتبس لابن حيان ، بتحقيق الدكتور محمود على مكى تبين أن هؤلاء الثوار اتجهوا بعد هروبهم من قرطبة أولا الى حصن الثلج (٤٧)

(٤٧) حقق الدكتور محمود على مكى اسم هذا الموضوع تحقيقا دقيقا ، فرجح أن يكون له ارتباط بحصن شلبطرة لورودهما معا في نص الحميري في معرض حديثه عن الحملة التي قادها محمد الناصر =

وبعدها ، الى قلعة الحنش (٤٨) . وقد جاء هذا الخبر الذى أورده ابن حيان جديدا ومختلفا عن كل ما ورد فى باقى المصادر العربية الأخرى ، وبالتالى فان كوديرة لم يعلم به ولم يذكره فى مقاله (٤٩) . وبسبب عدم رجوع كوديرة الى هذا الجزء الهام من مقتبس ابن حيان لعدم ظهوره وقت ان كان يصنف بحثه ، فان كوديرة لم يطلع على تفاصيل هذه الفترة من ثورة ابن الجليقى كما ذكرها ابن حيان ، ولذلك فهو لم يذكر قدوم سعدون السرنباقي فى هذا العام ٢٦١هـ (٨٧٤م) ولم يذكر أن مكحول ابن عمر احد أعوان الجليقى كان قد استولى على قلعة جلمانية Jurumenha فى هذا العام لصالح ثورة المولدين ، ولم يذكر أن أبناء عبد الرحمن بن مروان الجليقى الثلاثة منتصر ومروان ومحمد كانوا يصحبون أباهم فى ثورته هذه . لم يذكر كوديرة ذلك بطبيعة الحال لأن هذه التفاصيل والاخبار لم تكن متوفرة لديه آنذاك ، لذلك كان علينا أن نرجع الى مقتبس ابن حيان الذى تعرض لذكر تلك الاحداث واستفدنا منه الى اكبر مدى ، فوضحنا كيف حاصر الامير محمد ، ابن مروان الجليقى بقلعة الحنش ، وكيف قسم الامير محمد عسكره الى أربعة أقسام يحيط كل قسم منها بجهة من جهات القلعة على حدة ، كما وضحنا أن العلاقة بين ابن مروان الجليقى ، وبين الامير عبد الله ، وكانت

= الموحدى على قشتالة فى سنة ٦٠٨هـ (الحميرى ، ص ١٠٨)
ويعتقد أن شلبطرة الواردة ربما يكون المقصود بها ما يعرف
اليوم باسم Salvatierra de los Barros الواقعة على
سفح جبل شديد الارتفاع كثير الثلج بحيث تبعد عن ماردة
بنحو ٦٠ كم وعن قلعة الحنش بنحو ٥٠ كم ، ويفترض أن
يكون جبل الثلج هو نفس هذا الجبل المسمى Sierra de Gerez
لبرودة قممه (انظر تعليق رقم ٥٧٦ من هوامش
المقتبس لابن حيان ، بيروت ، ص ٦٢٨ - ٦٢٩) .
(٤٨) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د . محمود على مكى ،
ص ٣٤٧ .

ودية ، لذلك فقد استجار ابن مروان بالامير عبد الله والتمس منه أن يتوسط له عند والده الامير محمد ، لكي يرفع الحصار الذي طال أمده وأرهق الثوار (٥٠) .

كذلك أغفل كوديرة الكثير من الروايات التي أوردها ابن حيان واعتمدنا عليها ولاسيما فيما يتعلق بالخطوات التي سبقت دخول ابن مروان الجليقي الى حصن كركي ، وكذلك فيما يتعلق بأحداث المرحلة الرابعة من ثورة الجليقي ، وهو أيضا لم يتعرض بالشرح الوافي المستفيض لتفاصيل التجاء عبد الرحمن بن مروان الجليقي الى مملكة ليون .

وقد أشار كوديرة بطريقة خاطفة وسريعة الى غزوة البربرية التي جرت بين ابن مروان ومعه أنصاره من الثوار وبعض عسكر ليون « وذلك بعد التجائه الى ليون عام ٢٦٣هـ » وبين جند الامارة ، وفيها انتصر الجليقي انتصارا حاسما ، وقد اعتمدت في ذكر خبر هذه الغزوة على كل من ابن خلدون وابن الاثير ، ولكن كوديرة لم يحدد اسم هذه الموقعة رغم ورود اسمها في المصادر التي رجع اليها ، خاصة في البيان لابن عذارى كما لم يحدد الزمن الذي جرت فيه ، مما أفقد هذه الغزوة جزءا كبيرا من أهميتها ، وبالإضافة الى ذلك فان كوديرة قد زعم في سياق حديثه عن ثورة ابن الجليقي أنه خرج على كل من قرطبة وليون مما جعل الفونسو ملك ليون ينقلب عليه الامر الذي دعاه الى التعجيل بالعودة الى بطليوس ، واستند كوديرة في ذلك الى كتاب العبر لابن خلدون .

وبالرجوع الى ابن خلدون وجدنا أن شيئا من ذلك لم يرد على

(٥٠) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د . محمود على مكي ، ص ٣٥٥ .

الاطلاق ، فاما ان يكون كوديرة قد نسب الى ابن خلدون تفسيراً لعودة الجليقي من ليون ، واما ان يكون قد اخطأ في فهم نص ابن خلدون ، وعلى أية حال فقد رجعنا الى ما ورد في مقتبس ابن حيان ووجدنا ان اسباب الخلاف الذى دب بين الحليفين الفونسو ملك ليون ، وابن مروان الجليقي ترجع الى اغارة جند الفونسو على حصن دويل وقتلهم لاهله وكانوا ينتمون الى الجليقي ، على ما يبدو ، مما اثار حنق الجليقي ودفعه على ترك ليون .

واذا انتقلنا الى احداث عام ٢٨٦هـ (٨٩٩م) نجد ان كوديرة قد التبس عليه الامر في بعض النقاط أهمها قوله بأن الامير عبد الله قد ولى على بطليوس اميرين تابعين للامارة انتهى أمرهما بأن قتل أحدهما الآخر وقتل الذى بقى منهما على قيد الحياة على يد عبد الله حفيد عبد الرحمن الجليقي ، ويستطرد كوديرة بقوله ان الامير عبد الله قد توجه الى بطليوس وانه نجح في قتل الثائر القائم بها واستولى عليها عام ٢٨٦هـ (٨٩٩م) ، والواقع ان هذه الوقائع لم تحدث ولعل كوديرة قد ظن ان عبد الله الجليقي الذى استولى على بطليوس بعد مقتل واليها هو الامير عبد الله (٥١) .

اما عن احداث ثورة ابن القط فان كوديرة لم يشر اليها الا في بضعة سطور . ومهما كان الامر فان كوديرة رغم بعض المآخذ التى اخذناها عليه ورغم بعض الاضطراب والتفكك الذى يشوب البحث ، الا انه يعتبر أحد المراجع الأساسية في صلب هذا الموضوع وكان لزاما علينا قراءته قراءة متأنية ودقيقة .

ونستطيع ان نقرر ان كوديرة قد أنجز بكتابه لهذا المثال انجازا

ضخماً في حدود امكانيات المصادر المتوفرة لديه، وقد ساعد هذا المقال العديد من الباحثين في الكشف على كثير من النقاط الغامضة فيما يتعلق بثورة عبد الرحمن بن مروان الجليقي .

المؤرخ الاسباني مانويل البران :
«Manuel Torron Albarran» : El solar de los Aftasies

يعتبر من أهم المراجع الاسبانية التي خصصت لدراسة تاريخ بطليوس في عصر الطوائف ومن أكثرها تخصصاً وعمقاً فيما يتعلق بهذه الفترة الهامة من تاريخ بطليوس ، وقد وضع لنا الاستاذ البران في كتابه الاتساع الكبير الذي كانت عليه مملكة بنى الافطس وافاض في وصف اسوارها وابوابها بصورة وافية للغاية مما يؤهل وصفه لكل مدينة او حصن كان يتبع المملكة البطليوسية لأن يكون بحثاً ممتازاً قائماً بذاته ، وقد قام هذا المؤلف بنشر كتابه عام ١٩٧١ ، والحق ، لقد استعنا بهذا الكتاب واعتمدنا عليه اعتماداً خاصاً لأن الاستاذ البران في نظرنا يعد المؤرخ الوحيد الذي ألف في تاريخ مملكة بنى الافطس مؤلفاً وافياً وقيماً ، وقد بدأ البران دراسته السياسية بالتعريف بعصر ملوك الطوائف والظروف التي مكنت هؤلاء الملوك من الظهور ومن الاستقلال بممالكهم . وانتقل الى الحديث عن سابور الحاجب ، أول من استقل ببطليوس منذ أواخر عهد الحكم المستنصر وخلال عهد المنصور محمد بن أبى عامر ، وقد اعتبر البران عهد سابور بمثابة القنطرة أو البداية لعصر أسرة بنى الافطس :

ويعتبر بحث البران عن أصل بنى الافطس، وأسمهم ، وسبب هذا اللقب العجيب ، وربطه بالعديد من الأماكن الجغرافية في الجزء الغربى من شبه الجزيرة الاسبانية ، ومحاولته تتبع بعض الافراد الذين حملوا لقب ابن الافطس حتى موقعة العقاب ، وفي بلاد المكسيك ، بعد اكتشاف القارتين الجديدتين ، يعد هذا البحث أعظم ما كتب عن بطليوس مما

أفادنا الى أكبر حد عند تعرضنا للحديث عن هذا الموضوع (٥٢) .

هذا وقد قام البران بمحاولة تقريب الاسماء العربية للمواضع الطبوغرافية من الاسماء الحالية التى تحملها فى هذا الجزء الغربى الهام من الاندلس ، فأرجع الكثير من أسماء المواضع منذ العصر الاسلامى الوسيط وحتى الآن الى أصول اسلامية عربية أو بربرية مما فتح لنا أبوابا كثيرة كانت موصدة ، ووضح لنا حقائق كثيرة كانت غامضة من قبل .

وقد تعرض البران لذكر العلاقات التى ربطت بين مملكة بن الافطس البطليوسية وبين ملوك النصارى فى الشمال ، ولم يكتف بسرد تلك السلسلة الطويلة من المعارك والغارات التى دارت بينهما ، وإنما قدم لها بدراسة وافية عن العلاقات التى ربطت بين المسلمين فى بطليوس وبين النصارى منذ أيام الفونسو الاول عام (١٣٣ هـ) ٧٥٠ م وحتى عهد فرناندو الاول الذى أغار على أراضى المظفر محمد بن الافطس فى عام (٤٤٣ هـ) ١٠٥١ م (٥٣) .

كما أفاض فى عرض العلاقات العدائية بين مملكة بطليوس ومملكة اشبيلية من جهة ، وبين مملكة بطليوس وطليلة من جهة أخرى .

وقد اعتبر البران أن الحرب التى نشبت بين ملوك بنى الافطس وبنى غباد هى حرب جنس ، أو حرب عنصريين متصارعين هما العنصر البربرى والعنصر العربى (٥٤) . وكان هذا هو حال الاندلس منذ أواخر عصر عبد الرحمن الناصر .

أما فيما يتعلق بالحرب القائمة بين يحيى المامون بن ذى النون

Manuel Torron Albarran, el solar de los Aftasies, P. 27-73. (٥٢)

Albarran, Op. Cit., P. 49-104. (٥٣)

Ibid, P. 252. (٥٤)

والمظفر بن الافطس فان تاريخ هذه الحروب غير محدود أو ثابت في المصادر العربية مما جعل البران يحاول الامام بكل من كتب عن هذا الموضوع ، فقد رجع الى ابن الخطيب في « اعمال الاعلام » والى ابن حيان والى دوزى والى محمد عبد الله عنان ، وانتهى بأن قرر بانه من الممكن وضع الخلافات بين بطليوس وطليلة فيما بين عامى ٤٤٣ - ٤٤٧ هـ (١٠٥١ - ١٠٥٥ م) ومن هذا التاريخ تبدأ العمليات الحربية التى قام بها فرناندو الاول ضد مملكة بنى الافطس ، وهذا الرأى هو ما أخذنا به عند تأريخنا لهذه المعارك التى دارت بين المملكتين .

وقد سلط البران أضواء ساطعة على مدينة قورية ، ووضح لنا مدى أهمية هذه المدينة كمفتاح للمملكة البطليوسية ، ثم وضح كيفية سقوطها فى يد الفونسو السادس فى عهد المتوكل عمر بن الافطس وربط بين هذا الخطر المسيحى على قورية وبين الضعف الذى حل بممالك الطوائف فى تلك المرحلة والذى كان سقوط قورية فى ايدى المسيحيين ينهض دليلا عليه ، ثم تعرض لذكر سقوط مملكة طليلة فى عام ١٠٨٥ م وأثر ذلك على ملوك الطوائف ، ثم مجيء المرابطين وعبور أميرهم يوسف بن تاشفين الى الاندلس (٥٥) .

وأروع ما تحدث عنه البران باستفاضة هو موقعة الزلاقة (٤٧٩ هـ) ١٠٨٦ م لأنها الموقعة الأهم التى كما يراها المؤرخ عدلت مسار التاريخ الاسبانى الوسيط ، وكانت بداية النهاية للأسرة بنى الافطس فى بطليوس ولسائر ملوك الطوائف فى الاندلس . وقد اهتم البران بوجه خاص بدراسة الوضع الطبوغرافى لأرض المعركة وتطورها ونتائجها مع مقارنة الآراء الكثيرة التى جاءت فى هذا الصدد بعضها ببعض . ويمتاز كتاب أرض بطليوس للبران بانه الى جانب رجوعه الى العديد من

المصادر الإسبانية وغيرها استوعب كافة المصادر العربية التي تتعلق بهذه الفترة ، وعلى سبيل المثال كتاب « روض القرطاس » و « الحلة السـيـراء » و « المعجب » و « نفح الطيب » و « أعمال الأعلام » . الخ (٥٦) •

كما تعرض البران في كتابه لوصف أهم الطرق والمسالك بالمملكة البطليوسية وأهم حصونها ومدنها وثرواتها الاقتصادية ، وأهم السهول والفحوص وأهم الانهار والجبال والوديان . وقد اعتمد في دراسته على كافة المصادر الجغرافية الخاصة بتلك الفترة من مؤلفات الادريسي والبكري والحميري .

أما عن بطليوس المدينة ذاتها فقد جمع كل أقوال الجغرافيين الذين تحدثوا أو أشاروا ولو من بعيد إليها ، فتحدث عن مظهرها العمرانى وعن أبوابها وتفاصيل عمائرها ، وعن جناتها أو حدائقها ، ولم يكتف بالمصادر الجغرافية وإنما قرأ كل القصائد والأشعار الرفيعة التى عبرت عن مدح طبيعة بطليوس ومبانياتها ومنها منية قصر البديع الذى بناه عمر المتوكل حيث كان يعقد مجالس الشعر والطرب ، فذكر أنه فى خارج النطاق العمرانى للمدن كانت تنفتح ساحة كبيرة مخصصة لأعمال مختلفة ، كانت تسمى الشريعة أو المصلى ، وأحيانا كان يقوم المتوكل فيها بتدريب الخيل وهى رياضة كانت محببة الى نفسه كعادة المسلمين فى تلك العصور الوسطى (٥٧) .

وكان البران أحد المؤرخين الذين أخذوا برواية ابن عذارى ، في أن بطليوس رغم أنها تبدو إسلامية الانشاء الا أنها تسبق في تاريخها الفتح

Ibid, P. 131-237.

(57)

(٥٧) والمعروف أن تدريب الخيل وتمصيرها كان يقام فيما يعرف بالمصاراة (راجع بحث المصاراة ، للدكتور أحمد الطوخي (مقبول للنشر في مجلة جمعية الاثار بالاسكندرية)

الاسلامى، ويعبر عن ذلك بقوله «أن محتويات المدونات تتيح لنا أن نلمح أنه كان يسبق بناءها على النشز التسارىخى المسمى الربوة La Muela مركز عمرانى وأن كان قليل الأهمية وذو قوة دفاعية ضئيلة ، ولا يمكننا أن نغفل حقيقة الشواهد الرومانية التى كشفت وما أسفرت عنه البحوث الأثرية من وجود آثار قديمة جدا بببليوس ولا من القطع القوطية الرائعة التى تم العثور عليها (٥٨) .

وقد حاول فى عدة صفحات معرفة اسم ببليوس ، ثم مضى يتحدث عن ابن مروان الجليقى الذى كان أول من اهتم بببليوس منذ الفتح الاسلامى للاندلس (٥٩) .

والواقع أن هذا المرجع يعد من أهم المراجع التى يحتاج إليها الباحث فى تاريخ ببليوس ، وهو موضوعى ، خالى من التحيز بعكس المرجع السابق الذى ألفه مارتينث أى مارتينث ، مستوف لكل أصول البحث العلمى من حيث الرجوع الى كافة المصادر العربية والاسبانية ، ولذلك يستحق منا أن نضعه فى رأس قائمة المراجع الأوروبية التى رجعنا إليها رغم أنه أحدثها جميعا .

الدراسة التمهيدية

- ١ - الحقائق التاريخية عن الموقع القديم لبطليوس والآراء المختلفة حول الاسم .
- ٢ - الوضع الجغرافي لبطليوس
المدينة وأهم المراكز العمرانية لبطليوس الاقليم

الدراسة التمهيدية

١ - الحقائق التاريخية عن الموقع القديم لبطليوس والآراء المختلفة حول الاسم :

تقع مدينة بطليوس غربى مدينة قرطبة (١) على الضفة اليمنى من نهر واديانة (٢) Guadiana قبل أن يصب فى المحيط الاطلسى بنحو ستين كيلو مترا .

وكانت بطليوس فى عصر دولة بنى أمية فى الاندلس جزءا من اقليم ماردة (٣) ولكنها أصبحت فى عصر ملوك الطوائف حاضرة بلاد

-
- (١) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، مادة بطليوس .
 - (٢) ويذكر الادريسي أن واد يانه هو : « نهر ماردة وبطليوس ، وعليه حصن مارتنلة المشهور بالمنعة والحصانة وحصن قسطلة على نحر البحر ، وهو عامر أهل وله بساتين وغللات شجر التين كثيرا ، ومنه الى قرية طبييرة على مقربة من البحر ١٤ ميلا . » (الشريف الادريسي : المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، ليدن ١٨٦٨ ، ص ١٧٩) ويذكر الرازى « ونهر آنة ومنبعه بين شمال الاندلس وشرقيها فيما بين الجبل المسمى البويرة ، ومدينه رقبول (وهى فوق مدينة ريمية) ومنصبه فى البحر المحيط بأكشونة ومسافة طولها ثلاثمائة وعشرون ميلا . ونهر آنة هذا يفيض بين ماردة وبطليوس فيجرى متواريا حتى يبدو بموضع يعرف بفج العروس من فحص الفج ، ثم يفيض فيخرج بقرية من قرى قلعة رباح يقال لها آر » .
- انظر :

Lévi Provençal, la Description de L'Espagne d'Ahmed Al Razi, Al-Andalus, Vol. XVIII, Fasc. I, Madrid 1953. P. 102).

- (٣) الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم) : صفة جزيرة الاندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار فى خبر الاقطار ، تحقيق ليفى بروفنسال ، القاهرة ١٩٣٧ ، ص ٤٦ ، المقرئ (أحمد محمد المقرئ التلمسانى) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج ١ ، ص ١٥٦ ، ويصف ابن سبيد بطليوس نقلا عن الرازى بقوله «مدينة عظيمة كثيرة الحذق ، =

الجوف (٤) بغرب الاندلس (٥) . ومن المعروف أن اسم بطليوس لم يرد للمرة الاولى منذ الفتح الاسلامي للاندلس الا في عهد الامير محمد بن عبد الرحمن الاوسط ، وجاء ذكره في حوادث هذا العهد بمناسبة خروج عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقى على الامير الاموى في عام ٢٦١ هـ (٨٧٤ م) (٦) .

وعبد الرحمن الجليقى هذا هو الذى أسس مدينة بطليوس ، واستقل بها ، ويسجل هذا التاريخ بداية عهد من الازدهار شهدته مدينة بطليوس في عصر الدولة الاموية بالاندلس ، وعلى الاخص في عصر ملوك الطوائف وعصر دولتى المرابطين والموحدين الى حد أنها تفوقت على ماردة التى كانت قاعدة الاقليم ومركز ثقته في ظل الرومان والقوط

-
- = جامعة للخلق ، أرضها كريمة وهى على نهر آنة (انظر ابن سعيد « على بن موسى المغربى ») : المغرب فى حلى المغرب ، ج ١ ، تحقيق شوقى ضيف ، القاهرة ١٩٥٣ ، ص ٣٦٢ - ٣٦٣) ، ويشير ابن غالب الى أن بطليوس من كورة ماردة ويصفها بأنها « مدينة عظيمة كثيرة الحذق ، جامعة للخلق ، وأرضها كريمة ، ولها اقاليم عدة » (محمد بن أيوب بن غالب الغرناطى ، نص أندلسى جديد : قطعة من كتاب فرحة الانفس فى تاريخ الاندلس ، تحقيق لطفى عبد البديع . مجلة معهد المخطوطات العربية ، ج ٢ ، نوفمبر ١٩٥٥ ص ٢٩٠) .
- (٤) اصطلاح اهل المغرب والاندلس على اطلاق كلمة « الجوف » على شمال البلاد والقبلة على جنوبها ، تاريخ الاندلس لابن الشباط ، نصاب جديان تحقيق أحمد مختار العبادى ، حواش ، ص ١٤٧) والمقصود هنا ببلاد الجوف ، الثغر الجوفى او الثغر الادنى وهى المناطق الغربية من الاندلس .
- (٥) ابن سعيد : « المغرب فى حلى المغرب » ، ج ١ ، ص ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ومن الجدير بالذكر أن اصطلاح غرب الاندلس ، مازال يطلق فى يومنا هذا على المنطقة الممتدة غربى اشبيلية حتى المحيط وتسمى حاليا Algarbe ، وهو اسم محرف من الغرب .
- (٦) السيد عبد العزيز سالم : بطليوس ، مقال بكتاب الشعب ، عدد ٦١ ، ص ٦٦ .

الغربيين(٧) ، واستمرت تشغل مكان الصدارة حتى بداية ظهور بطليوس .

وهناك من المؤرخين والجغرافيين الاندلسيين وفي مقدمتهم ابن القوطية ، وابن سعيد المغربي ، والحميري ، من يرى أن بطليوس مدينة اسلامية الانشاء أحدثت في عهد الامارة على يد ابن مروان الجليقي : فابن القوطية يذكر أن ابن مروان الجليقي هو الذي ابتنى بطليوس ومدنها وعمرها(٨) . وكذلك أورد ابن سعيد نفس المعنى فذكر أن الذي أحدث هذه المدينة وكان أول بان لها هو عبد الرحمن الجليقي ، وكان « ابتداء خلافة على سلاطين بني مروان سنة احدى وستين ومائتين وتوارثها ولده »(٩) .

أما الحميري فيؤكد أن بطليوس حديثة الانشاء بنيت على يد ابن مروان الجليقي(١٠) . ولكننا نستدل مما رواه كل من ابن حيان ،

(٧) انظر تاريخ الاندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط ، المصدر السابق ، ص ١٤٧ . وقد وصف ابن الشباط ماردة فقال « وماردة احدى القواعد التي تخيرها ملوك العجم للقرار ابتداءها القياصرة وترددت فيها الملوك ، فتجددت بها الاثار بالبنيان المتقن والتزيين والرخام المعجب ... » وفي ماردة يقول الحميري « ماردة مدينة بجوف قرطبة ، منحرفة الى الغرب قليلا ، وكانت مدينة ينزلها الملوك الاوائل ، فكثرت بها آثارهم والياها المستجلبة اليها ، واتصل ملكهم الى أن ملك منهم سبعة وعشرون ملكا ، ويقال ان ذا القرنين كان منهم . ثم دخلت امة القوط فغلبوا على الاندلس فاقتطعوها من صاحب رومة واتخذوا طليطلة دار ملكهم . . . وقيل بل كانت دار مملكة لماردة بنت هرسوس الملك وبها من البناء آثار ظاهرة تنطق عن ملك وقدره ... » (انظر الحميري : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٧٥ - ١٧٦ ،

Carlos Callejo Serrano, Badajoz y su Provincia, Barcelona, P. 6.

(٨) ابن القوطية (أبو بكر محمد بن عمر القرطبي) : تاريخ افتتاح الاندلس ، تحقيق خوليان ريبيرا ، مدريد ١٩٢٦ ، ص ٨٩ - ٩٠ .

(٩) ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ص ٣٦٢ .

(١٠) الحميري : صفة جزيرة الاندلس ، ص ٤٦ .

عمدة مؤرخى الاندلس ، والبكرى ، وابن عذارى ، وابن خلدون أن موقع بطليوس كان مركزا عمرانيا قديما ثم هجر في فترة غير معروفة ، ودثر ولم يظهر كمدينة الا في عهد الامير محمد بن عبد الرحمن الاوسط على يد ابن مروان الجليقى .

وذكر ابن حيان في معرض حديثه عن عبد الرحمن بن مروان مروان الجليقى انه هو الذى بنى بطليوس واقتعدها دار مملكة (١١) ، ثم عاد ابن حيان ليذكر فى كتابه المقتبس قاصية الغرب . وهى يومئذ خالية بينها لنفسه ولمن معه (١٢) ، ونستنتج من نص ابن حيان أن بطليوس لم يستحدثها ابن مروان وينشئها . من فراغ ، فقد كانت على حد قوله موضعا قديما مهجورا « وهى يومئذ خالية » ، وهذا فى حد ذاته يعنى أن موقع بطليوس كان بلدة ذات اصول سابقة على الفتح الاسلامى وانها خلت من سكانها فى حقبة تاريخية لا نستطيع تحديدها وانها ظلت خالية الى أن أعاد ابن مروان تعميرها وبناءها . ويذكر البكرى انه لجأ الى حصن مرنيط من حصون جليقية وانعقد سلمه معه على أن يستقر ببطلليوس ويتخذها دارا ، وهى اذ ذاك خالية (١٣) . « . » ويوضح ابن عذارى هذا القول ، فيذكر أن الجليقى حين نزلها كانت يومئذ مجرد « قرية » (١٤) .

ويؤكد ابن خلدون ذلك فيصف بطليوس حين نزلها عبد الرحمن

(١١) ابن حيان (أبو مروان حيان خلف) ، المقتبس فى تأريخ رجال الاندلس ، القسم الثالث ، تحقيق الألب ملشور م . انطونية ، باريس ١٩٣٧ ، ص ١٥ .

(١٢) ابن حيان : المقتبس من أبناء اهل الاندلس ، تحقيق دكتور محمود على مكى ، بيروت ، ص ٣٤٥ .

(١٣) البكرى (أبو عبد الله البكرى) : جغرافية الاندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق دكتور عبد الرحمن على الحجى ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ١٢٢ .

(١٤) ابن عذارى المراكشى : البيان المغرب فى أخبار الاندلس والمغرب ، الجزء الثانى تحقيق ح . س . كولان ، وليفى بروفنسال ، بيروت ، ص ١٠٢ .

بأنها كانت خربة فشيدها الجليقي (١٥) ، وهذا خير دليل على أن بطليوس كان لها كيان فعلى قبل أن يمصرها ابن الجليقي وأنها خربت ودثرت وتحولت الى قرية خربة غير مأهولة بالسكان . ويأخذ عدد كبير من المؤرخين الاسبان الحديثين والمعاصرين برأى ابن حيان ومن يتفق معه فى الرواية من مؤرخى العرب وجغرافيتهم ، فيرجعون مدينة بطليوس الحالية الى اصول رومانية ويميل أكثرهم الى القول بأن موقع بطليوس كانت تشغله مدينة باكس أوجوستا Pax Augusta الرومانية وكانت معروفة فى مراحل الجادة الرومانية ولذلك عرفت بطليوس بأقليم « السلام » Pacense (١٦) . وينسب بعضهم بناء بطليوس الرومانية الى أغسطس قيصر شأنها فى ذلك شأن ماردة وغيرها من المدن التى تسمت باسم قيصر (١٧) ومنها سرقسطة (١٨) .

ويذكر ميليدا فى موسوعته الاثرية عن مدن اسبانيا ان الاثرى البرلينى Emilio Hübner يرجع انشاء بطليوس الى العصر الرومانى دون أن يحدد لها اسما بينما اختص مدينة باجة (١٩) باسم

(١٥) ابن خلدون (عبد الرحمن ابن خلدون المغربى) : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، القسم الاول ، المجلد الرابع ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٢٨٤ .

(١٦) José Ramon Mélida : Provincia de Badajoz, Texto I, Madrid, 1925, P. 377.

(١٧) Diego Suarez De Figueroa : Historia de la ciudad de Badajoz, Badajoz, 1976, P. 61.

(١٨) كانت سرقسطة تعرف باسم قيصر أغسطس Caesar Augusta
(١٩) عن باجة يقول الحميرى فى الروض المعطار « باجة الاندلس من اقدم مدنها بنيت فى أيام الاقاصرة ، بينها وبين قرطبة مائة فرسخ من الكور المجندة ، نزلها جند مصر وكان لواؤهم فى المسيرة بعد جند فلسطين . . . ، ومدينة باجة اقدم مدن الاندلس بنيانا وأولها اختطاطا واليها انتهى يوليوس القيصر وهو أول من سمى قيصر ، وهو الذى سماها باجة وتفسير باجة فى كلام العجم الصلح Pax (الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ٣٦) وباجة حاليا من مدن البرتغال وهى بخلاف باجة =

Julia Augusta (٢٠) . وهناك من المؤرخين من يجعل من ماردة وبطليوس (٢١) في العصر الروماني (٢٢) قاعدتين رئيسيتين لاقليم

= تونس التي تقع على الطريق من طبرقة الى تونس (راجع الادريسي : المغرب وارض السودان ومصر والاندلس ، ص ١١٥) .

(٢٠) انظر تعريف Pax Julia في Dictionary of greek and Roman Geography. فقد ورد في القاموس اليوناني/الروماني أن

مدينة Pax Julia (ويسود الاعتقاد انها باجة الحالية في البرتغال) مدينة في جنوبى لشدانية Lusitania على الطريق من اشتورياش Esuris الى يابرة Evora وكانت مستعمرة رومانية وربما تكون مدينة Pax Augusta التي ذكرها استرابون في المجلد الثالث فقرة (١٥١) على عادة الكثير من المدن التي كانت على عصر الرومان تتمتع بازدواجية في الاسماء ، وبرجوعى الى استرابون ، الجزء الثالث ، ص ٥٩ - ٦٠ فقرة (١٥١) وجدت انه ذكر في معرض حديثه عن أهم

المدن الرومانية القائمة في شبه جزيرة ايبيريا اسم Pax Augusta Emerita, Pax Augusta ، وأنه أغفل اسم Pax Julia ولهذا فان الكثير من المؤرخين يرجحون الراى القائل بأن Pax Augusta هي ذاتها Pax Julia او بطليوس ، ومنهم

Resende الذى عرض Albarran في كتابه El solar de los Aftasies لرايه ، وان كنا نميل الى ان باجة هي Pax Augusta و Pax Julia في ذات الوقت استنادا على راى Martinez y Martinez ، فهو لا يقر الراى القائل بأن بطليوس هي مدينة Pax Augusta فلو أن اسم بطليوس مقتبس من اسم Pax Augusta لكان نطقه أقرب الى Baxaugus

مثلا ، وحيث أنه لم يعثر على أى أثر أو نقش يحمل اسم Baxaugus فاننا نلتزم برأى Martinez y Martinez في رفض

الراى القائل بأن بطليوس هي ذاتها Pax Augusta

الرومانية ، وسأعرض فيما بعد بعض المقترحات حول أصل اسم بطليوس (انظر كتابه Historia del Reino de Badajoz, P. 22.

(٢١) يرى بعض المؤرخين الاسبان أن ماردة التي بنيت عام ٢٥ ق م

على ضفاف واديانه والتي كانت تسمى باللاتينية على أيام الرومان Colonia Emerita Augusta كانت في الواقع من أعظم مدن شبه الجزيرة الايبيرية أو بمعنى آخر روما اسبانيا باعتبارها

حاضرة لشدانية الرومانية مستشعدين بقول الشاعر Ausonio

» ماردة ، أيتها المدينة الشهيرة ، ان نهر كى يجرى بسرعة هائلة ليطويه البحر في أعماقه ، وانك لسيدة أسبانيا بأسرها « =

استرامادورة الذى كان القلب النابض لمنطقة لشدانية Lusitania (٢٣) إحدى ولايات ثلاثة كانت تشتمل عليها «إبارية» أو شبه الجزيرة الأيبيرية في تلك الآونة .

ويرجع بنيان بطليوس الى زمن يسبق بكثير عصر اغسطس قيصر (٢٤) ، الذى كان الرومان في أيامه قد بدأوا في انشاء المستعمرات ، وقد ورد في أحد المصادر الأسبانية أنه لو أن اغسطس بقواته وأجناده الرومان هو الذى أسس مدينة بطليوس لما كان قد احتاج الى التسهيلات والامتيازات الرومانية التى حصلت عليها بطليوس باعتباره هو وجنده مواطنين رومان لا يحتاجون الى الامتيازات والقوانين الرومانية (٢٥) .

= انظر : (Miguel Munoz De San Pedro, Badajoz, P. 20) ويرى هذا الباحث أن الآثار الرومانية في ماردة تدل على عظمتها وسيادتها ومن هذه الآثار الجادة الرومانية المرصوفة ومن أمثلتها الطريق الشهيرة الموسومة بطريق الفضة Via de la Plata وهى التى كانت تمتد من ماردة حتى اشتورياش ومن ماردة حتى جنوب الاندلس، ومن أمثلتها أيضا الكتل الجرانيتية الضخمة التى كانت تشكل بناء المسارح والمعابد الرومانية الرائعة ومنها الأعمدة والتماثيل الرومانية . ثم يذكر أن باقى المدن الرومانية العظيمة التى ظهرت مثل (Zalamea) — Colubri (Alanje) Regina (Reina) — Muniapuim Julipense قد ظهرت حول ماردة المركز الأهم والأعظم .

(٢٢) Serrano, C. Badajoz y su provincia, P. 5-6.

(٢٣) لمزيد من التفاصيل عن الآثار بولاية لشدانية القديمة راجع : (Melida. : Provincia de Badajoz T, I, P. 89-198.

(٢٤) De Figueroa : Historia de la ciudad de Badajoz, P. 61.

وقبل سيطرة الرومان على أسبانيا في عام ٢١٤ ق.م كانت إبارية تنقسم الى ثلاثة أقاليم هى طركونة وباطقة ولشدانية ، وكانت طركونة تسمى أسبانيا الدنيا Espana Citerior فى حين كان يطلق على كل من باطقة ولشدانية اسم Espana ulterior

(De Figueroa, Op. Cit., P. 47)

(٢٥) من الآثار الرومانية الهامة فى بطليوس لوحة من الحجارة

البيضاء تحتوى على بعض الرموز والكتابات والرسوم التى ترمز الى حية هرقل الذى حكم أسبانيا عام ١٦٧٨ قبل الميلاد (De Figueroa : Op. Cit., P. 63. انظر :

ولهذا السبب يستبعد دي فجيورا De Figueroa أن تكون مدينة بطليوس من انشاء اغسطس قيصر ، ويميل الى ارجاع انشائها الى عهد أكثر قدما . ويسوق De Figueroa عددا من الاسانيد والحجج لاثبات رايه الجديد ، فيذكر أن أسوار بطليوس المغرقة في القدم ترجع الى عصور تسبق العصر الروماني ، هذا بالإضافة الى تحليله لاسم المنطقة الواقعة بازاء البرج المعروف ببرج القديمة وكانت تسمى *Calea* نسبة الى الغال، ويستند في رايه بأن هذه المنطقة كانت مقرا للغال الذين تسموا في اليونانية بالكلت *Celtos* اعتمادا على عدد من الشواهد الاثرية عثر عليها في أماكن متعددة من بطليوس من بينها تيجان وابدان أعمدة وكميات كبيرة من قطع فخارية (٢٦) تنتمي جميعها الى الطرز الايونية والدورية والتوسكانية (٢٧) .

ولقد فحص Jose Ramon Melida جميع التحف الاثرية القديمة المحفوظة في متحف الآثار المحلي ببطلليوس وترجع الى عصور ما قبل التاريخ ثم صنفها الى عصورها المختلفة ، فأرجع بعضها الى العصر الحجري *La edad de Piedra* ، وبعضها الآخر الى عصر البرونز *La edad del Bronce* ، وسجل في معرض وصفه لهذه الادلة الاثرية

(٢٦) يعتمد De Figueroa في عرضه لهذه الشواهد الاثرية المنتمية الى الطرز الايونية والدورية والتوسكانية على الوصف الذي أورده ماركو فيتروبيو Marco Vitrubio لها . وقد بقى بعض هذه الشواهد - وذلك في عصر De Figueroa - في كنيسة سان بدرو في بوابات الميدان وعلى باب الحصن وفي الاسوار ولكن على وجه الخصوص في كنيسة سانتا ماريا ويتمثل ذلك في الاعمدة التي تحمل العقود (انظر :

(De Figueroa : Historia de la ciudad P. 64.

(٢٧) وعلى هذا نستنتج أن De Figueroa يرجع انشاء بطليوس الى العصر اليوناني حتى أنه وصفها في بداية كتابه « ومدينة بطليوس ليست منافسة لاسبرطة وهناك وحدة واتفاق مع جيرانها واتفاق ووثام بين سكانها » (Op. Cit., P. 36).

اسماء الاماكن التى تم العثور فيها عليها ، ومعظمها يقع فى مدينة بطليوس ذاتها أو فى المنطقة المحيطة بها .

ومن كتابات Mérida تتأكد لنا الحقيقة التاريخية لموقع بطليوس ، فبطليوس مدينة عريقة فى القدم ، وكانت مركزا حضاريا ومدنيا عريقا فى القدم يرتفع الى العصر الحجري القديم ، واذا ما تناولنا بالدراسة أهم الادوات الاثرية التى صنعها الانسان القديم فى بطليوس فى عصور ما قبل التاريخ يتبين لنا انها على قدر كبير من التقدم اذا ما قورنت بغيرها من الادوات الاثرية فى مجتمعات أخرى (٢٨) .

ومن أهم أمثلة الانتاج اليدوى لانسان بطليوس فى العصر الحجري La edad de Piedra ما يلى :

أولا - مجموعة دون سيزار جونثالث (٢٩) César Gonzalez

١ - فأس (٣٠) حجرية مصقولة ، حافتها مقوسة ويبلغ طولها ٠.٥ رم ، أما مدار حافة النصل فيبلغ ٠.٨ رم ، وقد عثر عليها فى موضع سانت فيثنتى القنطرية .

José Melida : Provincia de Badajoz, I, P. 8. (٢٨)

Melida : Ibid, P. 7-8. (٢٩)

(٣٠) عثر على هذه المجموعة فى منطقة سان فثنتى San Vicente القنطرية (نسبة الى قنطرة السيف) وقد أشار الحميرى الى هذا الموضع ، فقال « قنطرة السيف بالاندلس ، حصن بينه وبين ماردة يومان ، وهو حصن منيع على نهر القنطرة وأهلها متحصنون فيه ، ولا يقدر لهم أحد على شئ ، والقنطرة لا يأخذها القتال الا من بابها فقط ، والقنطرة هذه قنطرة عظيمة على قوس من عمل الاول ، فى أعلاها سيف معلق لم تغيره الازمنة ولا يدري ما تأويله » (الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٦٤) ونهر القنطرة هو نهر تاجة وفى ذلك يقول الادريسى « ونهر تاجة المذكور يخرج من ناحية الجبال المتصلة بالقلعة فينزل مارا مع المغرب الى مدينة طليطلة ثم الى المخاضة ثم الى القنطرة ثم الى قنيطرة محمود ثم الى مدينة شنترين ثم الى لشبونة فيصب هناك فى البحر .. » (الادريسى : المصدر السابق ، ص ١٨٩) .

٢ - بلطة او فاس حجرية على هيئة نصف قرص ، وهى خير مثل لدينا على انتاج العصر الحجري ، يبلغ طولها ٠.٥٧م. وعرض حافة نصلها ٠.٠٦م. عثر عليها ايضا فى نهاية موضع سان فينتى San Vicente القنطرية .

ثانيا - مجموعة اخرى من الادوات الحجرية جمعها انطونيو كوفارسى Don Antonio Covarsi ومحفوفة فى بطليوس (٣١) :

١ - سبع عشرة بلطة من حجر الديوريت، قليلة الصقل أطوالها تتراوح بين ٠.١٥م ، ٠.٧م (٣ - ١٩) .

٢ - تسع بلطات من الديوريت ناعمة وجيدة الصقل أطوالها تتراوح بين ٠.١٢٥م ، ٠.٧٨م (٢٠ - ٢٨) .

٣ - بلطة من البازلت عريضة للغاية عند منتصفها ، حافتها مستديرة ويبلغ طولها ١.١٩٥م وعرضها ٠.٧٣م. وسمكها ٠.٠٥م (٢٩) .

٤ - بلطة من البازلت صغيرة وبها قطع مستدير ومقوس ، لم يعن بصقلها يبلغ طولها ٠.٧٦م.

٥ - بلطة من الديوريت سمكة بها قطوع مستدير ومقوس ، يبلغ طولها ٠.١٢٤م (٣١) .

٦ - بلطة من الحجر الاخضر ، سمكة ، بها قطوع فى نهايتها ، يبلغ طولها ٠.١٢٧م. وعرضها ٠.٦٠م. وسمكها ٠.٠٤م (٣٢) .

٧ - بلطة صخرية من مادة اشبه بالابستر ، جيدة الصقل يبلغ طولها ٠.١١٨م (٣٤) .

(٣١) راجع باقى النماذج

٨ - بلطة من الديوريت ، سميكة وعريضة للغاية من منتصفها ، وبها تطوع مقوس ، جيدة الصقل ، يبلغ طولها ٢٤٣م. (٣٥) .

٩ - بلطة من البازلت جيدة الصقل ، ورشيقة ناعمة ، وأقرب الى شبه المنحرف ، وبها قطع مقوس ويبلغ طولها ٢١م (٣٢) .

وقد عثر في غرب الخزان الذى يزود السكان بالمياه على بعض الادوات التى ترجع الى العصر الحجري مصنوعة من حجر الصوان مثل السهام والنبال،ومن بين هذه الادوات سكين من الحجر طوله ٨٥م. وعرضه ٢م.

والى العصر البرونزى La edad de Bronce ترجع بعض أدوات نحاسية هى الفؤوس التقليدية التى تحتفظ بنفس اشكال الفؤوس النيولوتية المتأخرة والتى ترجع الى مرحلة الانتقال من العصر الحجري الى عصر استخدام المعادن وان كانت الامثلة ترجع الى عصر استخدام البرونز (٣٣) أقل بكثير من تلك التى ترجع الى العصور الحجرية (٣٤).

(٣٢) لمزيد من الامثلة راجع ، ص ٨ - ٩ من نفس المرجع
Melida : Op. Cit., I P. 8.

(٣٣) لمزيد من التفاصيل عن عصر البرونز راجع
Melida : Op. Cit., I P. 8.

(٣٤) لقد نشأت اول سلاله بشرية فى استرامادورة خلال العصر الباليوليتى Paleolitico فى كهف مالترافيزو Maltravieso الذى يقع بالقرب من قاصرش ، منذ حوالى ٣٠.٠٠٠ عام ، وفى تلك الآونة خطا الانسان القديم لأول مرة على تراب بطليوس . وفى العصر الحجري الأعلى فرضت اول سلاله بشرية ثقافتها وحضارتها وأسست اول اصول عرقية فى المنطقة مختلطة مع العناصر الميزوليتية Mesolitico . وقد تعرضت هذه الخلفية العرقية لتأثير جنس جديد حل فى المنطقة ، وهو تأثير الطرشيشيون Tartesios وهو السلاله التى تكونت فى عصر البرونز edad del Bronce مختلطة مع عناصر سامية وبربرية واستقرت فى وديان نهر الوادى الكبير ، وامتدت حتى نهر وادى آنة ، واستمرت العملية السلالية بظهور الكلت ، وهم الشعب الاوروبى الاطلنطى الذى غزا القسم الغربى من الجزيرة =

وكان يقابل مدينة بطليوس في بداية العهد الاسلامى فى الاندلس
موضع يعرف باسم البشرنل (٣٥) ، وقد عرف ابن القوطية البشرنل بقوله
« والبشرنل هذه تقابل بطليوس وبينهما النهر » (٣٦) . وكان ابن مروان
الجليقى قد اشترط على الامير محمد أن يباح له البشرنل يبتذنها ويمدنها
مقابل أن يقيم الدعوة له دون أن يلتزم بجباية .

واستقر الامر لابن مروان الجليقى على ما اشتهاه ، فأقام بطليوس
فى الموضع المواجه للبشرنل ، ولكن عندما أراد هاشم بن عبد العزيز أن
يثأر منه أبلغ الامير محمد أن ابن مروان كان فيما مضى يخرج هو
وأصحابه على ظهور خيولهم من موضع الى موضع ، ولكن أمره قد
استفحل وعظم شأنه بعد أن اتخذ مدينة ودورا وقصورا وبساتين

= فى القرن السادس ق . م ولقد عاشت هذه الشعوب متحالفة ضد
الغزاة ، وعلى أيام الفينيقيين بدأت القوافل فى نقل النحاس
والقصدير المركب مع البرونز ، لقد أقام رجال عصر ما قبل التاريخ
قبورهم بداخل صخور المنطقة ، واستقروا فى كهوف فى أوليفيا
بماردة Oliva de Mérida والبوكيركى El Cerro y Arroyo de
Albuquerque فى San Servan سان سرفان
ولقد أنشأوا الاعمدة فى أماكن متعددة مثل San Vicente de
Alcantara وكذلك فى أم غزالة Magacela ، ونقشوا
الكثير من الرسوم فى صخرة Zafra ، وحصن الحنش Alanje
وكركى . لقد أظهرت مخلفات العصر الحجري وعصر
البرونز والحديد الطريق الطويل الذى سارت فيه تلك الحضارات
التي تركت أثارا وراءها تدل عليها مثل القؤوس وقطع الفخار
والمعبودات الوثنية واللوحات الاردازية والسهام والنبال مما
جعل المناطق التي انتشرت فيها تلك المخلفات مراكز عمرانية
ناشئة تسمت فيما بعد هذه الآونة بقرون بالقنطرة وكركى
والحنش (Munoz de San Pedro, Op. Cit., P. 169.)
(٣٥) السيد عبد العزيز سالم : بطليوس ، مقالة بكتاب الشعب ،
عدد ٦١ ، ص ٦٦ .

(٣٦) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٨٩ ، ٩٠ ومن هذا
نستنتج أن البشرنل لم يكن اسم بطليوس ذاتها وانما كان
اسم القرية المقابلة لبطليوس ويفصل بينهما وادى أنه .

محيطه بها ، واقترح على الامير أن يخرج على رأس حملة يشترك فيها
الامير عبد الله (٣٧) .

ويرجح البران Albarran أن البشرنل كانت تقع على الربة
المرتفعة التي تتشابه مع الموقع الذي تقوم عليه بطليوس ، وكانت هذه
الربة تعرف في الوثائق القديمة باسم Cerro de Orinaza حيث كان
يقوم حصن صغير يعرف بحصن سان كريستوبال (٣٨) .

وربما كان السبب الذي من أجله اختار ابن مروان الجليقي
بطليوس ليستقل بها بدلا من البشرنل المقابلة لها والتي يفصلها واد يانه
عنها أن ابن مروان الجليقي الذي كان ملما الماما جيدا بطبوغرافية
المنطقة كان يستهدف موقعا أكثر منعة وحصانة كما أنه كان يسعى في أن
يتحكم في النهر من الامام (٣٩) . ولسنا بصدد الحديث عن موقع
بطليوس وحصانته ولكننا نبحث في تفسير اسم بطليوس .

فعلى هذا الاساس فان اسم بطليوس أطلق على المدينة موضع
الدراسة ، وكان هذا الاسم يطلق لأول مرة في العصر الاسلامي ، فلم
نجد في المصادر السابقة على العصر الاسلامي هذا الاسم بطليوس بنفس
اللفظ والحروف . واستمر اسم بطليوس العربي مستخدما كاسم فعلى
للمدينة حتى بعد أن استردها المسيحيون في عام ٦٢٧هـ / ١٢٣٠م (٤٠)
والدليل على ذلك أن الملك الفونسو العاشر العالم ذكر اسم بطليوس أثناء

(٣٧) المصدر السابق ، ص ٩٠ .

(٣٨) يعتقد البران Albarran أن البشرنل كانت تقرأ بالياء
(البشرنل) ولهذا فهي تكون قريبة من حيث النطق الى كلمة
Orinaza ، ولكن البران عاد الى التأكيد بأن حصن سان
كريستوبال هو نفسه مدينة البشرنل القديمة ، انظر :

(Albarran : El Solar de los Aftasies, P. 627).

Albarran El Solar, Op. Cit., P. 627.

(٣٩)

De Figueroa : Historia de la ciudad de Badajoz, P. 42.

(٤٠)

حديثه في احدى اجتماعاته بالكنيسة الكاتدرائية في مدينة بطليوس في نوفمبر من عام ٦٩٠هـ/١٢٩٣م لمنح بعض الامتيازات ، وقد ذكر الفونسو اسم بطليوس بهذه الصورة Badaloz (٤١) .

ومن الجدير بالذكر أن دون فرناندو Don Fernando ملك البرتغال أورد في رسالة مؤرخة في التاسع من مارس عام ٨١٤هـ (١٤١٧م) اسم بادلوس Badalouce على أنه بطليوس وهى تسمية قريبة من حيث النطق الى الاسم العربى بطليوس .

ومن الواضح ان التسمية الاسبانية Badajoz مشتقة من التسمية العربية بطليوس، وهذه التسمية الاسبانية تخضع تماما لقوانين الصوتيات لأن الطاء تحولت الى D والسين الى Z (٤٢) .

وكلمة باداجوز Badajoz تتكون من مقطعين ، بادا ، وجوز ولعل هذين المقطعين يقتربان من حيث نطقهما للسامع من اسم ثانى ابواب السور الغربى بمدينة قرطبة وهو الباب الاوسط المعروف باسم باب الجوز (٤٣) الذى يحمل أيضا اسم باب بطليوس ، وكان هناك أكثر من باب بسور قرطبة اطلق عليه اسم احدى المدن الاندلسية مثل باب

Ibid, P. 42.

(٤١)

(٤٢) و Badaloz هي بطليوس بالعربية ولكنها تنطق بالاسبانية نطقا مختلفا من نطقها باللغة العربية فهى تنطق كما لو كانت بطايوس ولعلها محرفة من بلد الجوز أو وادى الجوز .

Albarran : Op. Cit., P. 623.

(٤٣)

المقرى : نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ١٣ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس من الفتح العربى حتى سقوط الخلافة بقرطبة ، بيروت ١٩٨١ ، ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ وكذلك كتاب قرطبة حاضرة الخلافة ، ص ١٧٣ - ١٧٤ ؛ Rafael Castejon : Cordoba Califal, Boletin, de la real Acad. de Cordoba, 1929, P. 274.

سرقسطة وهو الباب الجنوبي في السور الشرقى بمدينة قرطبة (٤٤) وباب طليطلة في نفس السور ، وباب ليون أو طلييرة في السور الشمالى لقرطبة وقد أطلق على هذه الابواب أسماء هذه المدن لاتجاه كل منها الى المدينة التى تسمى باسمها (٤٥) .

ومادام قد أطلق على الباب الذى يتجه الى مدينة بطليوس اسم باب الجوز وفى نفس الوقت اسم بطليوس ، ولما كان هناك تشابه فى مقاطع الكلمتين فان هناك احتمال كبير فى أن يكون أصل كلمة بطليوس مشتقا من باب الجوز ومنها جاءت الكلمة الاوروبية Badajoz ، ولعل كلمة « باب الجوز » جاءت محرفة من « بلد الجوز » أو « وادى الجوز » Valle del joz ثم حرفت الى بادا - جوز ، حيث أن منطقة بطليوس وما حولها كانت شهيرة بكثرة الغابات وكثافتها وبخاصة غابات البلوط (٤٦) وأشجار الجوز التى كانت تنمو وتوجد فى مناخ بطليوس الذى ساعد على نمو الغابات وانتشارها .

ويرى البعض أنه ربما يكون اسم بطليوس قد اشتق من الكلمة العربية « بلد الضرس » (٤٧) Belcdajors . والضرس هنا بمعنى La muela أى الربوة أو المكان المرتفع . فعلى الرغم من أن بطليوس تبدو اسلامية الانشاء فان المدونات التاريخية تتضمن ما يشير الى أن الربوة المسماة La muela هى مركز عمرانى قديم يتميز بقوة دفاعية ومناعة لا حدود لها ، كما أنه لا يمكن أن نهمل حقيقة الشواهد

-
- (٤٤) المقرئ : المصدر السابق ، ص ١٣ .
(٤٥) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، ص ٣٠٢ .
(٤٦) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ٤٥ ، الادريسي : المغرب وأرض السودان ، ص ٢١٣ ،
Manuel Torron Albarran : El Solar, P. 296.
De Figueroa : Historia de la ciudad de Badajoz P. 43. (٤٧)

الرومانية التى كشفت والآثار القديمة التى أسفرت عنها البحوث الأثرية فى الموقع ، ولا اللوحات الحجرية والكتل الرخامية القوطية الرائعة التى تم العثور عليها ، الأمر الذى يدعونا إلى القول بأن السكان الرومان الذين سكنوا حوض Anas القديم لم يستطيعوا بأى حال من الأحوال اغفال هذا الموقع المتميز لهذه الصخرة الجيرية التى أوحطها النهر القديم الطامى بجوار فحس قديم شديد الخصوبة ، ولعل هذه الربوة La mueña تفسر موقف ابن مروان الجليقى من استمراره على اختيار بطليوس على وجه الخصوص لتكون مدينته التى يستقر فيها وينتزى بها ، وكذلك كل شئ يوحى بأن اسما قديما قد تحول فيما يرجح إلى اللغة العربية (٤٨) . ويوضح De Figueroa أثناء وصفه لقصة بطليوس أنها كانت تحظى باسم الضرس لارتفاعها كحصن يحمى المدينة فوق التل أو الربوة المشرفة (٤٩) على نهر وادى آنة شرقى الزاوية التى ينحرف إليها النهر ، حين ينساب إلى حدود البرتغال (٥٠) ، وقد يتعرض هذا الرأى للرفض على أساس أن قصة بطليوس لم يتم بناؤها إلا على يد الخليفة أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الموحدى ، فى حين أن مدينة بطليوس قد تأسست وتمصرت فى عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن (٥١) الأوسط أى فى عهد يسبق الزمن الذى بنيت فيه القصة الموحدية بثلاثة قرون .

Albarran. M : Op. Cit, P. 623.

(٤٨)

De Figueroa : Ibid, P. 25.

(٤٩)

(٥٠) محمد عبد الله عنان : الآثار الأندلسية الباقية فى إسبانيا والبرتغال ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٦١ ، ص ٣٧٣ .

(٥١) يقول ابن صاحب الصلاة « وهو الذى حمى بطليوس من الكفر وابتنى لها قصبتها الشاهقة المانعة ، وسرب الماء إليها من الوادى ٥٠ » ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة على المستضعفين ، ص ٢٣٦ ، راجع مقالا عن قصة بطليوس وأطلالها لتوريس بالباس فى مجلة الأندلس ومقالات أخرى عن مسجد القصة .

Al-Andalus, 1941, Fasc. I P. 168-203, Ibid : 1943, Fasc. II. P. 467.

ولكن عددا من المصادر العربية أشارت الى أن قصبة بطليوس عريقة في القدم ، وأن بناءها يرجع الى نفس التاريخ ، الذي بنيت فيه المدينة (٢٦١هـ - ٨٧٤م) . فالحميري يذكر في معرض حديثه عن الاعمال التي قام بها عبد الرحمن بن مروان الجليقي في بطليوس بعد أن اذن له الامير الاموي (٥٢) ببنائها أنه « شرع في بناء الجامع باللبن والطابية ، وبنى صومعته خاصة بالحجر واتخذ مقصورة ، وبنى مسجدا خاصة بداخل القصبة (٥٣) . . . » . كذلك يذكر ابن عذارى أن ابن مروان « ابتنى في بطليوس حصنا وجعله موطنا وأدخل فيه أهل ماردة وغيرهم من أهل المكاتب على الشر (٥٤) . . . » ويوضح البكري عن سرده لأهم الوقائع التي جرت أثناء ثورة عبد الرحمن بن مروان أنه أتم بناء الجامع والحمام وأن « لبطليلوس أقاليم وحصون كثيرة » (٥٥) . وهناك نص هام أورده ابن حيان في المقتبس يشير بصراحة الى قصبة بطليوس جاء فيه أنه بعد سقوط مدينة يابرة (٥٦) عام ٣٠١هـ

-
- (٥٢) لم يذكر اسم الامير لأن هناك مناقشة سننيرها في الفصل الاول حول الامير الذي تم في عهده بناء بطليوس ، هل هو الامير عبد الله كما ذكر الحميري في هذا النص أم الامير محمد كما جاء في مصادر اسلامية أخرى .
- (٥٣) الحميري : صفة جزيرة الاندلس ، ص ٤٦ .
- (٥٤) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٠٢ .
- (٥٥) البكري : جغرافية الاندلس وأوروبا ، ص ١٢٣ .
- (٥٦) الحميري : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٩٧ ، ويابرة من كور باجة بالاندلس ، وهي قديمة ، واليهما ينسب ابن عبدون اليابري الشاعر (انظر : محمد عبد الله عنان : الآثار الاندلسية ، ص ٤١١) وهي قاعدة ولاية النتيخو ويرجع تاريخ انشائها الى العصر الروماني حيث كانت تسمى Ebora ، وتقع شمالي باجة وجنوب شرقي لشبونة على مقربة من بطليوس . وكانت أيام الطوائف من أعمال مملكة بطليوس ، وسقطت يابرة في أيدي النصارى عام ٥٦١هـ (١١٦٥م) وصارت فيما بعد جزءا من مملكة البرتغال الناشئة على أيام الملك البرتغالي ألفونسو انريكث ، ويذكر الادريسي أن يابرة « مدينة كبيرة عامرة بالناس ولها سور وقصبة ومسجد جامع وبها الخصب الكثير الذي لا يوجد بغيرها من كثرة الحنطة واللحم وسائر البقول والفواكه وهي أحسن البلاد بقعة وأكثرها فائدا =

(٩١٣م) اهتم أهل غرب الاندلس بتحسين مدنهم وأن أهل بطليوس كبرى مدائنهم قاموا في ذلك « أحسن قيام بفضل ما بهم من قوة ، وكان سور قصبتهم الى ذلك الوقت مبنيًا بترب الطابية ، المرزوم بالمدائوس ، وبالطوب الشمسى عمل أميرهم الاول عبد الرحمن بن مروان الجليقى أول ما نزل معهم (٥٧) . » . ويؤكد هذا المعنى ما زدتنا به المدونة دقيقة عن الاعمال التى أجريت فى بطليوس فى عام ٣٠١هـ (٩١٣م) ابتداء من الحملة المظفرة التى قادها أردون الثانى ضد يابرة ، فهذه المدونة تسلط الضوء على بعض النقاط الغامضة . فبعد أقل من عام من إمارة عبد الرحمن بن محمد ، ظلت الأوضاع الداخلية فى الاندلس على مثل ما كانت عليه قبل ارتقائه دسست الإمارة ، وقد أتاح ذلك للملك أردون فرصة الاندفاع العسكرى فى أراضى غرب الاندلس ، وقد تسببت محاولات ملك ليون الاستيلاء على بطليوس كما وضحتها مدونة سيلنس فى اشاعة الذعر بين أهل بطليوس وتخوفهم من البقاء فى المدينة الامر الذى دفع هؤلاء وعلى رأسهم أميرهم عبد الله بن محمد حفيد المؤسس ابن مروان الجليقى الى المبادرة باصلاح أسوارها وتحسين قلاعها التى كانت لاتزال قائمة منذ أيام ابن مروان الجليقى (الاول) . ولم يتردد عبد الله صاحب بطليوس فى القيام باصلاح الاسوار والقصبة بعد أن تعرضت لأضرار كبيرة منذ أن هاجمتها قوات الامير المنذر وأحرقتها على اثر فرار ابن مروان الجليقى الى

= والتجارات اليها داخلة وخارجة » (الادريسي : المغرب وارض السودان ص ١٨١ وانظر : الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٩٧) .
(٥٧) ابن حيان : المقتبس ، الجزء الخامس ، نشره ب . شالميتا وف . كورينطى ، مدريد ١٩٧٩ ، ص ٩٦ .

اشبرغزة (Esparragosa) عام ٢٧١هـ. (٨٨٤م) (٥٨) .

وورد في المقتبس لابن حيان (٥٩) في معرض حديثه عن الهجوم الذي شنته قوات عبد الرحمن الناصر على بطليوس في عام ٣١٧هـ (٩٣٠م) النص التالي « ولأزم أحمد ابن اسحاق القرشي القائد المقام على حصن بطليوس وكدهم بالحرب ووقمهم بالذل . . » ، ويفهم من هذا النص أيضا ان بطليوس كانت حصنا كما يفهم من النصوص السابقة وأنه كان لها قسبة أو حصن لا يرام .

ولعل هذه النصوص السابقة تؤكد أن قسبة بطليوس كانت قائمة قبل عصر الموحدين بما لا يقل عن ثلاثة قرون وربما كانت حصانة موقع هذه القسبة السبب في اعتناء الموحدين باعادة بنائها منذ الثلث الاخير من القرن السادس الهجرى (١٢م) ، ربما لأن بطليوس كانت ثغرا عسكريا يقع على الطرف الغربى من دولة الاسلام فى الاندلس ، وتعرضها لذلك لهجمات النصارى المستمرة ، ولهذا السبب أمر الخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بعمارة قسبة بطليوس وأسوارها على انقاض القسبة القديمة التى أصبحت على أيام الموحدين أطلالا دارسة بعد أن تعرضت منذ عهد بنى الجليقى (٦٠) لمعاول التخريب والتدمير على اثر استيلاء قوات الخليفة عبد الرحمن الناصر عليها فى سنة ٣١٨هـ (٩٣٠م) (٦١) . ولقد ظلت آثار قسبة بطليوس قائمة فى عهد

(٥٨) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٧ ، ص ٤١٦ . وفى ذلك يذكر ابن الاثير « وفى هذه السنة سير محمد صاحب الاندلس جيشا مع ابنته المنذر الى مدينة بطليوس فزال عنها ابن مروان الجليقى وكان مخالفا كما ذكرنا وقصد حصن أشبر غزة فتحصن به فأحرق المنذر بطليوس » .

(٥٩) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٢٤٩ .
(٦٠) محمد عبد الله عنان : الآثار الاندلسية الباقية ، ص ٣٧٣ .
(٦١) يمكن القول بأن الاسوار والابراج التى تحيط اليوم بأطلال قسبة بطليوس من انشاء الموحدين باستثناء قطاع صغير يرجع تاريخه فيما يظهر الى عهد بنى الأفطس .

بنى الافطس ، ونستدل على ذلك من نص أورده الفتح بن خاقان نطالع فيه ما يلى « فوصل المتسوكل الى القسبة المطللة على البطحاء المزرية بمنازل الروحاء فاقام فيها » (٦٣) وكل ما سقناه من حديث فيما سبق انما قصدنا به اثبات أن موقع القسبة المنيع جعلها ضرسا قويا ، وحصنا منيعا ، ربما كان له دخل بتسميتها بلد الضرس الذى يعتقد دى فيجويرا أن اسم بطليوس قد اشتق منه ، وتكون بطليوس بذلك قد نسبت الى أشهر معالمها الاستراتيجية (٦٤) . ولكننا لا نوافق دى فيجويرا على هذا الرأى لأن اسم بلد الضرس لم يرد قط فى أى مصدر عربى قبل اسم بطليوس كما أن بطليوس نفسه أعجمى ولا يجوز أن يطلق العرب اسما أعجميا على مدينة محرفا من اسم عربى ، ولو أن ما ذهب اليه دى فيجويرا صحيح لكان الاسم الذى يعتقد أنه الاصل فى تسميتها وهو « بلد الضرس » قد ورد فى المدونات التاريخية . واعتقد أنه أراد أن يفسر الاسم الاسبانى لبطلليوس من حيث الصورة الصوتية دون أن يفكر فى البحث عن مصدر الصورة العربية للاسم ، وهى بطليوس . ولا يكتفى دى فيجويرا بهذا التفسير فيعود الى القول بأنه ربما يكون الاسم قد اشتق من كلمة Boled — Ayx بمعنى بلد القدس والطهارة ، ويمضى دى فيجويرا فى شرح هذا الرأى ويجنح الى الخيال فيرى أن بطليوس كانت تعرف بهذا الاسم أيام العرب لأن أصل اسمها Pax angus ومعناه ارض الانبياء والرسل والقديسين (٦٥) .

(٦٣) ابن خاقان (الفتح) : قلائد العقيان ، القاهرة ١٣٢٠هـ (١٩٠٢م) ص ٤٣ .

(٦٤) لعل قسبة بطليوس التى أنشأها ابن مروان الجليقى قد بنيت على انقاض حصن رومانى قديم حيث أن De Figueroa أكد أن الكثير من أسوار بطليوس يرجع الى العهد الرومانى بل والى عصور الكلت (انظر : De Figueroa, la historia de la ciudad de Badajoz, P. 63.

(٦٥) لم نعثر على أدلة أثرية تحمل اسم Paxangus ومن هنا فاننا نرفض هذا الرأى الذى جاء به De Figueroa

فاذا كان الحواري يعقوب قد جاء الى اسبانيا في عام ٤٢م في عهد الامبراطور جاليجولا وريث طيبريوس ، فان هذا القديس زار في جملة ما زاره مدنا عديدة منها متروبوليس تاركا وراءه الاساقفة . ويؤكد De Figueroa أن الحواري يعقوب زار المدن الواقعة على ضفتي وادي تاجة ومن بينها ماردة وعددا كبيرا من مدن لشدانية ، ولا يستبعد دى فيجويرا زيارته لبطليوس حيث أسس كاتدرائيتها ونصب فيها أسقفا ، ويوضح دى فيجويرا هذا الرأي فيذكر اننا اذا أمعنا النظر في تاريخ الحواريين فاننا نجد انهم كانوا يبحثون عادة عن المدن التي ينتشر فيها الفسق والفساد وعبادة الاوثان حيث يستطيعون اقناع الناس بالايمان ، ويوضح دى فيجويرا أسماء أهم الاساقفة الذين نصبوا في اسقفية بطليوس (٦٦) .

وهناك من يرى أن بطليوس اشتقت اسمها من الكلمة Bada luz (٦٧) ، وتنقسم الى مقطعين الاول Bada ، ويرجعه انصار هذا الرأي الى تلك الشعوب الغالية المسماة بالباديوس Badios والتي نزحت الى بطليوس وتركت اسمها بطبيعة الحال على الموضع الذي استقرت فيه ، وأما المقطع الثانى لوز Luz فقد أرجعوه الى المقطع الاول من كلمة Luzitania (لجدانية) . والمعروف أن بطليوس باجماع كثير من المدونات الاسبانية كانت احدى قواعد اقليم لجدانية ، وبالرجوع الى تاريخ السيد La historia del Cid نجد أنه يؤكد أن بطليوس وماردة كانا يؤلفان مركز الثقل في لجدانية كما أن الملك الفونسو العاشر كان يرى أن لجدانية لا تشتمل الا على بطليوس والغرب (٦٨) .

De Figueroa : La historia, Op. Cit., P. 75.

(٦٦)

Ibid : P. 43.

(٦٧)

(٦٨) أنظر De Figueroa : Op. Cit., P. 43. ويعتقد

دى فيجويرا أنه ربما كانت بادا Bada الشق الاول من =

ثم طلع علينا كل من مارتينث اى مارتينث ومانويل البران Albarran برأى آخر أرجع فيه اسم بطليوس الى اللفظة اليونانية Bazzdaz بمعنى «البطل»، مرجحين بذلك الاصل اليونانى لاسم المدينة، وهذا الاسم دخل فيما بعد فى اللغة اللاتينية شأن كثير من الاسماء الرومانية ذات الاصول اليونانية ومنها Elena و Alexander (٦٩) . ويرجع مارتينث اى مارتينث أن يكون اسم بطليوس قد ظهر على أيدي المستعربين فى القرن التاسع حيث أنه يرى أن اسم بطليوس ليس له اشتقاق فى اللغة العربية (٧٠) .

ومن بين كل هذه الآراء السابقة نميل الى الاعتقاد بأن اسم بطليوس أطلقه المولدون فى هذه المنطقة على هذه المدينة محرفا من «وادي الجوز» كما سبق أن أوضحنا، وأن مدينة بطليوس عريقة فى القدم ترجع الى عصور ما قبل التاريخ وانها كانت مركزا هاما فى العصر الرومانى ، ونستبعد أن يكون الاسم مشتقا من الاسم اللاتينى Pax Augusta لأنه الاسم الذى عرفت به مدينة باجة . وإذا جاز لنا أن نتقصى مصدر بطليوس من تسمية لاتينية ، فربما كان من الانسب ارجاعه الى Pax Julius الذى يقترب الى حد ما فى نطقه من صوت بطليوس وان كان يصعب فى النطق تحويل باكس فى Pax Julius الى « بط. » فى بطليوس ، ذلك لأن Pax Augusta لا يمكن أن تتحول

= كلمة Badaluz ترجع الى أيام Publio Cornelio الذى غزا اسبانيا فى العام الخامس والاربعين من تأسيس روما Escipion وكان قد وفد من مدينة تسمى Badia شديدة الحصانة والمناعة ، فلما غزا اسبانيا أقام فى موضع بطليوس حصونا وفلاعا وسمى هذا الموقع الحربى Bada نسبة الى بلده .

(٦٩) Don Matias Ramon Martinez y Martinez : Historia del Reino de Badajoz durante la dominacion musulmana, Badajoz 1904, P. 20.

Ibid, P. 21.

(٧٠)

في النطق الى بطليوس الا بعد سلسلة من التغيرات المتتابة التي لا يمكن تبريرها (٧١) . وعلى الرغم من ذلك فقد لقي هذا الرأي استجابة من جمهور من الباحثين (٧٢) ، الا أن فئة من المؤرخين يعارضون هذا الرأي اذ يرون من المستحيل ايجاد علاقة بين باكس اوجوستا Pax Augusta وبين بطليوس لاختلاف تحويل Pax أو Pacen في Pacen Augusti الى طاء في بطليوس وابتعاد مقطع « اليوس » في بطليوس عن Augusti (٧٣) .

ولقد حاول فريق ثالث من المؤرخين تفسير اسم بطليوس ولكن عن طريق آخر غير الاصل اللاتيني ، وقد رجحت هذه المدرسة اشتقاقه من أصل يوناني فيكون بذلك أصل اسم بطليوس هو اسم Bazzahoz التي أمكن ادماجها في اللاتينية ثم انتقل بعد ذلك الى اللغة العربية في صورة « بطليوس » عندما اتخذ ابن مروان الجليقي في عهد الامارة مقبره للحكم في نفس الموضع . ويعلق البران على ذلك بأن اللفظ اليوناني بطليوس استخدم كصفة Bazzahoz ، كما ورد اسم Battalo في كتاب بلوتارخ (٧٤) كصفة ومنه جاء اسم العلم Batialus ، الذي عثر عليه في اسبانيا ، ويؤكد Hübner أنه عثر في استرقة على نقش لهذا الاسم ، ويذكر الاستاذ البران أنه عثر في اسبانيا على كلمات ونقوش تحمل الاصل اللفظي Bata مثل Baticus و Bataesina وغيرها من الكلمات التي أطلقت على أسماء مواضع من اسبانيا مازالت تحمل أسماءها حتى اليوم (٧٥) .

(٧١) Huici Seybolds : Encyclopédie de L'Islam. t. I, P. 1. 124.

(٧٢) ويؤكد هذا الرأي Gaspar Barreiros ونقله اليوس البران Abarran, : El solar de los Aftasides, P. 19.

(٧٣) A. Castro, Acerca del nombre de Badajoz, en Revista espanola, 1926, t XII, PP. 76-77.

(٧٤) Plutarco : «Las Vidas paralelas», trad. de Sanz, Romanillos, biblioteca Clasica, T. XXIV, P. 372.

(٧٥) Albarran : El solar de los Aftasides, P. 621.

وهناك آراء ترجع اسم بطليوس الى أصل بشكنسى حيث أن الاسماء البشكنسية تنتهى عادة بالنهاية ez أو oz ، أو الى أصل قوطى أو لاتينى أو كلتى ، حيث تنتهى الكلمة بـ icus ، أو أصل ايبيرى أو هندوأوروبى عن طريق النهاية us ، أو عربى . ويرجح الاستاذ غرسية جومث (٧٦) الرأى الاخير ، وهو رأى يعتبره البران بناء (٧٧) ، ويلخص الاستاذ غرسية جومث رأيه بأن أسماء النسبة عند الاسبان المنتهية بحرف z لم تظهر بكثرة فى الكتابة حتى القرن التاسع الميلادى ، ويستدل على ذلك بسلسلة الاسماء المنتهية فى الاسبانية بـ oz,ez,iz وفيها تتخذ السين الاخيرة حرف z كالحال فى بطليوس العربية التى تحولت الى Badajoz ثم الى Badajoz اما منندث بيدال فيؤكد أن كثيرا من أسماء بلدان فى منطقة البحر المتوسط الغربى تنتهى بحرف oz أو z ، ويأتى البران بقائمة من أسماء مواضع تتشابه مع بطليوس فى مناطق مختلفة : منها اسم مجرى مائى أو رافد من نهر دويرة بالقرب من بلد الوليد اسمه Bajoz ، واسم موضع يعرف باسم Badayoz ، ويذكرنا هذا الاسم بصيغة Vadallos (وادى اللوز) الواردة فى امتياز منحه الفونسو العاشر فى ولاية البه Alva ، اما خارج حدود اسبانيا فتكرر أسماء مماثلة لبطليلوس فى Badiuz و Udine (٧٨) و Badailac فى جنوب فرنسا و Badalinho فى البرتغال ، و Badaya فى البه بشمال اسبانيا . وهذا الانتشار الجغرافى لكلمات ذات صياغة مماثلة لبطليلوس يدعو الى الاعتقاد بأن الاسم يسبق العصر الرومانى ، ولا شك فى أن هذا الاسم كان يتداوله المستعربون الذين كانوا يتخذون لغة تختلط فيها الاصوات

(٧٦) Garcia Gomez : Hispocoristicos arabes y patronimicos hispanos, en Arabica, Paris 1954, Op. Cit., P. 624.

(٨٨) Albarran : El solar, Op. Cit., P. 624.

(٧٨) اودبن مدينة بايطاليا شمال البحر الادرياتيكي فى ولاية فريول Frioul شمال خليج البندقية .

الاسبانية بالبيزنطية . أما الاسم المتأصل لبطليوس العربية وهو Badajoz فتركيب لغوي شائع يتمثل في أسماء مواضع تتماثل مقاطعها الاخيرة مع اسم Badajoz مثل quadioz أى (وادى شوش) (٧٩) علما بأنه لا توجد أى علاقة بين بطليوس ووادى شوش .

٢ - الوضع الجغرافي لبطليوس المدينة وأهم المراكز العمرانية لبطليوس الاقليم :

تقع مدينة بطليوس على الضفة اليمنى من نهر وادى أنه (٨٠) ، على مقربة من الحدود البرتغالية في البقعة المثلثة التي يحتضنها النهر عند التقائه بفرعه المسمى بوادى سو (٨١) . ويحدها واد يانة من الشمال (٨٢) . وكان نهرها يسمى بالغور أو الغور لأنه كان يحمل السفن ثم يغور تحت الارض في موضع معين حتى لا توجد منه قطرة (٨٣) .

وينتهى جرى نهر أنه الى حصن مارتلة ويصب في المحيط الاطلسي

Asin Palacios : Toponomia, P. 159.

(٧٩)

(٨٠) الرازى : المصدر السابق ، ص ٨٧ ، الادريسي : المغرب وأرض السودان ، ص ١٧٩ ، ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ص ٣٦٣ ، ج ١ ، الحميري : صفة جزيرة الاندلس ، ص ٤٦ .

(٨١) عبد الله عنان : الآثار الاندلسية الباقية ، ص ٣٧٣ .

(٨٢) ونهر أنه كما سبق أن أوضحنا كان يفصل بينها وبين البشرى ، وبذلك تكون بطليوس واقعة على الضفة اليمنى للنهر في حين تقع البشرى على الضفة اليسرى .

(٨٣) الادريسي : صفة المغرب وأرض السودان ، ص ١٨١ ، الحميري : صفة جزيرة الاندلس ، ص ٤٦ . وفيها يقول ابن الفلاس :

بطليوس لا أنسأك ما اتصل السعد

فله غور من جنابك أو نهـد

ولله دوحات يحفك بينها

تفجر واديهـا كما شقق البرد

(راجع ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ص ٣٦٣) .
والغور هنا بمعنى الارض المنخفضة .

قريبا من جزيرة شلطيـش(٨٤) وموقع بطليوس من المواقع التى تصلح لانشاء المدن ، وقد وضع ابن خلدون شروطا لابد من توافرها لتأسيس المدن الاسلامية فقال « أعلم أن المدن قرار تتخذها الامم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه ، فتؤثر الدعة والسكون ، وتتوجه الى اتخاذ المنازل للقرار ، ولما كان ذلك القرار والمأوى ، وجب أن يراعى فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها ، وجلب المنافع وتسهيل المرافق لها : فأما الحماية من المضار فيراعى لها أن يدار على منازلها جميعا سياج الاسوار ، وأن يكون وضع ذلك فى متمتع من الامكنة أما على هضبة متوعدة من الجبل وأما باستدارة بحر أو نهر بها حتى لا يوصل اليها الا بعد العبور على جسر أو قنطرة فيصعب منالها على العدو ، ويتضاعف امتناعها وحصنها .. وأما جلب المنافع والمرافق للبلد ، فيراعى فيه أمور منها الماء بأن يكون البلد على نهر أو بازائها عيون عذبة ... ، فان وجود الماء قريبا من البلد يسهل على الساكن حاجة الماء وهى ضرورية .. ومما يراعى من المرافق فى المدن طيب المرافق لسائمتهم اذا صاحب كل قرار لابد له من دواجن الحيوان للنتاج والضرع والركوب ولابد لها من المريع» (٨٥) . هذه الشروط تنطبق تماما على بطليوس التى تحظى بموقع استراتيجى هام على نشز من الارض يطل على نهر واد يانة ، ويشرف على سهل يمتد مسافات بعيدة .

(٨٤) مخطوطة لمؤلف مجهول عن تاريخ مدينة فاس وبناء جامع القرويين ، والنصف الآخر عن جغرافية الاندلس ومصر والشام والحجاز ، ص ١٥٣ ، يذكر مؤلفها المجهول ويقول فى ذلك « وفى الجنوب من هذه المدينة (اشبيلية) بنحو ستين فرسخا مدينة بطليوس وهى على النهر الاعظم .. وهذا النهر لا يعلم آخره أصلا ولا مخرجا غير أنه يندفع فى موضع ويخرج ويجرى متصلا الى مدينة قلعة رياح حتى ينتهى الى مدينة بطليوس ثم يهبط حتى ينتهى الى القصر المسمى بمرتلت على مقربة من البحر الاعظم » .

(٨٥) مقدمة ابن خلدون ، طبع المكتبة التجارية بمصر ، بدون تاريخ ، ص ٢٤٧ - ٢٤٩ .

ويتفق ابن بصال مع ابن خلدون في الفصل الثالث من كتابه الفلاحة في التعريف بأفضل المواضع لبناء القرية واقامة الدور ، وهو الموضع المرتفع حتى لا تصل اليها المياه ، ويستحسن ابن بصال أن يتم بناء المدن والقرى على ضفاف الانهار ، كذلك يرى أن تكون أبوابها من جهة الشرق لأن رياح الشرق أصح من رياح الغرب (٨٦) .

وقد حقق موقع بطليوس على واديانة (٨٧) مزيتين: أولاهما الحصانة والمنعة ، فابن مروان الجليقي لم يقنع بالاقامة في البشرنل وأثر أن يكون موقع مدينته على الضفة الأخرى من النهر ليصبح متحكما في النهر من تلك الجهة ، ويكتسب بذلك قدرة على الدفاع ، وقد ظهرت أهمية نهر واديانة كخط دفاع أمامي في موقعة الزلاقة حيث كان نهر جريرو رافد وادي آنة الذي تجرى مياهه شمالى بطليوس في اتجاه نهر تاجه يفصل بين جيوش المسلمين وجيوش قشتالة التي عسكرت في موضع يبعد ثلاثة أميال عن المعسكر الاسلامي (٨٨) . وبالإضافة الى ذلك كان واديانة المصدر الرئيسى لتزويد سكان بطليوس بمياه السقاية والرى ، ومن المعروف أن المسلمين جددوا بناء القنطرة الرومانية الضخمة بهدف تيسير الافادة من مياه النهر (٨٩) ، وربما تم ذلك في عهد الموحيدين .

فابن صاحب الصلاة يذكر أن الخليفة أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الموحدى قام بتوصيل المياه الى بطليوس من الوادى (٩٠) ، ومن المؤكد

(٨٦) José Maria Millas Vallicrosa : La traducccion Castellana del Estado de Agricultura, P. 303, 304.

(٨٧) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ٤٦ .
(٨٨) محمد عبد الله عنان : دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطى ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٣١١ ، وراجع ابن الاثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٢ .
(٨٩) محمد عبد الله عنان : الآثار الاندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال ، ص ٣٧٣ .
(٩٠) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ، ص ٢٣٦ .

أن مياه الوادى كانت تصل الى المدينة عن طريق قنوات تخرج من الوادى ، وتتشعب داخل المدينة ليستخدمها أهل بطليوس في معاشهم ورى بسايتنهم ومزارعهم . ومما لا شك فيه أن وقوع بطليوس على ربوة مرتفعة وفر لها عامل الحصانة اذ أنها بهذا الموقع الاستراتيجى تشرف على نهر وادى آنة ، فى رأس الزاوية التى يصنعها النهر عندما ينثنى مجراه نحو الجنوب الغربى ليشكل بذلك حدا فاصلا بين أسبانيا والبرتغال .

هذا الموقع تجويف واسع بين جبال متناجش والنهر ، وعلى الطريق السالكة من أشبونة أى من المحيط الاطلسى الى هضبة اسبانيا الوسطى يفسر تاريخها كمدينة ثغرية تعرضت خلال قرون طويلة لكثير من الحروب (٩١) ، وكانت دائما فى عصور الاسلام فى الاندلس من أهم مراكز الدفاع الامامية شأنها فى ذلك شأن قرينتها مدينة طليطلة (٩٢) .

ولعل هذا الموقع الاستراتيجى هيا لبطلليوس أن تبرز بين صفحات التاريخ وكأنها فى جملتها قلعة حصينة نعمت بموقع طبيعى منيع ، أهل لها الصدارة بين مختلف مدن الاندلس كمركز رئيسى للثورة على السلطة المركزية (٩٣) .

(٩١) Torres Balbas : Op. Cit., P. 168.

(٩٢) محمد عبد الله عنان : الآثار الاندلسية الباقية ، ص ٣٧٣ .

(٩٣) نفس المرجع ، ص ٣٧٣ . ومن أمثلة ذلك خروج بطليوس عن السلطة المركزية أيام الامير محمد حين استقر عبد الرحمن ابن مروان الجليقى بها بعد خروجه من قلعة الحنش (٢٠ ك . جنوب شرقى ماردة) أثر تزعمه لثورة المولدين فى الغرب (راجع ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٨٨ - ٨٩ البكرى : جغرافية الاندلس وأوروبا ، ص ١٢١) واستمر خروج بطليوس عن قرطبة حتى عهد عبد الرحمن الناصر الذى قاد جنوده نحو الثوار فى غرب الاندلس وبدأ بعبد الرحمن بن مروان صاحب بطليوس (الجليقى) وانتهى الامر باستيلائه على بطليوس فى عام ٣١٨ هـ (٩٣٠ م) (راجع ابن حيان : المقتبس تحفة ، ص ٢٤٦ وابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٩٩) وفى بداية النتنة كانت بطليوس دوى =

ومن الجدير بالذكر أن أكثر أجزاء الربوة ارتفاعا ، ويصل الى ما يقرب من ٦٠ مترا فوق مستوى النهر ، تشغله (٩٤) القسبة الاسلامية القديمة المسورة ، وكانت قد انشئت فيما يبدو في نفس الفترة التي أسس فيها ابن مروان الجليقي مدينة بطليوس وقد استخدم في بنائها اللبن والطابية (٩٥) . وان كانت الاسوار المحيطة اليوم باطلال قسبة بطليوس ترجع جميعها الى عصر الموحدين باستثناء قطاع صغير اقدم عهدا .

وكانت بطليوس تضم في حوزتها على حد قول الرازي اراض خصبة من أصلح اراضى الاندلس لزراعة الغلال (الحنطة) ، وكان يزرع بها الكروم ، وأرضها من أفضل المناطق لتربية الماشية (٩٦) والصيد ،

=
للخارجين على هشام المؤيد ، فقد تحصن بها ابن مناو وهو أحد الشخصيات العامرية البارزة ، وكان قد تلقب بذي الوزارتين ، وقد هاجم القصر الخلافي واستولى على ما أراد ثم فر هاربا الى بطليوس لحصانتها وقدرته على التخفي بداخلها (راجع ابن عذارى : البيان ج ٣ ، ص ١٠٩) وشهدت بطليوس في عصر الطوائف ظهور حكام من البربر استقلوا بها هم بنو الافطس أشهرهم المظفر الاديب صاحب كتاب المظفرى في الادب والتاريخ (راجع ابن سعيد : المغرب ج ١ ، ص ٣٦٤) ويظهر اسم بطليوس من جديد مرتبطا بالثوار في عهد المرابطين ، فقد ثار ابو محمد سيدراى بن عبد الوهاب بن وزير القيسى في يابرة وباجة ودخل في طاعة ابن قسى ، ثم اختلف معه وانتزع منه ميرثلة وبطليوس التي كانت تتبع الثائر ابن قسى (انظر ابن الأبار : الحلة السيرة ج ٢ ، ص ٢٧٢ هامش ١) ومن ثوار بطليوس كذلك في عهد المرابطين محمد بن على بن الحجام صاحب بطليوس (ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٢٤٨ ، ص ٢٥٣) .

Torres Balbas : Op. Cit., P. 168.

Ibid, 171.

(٩٤)

(٩٥)

(٩٦)

توافر المراعى اللازمة لتربية الحيوانات والماشية شرط هام وضرورى للغاية ، ومن أمثلة المدن الاسلامية التي كانت تفتقر الى هذا العامل مدينة القيروان ، ولذلك تعرضت القيروان عدة مرات في العصر الاسلامى للخراب ، ولولا صفة هذه المدينة =

كما أنه يصاد في واديها السمك (٩٧) . ويذكر كل من الادريسي والحميري (٩٨) ويتفق معهما العمرى أن بطليوس (٩٩) تقع في بسيط من الارض أى في منطقة سهلة . ومن المرجح أن يكون هذا السهل المشار اليه هو السهل الذى جرت فيه أحداث واقعة الزلافة ، وتحديدًا لامتداده علينا أن نذكر بعض الحقائق الجغرافية : فمن المعروف أن نهر واديانة يصل طاميا الى بطليوس متبعا مجراه شرقى المدينة ولا يلبث أن ينثنى برفق نحو الغرب ليواصل جريه حيث يلتقى برافد الكايا Caya على الحدود البرتغالية ثم يمضى الى الجنوب لتصب فيه مياه رافده جيفورا Gevora الذى يتعامد عليه من الشمال مع بعض الانحراف شرقا ، ويتحدد رافد جيفورا مع رافد ثابتون Zapaton ورافد آخر يسمى البراجنة Albarragena اللذين يرتبطان ارتباطا وثيقا بالسهل الذى دارت فيه واقعة الزلافة ، ويوازي الرافد جيفورا وعلى مسافة تبعد نحو كيلو مترين تقريبا ، نهر جيريرو Guerrero الذى يلتحم مع وادى آنة على مسافة تبعد سبع كيلو مترات عن نقطة التقائه برافده جيفورا ، أدنى بطليوس ، وتتكون من هذا الالتقاء جزيرة تعرف بجزيرة رومو Romo (١٠٠) . وقد ترتب على تعدد الروافد النهرية نشوء فحس رائع يتخلله نشز من الارض يقع قريبا من الرافد جيفورا يعرف بساجراخاس يصل ارتفاعه الى اقل من مائتى متر ويبعد عن بطليوس بنحو ٧ كم (١٠١) .

= الدينية ووجود مسجدها الجامع لكانت قد تعرضت للاندثار والزوال (أنظر عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب فى العصر الاسلامى ، طبعة الاسكندرية ص ١١٦) .

(٩٧) الرازى : Description de l'Espagne, P. 60.

(٩٨) الادريسي : المغرب وأرض السودان ، ص ١٨١ ، الحميري : صفة جزيرة الاندلس ، ص ٤٦ .

(٩٩) Albarran : El solar de los Aftasides, P. 644.

(١٠٠) Ibid, Op. Cit., P. 188.

(١٠١) Ibid, P. 189.

وتتواصل في الشمال سلسلة من الاكمت الصغيرة تحد الضفة اليسرى من نهر جيفورا . ويقطع هذا السهل شمالا على يسار نهر جيفورا وعلى مسافة تبعد ١٤ كم من موقعنا ، تل آخر يسمى كاربونيراس Carboneras ، يفوق في الارتفاع تل ساجراخاس بنحو ٥٠ مترا ولكن تتخلله شقوق واضحة بحيث يبدو من أعلى وكأنه قمع افطس يمكن تمييزه تماما على السطح الافقى للمنطقة . واذا تتبعنا هذا الخط الى اليسار حيث تبدأ الحدود مع البرتغال نشهد تلا ثالثا صغيرا يسمى ليفيانا Liviana يقع على بعد اثني عشر كيلو مترا من بطليوس ويمكن تمييزه بوضوح بجوار الحافة اليمنى من نهر جيفورا ، ويصل ارتفاعه الى نفس ارتفاع كاربونيراس ، ويتألف من مجموع هذا السهل بأكماته منظر طبيعي ساحر ، وقد كسى السهل بفضل مزارعه وغروسه بالخضرة ، ويعرف اليوم باسم « الفحوص السفلى » «Vegas bajas» (١٠٢) . ويتكون من الروافد والاكمت الاطار العام المحيط بالسهل الذى يتخذ شكل مروحة يبرز في أذناها الامتداد العمرانى للمدينة . وينبسط السهل على شكل زاوية منفرجة نحو الشمال الغربى في اتجاه معاكس في حين تحف بواى آنة من الشرق اراضى طينية تميل الى الارتفاع متخذة في تكومها أشكال قمم وتنوعات .

ويتألف فحص وادى آنة من سهول فيضية ، وكذلك فحص (١٠٣) نهر جيفورا ، وان كانت نسبه اقل . اما بقية الاراضى فطينية باستثناء المناطق الكلسية التى تقع بجوار بطليوس وتتيح قيام جرفين مرتفعين على احدهما تنتصب القصبه ، وتواجه الآخر المسمى قمة سان كريستوبال حيث يفتح باب فسيح يسمى باب النخيل . ويشق هذا

المرج النضير بحذاء النهر أجزاء قديمة من الجادة الرومانية القادمة من ماردة (١٠٤) .

وبهذا يتضح لنا أن هناك ثلاثة مناطق محددة تماما : أولها بطحاء بطليوس الفسيحة المترامية بجوار وادي آنة وتوسع لمجرى نهر جيفورا ، والثاني : أرض خزان آجيلا الممتدة حتى حصن الزجالة (١٠٥) ، وأخيرا : الحقول الفسيحة الممتدة الى الشمال .

وبينما يذكر الادريسي أن بطليوس تتبع اقليم القصر (١٠٦) (يقصد قصر أبى دانس Alcacer do Sal) يذكر كل من ابن غالب في فرحة الانفس وياقوت في معجم البلدان أن بطليوس (١٠٧) تتبع كورة ماردة ، ونستخلص من ذلك أن بطليوس كانت جزءا من كورة ماردة ، وأنها كانت تتبع اقليم القصر ، والمعروف أن الكورة أشمل وأكبر من الاقليم (١٠٨) .

(١٠٤) Albarran : Op. Cit., 191.

(١٠٥) حصن الزجالة حصن قائم على قمم مرتفعة وتتجمع أدناه أنهار البراجنة وسان فوستري وثباتون (انظر

(Albarran : Ibid, P. 194.

(١٠٦) الادريسي : المغرب وأرض السودان ، ص ١٧٥ . وفي ذلك يقول الادريسي « ويلى هذا الاقليم اقليم القصر وفيه القصر المنسوب لأبى دانس ، وفيه يابورة وبطليوس وشريشة وماردة وقنطرة السيف، وقورية ، ويلى اقليم البلاط وفيه مدينة البلاط ومدلين ، ويلى هذا الاقليم اقليم بلاطة وفيه شنترين ولشبونة وشنترة » .

(١٠٧) ابن غالب : فرحة الانفس ، ص ٢١ . ويذكر ياقوت أن بطليوس مدينة كبيرة بالاندلس من أعمال ماردة (ياقوت ، معجم البلدان ، مادة بطليوس) .

(١٠٨) الاقليم هو كل قرية كبيرة جامعة أو البلدة وحوزها المتصل بها ، فالاقليم يضم عدة قرى ، وهو وحدة ادارية ومالية تتبع الكورة أو المدينة (ياقوت : المصدر السابق ، ص ٢٦ ، حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ٥٧٨) ويذكر ياقوت أن الكورة اسم فارسي بحث وقد استعاره العرب وأطلقوه اسما على =

وتقع بطليوس في اقليم قاحل قليل المطر ، هو اقليم استرامادورة ، فمن المعروف أن الاندلس على حد تعبير الرازي أندلسان من حيث اختلاف هبوب رياحها ومواقع أمطارها وجريان أنهارها ، أندلس غربى ، وأندلس شرقى (١٠٩) ، يتوسط الحد الفاصل بينهما منطقة وسطى اختلفت المصادر في تحديدها (١١٠) .

ولكن الرازي ، وهو أقدم جغرافىي الأندلس وأكثرهم ثقة يذكر

= الاستان كما استعاروا لفظ الاقليم من اليونانيين فأصبح يدل على الكشعر والكورة والاستان بمعنى واحد وهى كل صقع يشتمل على عدة قرى ، ولابد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر يجمع اسمها . والظاهر أن ياقوت التبس عليه الامر فنسب الكورة للفرس بينما هى فى الحقيقة كلمة يونانية (كوريا Curia) بمعنى المركز يتولاها ماليا الجسطال (وهى لفظة يونانية معربة من أوجسطاليوس) ويقصد به مندوب ديوان الخراج (راجع :

Grohmann, Arabic papiri in Egyptian library, Vol. III, Cairo 1938, PP. 15-17.

وراجع (سيدة الكاشف : مصر فى عصر الولاة ، ص ٢٥ ، وانظر تعريف الكورة وعلاقتها بالريستاق فى : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، الجزء الثانى من دراسات فى تاريخ العرب ص ٢٦٠) « . والحوز هو زمام الكورة كله ، أى ما يتبعها من الارض والمدن ، وخطة البلد هى المساحة التى تعطىها المدينة نفسها ، وما يتبع حكومتها من الارياض والقرى (انظر حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين ، ص ٦٧) .

(١٠٩) المقبرى : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ١٢٩ ، وكذلك يذكر ابن النظام أن بلد الاندلس عند علماء أهله أندلسان ، فالاندلس الشرقى منه ما صبت أوديته الى البحر الرومى ، المتوسط ، المتصاعد من أسفل أرض الاندلس الى المشرق وذلك ما بين مدينة تدمير الى سرقسطة ، والاندلس الغربى ما صبت أوديته الى البحر الكبير المعروف بالمحيط أسفل من ذلك الحد الى ساحل المغرب ، فالشرقى منهما يمطر بالرياح الشرقية ويصلح عليها والغربى يمطر بالرياح الغربية وبها صلاحه وجباله هابطة الى الغرب جبلا بعد جبل ... الخ .

(١١٠) حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الاندلس : ص ١٠٤ .

أن الغربى هو ما جرت أوديته الى البحر المحيط الغربى ، وتمطر بالرياح الغربية ، ويؤكد أن مبتدأ هذا الحوز من ناحية المشرق مع المفازة الخارجة من الجوف الى بلد شنتمرية طالعا الى حوز اغريطة (١١١) المجاورة لطليطة مائلا الى الغرب ومجاورا للبحر المتوسط الموازى لقرطاجنة الحلفاء التى من بلد لورقة (١١٢) . وهذه العبارة التى ذكرها الرازى تتسم بعدم الدقة ، فنحن لا نعرف على وجه التحديد ما هى « المفازة الخارجة الى بلد شنتمرية » ولعل المراد هنا شنتمرية الغرب (١١٣) ، فتكون المفازة المقصودة هنا المنطقة التى تعرف اليوم باسترامادورة ، وعلى هذا فان الفاصل بين منطقتى

(١١١) يبدو أن المراد بحوز اغريطة هذه منطقة سلسلة جبال جريدوس Serrania de Gredos (حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الاندلس ص ١٠٤) .
(١١٢) المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ١٢٩ ، وراجع الترجمة الفرنسية فى

Lévi-Provençal, La description de L'Espagne d'Ahmed al Razi, Al Andalus, 1953, P. 60-61.

Cronica del Moro Rasis, ed. Diego Catalan, Madrid, 1975, P. 16.

(١١٣) تقع مدينة شنتمرية الغرب على المحيط الاطلسى وهى من مدن اكشونبة Ocsonoba ويذكر الادريسي أن سورها يصعد ماء البحر فيه اذا كان المد ، كما يذكر أنها مدينة متوسطة القدر حسنة الترتيب لها مسجد جامع ومنبر وجماعة وبها المراكب واردة وصادرة وهى كثيرة الاعناب والتين « (الادريسي ص ١٧٩ ، الحميرى ، ص ١٥٥) وهى غير مدينة شنتمرية الشرق المنسوبة الى ابن رزين ، وكانت تعرف أيضا باسم السهلة (ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ٣٠٧) ويخط الدكتور حسين مؤنس بين شنتمرية الغرب وبين Santaver فيذكر أن شنتمرية الغرب تكتب أحيانا شنتبرية وبالاسبانية Santaver (الجغرافية والجغرافيين ، ص ١٠٤) فى حين أن الرازى يجعل شنتبرية كورة تقع شرقى قرطبة La Description de L'Espagne d'Ahmed al Razi, P. 80.

= وراجع العذرى ، ص ١٤٤ .

الامطار الغربية والشرقية هى المنطقة التى تتميز بقلّة أمطارها وتقع فيها بطليوس .

وأصبحت بطليوس فى أعقاب سقوط الخلافة المروانية بقرطبة وقياسام دويلات الطوائف قاعدة امارة مستقلة فى ظل بنى الافطس (١١٤) .

وظلت بطليوس حاضرة مملكة بنى الافطس ما يقرب من سبعين عاما (٤١٣ - ٤٨٨ هـ) (١٠٢٢ - ١٠٩٤ م) ولهذا عرفت دولة بنى الافطس بمملكة بطليوس ، وكانت قد امتدت فى ظل هذه الاسرة امتدادا كبيرا الى حد أن حدودها الشمالية أصبحت تصاقب نهر دوبره (١١٥) فى الشمال ومملكة اشبيلية فى الجنوب والبحر المحيط (المييط الاطلسى) حتى مرتفعات رأس سينس cabo de Sines فى الغرب ، بينما أخذت تنحدر من المرتفعات الجرداء التى تحد مملكة طليطلة من الشرق والجنوب الشرقى وتقسم محافظتى بطليوس وقاصرش الى قسمين

= وكان يتولى شنتمرية الغرب زمن الفتنة بنو هارون توارشوا ملكها الى أن انتزعها منهم المعتضد بالله ابن عباد (راجع ابن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق د . شوقى ضيف ، ج ١ ، القاهرة ١٩٥٣ ، ص ٣٩٥ ، وابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢٩٨ وما يليها) . واسترامادورة هى امتداد ما كان يعرف بالجوف فى المصطلح الجغرافى الاندلسى ، وهو مساحة واسعة تغطى فى التقسيم الحالى لاسبانيا الجزء الشمالى من مديريةية ولبه Huelva وكل مديريتى بطليوس وقاصرش Caceres وجزءا منها يحاذى هذه المديرىات طولاً من البرتغال (انظر حسين مؤنس: الجغرافية والجغرافيين ، ص ١٠٤) . (١١٤) محمد عبد الله عنان : الآثار الاندلسية الباقية فى اسبانيا والبرتغال ، ص ٣٧٢ . (١١٥) كذلك يوجد فى الشمال فحص بأجة حيث يلتقى نهرارديلةبوادى آنة ثم يتقدم هذا النهر من السفوح الشمالية لجبال أروتش مخترقا سيرا مورينا بالقرب من كاثلا القريبة من قرطبة .

وتنننى مع مجرى واديانه فيما وراء ماردة نحو الجنوب الشرقى (١١٦) .

وبلغ اتساع مملكة بطليوس ذروته فى عام (٤٦٨هـ / ١٠٨١م)
عندما تمكن المتوكل على الله آخر ملوك بنى الافطس من حكم طليطلة
بصفة مؤقتة ، الا أن هذه الحدود لم تلبث بعد سقوط طليطلة فى أيدي
القشتاليين فى منتصف المحرم سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م أن انكمشت ، فأصبح
أكثر من نصف مملكة بنى ذى النون فى حوزة القشتاليين بينما ظل القسم
الجنوبى منها ابتداء من نهر تاجه داخل نطاق مملكتى بطليوس
واشبيلية .

ونستنتج من ذلك أن مملكة بنى الافطس وقاعدتها بطليوس كانت
تستوعب ما يزيد على ٦٠% من مساحة الاراضى التى تشغلها دولة
البرتغال حاليا ، فاذا ضمنا اليها نصف محافظة استرامادورة وبعض
أجزاء أخرى من وسط الاندلس فإن مجموع مساحة أراضى هذه المملكة
يصل الى ٩٠ ألف كم (١١٧) .

فكانت تشتمل على كل اقليم بيراس والساحل الاعلى والادنى من
البرتغال باستثناء المنطقة الملاصقة لمملكة ليون ، كما كانت تضم فى
نطاقها منطقة ريباتيجو Ribatejo ومعظم منطقة
المتيجو Alemtejo (١١٨) وكلتاها تتبعان محافظة استرامادورة .

Albarran : Op. Cit., P. 37. (١١٦)

Ibid, P. 38. (١١٧)

(١١٨) لابد أن نتصور أن الحدود بين مملكة بطليوس وغيرها من
دويلات الطوائف لم تكن ثابتة وإنما كانت دائمة التغير والتجدد
بسبب الحروب والخلافات الشخصية المتواصلة بين ملوك الطوائف
(راجع Albarran : Op. Cit., P. 38.) وبسبب هذه الحروب
المتواصلة بين الممالك الاسلامية المختلفة كانت المناطق المجاورة
لنهر دويره والتى تمتد نحو الشرق من ليق أراض مهجورة
تماما أو ما يسمى بالاراضى الغيرية لتعرضها للصوائف
والغارات التى لم تكن تنقطع ، ولقد عانت مدينة باجة نفس
المعاناة فظلت مخربة لفترة طويلة. Albarrân : Op. Cit., P. 38.

واذا بحثنا في الظروف الجغرافية لامارة بطليوس فاننا نجد ان جغرافى العرب لم يقدموا مادة كافية لرسم صورة متكاملة بقدر الامكان، لما كانت عليه (١١٩) . كما ان معظمهم كان اذا تعرض لذكر موضع ما من هذه الامارة فانه يضيف عليه بعض عبارات من المديح لا يتردد عن تكرارها عندما يتطرق حديثه الى مواضع اخرى ، فلادريسى مثلاً يستخدم بعض الصفات مثل « مدينة عامرة ، أهلة لها بساتين وغلات » او مدينة متوسطة القدر حسنة الترتيب ، او مدينة حسنة في بسيط من الارض ولها غلات وجنات ، او مدينة حسنة الهيئة بديعة المباني ، او مدينة جلييلة عليها سور منيع الى آخر ذلك من الصفات التى يتردد ذكرها في معظم المدن والمواضع التى ترد في كتابه ، ومع ذلك فقد استطعنا من خلال هذه الاوصاف ان نسجل صورة ربما تكون واضحة لمملكة بطليوس في هذه الفترة .

١ - الجبال :

يطلق جغرافيو العرب عادة لفظ الشارات Sierra على سلاسل الجبال ويشير الرازى الى أن ثلاثة جبال تشق الاندلس من البحر الى البحر ، ويذكر الادريسى أن « جزيرة الاندلس مقسومة من وسطها في الطول بجبل طويل يسمى الشارات وفي جنوب هذا الجبل تأتي مدينة طليطلة ... » (١٢٠) .

ويعتبر الادريسى جبل الشارات الجبل العظيم المتصل ويمتد على حد قوله من ظهر مدينة سالم الى قرب مدينسة قلمرية في آخر الغرب (١٢١) . ومثل هذا الفهم لجغرافية الاندلس عرفه الجغرافيون

Cronica del moro Rasis, P. 110, Lévi-Proença, la Description (١١٩)
de L'Espagne d'Ahmed al Razi, P. 100.

(١٢٠) الادريسي : المصدر السابق ، ص ١٧٣ .

(١٢١) المصدر السابق ، ص ١٨٨ .

القدامى أمثال بلنيوس وميلا (١٢٢) . ويدخل جبل سيرا دي استريا De Estrella ، في نطاق امارة بطليوس ، فقد أورد الرازي اسمه في سياق حديثه عن اقليم قلمرية وهي مدينة تقع على نهر منديق Mondego (١٢٣) الذي ينبع من سيرادي استريا (١٢٤) وإلى جنوب الاشبونة يرتفع جبل الرابطة Arrabida الذي يتقدم البحر متمثلاً في رأس اسبيشل Cabo Espichel . ولقد ذكر الرازي اسم هذا الجبل فأشار الى انه في حد اقليمي باجة واشبونة جبل يعرف بجبل بنوابن أموصر Banu Benamocer (ويقصد به حالياً جبل سان جوان) ويسميه أهلها الرابطة (١٢٥) .

٢ - الانهار :

هناك أنهار ثلاثة رئيسية كانت تشق أراضي مملكة بطليوس هي نهر دويره ونهر تاجه وواديانه أو نهر آنة . وستصبح هذه الانهار الثلاثة على مدى تاريخ بطليوس في العصر الاسلامي الاهداف الاساسية لحركة المد المسيحي ، فهذه الانهار كانت بمثابة خنادق طبيعية مفتوحة في طريق الجيوش الظافرة ، وواضح أن مصير بطليوس في التاريخ ارتبط ارتباطاً وثيقاً بوجود هذه الانهار الثلاثة (١٢٦) .

ويعتبر الرازي نهر دويره أحد أنهار رئيسية مشهورة ببلاد الاندلس ، وهي نهر قرطبة ويعرف بنهر بيطى ، ومن روافده شنيل وبليش ووادي شوش والوادي الاحمر وبلون ومنها نهر تربيد (شتورة)

(١٢٢) Albarran : Op. Cit., P. 278-279.

(١٢٣) الادريسي : ص ١٨٣ .

(١٢٤) La Description de L'Espagne d'A Ahmed, al Razi, P. 89.

(١٢٥) Albarran : Op. Cit., P. 280, Lévi-Provençal, la description de

L'Espagne d'A Ahmed al Razi, P. 90.

(١٢٦) Albarran : Op. Cit., P. 282.

ونهر آنة ونهر تاجه ونهر دويره ونهر ابره ونهر مينه (١٢٧) Mino
مسافة جريه سبعمئة ميل وثمانون وهو رقم مبالغ فيه وصحته كما
يذكر ابن غالب ٥٨٠ ميلا .

ويذكر الرازي أن نهر دويره *duero* ينبع من جبال منتويا Montoya
وهو نهر كبير للغاية غزير المياه ويصب في البحر المحيط عند بلدة
برتقال Porto (١٢٨) . أما البكري فيذكر أن نهر دويره منبعه
من جبال منتويا ومصبه في البحر المحيط من مدينة قلمرية ومدينة برتقال
Porto ، مسافة جريه سبعمئة ميل وثمانون ميلا ، ويقع فيه نحو
عشرة أنهار « (١٢٩) » .

وواضح أن بعض الجغرافيين العرب لاسيما الرازي كانوا يعتمدون
على المصادر اللاتينية مثل هيروشيوس ، وسان ايسيدرو ونقلوا
الاصطلاحات الى العربية بصورة خاطئة ثم تناقلوا ذلك فيما بينهم ،
فشوهوا بذلك المعنى تماما (١٣٠) .

أما نهر تاجه فكان مجراه الطويل يخترق حدود امارة بطليوس ،
ولعله النهر الوحيد في اسبانيا الذي حظى باعجاب الجغرافيين منذ
القدم .

ويصف ابن حوقل نهر تاجه على خريطة المغرب بقوله « هذا
الوادي عليه مدن للمسلمين وأعمال ورساتيق ويعرف بوادي تاجو
ولجليقية عليه غير مدينة ، ويشق أكثر جليقية الى أن يقع بين المعدن

Lévi-Provençal : La description de L'Espagne d'Ahmed Al (١٢٧)
Razi P. 101-104.

Cronica del Moro Rasis, P. 116. (١٢٨)

Lévi-Provençal : La description de L'Espagne d'Ahmed Al (١٢٩)
Razi, P. 103.

ومدينة قلمرية تقع على مصب منديق وليس على مصب دويره
Joaquín Való Bermúdez «Fuentes Latinas de los geógrafos (١٣٠)
arabes» en al-Andalus, 1957. T. XXXII P. 241-250.

ولشبونة من ارض الاندلس في البحر المحيط ، وعند مصب هذا النهر
مدينة المعدن (١٣١) .

ويذكر الرازي نهر تاجه في مناسبات مختلفة باعتباره من اعظم
انهار اسبانيا وفرة في المياه ، كذلك يذكره عند وصفه لقنطرة طليطلة
العجيبة المشهورة (١٣٢) ، وعند حديثه عن شنترين (١٣٣) واشدانية
(ادانها) Idanha (١٣٤) واشبونة (١٣٥) ، وفي سياق حديثه عن
انهار الاندلس يذكر نهر تاجه فيقول : « منبعه من جبال بناحية طليطلة
من عين في موضع يعرف بالبيضة لكثرة صنوبره ، ومصبه في البحر
المحيط بالاشبونة ، مسافة جريه خمسمائة ميل وثمانون ميلا » (١٣٦) .
وقد ورد ذكر نهر تاجه ثلاث مرات في نزهة المشتاق للادريسي ، مرة
عندما ذكر موقع مدينة لشبونة حيث يسميه بنهر طليطلة ومرة اخرى
عند حديثه عن مدينة طليطلة وقطربتها عجيبة البنيان حيث يسميه بالنهر
الكبير ، ومرة ثالثة عند ذكره لمدينة وادي الحجارة حيث يسميه بنهر تاجه
الاكبر ، ويشير الى امتداد مجراه من الجبال المتصلة بالفت غربا الى
لشبونة ، ومن الجدير بالذكر ان بعض الجغرافيين ذكروه خطأ باسم
نهر باجة وتناقلوا هذا الخطأ ومنهم ابن حوقل (١٣٧) .

أما نهر آنة المعروف بواديانه فيعد أطول أنهار الاندلس الغربية
اذ يمتد مسافة تقرب من ثلثمائة وعشرين ميلا من منبعه بجبل البحيرة

(١٣١) ابن حوقل : صورة الارض ، ص ٦٩ ، وانظر كذلك خريطة

المغرب وبلاد الروم بنفس الكتاب ، ص ٦٥ .

(١٣٢) Cronica del Moro Rasis, P. 64, Lévi-Provençal, la description
de l'Espagne, P. 81.

(١٣٣) Cronica del Moro Rasis; P. 83, Lévi-Provençal Ibid. P. 88.

(١٣٤) Cronica del Moro Rasis, P. 86-Lévi-Provençal, Ibid. P. 89.

(١٣٥) Lévi-Provençal, Ibid. P. 90.

(١٣٦) Lévi-Provençal, Ibid. P. 103.

(١٣٧) ابن حوقل : المصدر السابق ، خريطة المغرب ، ص ٦٥ .

حتى مصبه في البحر المحيط عند بلدة اكشونبة (١٣٨) ، وبفضل مياهه الوفيرة أمكن سقاية السهل الفسيح المحيط بببليوس وكانت مياهه ترتطم بسور ببليوس ، وعنه يقول البكري نقلا عن الرازي « ونهر آنة ومنبعه بين شمال الاندلس وشرقيها فيما بين الجبل المسمى البويره ومدينة رقبول (وهى فوق مدينة ريمية) ومنصبه في البحر المحيط باكشونبة ، ومسافة طوله ثلاثمائة وعشرون ميلا . ونهر آنة هذا يغيض بين ماردة وببليوس ، فيجرى متواريا حتى يبدو بموضع يعرف بفج العروس من فحص الفخ ، ثم يغيض فيخرج بقرية من قرى قلعة رباح يقال لها آر (١٣٩) .

٣ - الفحص (أو السهل) :

١ - فحص بلاطة :

وهو سهل شنترين الفسيح الذى يمتد في قلب اقليم ببليوس وكان يعتبر مخزن غلال لمملكة بنى الافطس أصحاب ببليوس (١٤٠) ، ويمكن اعتباره اقتصاديا وجغرافيا اقليما قائما بذاته له سماته الخاصة . ويقع فحص بلاطة في اقليم ليزيرياس على نهر تاجه Lezirias del Tajo وهو اقليم فسيح يمتد بحذاء النهر حتى شنترين ، وتكسوه الخضرة وتكثر به المناظر الطبيعية الرائعة ، لاسيما عند شنترين ، ويحده الادريسي اقليم بلاطة بثلاث مدن تقع عليه هى شنترين وأشبونة وشنتر (١٤١) ، ويذكر أن سهل بلاطه ، يمتد في الطريق من لشبونة

Lévi-Provençal, la description de l'Espagne P. 102. (١٣٨)

Lévi-Provençal, Ibid, P. 102. (١٣٩)

(١٤٠) وفي ذلك يقول الادريسي « وبينهما (أى شنترين ولشبونة)

فحص بلاطة ، ويخبر أهل لشبونة ، وأكثر أهل الغرب أن

الحنطة تزرع بهذا الفحص فتقيم في الأرض اربعين يوما

فتحصد ، وأن الكيل الواحد منها ، يعطى مائة كيل وربما زاد

ونقص » (الادريسي ، ص ١٨٦) .

(١٤١) الادريسي ، المصدر السابق ، ص ١٧٥ .

الى شنترين(١٤٢) : فيقول « والطريق بينهما (أى بين شنترين
ولشبونة) لمن شاء فى النهر أو فى البر وبينهما فحص بلاطة »(١٤٣) ،

وفحص بلاطة يقابل اليوم الموضع المعروف بفـلـادـة Valada
وواضح أن الاسم محرف من بلاطة وهى قرية فى منطقة concelho de
Azambuja تلقت اسمها من اسم الفحص الذى مازال يحتفظ
بتسميته العربية campo de Valada (١٤٤) . وفحص بلاطة على
هذا النحو يقابل ما يعرف اليوم بسهل فلادا .

وهناك احتمال فى أن تكون لفظة فلادا Valada مشتقة من
الغلاة ، وهو احتمال بعيد لوضوح الاصل العربى الممثل فى (بلاطه) .
ويعتقد البران(١٤٥) Albarran أن كلمة Valada المحرفة من
التسمية العربية بلاطة ، انما ترجع لأصل مستعرب أو رومانسى ، من
اللاتينية Vallum بمعنى خندق ، وتعنى السهل الذى يشقه مجرى
نهر تاجه . ويعتقد أويثى أن تكون اللفظة مشتقة من الكلمة
العربية البلاط بمعنى الارض الواقعة بجوار الجادة الرومانية(١٤٦) .
ومن عجائب الصدف أن بلاطة تقع على حافة الجادة الرومانية التى
تحاذى نهر تاجة وتمتد من مدينة لشبونة مروراً بالبركة Alverca
والنكير Alenquer الى شنترين(١٤٧) .

٢ - فحص البلوط :

هو اقليم سهلى فسيح حاضرتة حصن غافق المعروفة اليوم باسم

(١٤٢) المصدر السابق ص ١٨٦ .

(١٤٣) نفسه ، ص ١٨٦ .

Albarran : Op. Cit., P. 292.

(١٤٤)

Albarran : Ibid, P. 293.

(١٤٥)

Hu'ci Encyclopédie de L'Islam, Op. Cit., P. 1019.

(١٤٦)

Albarran : Op. Cit., P. 293.

(١٤٧)

بل القصر Belalcazar ، ويسميه الادريسي اقليم البلالطة (١٤٨) ،
وفيه حصون كثيرة من أكبرها بطروش وحصن أبى هارون وغيرها دونها
فى الكبر ، واسم بطروش مشتق من بترا Petra أو حجر ثم أطلق
عليه قياسا على ذلك فحصى البلوط Pedroches (١٤٩) .

ومن المعروف أن شجر البلوط ينمو بكثرة فى بلاد استرامادورة ،
ولهذا ، يقول الرازى « واقليم فحصى البلوط مصاقب لأوريطه ويقع الى
الجنوب الشرقى من هذا الموضع والى الشمال من قرطبة ، ويسكنه
بربر وقسمه السهل تحده جبال منها جبال البرانس (١٥٠) .. » .

والواقع أن هذه المنطقة كان يسكنها بربر من قبيلة مكناسة
البرانسية ، واليهام ينسب جبل البرانس المعروف اليوم بسيرادى
المعدن (١٥١) . وقد وصف الادريسي هذه المنطقة وصفا دقيقا يدل على
عمق معرفته بها ، فذكر أن حصن بطروش حصن « حسن كثير العمارة
شامخ الحصانة ، لأهله جلادة وحزم على مكافحة أعدائهم ، ويحيط
بجبالهم وسهولهم شجر البلوط الذى فاق طعمه طعم كل بلوط على وجه
الارض وذلك أن اهل هذا الحصن لهم اهتمام بحفظه وخدمته ، لأنه لهم
غلة وغيث فى سننى الشدة والمجاعة » ، كذلك ذكر أن حصن غافق « حصن
حصين ومقل جليل وفى أهله نجده وحزم وجلادة وعزم ، وكثيرا
ما تسرى اليهم سرايا الروم فيكتفون بهم فى اخراجهم عن اراضيهم ، وانقاذ

(١٤٨) الادريسي : المصدر السابق ، ص ١٧٥ .

Huici, Encyclopédie de L'Islam, Op. Cit., P. 762-763. (١٤٩)

Lévi-Provençal : La Description de l'Esp. P. 83. (١٥٠)

ويضيف الحميرى : « بجبل البرانس المذكور معدن الزئبق الذى

يحمل الى الافاق والزيتون المتناهى فى الجودة »

(الحميرى ص ١٤٢) وتتصل أحواز فحصى البلوط بأحواز

فريش حيث تنمو أشجار القسطل (الحميرى ص ١٤٣) .

Albarran, Op. Cit., P. 295.

(١٥١)

غنائهم منهم والروم يعلمون بأسهم وبسالتهم ، فينفأفرون أرضهم ويتحامون عنهم(١٥٢) .

وينقل الحميرى ما أورده الادريسى فى وصفه لآصن بطروش وحصن غافق ، وواضح من هذا الوصف أن من خصائص اقليم فآص البلوط. توافر الزئبق وكبريتيد الرصاص وشجر البلوط الجيد الذى يفوق غيره فى سائر انحاء العالم بطيب الطعم ، وكان غذاء طيبا يعيش عليه سكان الجبال ثلى العام ، فكانوا يجففونه ويطحنونه لعمل الخبز ويحفظونه لفترات طويلة(١٥٣) .

الطرق الرومانية القديمة :

ظلت شبكة الطرق الفسيحة التى نظمها الرومان فى أرض ابارية (شبه جزيرة ايبيريا) قرونا عديدة مركزا للانتقالات السكانية والتحركات العسكرية والنشاطات التجارية ، فلقد اعتمد الانتقال بين مختلف المواضع فى جزيرة الاندلس فى العصر الاسلامى على الطرق القديمة ، وكلمة البلاط التى كانت شائعة عند المسلمين ، كانت تطلق على الارض الممهدة أو على مراكز عمرانية تقع على حافة الجادة الرومانية ، ومن امثلة ذلك الموضع الموسوم بالبلاط ويقع على نهر تاجه ، وكان يدخل فى نطاق مملكة بطليوس(١٥٣ب) . وبالإضافة الى اصطلاح البلاط هناك اصطلاح آخر بنفس المعنى أطلقه العرب على الطريق الرومانى وهو الرصيف(١٥٣ج) .

ووجود مترادفات بنفس المعنى ينهض فى حد ذاته دليلا على مدى

(١٥٢) الادريسى : المصدر السابق ، ص ٢١٣ .

(١٥٣) Albarran : El Solar, Op. Cit., P. 295-296.

ويذكر الادريسى انه يلى اقليم قصر أبى دانس اقليم البلاط وفيه مدينة البلاط ومدين (الادريسى ، ص ١٧٥) .

(١٥٣ب) Albarran : Ibid., P. 331.

(١٥٣ج) Torres Balbas, La via augusta y el arrecife murulman, en al Andalus, 1959, Vol. XXIV. P. 441-448.

الاهتمام الذى وجهه العرب الى الطرق الرومانية القديمة المرصوفة ، ومن مظاهر هذا الاهتمام انهم اتخذوا من هذه الطرق الرومانية شبكات متفرعة منها تيسيرا لتحرك الحملات العسكرية الموجهة الى الاراضى المسيحية أو تلبية الحاجات الاقتصادية . وكانت اراضى اقليم بطليوس لاسيما فى عصر الطوائف مرصعة بطرق متشابكة ، ومن الجدير بالذكر أن الاراضى الجنوبية ومنها فحوص استرامادورة واحوازها كانت تتعرض دائما للاعتداء والغزوات، وهذا حال كل أرض خصبة ومصير المناطق التى تتسم بالثروات الزراعية الهائلة عبر حقب التاريخ .

أهم حصون اقليم بطليوس :

كان لنظام التحصينات العسكرية أهميته بالنسبة لدراسة تاريخ المنطقة بحيث لا يمكننا التوسع فى دراسة الحروب الدائرة فى المنطقة فى تلك الآونة بين المسلمين والمسيحيين دون الامام التام بهذه الحصون ومعرفة أسمائها .

وقد سجل تراس(١٥٣) الأسباب الرئيسية التى أدت الى ازدياد عدد الحصون فى عصر الطوائف ، فذكر أن سقوط الخلافة ، وتمزق وحدة الاندلس الى دويلات صغيرة أدى الى تزايد المناطق الثغرية ، وكان لزاما على ملوك الطوائف الذين تقع اراضيهم على حدود دويلات أخرى مسيحية أو اسلامية أن يدافعوا عن كياناتهم ويذبوا عن حدود دويلاتهم ، وتمخضت عن ذلك أوضاع سياسية مضطربة تعرضت لها الاندلس فى تلك الحقبة ، وبالإضافة الى ذلك ضاعفت الصراعات الداخلية العديدة ، وتعدد القواعد الاندلسية وارتفاع بعضها الى مصاف الحواضر لدويلات الطوائف المستقلة من استعداداتها الدفاعية ، فظهرت من هذه

الحواضر مدن كانت خاملة أمثال الجزيرة والسهلة ، ورندة ، وقرمونة ، ومورور ، ولبله ، وولبة ، وشلطيش ، وكذلك الشأن بالنسبة لبطلبيوس قاعدة مملكة بنى الافطس . وكان القائمون بالبناء يختارون عادة لاقامة قصابهم النقاط الحيوية المرتفعة التى تسيطر عسكريا واستراتيجيا على الموقع مع ايثار النشز المرتفع الذى تتوج الاسوار تضاريسه الناتئة وعراقبيه (١٥٤) .

اهم الحصون الواقعة على وادى آنة :

١ - حصن أرندة (Aranda) :

ويقع بين قلعة رباح وماردة (١٥٥) ذكره الادريسي فى معرض حديثه عن المسافات بين قلعة رباح وبطلبيوس فقال « ومن ماردة الى حصن كركوى ٣ مراحل ، ومن كركوى الى مدينة قلعة رباح على ضفة نهر آنة ، وهذا النهر يأتى من مروج فوقها ، فيمر بقرية يانة الى قلعة رباح ثم يصير منها الى حصن ارندة ، ومنه الى ماردة ثم يمر بمدينة بطلبيوس فيصير منها الى مقربة من شريش » (١٥٦) ونستخلص من ذلك أن حصن ارندة من جملة الحصون الواقعة على نهر واديانه ومنها قلعة رباح وقرية يانة وحصن مارتلة .

٢ - حصن مورش (١٥٧) (Muro'h) أو (Muros) (١٥٨)

وقد يكون هو نفس حصن مرش الوارد ذكره فى نزهة المشتاق ، ويقع بالقرب من حصن فريش (١٥٩) وربما كان لاسم مورش صلة

Georges Marçais : L'Architecture musulmane d'Occident, (١٥٤)
Paris, 1954, P. 217.

(١٥٥) الادريسي : المصدر السابق ، ص ١٨٦ .

(١٥٦) المصدر السابق ، ص ١٨٦ .

(١٥٧) Albarran : El Solar de los Aftasies P. 482.

(١٥٨) Ibid. P. 482.

(١٥٩) الادريسي ، ص ٢٠٦

بحصن قاشـتره مورش (شنت اشتين) (١٦٠) Castro Muros
الذى يتفق حاليا مع حصن سان استيبان دى جرماث San Esteban de
Gormaz (١٦١) وان كان هذا الاحتمال يبدو بعيدا عن الحقيقة
لبعد موقع سان استيبان دى جورماث من واديانه ، والارجح فيما أعتقد
انه يقع قريبا من ماردة ، اذ ورد الاسم فى جملة الحصون التى ذكرها
البكرى فى سياق حديثه عن حصون ماردة (١٦٢) ، وهذا ما يؤكد فيلث
ارناندث، وكان يعرف باسم Muro de Helechoso ويدعى الآن Helechosa
ويتبع اقليم ترجالة Trujillo

٣ - حصن الصخرة (١٦٣)

وتعرف بصخرة أبى حسان Castillo de la Pena ، ويذكر البكرى
أن هذا الحصن من جملة حصون كورة ماردة ، ومن الجدير بالذكر أن
التسمية الاسبانية وهى Castillo de la Peña ترجمة اسبانية للتسمية
العربية حصن الصخرة (١٦٤) .

٤ - حصن مدلين (Castillo de Medellin)

وقد ورد ذكره فى المسالك والممالك للبكرى بين حصون
ماردة (١٦٥) وان كان ابن سعيد قد جعله من حصون بطليوس (١٦٦)
وفيه يقول الادريسى « وكذلك من مدينة ماردة الى حصن مدلين مرحلتان
خفيفتان وهو حصن عامر ، أهل وفيه خيول ورجال لهم سرايا وطرقات

(١٦٠) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ص ١٦٣ .
Lévi-Proveçal, Histoire de L'Espagne musulmane, t. 11, Paris, (١٦١)
1950, P. 37.

(١٦٢) البكرى : جغرافية الاندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك ،
ص ١٢٠ . وانظر :

Felix Hernandez, La Cura de Merida, al-Andalus, 1960,
PP. 313-371.

(١٦٣) المصدر السابق ، ص ١٢٠ .
(١٦٤) للمزيد عن هذه الحصون راجع Albarrañ : Op. Cit., P. 83.
(١٦٥) البكرى : جغرافية الاندلس وأوروبا ، ص ١٢٠ .
(١٦٦) ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، ج ١ ، ص ٣٧٢ .

في بلاد الروم ، ومن حصن مدلين الى ترجالة مرحلتان « (١٦٧) .

وقد أسست مدلين فيما يقرب من عام ٨٠ ق.م ، وتم تأسيسها على يد القائد الروماني القنصل كينتو سيسيليو ميتيليو Quinto Cecilio Metello أثناء حروبه الضارية مع سيرتوريو وجيشه الاسباني (١٦٨) ، وكانت في البداية معسكرا حربيًا ثم تحولت الى مركز عمراني رئيسي ، وارتفعت بعد ذلك بحيث أصبحت مستعمرة رومانية . وتحفظ مدلين بآثار عديدة من العصر الروماني (١٦٩) منها بعض دعائم القنطرة التي كانت تسلكها الجادة الرومانية Via Augusta ما بين ماردة واقليم كاريتانيا ، بينما لم تنبق آثار ذات قيمة من حصن مدلين الاسلامي الذي كان يؤلف نواة المدينة ومجموعة التحصينات . ومن المعروف أن هذا الحصن سقط في أيدي فرسان القنطرة في سنة ١٢٣٤م (٦٣٢ هـ) . اقيم هذا الحصن فوق تل مرتفع يشرف على البلدة ويسيطر عليها ، وهو حصن منيع اقرب في تخطيطه الى

(١٦٧) الادريسي : المغرب وأرض السودان ، ص ١٨٦ .
(١٦٨) Melida : Op. Cit., II, P. 367, Serrano, Op. Cit., P. 126.
(١٦٩) تتمثل أهم هذه الآثار الرومانية في مدلين في عدد من النقوش جمع بعضها Cean Bermudez و Hübner ، كما تتمثل في القنطرة الرومانية القائمة على واديانة في محاذة القنطرة الحديثة المقامة في القرن ١٧ ، وقوائم القنطرة الرومانية مبنية من الملاط والحجارة ، ومن هذه القنطرة كانت تمتد الجادة الرومانية التي تبقت منها آثار متفرقة تمتد على مدى ٢ كلم ، هذا بالإضافة الى بعض أسوار رومانية اختلطت ببعض الابنية الاسلامية التي مازالت ترى في منحدرات المرتفع الذي يتوجه الحصن . ومن المعتقد أن الباب القديم لا يزال قائما عند رأس القنطرة من العصر الروماني ، وهناك آثار مسرح روماني ونقوش كتابية محفورة في الرخام الابيض وشواهد جنائزية عثر عليها في مدلين (راجع
Jose Melida; Op. Cit., II. P. 366-368.

الاستدارة (١٧٠) ، وينقسم الى قسمين ، الاول داخلى شديد الارتفاع ، له برج كبير يميل الى الاستدارة فى جانبه الغربى المطل على واديانة وتكتنف هذا القسم أبراج أخرى نصف اسطوانية ، أما القسم الثانى فمنخفض للغاية ، يطوق القسم الداخلى ، بحيث يبدو كما لو كان حزاما برانيا لأحد الاسوار ، ولهذا القسم باب يؤدى الى البرج الكبير الذى يتميز به القسم الاول من الحصن ، ويعرف هذا البرج الشامخ ببرج Homenaje أى برج التثريف (١٧١) ، وكان حصن مدلين على حد قول الادريسي حصنا عامرا أهلا بخيالة المسلمين يثون السرايا فى اراضى أسبانيا المسيحية ، فكان قاعدة لخروج الحملات العسكرية على بلاد جليقية (١٧٢) .

٥ - حصن الحنش Castrum Colubri

ويقع على بعد نحو خمسة عشر كيلو مترات الى الجنوب الشرقى من ماردة (١٧٣) . وواضح أن العرب نقلوا الاسم اللاتينى الى العربية بنفس معناه ، فلفظة castrum تعنى الحصن colubri أى الحنش ، ومن الغريب أن يحرف الاسبان الاسم العربى من الحنش الى الانشى Alange ، وبذلك يتبين لنا التفسير الخاطيء لكوديره الذى ذهب الى انه ينسب الى حنش الصنعانى (١٧٤) . ويرى مارتينث اى مارتينث أن التسمية العربية للحصن « الحنش » محرفة من التسمية الايبيرية الرومانية lanja وهى لفظة تعنى عين ماء ، ثم حرفت التسمية من

(١٧٠) يرى Melida أنه لم يتبق من الحصن الاسلامى أية آثار وأن الحصن قد أعيد بناؤه فى عهد بدرو القاسى

(Melida : Op. Cit., II, P. 323-324).

Serrano, C : Badajoz y su Provinea, Op. Cit., P. 126. (١٧١)

(١٧٢) «الادريسي : المغرب وأرض السودان ، ص ١٨٦ .

Melida : Op. Cit., II, P. 361. (١٧٣)

Francisco Codera, «Los Benimeruan en Merida y Badojoz» en (١٧٤)

Estudios criticos de historia arabe espanola, Madrid, 1917,
P. 55.

العربية (الحنش) الى التسمية الاسبانية Alange (١٧٥) . وكان حصن الحنش (١٧٦) المفتاح التاريخى لبناء بطليوس ، فهو يقع في

Martinez y Martinez : Historia del reino de Badajoz op. Cit., (١٧٥) P. 124.

(١٧٦) كان العرب يميزون بين الالفاظ الدالة على الحصون والمباني العسكرية وفقا لوظائفها وطبيعتها . فالبناء القائم على وحدة دفاعية يسمى حصن ، وهذا اللفظ كان يسبق عادة الاسم الدال على الموضع الذى اقيم عليه الحصن ، مثل Alange أى حصن الحنش وبعضها يحمل اسم المنشئ أو شخصية لها علاقة بالحصن مثل حصن أبى حسان فى منطقة بطليوس . وأحيانا تتسمى الحصون بأسماء اسبانية خالصة دون ترجمة مثل حصن سنت أكروج Santa cruz ببطليوس ، وكثيرا ما ساد الاسم الرومانى أو الايبيرى دون تغيير . أما اذا اتخذ الحصن شكل نطاق حصن يحيط بالمدينة أو بأرضها ففى هذه الحالة يطلق عليه اسم قلعة ، وهناك صورة أخرى للتحصينات هى ما تعرف باسم البرج وتتألف من وحدة بنائية تتمثل فى برج يمكن أن يكون مجاورا للصور أو منفصلا عنه تماما بحيث يؤدى دورا دفاعيا بحتا ويعرف فى هذه الحالة بالبرج البرانى albarana (راجع السيد عبد العزيز سالم : المساجد والقصور فى الاندلس سلسلة أقرأ ، عدد ١٩١ القاهرة ١٩٥٨) Torres Balbas, la alcazaba almohade de Badajoz, en obra dispersa, Madrid, 1981, PP. 236, 203.

ومن أمثلة هذه الابراج البرانية فى بطليوس ، برج اسبانتابروس ، ويسبق هذه الابراج عادة تحصينات تتوج نسرا مرتفعا وتجعل من الموقع مركزا دفاعيا استراتيجيا هاما ، ويطلق على هذا النوع من التحصينات اسم القصير ، وهو تصغير من قصر ، وكان يكتب بالرومانسية alcocer ، وقد شاع هذا الاسم على مواضع فى شبه الجزيرة ، ففى بطليوس يتمثل فى بلدة Pueblo de alcocer . وهناك تحصينات تتمثل فى المواضع الصخرية الطبيعية ، وهى التى كانت تستعمل فى الاحوال الضرورية عند الاشتباكات أو الهجوم ، ومنها صخرة أبى حسان ببطليوس (راجع : Albarran Op. Cit., P. 473, Serrano, C : Op. Cit., P. 140).

وفى القرن ١١م تغيرت السمات المعمارية لهذه الحصون وفقا للظروف المحيطة ، فظهر ما يعرف باسم الستارة الامامية ، وهى سور أمامى يسمى حزام برانى ، وكان الفراغ الواقع بين السورين يملأ بالمياه تيسيرا للدفاع ، وبهدف تعويق الهجوم من الخارج .

اجراف عالية ، ويصفه الادريسي بالمناعة والشموخ فيقول « وحصن الحنش منيع شامخ الذروة مطال الغلوة ، شاهق البنية ، حامى الافنية » (١٧٧) . وكان ابن مروان الجليقي قد نزل بحصن الحنش الى ان تلقى الاذن ببناء بطليوس (١٧٨) .

أقيم حصن الحنش على ربوة مرتفعة تطل على ضفة نهر Mataché (١٧٩) حيث يتحكم الحصن في الموقع بأسره ، والحصن شبه منحرف ، ولكن من المحكن دراسة بعض الابراج الباقية والاسوار (١٨٠) . وأبرز الآثار الاسلامية في هذا الحصن البرج الضخم الذى يقع فى الطرف الجنوبى الشرقى من القلعة ، وهو برج مربع الشكل طول كل ضلع منه خمسة امتار ، وجدرانه من الآجر تنفتح فيها نوافذ معقودة بعقود متجاوزة لنصف الدائرة على شكل حدوة الفرس ، ومن المعتقد أن هذه القلعة التى تقع على مسافة تبعد نحو ثلاثة أميال غربى ماردة من بناء المسلمين ، اقيمت بهدف أن تكون مركزا دفاعيا متقدما (١٨١) .

ونستدل من روايات ابن حيان فى المقتبس أن هذا الحصن كان يسكنه فى زمن الخلافة برانس كتامة الذين كانوا قد أجلوا من حصن سكتان ، وكانوا فى عدد كثير ويتسمون بالبأس والنجدة ، وقد تهدم الحصن سنة ٣٠٢ هـ (٩١٤ م) عندما اجتاحه قوات أردون بن أذفونش

(١٧٧) الادريسي : المغرب وأرض السودان ، ص ٢١٣ .
Allbarran, Op. Cit., P. 4977.
(١٧٨)
Serrano C : Badajoz y su provincia, Op. Cit., P. 124, Melida : (١٧٩)
Op. Cit., II. P. 77.
(١٨٠)
Albarran : Op. Cit., P. 497, Melida; Op. Cit., P. 77.
(١٨١) وقد ذكر Melida أن هذه القلعة قد بنيت على يد الملك المسلم Alagio الاجيو لتكون خطا دفاعيا اماميا ضد خليفة قرطبة (راجع Melida : Ibid, P. 77) ولانعرف من يكون هذا الملك المسلم الذى ثار ضد خليفة قرطبة .

ملك جليقية ، فالحق أعلاه بأسفله وقتل جميع من كان فيه من المدافعين
البربر (١٨٢) .

٦ - حصن لوبون (١٨٣) Lobon

ويقع شرقى بطليوس على مقربة من الحاضرة ، وكان يشكل
مركزا دفاعيا هاما عنها ، واليوم يكاد يكون مخربا . وبناؤه من الدبش
والملاط ويدخله طابقان ، الأدنى منهما ، نقوشه وقبته من
الآجر (١٨٤) . وقد استرد المسلمون هذا الحصن من يد جراند
(جيرالدو سيمافور) Geraldo Sem Pavor بنصيحة من أبى عبد الله
عزون (١٨٥) فى سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠ م) .

٧ - حصن أبطير Abtir

ويقع بالقرب من بطليوس ، بناه المنصور محمد بن أبى عامر من
الحجارة المصقولة ، وعن هذا الحصن يقول الحميرى « حصن بالاندلس
بمقربة من بطليوس ، من بناء محمد بن أبى عامر ، من جليل الصخر ،
داخله عين ماء حارة ، وهو اليوم خال ، وعلى مقربة منه بنحو ثلاث
غلاء ، قبر فى نشز من الارض ، قد نحت فى حجر ، وقد نضدعليه صفائح
الحجارة ويعرف بقبر الشهيد ، ولا نعلم له وقت لقدمه ، يرفع عنه
بعض تلك الصفائح ، فيرى صحيح الجسم لم يتغير ، نابت
الشعر » (١٨٦) .

(١٨٢) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ١٢٢ .

(١٨٣) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ، ص ٤٦٣ .

(١٨٤) للمزيد عن هذا الحصن راجع

Melida, II : Op. Cit., P. 82.

Albarran : Op. Cit., P. 498.

(١٨٥) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ، ص ٤٠٢ ، ولزيد من
التفاصيل راجع :

Albarran : Op. Cit., P. 498.

(١٨٦) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١١ .

٨ - حصن جلمانية (١٨٧) Jurumenha

ويقع جنوبي بطليوس على حدود البرتغال ، وقد ذكره ابن حوقل في سياق حديثه عن المسافات بين شنترين وبتليوس (١٨٨) . وجلمانية حصن منيع وهام ، كان يغير منه عسكر بطليوس الاسلامية على اعدائهم ، وكثيرا ما تعرض هذا الحصن لهجوم الفارس البرتغالى جيرالدوسمبافور Giraldo Sem Pavor المعروف فى المصادر العربية باسم جراندته . وكان فى الاصل رباطا اسلاميا وقع فى يد جراندته سنة ٥٦١هـ (١١٦٥ م) (١٨٩) وقد استرده المسلمون سنة ٥٦٦هـ (١١٧٠ م) وهدمه السيد ابو سعيد بن عبد المؤمن الموحدى (١٩٠) .

٩ - حصن أم غزالة (١٩١) El castillo de Magacola

ويرجع الى اصول رومانية اذ كان مجرد محطة فى الجادة الرومانية الممتدة ما بين ماردة وسرقسطة ، وكانت تسمى Contosolia (١٩٢) . ويقع حصن أم غزالة على بعد كيلو مترات من زخار Zujar ، وكان يسكنه ثوار نفزه (١٩٣) ونستدل من نصوص المقتبس لابن حيان

(١٨٧) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ١١٠ ، ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، ج ١ ، ص ٣٧٨ ، ابن عذارى : البيان ، القسم ٣ ، ص ٧٨ ، ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ، تحقيق عبد الهادى التازى ، ص ٣٧٤ ، ٣٩٢ ، ٤٠١ ، Albarran : Op Cit., P. 501.

(١٨٨) ابن عذارى : البيان ، القسم الثالث ، ص ٧٨ .
(١٨٩) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ، ص ١٣٨ - ١٤٠ .
(١٩٠) Melida : Op. Cit., II, P. 367, Serrano : Op. Cit., P. 126.
(١٩١) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ١٢٢ ، البكرى : جغرافية الاندلس وأوربا ص ١٢٠ ، ابن عذارى : البيان ، القسم الثالث ، ص ١٧٦ .

Melida : Op. Cit., P. 371.

Albarran : Op. Cit., P. 490.

(١٩٢)

(١٩٣)

أن هذا الحصن كان يقع قريبا من حصن مدلين وبالذات بين سهلة
الاصنام وحصن مدلين (١٩٤) .

١٠ - حصن الارش (١٩٥) Castillo de Lares

كان من جملة حصون اقليم بطليوس الواقعة على واديانة (١٩٦)
ومن المرجح أن الارش غير أورش Auros التي ذكرها ابن غالب في
جملة مدن كورة باجة (١٩٧) .

الحصون الموزعة بين وادي تاجه وواديانه

١ - حصن سنت أقروج : Santa cruz de la Sierra (١٩٨)

ويتوج مرتفعات سانتا كروث ، ويبلغ ارتفاعه فوق مستوى سطح
البحر ٨٤٤ مترا بحيث يمكن للمسافر أن يشاهده على مسافة كيلو
مترات ، ويقع حصن سنت أقروج قرب مخرج الجادة الرومانية على
مقربة من ترجلة Trujillo .

٢ - حصن القنطرة : شيدت هذه القنطرة على وادي تاجه في سنة
١٠٦ هـ لتسهيل عبور الاهالى في مدينة القنطرة ، أما حصن هذه المدينة
فيقع عند مرور وادي تاجه عبر الجادة التي تربط قاصرش بقلمرية .
وقد اكتسبت المدينة أهميتها العسكرية والاستراتيجية من موقع الحصن
المذكور المنسوب الى القنطرة والذي تبقت منه آثار اسلامية قليلة حدها
ميليدا (١٩٩) ، وتتمثل في عدة قطاعات من سور أسس من الدبش . أما

(١٩٤) ابن حيان ، المقتبس ج ٥ ص ١٢٢ ، البكرى ، جغرافية
الاندلس ، ص ١٢٠ .

(١٩٥) البكرى : جغرافية الاندلس وأوروبا ، ص ١٢٠ .
(١٩٦) لمزيد من التفاصيل انظر (Albarran Ibid, P. 485).

(١٩٧) ابن غالب : المصدر السابق ، ص ٢٩٠ .
(١٩٨) البكرى : جغرافية الاندلس وأوروبا ، ص ١٢٠ .
(١٩٩) Melida, Op. Cit., II, P. 243.

الباب المسمى باب خارتين فاسلامى بدليل احتفاظه بآثار كتابات عربية (٢٠٠) . ويحدثنا الرازى عن حصن القنطرة فى سياق ذكره لاقليم اجسانية Eudanha (٢٠١) الواقع الى الشرق من قلمرية فيذكر انه موضع حسن ، وان بالمدينة قنطرة على وادى تاجة لا مثيل لها فى العالم (٢٠٢) ، أما الادريسي فيذكر أن الحصن يقع فى اقليم القصر (قصر أبى دانس) (٢٠٣) . وقد ذكر الحصن فى كتاب جغرافية الاندلس لمؤلف مجهول معاصر للادريسي . وجاء فيه أنها من احدى عجائب الارض وهى من بنيان الاول، وهى قنطرة عالية البناء من قوس واحد يدخل النهر كله تحت القوس المذكور، « وارتفاع هذا القوس فى الهواء خمسة وسبعون ذراعا ، وعلى ظهر هذا القوس برج عظيم ، ارتفاعه عن ظهر القنطرة اربعون ذراعا قد بنى البرج والقنطرة بأحجار عظيمة طول الحجر منها ثمانية اذرع وعشرة اذرع . وفى رأس البرج فى احد الاحجار ثقب فيه سيف من اللاطون (٢٠٤) ٠٠٠ » أما الادريسي فيذكر انها من « عجائب الارض ، وهو حصن منيع على نفس القنطرة واهلها متحصنون فيه ، ولا يقدر لهم أحد على شئ ، والقنطرة لا يأخذها القتال الا من بابها فقط » (٢٠٥) ، ويذكر الحميرى أن قنطرة السيف اقيمت « على قوس من عمل الاول ، فى أعلاها سيف معلق لم تغيره

Albarran : Op. Cit., P. 506-507.

(٢٠٠)

الرازى : المصدر السابق ، ص ٩٠ .

(٢٠١)

La description de l'Espagne d'Ahmed al-Razi, P. 90.

(٢٠٢)

الادريسي : المصدر السابق ، ص ١٨٣ . ويقول الادريسي « ومن

(٢٠٣)

مدينة ماردة الى قنطرة السيف يومان ، وقنطرة السيف من عجائب الارض وهى حصن منيع على نفس القنطرة واهلها متحصنون فيه ، ولا يقدر لهم أحد على شئ ، والقنطرة لا يأخذها القتال الا من بابها فقط . ومن مدينة قنطرة السيف الى مدينة قورية مرحلتان خفيفتان » .

(٢٠٤) مؤلف مجهول : جغرافية الاندلس لمؤلف مجهول الاسم ، نسخة مصورة من المخطوط ، معهد مدريد لوحة ٦٦ ، ٦٧ .

(٢٠٥) الادريسي : المغرب وأرض السودان ، ص ٨٤ .

الازمنة ، ولا يدري ما تأويله « (٢٠٦) ، ولهذا السبب نسبت الى السيف
فيقال قنطرة السيف ، وقد أخذ ليفى بروفنسال (٢٠٧) بنص الحميري
هذا ، ولكن الاستاذ البران ينفي وجود السيف . ومن الجدير بالذكر ان
ابن حيان يمتدح بناء قنطرة السيف فيذكر انها « اضخم قنطرة بالاندلس
واعلاها سمكا واعجبها شأنا » (٢٠٨) .

٣ - حصن المعدن Almada

وهو حصن يقع على نهر التاجه قبالة مدينة لشبونة من الجنوب
وكان أصله المعدن ، ثم عرف باسم almadana بعد منتصف القرن
الثاني عشر الميلادي ، ثم تحول الى almada . ويعلل الادريسي
تسميته بحصن المعدن « لانه عند هيجان البحر يقذف هناك بالذهب
والتبر فاذا كان زمن الشتاء قصد الى هذا الحصن ، اهل تلك البلاد
فيخدمون المعدن الذي به الى انقضاء الشتاء وهو من عجائب الارض
وقد رأيناه عيانا » (٢٠٩) . وجاء ذكر المعدن في جغرافية الرازي (١١٠)
على انه موضع يستخرج منه الذهب الخالص (التبر) من وادي تاجه
على مقربة من لشبونة ، ويذكر الرازي أيضا انه بين لشبونة والمعدن
ويقتحم البحر مياه وادي تاجه (٢١١) . وقد نقل الحميري في معرض
حديثه عن لشبونة نفس عبارات الادريسي عن حصن المعدن (٢١٢) .
وقد تعرض الحصن للتدمير على يدى ابي يوسف يعقوب المنصور في

(٢٠٦) الحميري : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٦٤ .
Lévi-Provençal : La Peninsule Ibérique au moyen age P. 197 (٢٠٧)
note 5.

(٢٠٩) الادريسي : المغرب وأرض السودان ، ص ١٨٤ .
(٢٠٨) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، تحقيق شالميتا ، ص ٢٧٩ .
(٢١٠) الرازي : المصدر السابق ، ص ٩٠ .
Lévi-Provençal : La description de l'Espagne d'Ahmed el-Razi P. 90. (٢١١)
(٢١٢) الحميري : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٦ .

جمادى الآخرة سنة ٥٨٧هـ (١١٩١م) وفى ذلك يقول ابن عذارى « ثم استمر العسكر الى حصن المعدن ففتحه وأمر بهدمه وتعفية رسمه ، فاستؤصل بالتخريب والدمار » (٢١٣) .

٤ - حصن زواغة Azuaga

هو حصن بربرى يقع موقعا استراتيجيا على الطريق من قرطبة الى بطليوس (٢١٤) . وينسب الحصن الى قبيلة زواغة البربرية التى تركت بصماتها على المركز العمرانى الذى نشأ حول الحصن (٢١٥) . ولكن الحصن يطلق عليه حاليا اسم Miramonts ، ويقوم الحصن على قمة جبل يصل ارتفاعه الى ستمائة وثلاثين (٦٣٠) مترا . ويصفه الادريسي بقوله « وزواغة حصن عليه سور تراب ، وهو على كومة تراب ، ومنه الى نهر اثنى مرحلة ، ومنه الى حصن الحنش مرحلة (٢١٦) » . وقد تبقت فى زواغة آثار مدجنة . ففى كنيسة سيدة الرحمة بزواغة باب معقود بعقد على شكل حدوة الفرس ، هذا الى جانب نوافذ مشبكة بزخارف من الطراز المدجن تنفتح فى بعض الابنية . ونضيف الى ما سبق برج كنيسة يحمل نفس الطراز المدجن مع بعض تأثيرات من الفن القوطى (٢١٧) .

٥ - حصن القنت (٢١٨) (فونت دى كانتوس Fuente de Cantos)

لم أتوصل الى تفاصيل عن حصن القنت فى المصادر العربية وقد اختلط الامر على البران اذ اعتبرها نفس مدينة القنت بشرق الاندلس

(٢٣) ابن عذارى : البيان : القسم الثالث ، تحقيق أويثى ميراندا ، تطوان ١٩٦٣ ص ١٩٨٥ .

(٢١٤) الادريسي : المغرب وأرض السودان ، ص ٢١٣ .
(٢١٥) Albarran : Op. Cit., P. 47.

(٢١٦) الادريسي : المغرب وأرض السودان ، ص ٢١٣ .
(٢١٧) Serrano, C : Badajoz y su provincia, Op. Cit., P. 155.

(٢١٨) جغرافية الاندلس لمؤلف مجهول ، لوحة ٤٨ والنسخة المطبوعة ص ٥٧ .

Alicante ، ونسب الى حصن القنت الغرب ما وصف به الحميرى مدينة القنت الشرق ، واعتمد على ياقوت فى تحديد الموقع ، وبالرجوع الى ياقوت تبين أن حصن القنت من أعمال لاردة وليس ماردة ، وواضح أنه أخطأ فى اعتباره من حصون ماردة (٢١٩) .

٦ - حصن منت ميور Castillo de Montemor

وهو غير حصن منت ميور بمالقة ، ويقع على مصب نهر منديق على بعد كيلو مترات من قلمرية . ويذكر الادريسي أن لهذا الحصن على النهر أرحاء ، وعليه كروم كثيرة وجنات ولها حروث كثيرة متصلة بالغربى منها الى ناحية البحر، ولها أغنام ومواشى، وأهلها أهل شوكة فى الروم (٢٢٠) . وقد تعرض حصن منت ميور للتخريب على يد المنصور بن أبى عامر عام ٣٨٠هـ (٩٩٠م) ، واستولى عليه فرناندو الاول فى حملة على قلمرية عام ٤٥٧هـ (١٠٦٤م) (٢٢١) . ولأسوار هذا الحصن أسوار أمامية (Barbacanas) ، وهناك مجموعة أخرى من الحصون الصغيرة فى تلك المنطقة من أهمها حصن لنشاش Lanchash وحصن لقرشان castillo de logrosan الذى ذكره البكرى عند وصفه لكورة ماردة (٢٢٢) ، كما ذكر ياقوت الحموى خطأ أنه من أعمال لاردة (٢٢٣) ، وحصن طمان Tomar ، وحصن بلماله Palmela الواقع بالقرب من قصر أبى دانس وكان من القلاع السامية الارتفاع والانتفاع التى لا يتمكن لمنازلته جيش ، وقد أمر المنصور الموحدى بهدمه وإزالة رسمه (٢٢٤) . وتختتم هذه الحصون بحصن متنانجش وكان من

-
- (٢١٩) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، مادة لقنت .
(٢٢٠) الادريسي : المغرب ، وأرض السودان ، ص ١٨٣ .
(٢٢١) Albarran : El solar, Op. Cit., 523.
(٢٢٢) البكرى : جغرافية أوروبا والاندلس ، ص ١٢٠ .
(٢٢٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، مادة لقرشان ولزيد من التفاصيل انظر :
Albarran : Op. Cit., P. 504.
(٢٢٤) ابن عذارى : البيان ، القسم الثالث ، ص ١٨٥ .

المعاقل الشاهقة الارتفاع المشهورة بالتوعر والامتناع (٢٢٥) .

أهم مدن اقليم بطليوس

من أبرز سمات المدن التي تدخل في نطاق اقليم بطليوس انها تحمل أسماء ذات أصوات قديمة ايبرية أو كلتية أو رومانية لاتينية عربت في العصر الاسلامى دون أن تفقد كثيرا من نطقها ، وبعض هذه المدن تحمل اسم قبائل شاركت في الفتح أو نزلت في الموضع ، وظلت تحمل طابعا لم يتغير منذ العصر الاسلامى (٢٢٦) . فمن المدن التي تحمل أسماء لاتينية باجة (Pax Julia) Beja ، وماردة (Emerita) Mérida ، ويابرة (Ebora) Evora ، وقورية (Caurium) Coria ، ومديلين (Augusta) Medellin (Metellinum) ، وشلوقة (San Lucar) ، ومورش (Muros)

ومن المدن التي عربت اسمائها الاسبانية حصن الحنش Castrum Colubri ، ومن المدن التي اتخذت أسماء من نزلها من قبائل : مغيلة (Meguila) ، ومكناسة الاصنام (Mekenasa) ، ولواته .

وفيما يلى عرض لأهم المدن التي كانت تتبع ولاية بطليوس في اكثر مراحل التاريخ الاسلامى :

١ - البلاط

اسم موضع مرتبط بالجادة الرومانية التي تخرج من ترجالة الى طلبيرة ، ويشير ابن حوقل الى مخاضة البلاط (٢٢٧) ولا يشير الى قلعة بهذا الاسم (٢٢٨) . أما الادريسي فيذكر بصراحة اسم البلاط في عدة

(٢٢٥) المصدر السابق ، ص ١٩٨ .
(٢٢٦) ليفى بروفنسال ، الاسلام في المغرب والاندلس ، ص ٥٢ .
(٢٢٧) وكذلك يذكرها المؤلف مجهول الاسم صاحب جغرافية الاندلس بين بلدة اينيشة وشنترين ، والظاهر أنها سميت كذلك بسبب ضحالة مياه وادى تاجه عندها (لوحة رقم ٦) .
(٢٢٨) ابن حوقل : المصدر السابق ، خريطة المغرب ، ص ١١٠ .

مواضع ويعتبر (مخاضة البلاط) قاعدة لاقليم البلاط ، ومن مدن هذا الاقليم مدلين (٢٢٩) ، ثم يتحدث عن البلاط باعتباره حصنا عندما يتعرض لذكر الطريق من قلعة رياح الى الشمال (٢٣٠) . ثم يتحدث عن مراحل الطريق بعد مكناسة فيذكر مخاضة البلاط (٢٣١) .

وعلى هذا النحو تتمثل أهمية اقليم البلاط الاستراتيجية في انه يقع في موضع يمر منه نهر تاجه ويطل في نفس الوقت على طريق قديم للغاية .

٢ - قصر أبي دانس Alcacer do Sal

مدينة قديمة على نهر شطوبر Sado ، وكان الرومان يسمونها Salacia حسبما يذكر بليني (٢٣٢) وعرفها العرب تحت اسم قصر بنى وردانس (٢٣٣) ، ثم قصر أبي دانس ، ثم القصر ، ولعلها من Castrum (٢٣٤) اللاتينية . أما أبو دانس فشخصية اسلامية بربرية ، ويذكر ابن حيان أن الخليفة عبد الرحمن الناصر ولى على القصر يحيى بن ادانس وابن أخيه عبد الله بن عمر بن ادانس معا ، والى ابيهما ينسب القصر المذكور (٢٣٥) ، في سنة

(٢٢٩) يقول الادريسي « واقليم البلاط وفيه مدينة البلاط ومدلين ، ويلي هذا الاقليم بلاطة وفيه شنترين ولشبوثة وشنترة .. » (الادريسي : المصدر السابق ص ١٧٥) وبهذا يتضح لنا أن هناك اقليم البلاط ويختلف عن اقليم بلاطة .

(٢٣٠) الادريسي : المغرب وأرض السودان ص ١٨٦ فهو يذكر « ومن قلعة رياح في جهة الشمال الى حصن البلاط مرحلتان ، ومن حصن البلاط الى مدينة طلبيرة يومان ... » .

(٢٣١) الادريسي : المصدر السابق ، ص ١٨٧ ، ١٨٩ .
(٢٣٢) عن Garcia Bellido, La España del siglo I, P. 143.

وانظر : Albarran : Op. Cit., P. 540.

(٢٣٣) ابن حيان : المقتبس ، قسم ٣ ، ص ٢٥٤ ، كما انها وردت في هذا المقتبس في ذات الصفحة على أنها قصر ابن ادانس .

(٢٣٤) Albarran : Ibid, P. 540.

(٢٣٥) ابن حيان : المقتبس ، قسم ٣ ، ص ٢٥٤ .

٣١٧ هـ (٩٢٩م) ثم عزلها معا عن القصر المنسوب الى ابيهما والجبل وما ينضاف الى ذلك (٢٣٦) . ويؤكد الادريسي هذه التسمية في كتابه نزهة المشتاق ، ويبرز أهميتها البحرية باعتبارها دار صناعة (٢٣٧) . أما ياقوت فينسب مدينة القصر الى باجة فيسميها قصر باجة ويذكر أنها من نواحي باجة قريبة من البحر (٢٣٨) . ويميز ابن غالب بين مدينة القصر ، وقصر أبى دانس ، فيذكر أن القصر من مدائن كورة باجة (٢٣٩) . كذلك يفرق الحميري بين مدينة القصر وبين قصر أبى دانس (٢٤٠) ، فيعرف مدينة القصر بأنها « مدينة بالاندلس ، بينها وبين شلب أربعة مراحل ، وهى مدينة حسنة متوسطة على ضفة نهر كبير ، وهو نهر تصعد فيه السفن السفرية ، وفيما استدار بها من أرض كلها شجر صنوبر ، وبها الانشاء الكثير وهى قسبة ، كثيرة الالبان والسمن والعسل واللحم ... » ، بينما يعرف مدينة قصر أبى دانس بقوله

-
- (٢٣٦) المصدر السابق ، ص ٤٩٠ .
(٢٣٧) الادريسي : المغرب وأرض السودان ، ص ١٧٥ « ويلي هذا الاقليم ، اقليم القصر وفيه القصر المنسوب لأبى دانس ، وفيه يبورة وبطليوس وشريشة وماردة وقنطرة السيف وقورية ويلييه اقليم البلاط . » وفي ص ١٨١ يصف الادريسي مدينة القصر فيقول « والقصر مدينة حسنة متوسطة على ضفة النهر المسمى شطوبر ، وهو نهر كبير تصعد فيه السفن والمراكب السفرية كثيرا ، وفيما استدار بها من الارض كلها أشجار الصنوبر ، وبها الانشاء الكثير . وهى فى ذاتها رطبة العيش خصيبة كثيرة الالبان والسمن والعسل . » ومن الجدير بالذكر أن نهر شطوبر الذى أشار اليه الادريسي هو نفس نهر سادو الحالى ، ومن الاسم العربى اشتق اسم مدينة Setubal وهى مدينة زاهرة تقع على مصب هذا النهر (انظر : Albarran : Op. Cit., P. 542).
(٢٣٨) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، مادة قصر باجة ، ص ٣٥٦ .
(٢٣٩) ابن غالب : قطعة من فرجة الانفس ، تحقيق لطفى عبد البديع ، ص ٢٩٠ .
(٢٤٠) الحميري : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٦١ - ١٦٢ .

» (بغربى الاندلس ، فيه كانت الوقية على المسلمين للروم سنة ٦١٤ . . . » : وقد رسم هركولانو (٢٤١) صورة قاتمة لما تبقى من هذه المدينة الجميلة، فقد تحولت مروجها الخضراء الى اراضى قفراء، وتخربت الاسوار ولم يتبق منها سوى اطلال دارسة .

٣ - باجة

وتسمى باجة الاندلس وباجة الزيت تميزا لها عن باجة تونس أو باجة القمح (٢٤٢) ، وهى مدينة بجنوب البرتغال ، ولم تخضع باجة لمملكة بنى الافطس أصحاب بطليوس الا لفترات قصيرة ، اى انها لم تندمج طويلا فى مملكة بنى الافطس ، وتمثل باجة الصراع الطويل بين بطليوس واشبيلية وهو صراع تاريخى علمى وفلسفى وأدبى (٢٤٣) . وتقع باجة فى القسم الجنوبي من محافظة النتيخو Alantejo الحالية الى الجنوب الشرقى من الاشبونة . وتقوم المدينة على ربوة متوسطة الارتفاع بحيث تشرف على سهول الالنتيخو الادنى ، وتحسم بذلك مشكلة الحدود المضطربة المتذبذبة بين مملكة ليون ومملكة بنى الافطس . وعن باجة يقول الحميرى « أما باجة الاندلس فهى من أقدم مدائنها ، بنيت أيام الاقاصرة ، بينها وبين قرطبة مائة فرسخ ، وهى من الكور المجندة ، نزلها جند مصر ، وكان لواؤهم فى الميسرة بعد جند فلسطين . ومدينة باجة أقدم مدن الاندلس بنيانا وأولها اختطاطا ، واليها انتهى بوليس القيصر ، وهو أول من سمى قيصر وهو الذى سماها باجة ، وتفسير باجة فى كلام العجم «الصلح» ، وحوز باجة وخطتها واسعة ولها معاقل بالمنعة والحصانة (٢٤٤) » .

Herculano : Historia de Portugal, t III, P. 56. (٢٤١)

(٢٤٢) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ٣٦ والترجمة الفرنسية ، ص ٤٥ ، هامش ٢ .

Albarran : Op. Cit., P. 544-545. (٢٤٣)

(٢٤٤) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ٣٦ .

ويضيف الجغرافي مجهول الاسم أنها متصلة بأعمال ماردة ، وأنها بلدة خصبة كثيرة الثمار ، وأن لها مدنا كثيرة وحصونا منيعة وأعمالا واسعة، وبها حمامات وشوارع واسعة، وأسواق ومساجد كثيرة ، وأهلها عرب (٢٤٥) .

ومن أبرز أعلام باجة ، الحبر العالم ايزيدور الباجي الذي سجل الكثير من حوادث الفتوحات عام (١٣٧ هـ) ٧٥٤ م ، كذلك لمعت شخصية الفقيه القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي شارح كتاب الموطن (٢٤٦) ت ٤٧٤ هـ - (١٠٨١ م) . وقد سقطت باجة في أيدي البرتغاليين عام ٥٥٦ هـ (١١٦١ م) عندما هاجموا مدينة بطليوس لأول مرة ، وقد نجح الموحدون في استردادها واسترداد يابرة وحصن القصر ، وولى عليها عبد المؤمن بن علي محمد بن علي الحاج (٢٤٧) ثم غدر جراند قائد ابن الرنك Alfonso Enriquez بمدينة باجة سنة ٥٦٨ هـ (١١٧٢ م) من البرج القائم بباب قصبتها ويعرف ببرج الحمام (٢٤٨) وأمكن للموحدين استردادها في سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٤ م) وترميم أسوارها وقصبتها (٢٤٩) .

وقد تبقى من آثار باجة الاسلامية عقدان لبابين وبقايا سور

-
- (٢٤٥) ذكر بلاد الاندلس لمؤلف مجهول ، لوحة ٤٨ .
(٢٤٦) لمزيد من التفاصيل عن القاضي أبي الوليد الباجي ارجع الى :
ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الاول ص ٩٤ ،
الفتح بن خاقان : قلائد العقيان ، ص ١٩٦ (طبعة مصر ١٣٠٢ هـ) ، الضبي : بغية الملتبس ، مجموعة تراثنا ، ترجمة ٧٧٧ ، ابن بشكوال : الصلة في تاريخ علماء الاندلس ترجمة رقم ٥٤٤٩ ، ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ج ١ ، ص ٤٠٤ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان : ج ١ ، ص ٤٠٨ .
(٢٤٧) ابن أبي زرع : الانيس المطرب بروض القرطاس ، تحقيق تورنبرج ، ج ١ ، ص ١٣١ .
(٢٤٨) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ، ص ٦٠٠ .
(٢٤٩) المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

المدينة . والعقد الاول يتسم بالضخامة ويعرف بالباب الاسلامى
Porta Moura ، وموقعه فى شمال المدينة ، ويبلغ ارتفاع هذا العقد نحو
عشرة أمتار واتساع فتحته نحو ستة أمتار ، بينما يبلغ سمكه نحو
مترين ، ونظام البناء فيه من الاحجار الصخرية الصلبة ، وبلصقه من
الجهة اليسرى بقية من سور قديم ، أما العقد الثانى فيسمى عقد يابرة
Arco de Evora وواضح أنه اسلامى الانشاء وان كان الاستاذ محمد
عبد الله عنان يرجعه الى أصل رومانى (٢٥٠) . ويوضح البران أسباب
نشوب الحرب الضارية بين بنى الافطس وبنى عباد حول باجة بهدف
خطير كان يسعى اليه بنو عباد وهو السيطرة على منطقة تكفل لهم
فتح الطريق الى قلب مملكة بطليوس (٢٥١) . ومن المعروف أن التاريخ
الاسلامى لمدينة باجة ملئ بالوقائع والحوادث ، فقد تعرضت باجة
منذ قيام جند مصر بالثورة على عبد الرحمن الداخل بقيادة العلاء بن مغيث
اليحصبى (٢٥٢) تعرضت المدينة لهجمات عسكرية متنوعة وغارات
متكررة ، ففي ربيع الاول سنة ٢٣٠ هـ (٨٤٥ م) انهزم النورمان فى
طبلاطة Tablada (٢٥٣) ثم تراجعوا الى لبللة ، ثم هبطوا الى جزيرة شلطيئش ،
ومنها الى اكشونة حيث نزلوا على واديانه ومن هناك رحلوا الى باجة
ثم انتقلوا بعدها الى مدينة المعدن ، وانتهى بهم الامر الى لشبونة حيث
ابحروا فى سفنهم نحو بلادهم . وفى بداية القرن الرابع الهجرى (نحو
٣٠٢ هـ) (٩١٤) تغلب عليها سعيد بن مالك وأخرج العرب منها وقام
بدعوة المولدين الى أن هاجمها عبد الرحمن بن محمد (الناصر) فى سنة
٣١٧ هـ (٩٢٩ م) واستنزل صاحبها عبد الرحمن بن سعيد بن مالك بالآمان

(٢٥٠) عبد الله عنان : الآثار الاندلسية الباقية فى اسبانيا والبرتغال ،
ص ٤٠٦ .

(٢٥١) Albarran : Op. Cit., P. 545-546.
(٢٥٢) ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ٥١ ولزيد عن هذه الثورة
راجع مقال السيد عبد العزيز سالم ، حول رفع اللوية
السوداء ، ص ٥٩ .

(٢٥٣) السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادى : البحرية
الاسلامية فى المغرب والاندلس ، ج ٢ ، ص ١٥٧ .

وافتتحت في منتصف جمادى الآخرة من السنة ، واقام فيها عبد الرحمن
الناصر خمسة عشر يوما (٢٥٤) ، وقد تأثرت باجة بحصار الناصر لها
فتخرب بنيانها ، وأصبحت المدينة شبه مهجورة (٢٥٥) . وكانت باجة
بحكم موقعها الاستراتيجى عرضة للتخريب والاضطراب ، وهذا يفسر
ان اسوارها لم تكن تبقى دائما على حال واحدة أو تتخذ طابعا موحدًا .
وعن باجة يقول الرازى « تقع الى الجنوب الغربى من ماردة والى غرب
قرطبة واغلة فى الجوف ، وباجة من أقدم مداين الاندلس ، وهى من
بنيان قيصر أول من تسمى بقيصر من ملوك الروم ، وهو الذى بدأ نظام
القياس ومساحة الاراضى ، وأرض باجة أرض زرع وضرع ٠٠ » (٢٥٦)
وينتسب لباجة عدد من المدن والحصون من بينها حصن مرتيلة أو
مرتلة (٢٥٨) أو مرتولة أو مارتلة (٢٥٩) أو ميرتلة (٢٦٠) أكثر
حصونها وثيقة ومناعة . وفيها يقول ياقوت فى المعجم « ميرتلة حصن
من أعمال باجة وهى أحمى حصون الغرب وأمنعها ، من الابنية القديمة
على نهر آنة (٢٦١) » . ويصف الادريسي حصنها بأنه الحصن المشهور
بالمنعة والحصانة (٢٦٢) .

-
- (٢٥٤) ابن حيان : المقتبس ، قسم ٣ ، ص ٢٤٨ .
(٢٥٥) مدونة عبد الرحمن الناصر ص ٨١ .
(٢٥٦) الرازى : المصدر السابق ، ص ٨٧ وراجع ابن الشباط ، قطعة
فى وصف الاندلس وصقلية من كتاب صلة السمط وسمة المرط ،
تحقيق د . أحمد مختار العبادى ، مدريد ١٩٧١ ، ص ١٤٦ ،
وابن غالب : فرحة الانفس ، ص ٢٩٠ .
(٢٥٧) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٩١ .
(٢٥٨) مؤلف مجهول ، جغرافية الاندلس ، لوحة ٦ .
(٢٥٩) الادريسي : المغرب وأرض السودان ، ص ١٧٥ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ،
١٨١ ، ١٨٦ ، ابن صاحب الصلاة ، ١٣٦ .
(٢٦٠) المصدر السابق ، ص ٣١ ، ٤٩١ .
(٢٦١) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، مادة ميرتلة .
(٢٦٢) الادريسي : المغرب وأرض السودان ، ص ١٨١ .

ومن حصون باجة حصن أرندة Arun (٢٦٣) وحصن طوطالقة (٢٦٤) Tatalica وحصن أوريقة (٢٦٥) Ourique ، ومن عمالتها مدينة يابرة (٢٦٦) أو يابورة (٢٦٧) (ابرس القديمة Ebris) ، ويصفها الادريسي بقوله « ومدينة يابورة كبيرة عامرة بالناس ولها سور وقصبة ومسجد جامع ، وبها الخصب الكثير الذي لا يوجد غيرها من كثرة الحنطة واللحم وسائر البقول والفواكه ، وهى احسن البلاد بقعة واكثرها فائدة » (٢٦٨) .

وفى باجة يقول ابن غالب « كورة باجة وتتصل بكورة ماردة وهى ارض زرع وضرع ونوارها يحسن للنحل ويكثر عنه العسل ، ولماؤها خاصية فى دبغ الاديم لا يبلغه دباغ فى الجودة ، وخطتها واسعة ، ولها مدن ومعقل واقاليم ، ومن مدائنها القصر واروش ، ومسافة ما بين باجة ، وماردة ثلاثة ايام » (٢٦٩) .

٤ - قاصر (٢٧٠) أو قصر اش (٢٧١) أو قاصر اش (٢٧٢) Caceres

كانت فى عصر الطوائف حصنا منيعا وملتقى هاما للطرق ، وأصبحت زمن الادريسي محرسا رفيعا مشحونا بالخيول والرجال للمغاورة فى بلاد

(٢٦٣) المصدر السابق ، ص ١٨٦ ويقع على مقربة من ماردة وبطليوس على واديانة .

(٢٦٤) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، مادة طوطالقة .

(٢٦٥) Description de L'Espagne, P. 88..

(٢٦٦) ابن حيان : المقتبس ، قسم ٣ ، ص ٦٢ ، البكرى : جغرافية الاندلس وأوروبا ، ص ٦٣ ، ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(٢٦٧) مؤلف مجهول : جغرافية الاندلس : لوحة ٤٦ - الادريسي ، ص ١٧٥ ، ١٨١ .

(٢٦٨) الادريسي : المغرب وأرض السودان ، ص ١٨١ .

(٢٦٩) ابن غالب : فرحة الانفس ، ص ٢٩٠ .

(٢٧٠) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ، ص ٣٦٨ .

(٢٧١) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ١١٠ .

(٢٧٢) الادريسي : المغرب وأرض السودان ، ص ١٨٧ .

الروم (٢٧٣) • ولم تحظ بأهمية عسكرية الا منذ منتصف القرن السادس الهجرى عندما أسس سورها القوى الذى أقيم على أسس ضخمة ، وقد وصل اليها هذا السور سليما فى معظم أجزائه • وأخذت قاصرش منذ ذلك الحين يتردد اسمها فى المعارك التى دارت فى ذلك الجانب الغربى من الاندلس ، فلقد سيطرت قوات الفونسو انريكيث Alfonso Enriquez وقوات فرناندو الثانى ملك ليون على الجانب الايسر من وادى تاجه ابتداء من منطقة Jara الطليطلية وحتى المصب • وحلت قاصرش محل قورية فى الاستراتيجية الحربية الاسلامية •

ويكتنف سور قاصرش أبراج برانية هامة مثمثة شبيهة ببرج بطليوس اسبنتابروس ، ويمتد سورها على مسافة مساحتها ثمانية هكتار ، وقد قام الاستاذ توريس بلباس بدراسة هذا السور ويرجح أنه اقيم فى ذات الوقت الذى اقيم فيه سور مدينة بطليوس (٢٧٤) •

ومن الثابت أن أجزاء من أسوار بطليوس ، يمكن تأريخها عن طريق ما أورده ابن صاحب الصلاة ، ولكن ليست لدينا نصوص صريحة عن تاريخ انشاء أسوار قاصرش •

ويفترض الاستاذ توريس بلباس أن أسوار قاصرش من انشاء الخليفة الموحدى أبى يعقوب يوسف الذى ترك اسمه على أحد أبراجها المسمى بوخاكو Bujaco ، وهو تحريف واضح من كنية الخليفة الموحدى يوسف بن عبد المؤمن ، ولكن ينبغى ألا ننسى أن buja تؤلف المقطع الاول لكثير من المواضع الاسبانية مركبة الاسماء مثل Bujalance و Bujalaro و Bujabarra ، مشتق من العربية « برج » • وهناك تفسير آخر لاسم هذا البرج مؤداه أنه من لفظة

(٢٧٣) المصدر السابق ، ص ١٨٧ •

(٢٧٤) Torres Balbas, Caceres, Al Andalus, 1984, P. 443-472.

Albarran : Op. Cit., P. 553.

Buraja أو Bujaca ، وهى كلمة عرفت فى جنوب أسبانيا منذ تاريخ قديم للغاية ، وتعنى حقيبة المتسول أو الحاج ، وربما كانت لهذه التسمية علاقة باللفظة المستعربة Beïuchaca التى تعنى الرجل ، وهو نبات له حبات كروية صغيرة ، وهناك من يرى أن كلمة بوخاكو ليست تحريفا لاسم الخليفة أبى يعقوب وإنما هى كلمة ترجع لأصول بشكنسية وتعنى البجعة ، وبهذا يكون البرج الذى حمل هذه الكلمة يسمى برج البجع . ومع ذلك فنحن نميل الى الاخذ بالتفسير الاول وهو أن البرج سى باسم أبى يعقوب مؤسس السور .

أما البناء فهو من الملائط والدبش وضحت فيه الخطوط التى تركتها اللوائح المستخدمة فى البناء بالملائط وهى إحدى خصائص البناء بالطابية فى الاندلس ، وإن كانت أركان البرج قد بنيت من صفوف من الحجارة غير المنتظمة ، ولم تكن قاصرش طوال القرن الخامس الهجرى على ما يبدو مدينة ذات صفة سياسية أو عمرانية (٢٧٥) ، شأن عديد من مدن المملكة الافطسية ربما لأنها كانت مجرد حصن أو مدينة صغيرة تعتمد على أسوار ليست لها أهمية الاسوار التى أضيفت إليها بعد ذلك ، وإنما اقتصر أهمية هذه المدينة على دورها الذى قامت به كحصن على الطريق ، وهذا يفسر عدم إقبال الجغرافيين على ذكرها أو التفصيل فى وصفها ، ولكنها أخذت منذ النصف الثانى من القرن السادس تتلقى ما كانت تفتقده من أهمية عسكرية واستراتيجية بحيث امتدح الادريسى حصنها فى قوله «ومن ترجالة الى قاصرش مرحلتان خفيفتان وهو حصن منيع ومحرس رفيع فيه خيل ورجال يغاورون فى بلاد الروم (٢٧٦) . . . » .

٥ - قلمرية أو قلنبرية Coimbra

من كورة شنترين تقوم على جبل مستدير وتقع على نهـر

منديق الذى يجرى الى غربيها وتكثر عليه الارحاء (٢٧٧) . ويمر بأدنى حصون عديدة تابعة لقلمرية ، ويصب هذا النهر فى المحيط على بعد اثنى عشر ميلا من قلمرية (٢٧٨) . ويدور حول قلمرية سور حصين تنفتح فيه ثلاثة ابواب ، وكانت فى غاية الحصانة (٢٧٩) . أما المدينة فجميلة للغاية ، وتتميز قلمرية بفحصها الخصب الذى لا يستخدمون فيه وسائل الرى التقليدية كالنواعير والسواقي وانما يستخدمون رى الحياض ، فعندما يفيض النهر يغمر الاراضى بمياهه ، وعندما تتراجع المياه يبذرون البذور ويحصدون القمح لكل السنة وللسنة التالية .

وكان للمدينة ثلاثة ابواب هى باب المدينة وباب بلكوش وباب الحصن (٢٨٠) . أما باب المدينة الحالى فيرجع انشاؤه من أدناه حتى منبت العقد الى القرن الثالث الهجرى الذى تبع الاسترداد الاول للمدينة ، وكان المنصور بن أبى عامر قد استولى عليها سنة ٣٧٧ (٩٨٧م) فظلت فى ايدى المسلمين الى أن استردها فرناندو الاول ملك قشتالة وليون عام ٤٥٦هـ (١٠٦٤م) أى بعد استيلائه على بازو Viseo وليبق Lamego بسبع سنوات (٢٨١) . وأما القبوات فترجع الى القرنين الخامس والسادس للهجرة ، وقد تبقت من باب بلكوش اجزاء يرجع تاريخها فيما يبدو الى ما قبل القرن الثالث للهجرة . وأما الباب الثالث وهو باب الحصن فعلى الرغم من أنه أقيم فى ٧٧٦هـ (١٣٧٤م) الا أننا نعتقد أنه أقيم على أساس قديم .

(٢٧٧) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٦٤ .

(٢٧٨) المصدر السابق ، ص ١٦٤ .

(٢٧٩) الادريسي : المغرب وأرض السودان ص ١٨٣ .

(٢٨٠) Albarran : El Solar, Op. Cit., P. 558.

(٢٨١) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١٨٤ .

Antonio Prieto, y Vives, Los Reyes de Taifas, P. 66, 67.

٦ - قورية Coria

اسمها القديم Caurium ، وعربت الى قوريه ثم الى Coria في العصر الحديث . وموقع قوريه من المواقع الاستراتيجية للغاية اذ كانت تتحكم في الطرق التي تربط الاندلس بماردة ، وعنهما يقول الادريسي « وقوريه الآن مدينة في ملك الروم ولها سور منيع ، وهى في ذاتها ازليّة البناء واسعة الفناء ، من أحصن المعقل وأحسن المنازل ، ولها بواحد شريفة خصيبة وضياح طيبة عجيبة ، وأصناف من الفواكه كثيرة ، وأكثرها الكروم ، وشجر التين ، ومن قوريه الى قلمريه ٤ أيام ٠٠ » (٢٨٢) .

وكان لسقوط قوريه في أيدي النصارى عام ٤٧٣هـ (١٠٨٠ م) أكبر الاثر في مبادرة المتوكل على الله عمر ابن الافطس بمراسلة أمير المرابطين يوسف بن تاشفين يستحثه للعبور الى الاندلس لانقاذه من السقوط في أيدي النصارى (٢٨٣) .

٧ - البش (٢٨٤) أو يلبش (٢٨٥) Elvas

تقع بين جلمانية وبطليوس ، وتقوم على مرتفع يشرف على سهل واديانه ، وكانت مسرحا لوقائع عسكرية عديدة . ويذكر البران Albarran ان اسم هذه المدينة لا يعرف أصله ، فابن حوقل وياقوت يذكران أنها البش، أما الادريسي فيكتبها يلبش، وهى تسمية مباشرة من Yelves (٢٨١) . وأهم النصوص التي تحدثت عنها ، هو نص الادريسي الذى نطالع فيه ما يلى « وعلى يمين طريقها (يقصد على يمين مدينة شنترين) مدينة يلبش ، وهى في سفح جبل ، ولها سور

(٢٨٢) الادريسي : المغرب وأرض السودان ، ص ١٨٣ .
(٢٨٣) انظر نص الرسالة في الحلل الموشية ، ص ٣٥ ، والملحق الثانى .
(٢٨٤) ابن حوقل : صورة الارض ، ص ١١٠ .
(٢٨٥) الادريسي : المغرب وأرض السودان ، ص ١٨٦ .
Albarran, Op. Cit., P. 564. (٢٨٦)

منيع ورقعة فرجة ، وبها عمارة واسواق وديار كثيرة ، ولنسائها جمال فائق ، ومنها الى بطليوس ١٢ ميلا «(٢٨٧) . أما أسوارها الاسلامية فقد تخربت أجزاءها العليا وأقام عليها سانشو الثانى السور الجديد عام ٦٢٤ (١٢٢٦ م) . وقد تعرضت المدينة والاسوار لاضافات وترميمات متلاحقة .

٨ - ييوره او يابره Evora

كانت الدرة الثمينة لمملكة بطليوس زمن الطوائف ، وتقع فى سهل اليمينتيخو الخصب ، وكانت موطن الشعراء المسلمين العظام امثال أبى محمد ابن عبدون (٨٨) الذى رثى المتوكل عمر بن الافطس وذويه بقصيدته المسماة البسامة (٢٨٩) سجل فيها مآثرهم وعظيم ملكهم (٢٩٠) .

ويابره مدينة حصينة تعرضت للغزو مرات عديدة كما تعرضت فى عصر الطوائف لغارات بنى عباد . واسم يابره العربى مشتق من Ebor ، وورد الاسم فى جغرافية استرابون بهذه الصورة Ebur . وان كان قد اخطأ فى تحديد موقعها فذكر أنها تقع على ساحل قادس (٢٩١) . والاسم يرجع لأصول كلتية ، ويعنى نوع من

-
- (٢٨٧) الادريسي : المغرب وأرض السودان ، ص ١٨٦ .
(٢٨٨) انظر ترجمته فى كتاب الفتح ابن خاقان : قلائد العقيان ، ص ١٥١ - ١٥٤ ، ابن بسام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، القسم الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٦٦٨ - ٧١٩ نماذج لشعره .
(٢٨٩) للاطلاع على القصيدة كاملة ارجع الى الفتح بن خاقان : قلائد العقيان ، ص ٣٨ وما يليها - عبد الواحد المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربى العلمى ، القاهرة ١٩٤٩ ، ص ٧٦ - ٨٧ ، ووردت غير كاملة فى ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، ج ١ ، ص ٣٧٦ ، وابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الخاص بالاندلس .
(٢٩٠) ومطلع القصيدة :
الدهر يفجع بعد العين بالآثر .. فما البكاء على الاشباح والصور
(٢٩١) استرابون انظر : Albarran : El.solar, Op. Cit., P. 561.

الشجر السام الذى تتخذ عصارته لتسميم السهام أو الانتحار ، ويذكر الادريسي أنها مدينة كبيرة عامرة بالناس ولها سور وقصبة ومسجد جامع وقد تحول هذا المسجد الجامع بعد أن استولى عليها جيرالدوسمبافور الى كاتدرائية فى عام (٥٨٢ هـ . ١١٨٦ م . وقد تبقت آثار قليلة من أسوار يابرة الاسلامية يرجع تاريخها الى القرن السادس الهجرى وبعض آثار من الحصن الاسلامى الذى اقيم قبل القرن السادس ، وتتمثل هذه الآثار فى بقايا الباب الجديد Porta Nova ومن الملاحظ على تخطيط يابرة أن لها سورين متميزين ، الاول يسمى سور Velha ، وهو الاقدم ويرجع تاريخ انشائه الى القرن السابع عشر ، فكان يفتح فى السور القديم أربعة أبواب منها باب مورة Moura ، وباب شربه Serpa ، وباب الشمس sol ، وعقد ايزابيل Arco de doña isabel .

وحصيلة كتابات الجغرافيين العرب عنها قليلة ، فالرازى يذكر انها مدينة قديمة من عمل باجة ، وكانت تسمى قديما Ebris وتسمى اليوم يابرة وتتبعها أقاليم كثيرة (٢٩٣) . أما الادريسي فيذكر أنها تقع فى اقليم القصر « وفيه القصر المنسوب لابي دانس ، ومنه يابورة وبطليوس وشريشة وماردة ، وقنطرة السيف وقوريه . » (٢٩٤) وفى موضع آخر يقول الادريسي « ومدينة يبوره كبيرة عامرة بالناس ولها سور وقصبة وجامع وبها الخصب الكثير الذى لا يوجد بغيرها من كثرة الحنطة واللحم ، وسائر البقول والفواكه ، وهى احسن البلاد بقعة وأكثرها فائدة ، والتجارات اليها داخلية وخارجية » (١٩٥) . ويتفق الحميرى مع الادريسي فى أن يابره مدينة من كورة باجة (٢٩٦) .

-
- (٢٩٢) الادريسي : المغرب وأرض السودان ، ص ١٨١ .
(٢٩٣) Description de L'Espagne, P. 88.
(٢٩٤) الادريسي : المغرب وأرض السودان ، ص ١٧٥ .
(٢٩٥) المصدر السابق ، ص ١٨١ .
(٢٩٦) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٩٧ .

٩ - إجدانية Exitania

وهى حاليا Idanha ، وقد انفرد الرازى باطلاق هذا الاسم على تلك المدينة الرومانية ، وذكر أنها تقع على وادى تاجه الى الشرق من قلمريه والى الغرب من قرطبة ، وأنها مدينة قديمة للغاية وحصينة لها أرض خصبة تنتج القمح والكروم وتتوفر فيها حيوانات الصيد والاسماك (٢٩٧)

١٠ - شريشمة Jerez de los Caballeros

تقع على ضفة واديانه فى اقليم (٢٩٨) القصر بين بطليوس وحصن مارتلة (٢٩٩) ، ولم يرد عنها أى تعريف فى المصادر العربية .

١١ - الاشبونة

عرفت عند العرب بالاشبونة ، ولشبونة ، ولشبونة عند ياقوت ويذكر الرازى ان الاشبونة تقع غربى باجة وبها ارزاق ، ذات محارث وزروع واشجار ملتفة ، وبها ثمار كثيرة وخيرات واسعة وفواكه طيبة وضروب الصيد فى البر والبحر ، وبزاتها الجبلية أطير البزاة واعتقها ، وفى جبالها شورة العسل وهو العسل الخالص البياض يشبه السكر فى المذاق ، ويوضع فى خرقة فلا يكون له رطوبة ، ولها معدن من التبر الخالص غزير المادة « (٣٠٠) .

أما أشهر ما ورد بشأنها فى التاريخ الاسلامى للاندلس فيتعلق برحلة الفتية المغربيين الذين خرجوا منها فى مركب لكشف ما وراء بحر

Albarran : Op. Cit., 571.

(٢٩٧)

(٢٩٨) الادريسي : المغرب وأرض السودان ، ص ١٧٥ .

(٢٩٩) المصدر السابق ، ص ١٨٦ .

(٣٠٠) نص الرازى من المصادر التالية : ابن غالب قطعة من فرجة الانفس ، ص ٢٩١ ، Description de l'Espagne, P. 90.

مؤلف مجهول الاسم جغرافية الاندلس لوحة ٤١ ، ٤٢ .

الظلمات (٣٠١) . وشهدت الاشبونة ثورة أبناء سابور على عبد الله بن مسلمة ابن الافطس . وقد تعددت الموارد والثورات الاقتصادية بالاشبونة ، فالى جانب التبر الخالص الذى كان يستخرج من بحرها ، كان يتوفر بريفها العنبر الفائق المتناهى كثيرا (٣٠٢) . وفيها يقول الادريسي « ومدينة لشبونة على شمال النهر المسمى تاجه ، وهو نهر طليطلة ، وسعته امامها ٦ أميال ، ويدخله المد والجزر كثيرا ، وهى مدينة حسنة ممتدة مع النهر ، ولها سور وقصبة منيعة ، وفى وسط المدينة حمات حارة فى الشتاء والصيف ، ولشبونة على نحر البحر المظلم ، وعلى ضفة النهر من جنوبه قبالة مدينة لشبونة ، حصن المعدن ، وسمى بذلك لأنه عند هيجان البحر يقذف هناك بالذهب والتبر ، فاذا كان زمن الشتاء قصد الى هذا الحصن أهل تلك البلاد فيخدمون المعدن الذى به الى انقضاء الشتاء ، وهو من عجائب الارض . . . » .

ومن الملاحظ ان طبوغرافية لشبونة تتيح لنا استيعاب النظرية الدفاعية عن العمران المدنى فى العصور الوسطى ، فقد كان مصب تاجه يتوغل فى مجرى وادى براسا دى كوميرثيو الحالى متتبعا نفس تخطيط شارع أوجستا ، ثم يتفرع هذا المجرى الى جدولين يهبطان عن طريق شارع الحرية ، وشارع النخلة وأمير البحر ، ليتحدا بعد ذلك فى شارع روسيو ، ويحدد هذا الوادى مرتفعات جبل سان فرنثيسكو أو مرتفعات القصبة ، وقد نضب هذا الوادى فى الوقت الحاضر ولا نعرف متى حدث ذلك ، ولكن الذى لا شك فيه انه كان وفيرا فى مياهه ابان القرن السادس الهجرى بدليل أنه كانت تتوزع على جانبيه المنيات فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) ، مما يؤكد وجود مجرى جفت مياهه .

(٣٠١) راجع تفاصيل مغامرة الفتية المغربيين فى الادريسي : المغرب وأرض السودان ، ص ١٨٤ وما يليها ، الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٦ ، عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم ص ٣١٧ .

(٣٠٢) ابن غالب ، فرحة الانفس ، ص ٢٩١ .

والى الشرق من هذا الوادى يقوم حصن من العصر الوسيط على قمة الجبل الموسوم بالحصن أو القصبة ، وعلى سفح هذا الجبل عثر على آثار من العصر الرومانى .

أما القصبة فكانت تقوم على أكثر جوانب الجبل ارتفاعا بحيث تشغل هضبة المرتفع على ارتفاع ٩٥ قدما فوق مستوى سطح البحر ، وكان ينفتح فى السور الغربى للمدينة بابان ، الاول باب الخوخة ، ويعرف بالبرتغالية بباب Alfofa ، والثانى وهو الباب الكبير . ويشير الجغرافى مجهول الاسم الى هذين البابين فى السور المطل على البحر بقوله « ولها ستة أبواب على ترتيب غريب ، فمنها الباب الكبير ، وهو غربى عقدت عليه حنايا عليها حنايا أخرى معقودة على عمد من رخام ، وأوضعت تلك العمد على رخام أبيض موكوزة فيه ، ومنها باب غربى يعرف بباب الخوخة مطل على مرج عظيم أخضر ، وفى وسط هذا المرج جدولان يشقانه حتى ينصبا فى البحر » (٣٠٣) .

وينفتح فى السور القبلى باب البحر ، وفيه تدخل امواج البحر عند مده ترتفع عن سورهِ ، أما السور الشرقى فينفتح فيه بابان أحدهما يسمى باب الحمة ، والحمة على مقربة منه ومن البحر ديماس ماء حار وماء بارد ، فاذا مد البحر واراها ، واذا جزر ظهرا ، والباب الثانى يعرف بباب المقبرة (٣٠٤) ، ويسميه الجغرافى مجهول الاسم بباب المضيق « (٣٠٥) وعرف هذا الباب أيضا بباب الشمس (٣٠٦) .

(٣٠٣) مؤلف مجهول : جغرافية الاندلس ، لوحة ٤١ ، ٤٢ ، وقارن النص بما أورده الحميرى فى كتابه الروض المعطار فى خبر الاقطار ، قطعة نشرها ليفى بروفنسال ، ص ١٦ .

(٣٠٤) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٦ .

(٣٠٥) مؤلف مجهول : جغرافية الاندلس ، لوحة ٤١ ، ٤٢ .

Albarran : Op. Cit., P. 587.

(٣٠٦)

١٢- ماردة Merida ، (وعرفت قديما باسم Emerita)

عند الفتح الاسلامى لماردة قاومت هذه المدينة الحصينة حصار موسى بن نصير وأثرت هذه المقاومة في سورها المنيع فتخربت قطاعات منه ، ثم تسبب عصيان أهلها للسلطة المركزية في نكبتها عام ٨٣٤م ، فخربت مبانيها ، واتخذت أطلالها الرومانية محجرا لتعمير قرطبة ، ومنها بنيت القسبة المنسوبة الى عبد الرحمن الاوسط والتي ماتزال قائمة حتى اليوم على واديانه ، وتعتبر من أفضل القلاع الاسلامية في الاندلس . وتتمثل عظمة المدينة في أقوال الجغرافيين العرب الذين جعلوها موضوعا لمديحهم ، فماردة مدينة من بناء اغسطس قيصر أسسها في عام ٢٤ ق م (٣٠٧) ، وحظيت منذ ذلك الحين بعناية الحكام والملوك ، فكان كل من استقر بها منهم يعمرها بالمباني الجليلة ، ويستقطع لها الرخام الجيد ، ويجرى اليها المياه بقدرات فائقة (٣٠٨) . وتسجل رواية ابن عبد الحكم في فتح ماردة الثروات الهائلة التي غنمها المسلمون من ماردة ، ثم تعرضت لماردة في العصر الاموى بالاندلس للحصار عدة مرات الامر الذى ترتب عليه تخريب معظم عمرانها . ويحدثنا الادريسي عن ماردة القديمة فيقول « ومدينة ماردة كانت دار مملكة لماردة بنت هرسوس الملك ، وبها من البناء آثار ظاهرة تنطق عن ملك وقدره ، وتعرب عن نخوة وعزة ، وتفصح عن غبطة ، فمن هذه البناءات في غربى المدينة قنطرة كبيرة ذات قسى عالية الذروة كثيرة العدد ، عريضة المجاز ، وقد بنى على ظهر القسى اقباء تتصل من داخل المدينة الى آخر القنطرة ، ولا يرى الماشى بها ، وفي داخل هذا الداموس قناة ماء تصل المدينة ، ويمشى الناس والدواب على أعلى تلك الدواميس ، وهى متقنة البناء ، وثيقة التاليف ، حسنة الصنعة ،

(٣٠٧) يذكر المؤلف المجهول صاحب جغرافية الاندلس نقلا عن الرازى أنها كانت قاعدة الاندلس وقرارة الملك بنيت في زمن قيصر اكتبتيان Octaviano (لوحة ٤٨) .

Albarran, El Solar, Op. Cit., P. 592.

(٣٠٨)

والمدينة عليها سور حجارة منحورة من أحسن صنعة ، وأوثق بناء ، ولها فى قصبته قصور خربة ، وفيها دار يقال لها دار الطبيب وذلك أنها فى ظهر مجلس القصر ، وكان الماء يأتى دار الطبيب فى ساقبه هى الآن بها باقية الاثر لا ماء بها ، فتوضع صحاف الذهب والفضة بأنواع الطعام فى تلك الساقية على الماء حتى تخرج بين يدى الملكة ، فترفع على الموائد ٠٠٠ ومن أغرب الغريب جلب الماء الذى كان يأتى الى القصر على عمد مبنية تسمى الارجلات (الدعائم) وهى اعداد كثيرة باقية الى الآن قائمة على قوائم (٣٠٩) ، لم تخل بها الا زمان ولا غيرتها الدهور ، ومنها قصار ومنها طوال بحسب الاماكن التى وجب فيها البناء (٣١٠) وأحوالها ٠٠ وفى الجنوب من سور هذه المدينة قصر آخر صغير وفى برج منه كان مكان مرآة كانت الملكة ماردة تنظر الى وجهها فيه ، ومحيط دوره عشرون شبرا ، وكان يدور على حرفه ، وكان دورانه قائما ، ومكانه الى الآن باق ، ويقال انما صنعتها ماردة لتحاكى به مرآة ذى القرنين التى صنعتها فى منار الاسكندرية (٣١١) ٠٠٠ « وقد وصف الحميرى تلك الآثار فى ماردة بدوره (٣١٢) كما وصف أسوارها يكون طولها خمسين ذراعا متقنة البناء ، عددها ثلاثمائة وستون ثمانى عشر ذراعا (٣١٣) ، وكان على بابها مما يلى الغرب حنايات يكون طولها خمسين ذراعا متقنة البناء ، عددها ثلاثمائة وستون حنية ، وفى وسط قنطرتها برج محنى يسلك تحته من سلك فى

-
- (٣٠٩) يقصد بها دعائم الجسر الرومانى المسمى بجسر المعجزات (لوس ميلاجروس) .
(٣١٠) الادريسي : المغرب وأرض السودان ، ص ١٨٢ ، وقارن نص الحميرى الذى اقتبسه من نص الادريسي (الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٧٦ وما يليها) .
(٣١١) الادريسي : المغرب وأرض السودان ، ص ١٨٣ .
(٣١٢) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٧٦ .
(٣١٣) هذا النص منقول من المسالك والممالك للبكرى ، تحقيق الحجى ، ص ١٩ .

القنطرة ، وتفسيرها باللسان اللطيني مسكن الاشراف ٠٠ « (٣١٤) .
كما يصف قصر ماردة (٣١٥) الذى بناه عبد الملك بن كليب بن ثعلبة
« وهو منيع ، طول كل شقة من سورته ثلاثمائة ذراع ، وعرض البناء
اثنا عشر ذراعا ، وقنطرة ماردة عجيبة البنيان ، طولها ميل بأبعد ما
يكون من البنيان ، ومن ماردة الى بطليوس عشرون ميلا (٣١٦) ٠٠ » .

وحول بهو الاستراحة السياحية بماردة El Parador nacional
de Turismo مجموعة من أعمدة رومانية انتزعت في الاصل من معبد
La Concordia ، وعلى هذه الاعمدة بقايا كتابات عربية ، نميز من
بينها كلمة « الله الامر » ، مما يدعو العديد من الاثريين الى الاعتقاد
بأنها اقتلعت من أحد المساجد بماردة (٣١٧) .

١٠ - مكناسة الاصنام

من عمل ماردة وهى غير مكناسة الزيتون (تاقررت) بالمغرب ،
وغير مكناسة لاردة المسماة حصن مكناسة Mequinenza (٣١٨)، وكانت
مكناسة الاصنام تقع على مقربة من بطليوس ، وكانت في سنة ٣٠٣ هـ
(٩١٥ م) حصنا مشحونا بالخيول والمغامرين ، فكانوا على حد قول
ابن حيان « يستطيعون لذلك على من يجاورهم ويتطرفون أعمال
ابن مروان ببطليوس بغاراتهم ، فخرج اليهم ابن مروان بخيله وحشوده

(٣١٤) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٧٦ .
(٣١٥) لعله يقصد قصبة ماردة التى أمر عبد الرحمن الاوسط ببنائها
في سنة ٢١٩ هـ (٨٣٤ م) (راجع التفاسيل في : جومث
مورينو : الفن الاسلامى في اسبانيا ترجمة د . لطفى عبد
البديع و د . السيد عبد العزيز سالم ، القاهرة ١٩٥٩ ،
ص ٥١ وما يليها) .

(٣١٦) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٧٦ .
Albarran : Op. Cit., P. 603. (٣١٧)

Lévi-Provençal, la description de l'Espagne de Razi, P. 74. (٣١٨)

ومؤلف مجهول : ذكر بلاد الاندلس ، لوحة ٦ .

وهاجم بلدتهم ، وتمكن من الاستيلاء على قرية قسـولة ، وكانت أم قراهم وأكثرها خيلا وعدة ورجالا ، وكانت كهفا يلوذ به قاطعو السبل والمفسدون فى الارض ، فهدمها ، وانهزم المكناسيون ، وأعمل عسكر بطايوس السيف فيهم ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة من وجوه فرسانهم(٣١٩) .

١١ - شنترين Santarem

من مدن كورة باجة ، وتتبع على جبل يتميز بكثرة أجرافه وتشرف من موقعها الحصين على الاخدود الذى يكتنف مجرى وادى تاجه ، وهى بهذا الموقع تسيطر على السهول الفسيحة ، مترامية الاطراف ، ولها برج سامى الذروة ، متناه فى الحصانة ، وتتنوع المدينة حول الحافة العظيمة للجبل من جهة القبلة ، وبأسفل المدينة رىض على طول النهر ، وكانت دائما وعلى مدى التاريخ ملتقى الطرق التى عبرتها الحملات الحربية ، أما الاسم فكان يعرف قديما بـ Scallobis وتحول فى عصر القوط (القرن السابع) أيام الملك Recesvinto الى Santa Irene تكريما للشهيدة ايرين ، ومن هذا الاسم اقتبس العرب اسم شنترين أو شنت ايرين(٣٢١) ، ولقد شاركت شنترين بطليوس فى ملاذ الحياة فى داخل قصور حكامها من ملوك الطوائف ، حيث المساجلات الشعرية التى زخرت بها مملكة بطليوس فى ظل ملوك بنى الافطس . وتضم المدينة ثلاثة مراكز عمرانية : المركز الاول القائم بأعلى المرتفع ، وهو المدينة القديمة ، أما الآخرين فبأدنى الأجراف . وأما أسوار المدينة وأعنى بها جميع التحصينات التى كانت قد أقيمت منذ سنة ٥٤٢هـ

(٣١٩) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، تحقيق كورينطى ، ص ١١٨ -

١١٩ .

(٣٢٠) ابن غالب : فرجة الانفس ، ص ٢٩١ .

(٣٢١) ذكر بلاد الاندلس لمؤلف مجهول ، لوحة ٤٣ ،

Albarran : Op. Cit., P. 604.

(١١٤٧ م) التى سقطت فيها المدينة فقد تهدمت كلها وتلاشى معظمها .
أما الابراج والاسوار التى تبقت اليوم فما زالت قائمة فى الموضع المسمى
Las Foute dos Figueiras أو سسان تىـاجو San Tiago ،
ويصف الرازى مدينة شنترين بأنها تقع على نهر تاجه (٣٢٢) غربى باجة
غير بعيد من مصبه فى البحر ، وهى من أكرم الأرضين ، ونهرها
يفيض على بطحائها كفيض نيل مصر ، فتزدرع أهلها على ثراه عند
انقطاع الزريعة فى البلاد وذهاب أوانها فلا يقصر عن نمائه الطيب ولا
يتأخر إناه وإدراكه . وحصن شنترين يقوم على جبل عال كثير العلو
والمناعة ، « له سور عظيم وأبراج منيعة لا تدرك بقتال (٣٢٣) » وعن
شنترين يقول الادريسي « ومدينة شنترين على جبل عال كثير العلو
جدا ولها من جهة القبلية حافة عظيمة ، ولا سور لها ، وبأسفلها ربض
على طول النهر ، وشرب أهلها من مياه عيون ، ومن ماء النهر أيضا ،
ولها بساتين كثيرة وفواكه عامة ومباقل وخير شامل (٣٢٤) » ، وكانت
شنترين قد حظيت باهتمام أمراء بنى أمية ، فزودها الأمير الحكم الرضى
بجامع عظيم ، وأقيمت فيها حمامات عظيمة وأسواق واسعة
مرتبة (٣٢٥) ، ثم انتزى بها أمية بن اسحق القرشى فى عهد الناصر
الاموى فغزاه القائد أحمد بن محمد بن الياس ، وتم افتتاحها فى سنة
٣٢٧هـ (٣٢٦) (٩٣٨ م) .

وفى عهد المظفر محمد بن عبد الله بن مسلمة المعروف بابن الافطس
قصدتها فردلند ابن شانجة ملك الجلائقة بجيوشه ، فبادر المظفر

-
- (٣٢٢) يخطئ المؤلف مجهول الاسم فى ذكر اسم النهر الذى تقع عليه
شنترين فيذكر أن شرب أهلها من نهر أنه (لوحة ٤٣) .
(٣٢٣) الادريسي : المغرب وأرض السودان ص ١٨٦ La Description de
L'Espagne de Razi, P. 88. ، الحميرى : صفة
جزيرة الاندلس ، ص ١١٣ وما يليها .
(٣٢٤) الادريسي : المغرب وأرض السودان ، ص ١٨٦ .
(٣٢٥) مؤلف مجهول : ذكر بلاد الاندلس ، لوحة ٤٣ .
(٣٢٦) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٤٣١ .

بالوصول اليها قبل وصول الجلالقة ، وتم الاتفاق على الصلح مقابل
اتاة يدفعها ابن الافطس قدرها خمسة آلاف دينار يؤديها كل
سنة (٣٢٧) . وفى سنة ٥٤٢هـ (١١٤٧ م) استولى البرتغاليون على
شنترين (٣٢٨) ، وحاول أبو يعقوب يوسف الموحدى استرجاعها فى
سنة ٥٧٩هـ (١١٨٣ م) ولكنه لقى مصرعه خارجها (٣٢٩) ، وقيل توفى
بعد مرض أصابه (٣٣٠) .

١١ - شنترنة Cintra

هى مدينة مشهورة بالخصب ، تقع على مقربة من البحر وجبال
سيرادى فياجيم ، ويذكر الحميرى أنها من مدائن الاشبونة على مقربة
من البحر ، يغشاها ضباب دائم لا ينقطع ، وهى صحيحة الهواء ،
ولها حصنان فى غاية المنعة ، ويعتمد أهلها فى سقايتهم على نهر مأوه
يصب فى البحر ، ومنه يسقون جناتهم ، وأكثر زراعتهم الفاكهة وأهمها
التفاح العجيب الذى يبلغ من الضخامة ما يجعل الدابة لا تحمل منه الا
ثلاث حبات (٣٣١) ، والكمثرى ، كما اشتهرت بعنبرها الجيد (٣٣٢) ،
ومن خواصها ان القمح والشعير يزرعان فيها ويحصدان عند مضى
اربعين يوما من زراعته .

١٢ - ترجلة Trujillo

وكانت منزلا لقبائل نفزة الذين تحملوا فى القرن التاسع الميلادى
وطأة الحملات الاشتورية . ويتحدث الادريسى عن أسوارها المنيعة
وأسواقها التجارية ، ويتحدث عن قيام أهلها بغزو النصرارى . اما

-
- (٣٢٧) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ٢٣٨ .
 - (٣٢٨) ابن غالب : فرحة الانفس ، ص ٢٩١ .
 - (٣٢٩) عبد الواحد المراكشى : المعجب ، ص ٢٥٩ .
 - (٣٣٠) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١١٤ .
 - (٣٣١) ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، ج ١ ، ص ٤١٥ .
 - (٣٣٢) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١١٣ .

الحميري فيصور حصار النصارى لها في ٦٣٠ هـ (١٢٣٢/١٢٣٣ م) فتوجه محمد بن يوسف بن هود لمواجهةهم من الخلف ولكنه عجز عن ذلك ، وأخذ طريق اشبيلية ، ومن هناك اتجه الى ترجلة غير انه تلقى خبر سقوطها في أيدي النصارى ، وتم ذلك في ربيع تلك السنة ، وقد تبقت من القلعة الاسلامية آثار هامة منها الجب (٣٣٣) .

الباب الأول

بطلينوس في ظل بني مروان

الفصل الأول

بطليوس في عهد مؤسسها عبد الرحمن بن مروان الجليقي

- ١ - تتابع الثورات في ماردة وبداية ظهور عبد الرحمن بن مروان الجليقي .
- ٢ - ثورة عبد الرحمن بن مروان الجليقي وتأسيس بطليوس .
- ٣ - تمصير بطليوس .

الفصل الأول

بطليوس في عهد مؤسسها عبد الرحمن بن مروان الجليقي

(١)

تتابع الثورات في ماردة وبداية ظهور عبد الرحمن بن مروان الجليقي :

يسدل التاريخ ستاره الكثيف على ماضى بطليوس قبل بداية تمصيرها في عهد الامير محمد الاول بحيث نكاد لا نعرف شيئا عن أخبارها قبل هذا التاريخ ، فالمصادر العربية والاسبانية لم تسعفنا بمادة تاريخية تسد هذا الفراغ الكبير .

وليس في أيدينا من المصادر التاريخية ما يعين على تسليط الضوء على تلك الفترة الغامضة من تاريخ هذه المدينة العريقة ، وان كانت الدلائل الاثرية تؤكد أنه موغل في القدم . ولا يبدأ اسم بطليوس في الظهور الا منذ أن نطقت المصادر العربية به في عهد الامير محمد بمناسبة انتزاء عبد الرحمن بن مروان الجليقي في هذه البقعة التي شهدت مولد بطليوس الاسلامية .

ولم تكن بطليوس آنذاك سوى قرية صغيرة (١) يمكن أن يمر عليها الباحث مرا سريعا وعابرا دون أن تلفت نظره أمام الوقائع المتتالية التي شملت غرب الاندلس في أعقاب الفتح الاسلامي ، والتي انتهت بانحدار ماردة التدريجي نحو اضمحلالها المحتوم (٢) ، ذلك ان ماردة

(١) ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ص ١٠٢ .
(٢) كانت ماردة الرومانية في العهد الامبراطوري مركزا متلقيا للغاية للحضارة اللاتينية في اسبانيا و ربما كانت اكثر المدن الرومانية التي أسسها الرومان في شبه الجزيرة الايبيرية سكانا و ثراء ، كما انها سجلت بعض أمثلة لتأصل المسيحية في أرضها في أرضها في القرن الرابع الميلادي بحيث بلغ الحماس المسيحي اقصاه في القرن الخامس والقرن السابع ، ثم ثار أهل ماردة على ليوفيلدو ، وساندوا ابنه هرمانجيلدو . ومنذ أن خضعت البلاد للإسلام وظلت ماردة المسيحية تحتفظ بهذه =

كانت بمرتفعاتها الجرداء واسوارها المنيعه التى لا ترام مجالا خصبا للثورات وحركات التمرد والمؤامرات ، كما كانت وكرا مهيبا للمتآمرين من افراد البيت الاموى ، والخارجين على الحكم المركزى فى قرطبة ، وربما كان ذلك من العوامل التى دفعت الامير عبد الرحمن الداخل مثلا الى اسناد ولايتها الى ولده هشام الذى كان يرفع منزلته ويضعه فى المكان الاول من الادارة لما اتصف به من كياسة وحسن سياسة (٣) ، ومما لا شك فيه ان اختيار هشام لولاية ماردة فى حياة ابيه جاء موفقا كل التوفيق ، اذ كانت ولاية هذه المدينة المعروفة بعصبية اهلها وجنوحهم الى الثورة والتمرد يحتاج الى علو يد وعظيم هيبة مع قدرات خارقة لاستتلاف القلوب وكسبها عن طريق المواجهة وحسن المعاملة ، وكل هذه الصفات كانت تتوفر فى شخص هشام ولهذا ساد السلام والهدوء ماردة مدة ولايته لها .

وذكرنا أن الفضل الاعظم فى عودة بطليوس الى الظهور فى العصر الاسلامى باسمها الذى اتخذته انما يرجع الى الثائر المولد ، عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، ويرى فريق من المؤرخين الاسبان المتعاطفين مع الثوار المولدين والمستعربين ان ثورة عبد الرحمن الجليقى انما انبعثت تعبيرا عن شعوره بالظلم الذى تعرض له من الحكم الاموى ، ويجنح هؤلاء الى الاعتقاد بأن الامارة التى بدأت قوية بحكم عبد الرحمن الداخل ، تحولت بمرور الوقت الى حكم استبدادى غاشم فى عهد الحكم الرضى وولده عبد الرحمن الاوسط ، وانتهت فى عهد

= المسيحية بدليل المعاهدة التى عقدها اهلها مع موسى بن نصير عند افتتاح المدينة ، وظلت ماردة تتمتع طوال القرن الثانى للهجرة بحياة هادئة باستثناء بعض الحركات الثورية البسيطة الى ان قامت دولة عبد الرحمن الداخل وعندئذ بدأت متاعب هذه المدينة التى انتهت باضمحلالها وتدهورها .
(٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، ص ٢١٤ .

وسجل عبد الرحمن اخضاعه لثورة ماردة بقصبة بناها على نهر
واديانه تعرف اليوم لدى العامة بالدير ، وعلى مدخلها نقش كتابي يحمل
تاريخ انشائها سنة ٢٢٠هـ (١٨) (٨٣٥ م) . ويذكر Martinez y

= من القتل فيقول « وغزا ماردة سبعة اعوام ولاء فلما كان العام
السابع وأُسفى بهم على العطب ، نظر الى جنده قد تعلقوا
بشرفات السور وتغلبوا عليه ، وضعف أهل ماردة عن دفاعهم ،
فسمع صراخ النساء وعويل الصبيان وعجيج البكاء فامر
بالامساك عنهم وقبض أهل العسكر عن قتالهم ، ثم دعا بوزرائه
وقواده وقال لهم . قد علمتم ما كان من تغلب حشمتنا ورجالنا
على هؤلاء الظلمة لأنفسهم ولم يكن رفعنا ما رفعناه عنهم الا
رقبة لله عزوجل فيهم ، وتخوفا من قتل ولدانهم وأطفالهم ،
ومن لا ذنب لهم ممن استكره على نفسه منهم ، ونحن نرى
استجلاب النصر من حيث عودنا الله ، وعرفنا من العفو
والصلح ، وقد عزمنا على الانتقال عنهم فان أبصروا قدر يدنا
في الابقاء عليهم ومراقبة الله فيهم والا كان الله من ورائهم محيطا
وعلى الانتقام منهم قديرا . » (انظر أخبار مجموعة ، ص ١٣٩)
وليزيد من التفاصيل عن اقامة محمود بن عبد الجبار عند
الفونسو الثاني حتى مقتله سنة ٢٢٥هـ (٨٣٩ م) انظر :
Lévi-Provençal : Histoire de L'Espagne Musulmane, t. I,
P. 210. Codera : Op. Cit., P. 14-24.

ولكن سليمان تنازع مع محمود وانتقل الى الشمال بينما واصل
محمود رفع لواء الثورة في ماردة بمساعدة أخته جميلة التي
عرفت بجمالها البارع ، وتمكن من الاستيلاء على المناطق
المجاورة ، ولكنه اضطر أمام القسوة التي أرسلها الأمير
عبد الرحمن الاوسط لوضع حد لثورته الى الفرار مع أخته
جميلة الى مملكة ليون حيث لاذا بالفونسو الثاني الذي رحب
به وأكرمه ، واتخذة سلاحا يشهره ضد هذه الامارة الاموية ،
ولكن محمود لم يلبث أن استشعر الندم لموقفه المخزى من
المسلمين وأثر أن يستسلم لعبد الرحمن الاوسط فطلب منه
الامان ، ولما علم الفونسو بذلك ناهضه وتمكن من الظفر
به أسيرا ثم أمر بقتله عام ٢٢٥هـ (٨٤٠ م) أما أخته جميلة
فقد ظلت تقاوم الى أن سقطت أسيرة بدورها وحملها الفونسو
الثاني قهرا على التنصر ، وتزوجها وكان أحد أعقابها أسقف
ج ١ ، ص ٤٨ وليزيد من التفاصيل ارجع الى المقتبس
لابن حيان تحقيق د. مكى ، ص ٦٧٤) .

(١٨) راجع التفاصيل في مانويل جرمت مورينو : الفن الاسلامي =

الظلم الذى وقع عليهم فى عهد الاستبداد الاموى ، ولم يتردد

= رأس قوة من أتباعه الى حصن منت شلوط Monsalud التابع
لبلدة مقالش ، وتقع الى جنوب بطليوس منحرفة قليلا الى
الشرق على مسافة تبلغ ٥٠ كيلو مترا (ابن حيان : المقتبس
من أنباء أهل الاندلس تحقيق د . محمود على مكى ، هامش
رقم ٥٨٩ ، ص ٦٣٨) وتحصن فيها عدة سنوات الى أن
داهمته قوات الامير ، فلاذ بالفرار الى الملك الفونسو العفيف
ملك اشتورياش واستظل بحمايته ، ومنحه الملك قلعة بين برتقال
Porto وليق Lamego ، تعرف بقلعة سانتا كريستينا لاتخاذها
قاعدة لشن الغارات على اراضى الاسلام المجاورة ، ولكنه لم
يلبث أن ندم على تصرفاته وكتب الى الامير عبد الرحمن
الابوسط يطلب الصفح والامان والمسامح له بالعودة الى بلده ،
وأبدى عبد الرحمن موافقته ولكن الفونسو علم بخبر هذه
المكاتبة ، فهاجم قلعة محمود ، ووقع هذا اسيرا فى ايدى
النصارى ، فقتلوه فى رجب سنة ٢٢٥هـ (مايو ٨٤٠م) راجع
ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٦٧ ، ابن حزم :
جمهرة أنساب العرب ، ص ٤٦٦ ، ليفى بروفنسال : نبذة
تاريخية فى أخبار البربر منتخبة من كتاب مفاخر البربر ،
الرباط ، ١٩٢٤ ، ص ٨٠) ثم ثار أهل ماردة على الامير فى
سنة ٢٢٠هـ (٨٣٦م) بزعامه سليمان بن مرتين المولد ، ولم
يجنح أهل ماردة الى السلم الا بعد مصرع زعيمهم فى نفس
السنة . ارجع الى :

Simonet, Op. Cit., P. 307-316, Isidro de las Cagigas, los Mozarabes, t. I, P. 164).

ويؤكد سيمونيت بعد ذلك ان السبب فى قيام المولدين
والمستعربين بالثورة على الامير محمد بن عبد الرحمن لاسيما
فى غرب الاندلس (ماردة وشنتمرية) ، انما يرجع الى امعان
الامير الاموى محمد فى سياسة الاضطهاد التى مارسها مع
المستعربين ، فيذكر ان الامير محمد كان قاسيا ومتعصبا
للالسلام ضد العناصر المسيحية وأن العاملين فى الجهاز الادارى
بقرطبة نهجوا نهجه فى عدائه للمسيحية ، وترتب على هذه
السياسة تخريب الكنائس المستعربية
Simonet, Op.

(Cit., P. 443) ، ويضيف ليفى بروفنسال الى ذلك العامل عاملا
جغرافيا وهو قرب مملكة اشتوريش من كورة ماردة الامر الذى
شجع سكان ماردة على الارتباط مع عملاء اشتورياش وساعد
على قيامهم بالثورة على الدولة الاموية

= Lévi-Provençal, Op. Cit., t. I, P. 208.

المولدون (٥) الذين كانوا لا ينعمون رغم اسلامهم وتفوقهم العددي

= ومن الغريب أننا نجد بين المؤرخين العرب المحدثين بعض المؤيدين لهذا الرأي ومنهم الدكتور محمد عيسى الحريري الذي يرى أن الفترة التي ثار فيها زعماء المولدين أمثال عمر بن حفصون وابن مروان الجليقي على السلطة المركزية في قرطبة ، كانت فترة مضطربة للغاية ذلك أن الامارة الاموية في قرطبة كانت قد أرخت قبضتها على العناصر التي يتكون منها البناء الشعبي للدولة الاموية في الاندلس وأعنى بهم العناصر أسبانية الاصل ، وهم المولدون المسلمون والمستعربون الذين ظلوا متمسكين بدينهم ، وكانت هذه العناصر تشكل الجبهة العظمى من سكان الاندلس ، وكان هناك العرب اليمينية والمضرية ، وأخيرا البربر ، وكانوا أكثر عددا من العرب ، وفي رأى الدكتور الحريري ، أن هذه العناصر الشعبية كانت تعيش مع بعضها في وئام تام في العهود التي تقوى فيها الحكومة المركزية ، أما في حالة الضعف فان الشعور القومى يطفئ وتتغلب النزعة الانفصالية عند هذه العناصر ، وقد ساعدتهم على ذلك طبيعة بلادهم الجبلية من جهة ، وشعور المولدين والمعاهدة بأنهم أصحاب البلاد الاصيليون من جهة ثانية بالاضافة الى احساسهم بمظالم العرب واضطهادهم لهم ، يضاف الى ذلك العامل الاقتصادى وهو أحد العوامل التي تسببت في خلق أسباب العداوة والكراهية بين المولدين والعرب . (انظر د . محمد عيسى الحريري : ثورة عمر بن حفصون ، زعيم المولدين في الجنوب الاندلسي ، الطبعة الاولى ص ٨ ، ٣١) بل أن الامر لم يقتصر على ذلك اذ تجاوزه الى العلاقات الاجتماعية ويتمثل في احتقار العرب للمولدين وتعاليمهم عليهم ، ويستطرد المؤلف ، فيذكر أن معاملة العرب للمولدين تماثل معاملة العرب للموالى في المشرق .

(٥) المستعربون ، هم نصارى الذمة الذين يخضعون للإدارة الاسلامية ويتعايشون مع المسلمين ، ولكن مع استمرارهم في الاحتفاظ بدينهم المسيحى ، وكان العرب يطلقون عليهم نصارى الذمة ، وكان المستعربون في الاندلس يؤلفون جبهة سكان البلاد في السنوات الاولى بعد الفتح الاسلامى ، ولكن بمرور الايام أخذت أعدادهم فى التناقص تدريجيا مع ازدياد أعداد المسلمين (انظر السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٣٠) ، أما المولدون فقد ظهروا فى المجتمع الاسبانى نتيجة زواج المسلمين عربا كانوا أم بربرا من =

وثرائهم العريض وثقافتهم الواسعة ، بنفس الامتيازات التي كان ينعم بها الفاتحون من العرب والبربر ، في دعم العناصر المستعربة ومساندتها .

وعلى هذا النحو ثار النصارى في ماردة ضد عبد الرحمن الاوسط مرتين ، الاولى في عام ٢١٤هـ (٨٢٧م) ، والثانية في عام ٢٢٢هـ (٨٣٥م) بالاتفاق مع المعاهدين النصارى في طليطلة ، أما المستعربون في قرطبة فقد آثروا المقاومة السلبية فاقترعت حركتهم المناهضة للحكم الاموى على ما اصطلح على تسميته بحركة الاستشهاد (٦) .

= الاسبانيات ، ومن هذه المصاهرة ظهر ذلك الجيل الذى يعرف بالمولدين ، وكان عبد العزيز بن موسى بن نصير أول من تزوج بأسبانية هى Egilona ايخيلونا أرملة لذريق (انظر عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص ١٢٨) .

(٦) قام المستعربون بفتنة غريبة أشبه ما تكون بحركة انتحار جماعى واستشهاد ، فعلى الرغم من أن بعض المستعربين كانوا ينعمون بنوع من التسامح الدينى في عصرى الامارة والخلافة ، وكانوا يتمتعون بحرياتهم في العمل ويشغلون الكثير من المناصب الادارية الكبرى الا أنه عز على بعض المتطرفين منهم أن يتسبب هذا التسامح في زيادة عدد المسألة ، كما أنها رأوا شباب المستعربين قد أغفلوا تعلم لغاتهم الاصلية وأقبلوا على التعمق في علوم اللغة العربية وآدابها ، ومن هذا المنطلق احتدمت نفوسهم بالسخط والغضب وسعوا الى الحد من ذلك بكافة السبل عن طريق الاستشهاد ، وبدأت هذه الحركة عندما فقد القديس برفكتو Perfecto صوابه عقب مناقشة دارت بينه وبين أحد المسلمين عن كل من الرسول والمسيح ، وانتهى امره بالقتل حين طعن في الاسلام ، وقذف جهارا في القرآن الكريم ، وسب رسول الله محمد ﷺ بقصد الاستشهاد . ثم تفاقم الامر بعد ذلك حين تزعم راهبان هما ايلوخيو Eulogio والفسارو Alvaro حركة اشعال نار الفتنة بين المتطرفين من المعاهدين ودعوتهم الى توسيع نطاق حركة الاستشهاد هذه ، وقد اشتركت النساء في هذه الحركة أمثال فلورا Flora المولدة التي لم تنردد في الارتداد عن الاسلام بعد أن هربت من بيت والدها ، وصممت على الاستشهاد حين وقفت أمام القاضى وسبت الرسول (ص) رغم علمها بأن هذه التهمة تنتهى بها =

وكانت دعائم الحكم الاموى عند وفاة الامير عبد الرحمن الاوسط في ربيع الآخر سنة ٢٣٨هـ (٨٥٢م) ، قد أخذت في التصدع ، وبدأت أولى علامات الثورة على الحكم الاموى في السنة الاولى من عهد الامير محمد . واعتقد ان الاستناد في تبرير قيام هذه الثورات في نواحي مختلفة من الاندلس ومن بينها ثورة عبد الرحمن بن مروان الجليقي المولد بانها انتفاضات ضد الظلم والطغيان الذى مارسه الحكم الاموى المتعصب للعرب على العناصر المستعربة والمولدة ، لا يقوم على أساس قوى وتفسيره على النحو المذكور يبدو لنا غير مقبول ، فقد كانت سياسة التسامح الدينى تطبق في الاندلس تطبيقا فعليا على المعاهدة ، وعلى الاخص منذ قيام دولة عبد الرحمن بن معاوية ، فكان لنصارى الذمة قاض بينهم يقضى في منازعاتهم ، يعرف بقاضى العجم ، فاذا كان احد المتخاصمين مسلما والاخر مسيحيا كان على القاضى المسلم الذى يفصل بينهما ان يكون ملما الماما كبيرا بكل القانون القوطى والشرعية الاسلامية (٧) ، وكان نصارى الذمة يتمتعون بحرية دينية لا نظير لها ، فكانت لهم كنائسهم واديرتهم واسقفياتهم ، وكانت اشبيلية في العصر الاموى مركزا اسقفيا كبيرا . كما كانت ماردة ذاتها مركزا اسقفيا

= حتما الى القتل (٢٣٦هـ - ٨٥١م) .
وعلى اثر ذلك انعقد مجلس (مجمع) دينى ترأسه قومس بن انتيان في عام (٢٣٨هـ - ٨٥٣م) ، قرر حظر التفوه بالفاظ نابية عن الرسول المسلم واعتبار من يقوم بها خائفا لقضية المسيحية ومخالفا لتعاليمها ، ودعا في هذا المجمع المستعربين الى التزام الهدوء والطاعة ، وقد استمرت حركة التطرف الدينى هذه في عهد الامير محمد بن عبد الرحمن وان كانت قد هدأت عندما أطلق سراح ايلوخيو ، وعينه أسقفا على مدينة طليطلة (انظر التفاصيل في ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . محمود على مكي ، تعليق رقم ٣١٢ ، ص ٥٢٤ ، محمد عيسى الحريري : ثورة عمر بن حفصون ، ص ٣٦) .
(٧) النباهي : تاريخ قضاة الاندلس ، المسمى المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، نشره ليفي بروفنسال ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ٢١ .

هاما للغاية استمر يقوم بوظيفته حتى عصر الامير محمد ، ثم ظفرت بطليوس بمكان الصدارة الذي كانت تتبواه ماردة ، فورثت مركزها الاسقفى بتشجيع عبد الرحمن الجليقى الذى انتهاز فرصة وفاة الاسقف آريولفو فى سنة ٢٤٨ هـ (٨٦٢ م) وخلو ماردة من رجال الدين الذين يمكن ان يخلفه احدهم على كرسيه الاسقفى بسبب هجرة معظم رجال المجلس الكنسى فى ماردة الى مملكة ليون ، وأخذ يجتذب المرشح الجديد للاسقفية ومن معه الى بطليوس بهدف جعلها مركزا أسقفيا بديلا ، وعلى هذا النحو أصبحت بطليوس منذ ذلك الحين مقرا أسقفيا هاما ، وورثت بطليوس بذلك المركز الدينى الهام وذى كانت تشغله ماردة . وهكذا فات هؤلاء الباساخيون الذين يرجعون الثورات التى تزعمها ثوار مولدون ضد الامارة الى ظلم العرب للمسيحيين والمولدين واضطهادهم الشديد لهم ، فات هؤلاء أن الاندلس شهدت الى جانب هذه الثورات المولدة ثورات أخرى بربرية ، وثورات عربية ضد الحكم الاموى فى الاندلس ، فالى جانب ثوار هذه المرحلة من المولدين أمثال عمر بن حفصون فى بيشتر وديسم بن اسحاق فى لورقة ومرسية وكورة تدمير ، وابن الشالية فى جيان ، وقسطلونة Cazlona وغيرهم ، وجد ثوار معاصرون لهم مسلمون من البربر أمثال بنو موسى بن ذى النون ، وعمر بن مضم الهترولى المعروف بالملاحى ، وخليل وسعيد ابنا الملهب ، وزعال بن يعيش بن فرانك النفزاوى ، كما وجد ثوار من العرب أمثال محمد بن أضحى بن عبد اللطيف الهمدانى بالبيرة ، وسعيد بن سليمان بن جودى وابن عطف العقيلى وسوار بن حمدون وابراهيم بن حجاج وبنو المهاجر التجيبويون ، ومحمد بن عبد الرحمن المعروف بالشيخ الاسلمى الخزاعى ، ومنذر بن ابراهيم بن محمد بن السليم (٨) .

بالاضافة الى ذلك كله هناك حقيقة تاريخية مؤكدة وهى أن معظم

(٨) لمزيد من التفاصيل راجع السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص ٢٥٣ - ٢٥٩ .

المراكز الثورية للمولدين التي تصدت للحكم الاموى واعلنت انفصالها عن قرطبة كانت تتلقى فيضا من الدعم المادى والعسكرى أو حتى مجرد السند الادبى من الممالك المسيحية فى اسبانيا ، فماردة مثلا ، وكانت تضم جالية كبيرة العدد من المولدين بالاضافة الى طائفة قوية من نصارى الذمة ، كانت بحكم وقوعها على مقربة من مملكة اشتوريش تتلقى تشجيعا من هذه المملكة على القيام بالثورة ضد قرطبة ، وجنحت العناصر غير العربية فيها أى فى ماردة الى الارتباط مع مملكة اشتوريش برابطة الحلف بحيث أن الملك الفونسو الثانى المعروف بالعفيف (٩) لم يتردد فى السنوات الاخيرة من حكمه فى مساندة ثورة المولدين والمستعربين فى ماردة ضد الحكم الاموى ، وكان على الامير عبد الرحمن الاوسط أن يواجه هذا الخطر بشجاعة ، ففى هذه الفترة أجمع المستعربون فى الثغر الادنى على الثورة ضد عبد الرحمن الاوسط

-
- (٩) هوأذفونش بن فرويلة الاول المعروف بالفونسو الثانى العفيف Alfonso II el Casto ملك جليقية واشتوريش فى الفترة من ١٧٥هـ الى ٢٧٧هـ (٧٩١ - ٨٤٢م) خلفا لمورقاط بن اذفونش (موريقاتو بن الفونسو الاول الملقب بالكاثوليكي) (١٧٢ - ١٧٥هـ) (٧٨٩ - ٧٩١م) ويسجل حكمه الطويل خلال ٥١ سنة عاصر فيها كل من الامير هشام الرضا والحكم الرشيد وعبد الرحمن الاوسط مرحلة جديدة اتسمت بالنشاط فى الاسترداد الاسبانى . ولقد تبادل هذا الملك مع أمراء بنى امية فى الاندلس الغارات والغزوات كما تناوبا النصر والهزيمة واذا كانت قوات قرطبة قد نجحت فى اقتحام أسوار أبيض Oviedo حاضرة الفونسو الثانى فى اشتوريش ، مرتين ، فان قوات الفونسو نجحت بدورها فى احتلال لشبونة لفترة مؤقتة وتحولت اشتوريش فى عهده من مركز للمقاومة ضد المسلمين الى مملكة . ولمزيد من التفاصيل ارجع الى : Armando Cotarelo Valedo, Alfonso III el Magno, Madrid, 1933, P. 46-52, Aguado Bleye, Manual de Historia de España, Madrid, 1947, P. 479-840. Lui: Suarez Fernandez, Historia de España, Edad Media, Madrid 1978, P. 31, 32, Jcse Luis Martin, la peninsula en la edad media, Barcelona, 1980, PP. 200-202.

وشجعهم على هذه الثورة رسالة ودية تلقوها من لويس التقى ملك الفرنجة (١٠) . وفي هذه الاثناء في سنة ٢١٣هـ اجتمع اهل ماردة (١١)

(١٠) كان ثوار ماردة على اتصال مباشر بلذويق بن قارلة المعروف باسم لويس التقى ابن شارلمان Ludovico Pio. (١٩٨ - ٣٢٥هـ / ٨١٤ - ٨٤٠م) ويذكر سيمونيت أن الامبراطور لويس التقى خاطب اهل ماردة في كتاب أرسله اليهم عام (٢١١هـ) ٨٢٦م ردا على كتاب أرسلوه اليه يثبته فيه شكايتهم من السياسة الغاشمة التي يتبعها الامير عبد الرحمن الاوسط معهم ، وجاء في كتاب الامبراطور ما يلي « سمعنا بما تعانونه من مضايقات بسبب قسوة الملك عبد الرحمن الذي لم يتردد في تجريدكم من املككم متبعاً في ذلك كل وسائل القهر والعسف والعنف ، ، وعرفنا ما كان يفعل ابيه (الحكم الرضى) Abolaz الذي ضاعف عليكم الضرائب والجزيات وكان يتقبضها منكم بالعنف وجعل من الاصحاب أعداء ومن اهل الطاعة ثوارا ، وحاول أن يجردكم من حريتكم ولكنكم كما سمعنا عنكم كعهدينا بكم دائما تمكنتم من الرد على هذه المظالم بشجاعة ، وتصديتكم لسياسته الغاشمة معكم . ولهذا حرصنا على مواصلة الدفاع عن حريتكم ضد ملك قاسى . . . وسنحاول بعون الله أن نرسل اليكم جيشنا في الصيف المقبل الى حدود مملكتنا لكي ينتظر من هناك وصول أوامرنا وفيها الوقت المحدد للعبور الى بلادكم ، اذا رأيتم أن في ذلك مساعدة لكم ضد عدونا المشترك الذي يستقر لصق حدودنا بحيث اذا أراد عبد الرحمن أو جيشه أن يتوجه ضدكم نمنعه بحد السيف . » ويضيف سيمونيت أن اهل ماردة الثائرين على الامير الاموى كانوا يتفاوضون مع ملك الفرنجة الامبراطور لويس التقى حامى المسيحية ولكن هذا التعاون لم يكن مثمرا بسبب بعد بلاد الفرنجة عن موطن الثورة ماردة ، ومن المعروف أن لويس التقى أرسل في سنة ٨٢٧ (٢١٢هـ) جيشا الى الثغر الأعلى حيث قاتل الثائر القوطى عيشون الذى كان يبعث فسادا باسم الامير عبد الرحمن الاوسط داخل حدود مملكة الفرنجة . (Simonet : Op. Cit., P. 343-345).

(١١) مخطوطة النويرى : لوحة ٢١ ، يقول النويرى « وكانت ثورة اهل ماردة في سنة ٢١٣هـ ، قتل اهلها عاملهم فثارت الفتنة فسير اليهم عبد الرحمن جيشا فحصرهم وأفسد زرعهم وأشجارهم فعادوا للطاعة ، وأعطوا رهاينهم ، وعاد الجيش عنهم بعد أن خربوا أسوار المدينة ، ثم أرسل اليهم من ينقل أحجار السور الى النهر ليلا . . . » .

وراء زعيمين ثوريين هما محمود بن عبد الجبار المصمودى ، وسليمان بن مرتين المولد (١٢) المعروف بقعنب ، وشقوا عصا الطاعة على الامير عبد الرحمن الاوسط ثم وثبوا على مروان الجليقى والى ماردة وقتلوه (١٣) ، وعلى اثر ذلك وجه الامير عبد الرحمن قوة من قرطبة حاصرت المدينة سنة ٢١٤هـ (٨٢٩م) ولكن هذا الحصار لم يات بنتيجة حاسمة . وفى العام التالى ٢١٥هـ (٨٢٠م) عاودت قوات قرطبة محاصرة ماردة ، الا ان المدينة استعصت على عسكر قرطبة ، وظلت صامدة امام هذا العسكر القرطبى ، ولكن هذا الحصار الشديد لماردة تسبب فى تدمير المزارع المحيطة بها (١٤) وتخريب العمران فى نواحيها . ولما اشتد الحصار على ماردة وطال أمره ، قدم الثوار عدة رهائن (١٥) منهم

(١٢) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٦٧ ، يقول ابن القوطية « وكان قد تحرك فى أخريات الامير حكم رحمه الله بجانب مورور رجل يقال له قعنب تنسب اليه فتنة ، فضرب بين العرب والموالى وبين البستر والبرانس حتى قامت فتنة أطفاها الله فى صدر أيام عبد الرحمن بن الحكم ، وفر قعنب الى جانب ماردة وما والاها ، فاقام فيها أيضا فتنة بين البربر والمولدين ، قتله الله فيها ، واتصل بذلك قيام محمود وأخت له تسمى جميلة بقرب وادى تاجه بجوفى ماردة وما والاها فدارت بينهما فتنة وكانت جميلة تدعو الى الطاعة وأخوها محمود الى الخلاف والمعصية ، ثم أطفاها الله بموت محمود . وانظر كذلك محمد بن على الشاطبى المغربى ، مخطوطة عقود الجمان فى مختصر أخبار الزمان ، ميكروفيلم محفوظ فى جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، ورقة رقم ٢٦٨ وانظر أيضا . السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٢٣١) .

(١٣) كان قد تزعم الثورة فى ماردة على الحكم الرضى فى سنة ٢٠١هـ (٨١٦م) (ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ، ص ٤١) ولزید من التفاصيل عن مصرع مروان الجليقى راجع :

Lévi-Provençal : Op. Cit., t. I, P. 208).

(١٤) ويعبر ابن عذارى عن ذلك بقوله « وفى سنة ٢١٧هـ حوصرت ماردة وضيق عليها ، حتى فر عنها خلق كثير وقتل منهم كثير . . . (انظر ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ٨٣) .

Lévi-Provençal : Op. Cit., P. 208, Martínez y Martínez, Op. Cit., P. 54.

الى عسكر الامير حملوا الى بلاط قرطبة ، كان من بينهم عبد الرحمن بن مروان بن يونس الجليقي ، وولوا على أنفسهم واليا مخلصا للامارة هو حارث بن بزيح .

ولم يتم خضوع ماردة للامارة الا في سنة ٢١٩هـ (١٦) (٨٣٤م)
بعد أن فر منها محمود بن عبد الجبار (١٧) وسليمان بن مرتين .

(١٦) اشتدت ثورة ماردة في عام ٢١٣هـ (٨٢٨م) ، ويأتى ابن الاثير في روايته لحوادث سنة ٢١٣هـ بتفاصيل ضافية عنها فيقول « وفي سنة ٢١٣هـ ، فيها قتل أهل ماردة من الاندلس ، عاملهم فثارت الفتنة عندهم ، فسير اليهم عبد الرحمن جيشا فحصرهم وأفسد زرعهم وأشجارهم ، فعادوا الطاعة واخذت رهائنهم ، وعاد الجيش بعد أن خربوا سور المدينة . ثم أرسل عبد الرحمن اليهم بنقل حجارة السور الى النهر لئلا يطمع أهلها في عمارته ، فلما رأوا ذلك عادوا الى العصيان ، وأسروا العامل عليهم ، وجددوا بناء السور واتقنوه » . واستمرت أحداث هذه الثورة مايقرب من سبع سنوات خرج عبد الرحمن أثناءها في قوة من عسكر قرطبة الى ماردة في عام ٢١٤ (٨٢٩م) ، حيث أفسد بلدهم وحاصرهم ، ثم رحل عنهم وأرسل اليهم في عام ٢١٧هـ (٨٢٢م) جيشا حاصر المدينة ثم رحل عنها ، ثم عاود الكرة في عام ٢١٨هـ (٨٣٣م) ، وأرسل جيشا الى ماردة لاختضاعها وتمكن هذا الجيش من السيطرة على ماردة بعد أن فر عنها محمود بن عبد الجبار زعيم الثورة الى حصن مننت شلوط ، فيمن معه من أصحابه ، ولكن قوات قرطبة طاردته عام ٢٢٠هـ (٨٣٥م) ففر مع أتباعه الى جليقية ، ولما بعث عبد الرحمن في طلبهم سرية من قواته أوقع بهم محمود بن عبد الجبار الهزيمة ، وغنم ما معهم ، ثم سار محمود حتى وصل الى مدينة منيه التي ربما تكون باسم Míño وهو نهر ينبع من جبال آلبه ويشق بلد جليقية من الشرق الى الغرب ثم يصب في البحر المحيط (وصف الرازي للاندلس ،
La Description de L'Espagne, P. 104).

(١٧) ومحمود بن عبد الجبار بربرى يرجع أصله الى بنى طريف من مسمودة ، ثار مع سليمان بن مرتين واستولى الشوار على حصن فرنكش على واديانه ، وقد يكون المقصود بها مدينة Valencia de Mino بالبرتغال كما يعتقد كوديره (وهو الارجح) وملكها محمود وأتباعه ، ثم استقر في كنف الفونسو الثانى الى أن قتل في عام ٢٢٥هـ . ويأتى صاحب أخبار مجموعة بشواهد تعبر عن اشفاق عبد الرحمن على أهل ماردة =

وسجل عبد الرحمن اخضاعه لثورة ماردة بقصبة بناها على نهر
واديانه تعرف اليوم لدى العامة بالدير ، وعلى مدخلها نقش كتابي يحمل
تاريخ انشائها سنة ٢٢٠هـ (١٨) (٨٣٥ م) . ويذكر Martinez y

= من القتل فيقول « وغزا ماردة سبعة أعوام ولاء فلما كان العام
السابع وأشفى بهم على العطب ، نظر الى جنده قد تعلقوا
بشرفات السور وتغلبوا عليه ، وضعف أهل ماردة عن دفاعهم ،
فسمع صراخ النساء وعويل الصبيان وعجيج البكاء فأمر
بالامساك عنهم وقبض أهل العسكر عن قتالهم ، ثم دعا بوزرائه
وقواده وقال لهم . قد علمتم ما كان من تغلب حشمتنا ورجالنا
على هؤلاء الظلمة لأنفسهم ولم يكن رفعنا ما رفعناه عنهم الا
رقبة لله عزوجل فيهم ، وتخوفا من قتل ولدانهم وأطفالهم ،
ومن لا ذنب لهم ممن استكروه على نفسه منهم ، ونحن نرى
استجلاب النصر من حيث عودنا الله ، وعرفنا من العفو
والصلح ، وقد عزمنا على الانتقال عنهم فان ابصروا قدر يدنا
في الابقاء عليهم ومراقبة الله فيهم والا كان الله من ورائهم محيطا
وعلى الانتقام منهم قديرا . » (انظر أخبار مجموعة ، ص ١٣٩)
وليزيد من التفاصيل عن اقامة محمود بن عبد الجبار عند
الفونسو الثاني حتى مقتله سنة ٢٢٥هـ (٨٣٩ م) انظر :

Lévi-Provençal : Histoire de L'Espagne Musulmane, t. I,

P. 210. Codera : Op. Cit., P. 14-24.

ولكن سليمان تنازع مع محمود وانتقل الى الشمال بينما واصل
محمود رفع لواء الثورة في ماردة بمساعدة أخته جميلة التي
عرفت بجمالها البار ، وتمكن من الاستيلاء على المناطق
المجاورة ، ولكنه اضطر أمام القوة التي أرسلها الأمير
عبد الرحمن الاوسط لوضع حد لثورته الى الفرار مع أخته
جميلة الى مملكة ليون حيث لاذا بالفونسو الثاني الذي رحب
به وأكرمه ، واتخذة سلاحا يشهره ضد هذه الامارة الاموية ،
ولكن محمود لم يلبث أن استشعر الندم لموقفه المخزى من
المسلمين وأثر أن يستسلم لعبد الرحمن الاوسط فطلب منه
الامان ، ولما علم الفونسو بذلك ناهضه وتمكن من الظفر
به أسيرا ثم أمر بمقتله عام ٢٢٥هـ (٨٤٠ م) أما أخته جميلة
فقد ظلت تقاوم الى أن سقطت أسيرة بدورها وحملها الفونسو
الثاني قهرا على التنصر ، وتزوجها وكان أحد أعقابها أسقف
شانت ياقب (انظر ابن سعيد : المصدر السابق ، المغرب ،
ج ١ ، ص ٤٨ وليزيد من التفاصيل ارجع الى المقتبس
لابن حيان تحقيق د. مكى ، ص ٦٧٤) .

(١٨) راجع التفاصيل في مانويل جرمت مورينو : الفن الاسلامي =

Martinez أن عبد الرحمن الجليقي كان من بين الرهائن الذين سيقوا الى قرطبة على أثر استنزال عبد الرحمن الاوسط لاهل ماردة في سنة ٢١٩ هـ (٨٣٤ م) . وفي ذلك اُبلغ دليل على أنه كان من أبرز رؤساء الثورة فيها . ومع ذلك ومع افتراضنا أن عبد الرحمن بن مروان الجليقي كان من الرهائن وهو أمر بعيد الاحتمال ، فلا أستبعد أن يكون اختياره من بين وجوه الرهائن (١٩) دليلا آخر على رغبة اهل ماردة في التخلص منه باعتباره ابن مروان بن يونس الجليقي (٢٠) الذي أبدى تعاونه مع السلطات الاموية فنصبوه واليا من قبلهم على ماردة وكان ذلك من اسباب وثوب اهل ماردة عليه في ثورتهم سنة ٢١٣ هـ (٨٢٨ م) واقدامهم على قتله كما سبق أن أشرنا .

واذا افترضنا أن عبد الرحمن الجليقي اختار أن يكون على حد قول مارتينث اي مارتينث من جملة الثوار مدفوعا الى ذلك بطموحه وذكائه واتساع حيلته أو أنه انضم اليهم مؤخرا ، فكيف نفسر انقلابه على أبيه مروان بن يونس الجليقي واقدامه هو أو غيره من رفاقه على قتله ؟ وإذا افترضنا أن عبد الرحمن بن مروان انقلب على أبيه وانضم الى زعماء الثورة في بلدة ماردة ، فكيف نفسر المكانة العظيمة التي حظى بها في قرطبة عقب نزوله في بلاط قرطبة رهينة في جملة رهائن ماردة بحيث أصبح في جملة الحشم بديوان الامير عبد الرحمن الاوسط (٢١) لهذا كله لا نوافق على قول مارتينث .

= في أسبانيا ، ترجمة د . لطفى عبد البديع ، ود . السيد عبد العزيز سالم ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٥٠ وما يليها .

(١٩) مخطوط النويرى : ص ٢١ .

(٢٠) ويرى Martinez y Martinez أن اسم يونس ، وهو اسم الجد ، ربما كان أسباني الاصل من جونيوس أو أيونوس iunus ولكنى أرى أن نسبه الجليقي يرجع الى أنه أقام فترة بجليقية في كنف ملكها .

(٢١) ذكر ابن حيان أن عبد الرحمن بن مروان بن يونس وأهله « من مولدى الغرب الغالبين في رأى التغوية وكان ذا بأس وكيد عظيم الى دهاء ومكر وبصر بالشر لا يلحقه فيهن أحد من =

وقبل أن نمضى فى الحديث عن أسرة الجليقى يجدر بنا أن نذكر خطأ وقع فيه مارتينث اى مارتينث ، ربما كان الرد عليه حلا للمشكلة فهو يؤرخ خروج عبد الرحمن بن مروان الى قرطبة بين مجموعة الرهائن بعد استئزال عبد الرحمن الاوسط لماردة فى سنة ٢١٩هـ (٨٣٤ م) . ولكن ابن حيان وابن عذارى يؤكدان ان ذلك حدث فى سنة ٢٥٤هـ (٨٦٨ م) فى عهد الامير محمد (٢٢) وهو التاريخ الصحيح . ونعتقد ان الفترة من

= نظرائه ، وقد كان فى جملة الحشم فى ديوان السلطان ، فخرج الى ما خرج اليه من الفساد فى الارض ٠٠ » (انظر ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د . محمود على مكى ، ص ٣٤٣) وذكر ابن القوطية أن أول فتن حدثت على الامير محمد فى أواخر أيامه « خروج عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقى من قرطبة الى الغرب ، وكان فى جملة الحشم وكان أصله من جهة الغرب وكان من المولدين » (راجع ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٨٨) وذكر الضبى فى بغية الملتبس أن عبد الرحمن بن مروان الجليقى منسوب الى بلده ، كان من الخوارج فى أيام بنى أمية بالاندلس » (ترجمته رقم ١٠٤٥) .

(٢٢) ورد فى البيان المغرب لابن عذارى فى حوادث سنة ٢٥٤هـ (٨٦٨ م) أن الامير محمد خرج لاستئزال الثوار فى ماردة فتحصنوا فى المدينة أياما ، ووقع القتال على القنطرة حتى تغلب الامير محمد ، فهم بهدم رجل منها ، فاضطر أهل ماردة الى الاذعان الى طاعته على أن يخرج فرسانهم ، « وهم يومئذ عبد الرحمن ابن مروان وابن شاكر ومكحول وغير هؤلاء ، وكانوا أهل بأس ونجدة وبسالة مشهورة ، فخرج المذكورون ومن هو مثلهم الى قرطبة بعيالهم وذرائعهم ، وولى عليها سعيد بن عباس القرشى وأمر بهدم سورها ولم تبق الا قصبتها لمن يرد من العمال » (ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ص ١٠٠) .

وأورد ابن حيان هذا الخبر مع بعض التوضيح الصريح الذى يؤكد أن ابن مروان الجليقى كان أحد زعماء الثورة البارزين فى ماردة ، يقول ابن حيان « وفيها (سنة ٢٥٤) غزا الامير بنفسه مدينة ماردة وكان قد أظهر غزو طليطلة زميلتها فى الشقاق ، وقد بلغه التيات أمرها وتخوف نفاق أهلها ، فتقدم فى طريقها محلات ، ثم نكب الى طريق ماردة فاحتل عليهم وهم آمنون من قصده اليهم ، فتحصنوا منه بمنعة مدينتهم وأمرهم وهم يومئذ يدور على زعمائهم عبد الرحمن بن مروان وابن شاكر ومكحول =

٢١٩ هـ (٨٣٤ م) التي أخذ فيها عبد الرحمن الأوسط ثورة ماردة التي قتل فيها مروان الجليقي والى المدينة والتي امتد أمرها حتى سنة ٢١٩ هـ ، الى سنة ٢٥٤ هـ (٨٣٤ - ٨٦٨ م) التي استسلم فيها أهل ماردة للامير محمد هي فترة كافية لحمل عبد الرحمن بن مروان الجليقي على الظهور كأحد زعماء الثورة بحيث حمل هو ورفاقه الى قرطبة ليكونوا رهائن لدى الامير ليراقبهم عن كثب ، وأسرة مروان الجليقي هذه من أصل غير معروف ، وتتمثل هذه الاسرة في عدة أفراد استاثروا بحكم بطليوس وماردة في الفترة من قيام مؤسسها عبد الرحمن بن مروان بتأسيس بطليوس حتى سنة ٣١٨ هـ (٩٣٠ م) عندما تمكن عبد الرحمن الناصر من اترجاع هذه المدينة واسقاط أسرة بنى الجليقي . وقد وصلت الينا في المصادر أخبار وافية عن مؤسس هذه الاسرة (٢٣) ، غير

= (وهو مكحول بن عمر صاحب حصن جلمانية) فأحاط بهم وشد حصرهم ، وناهض قنطريتهم ، فاشتد عليها جلادهم ، وذمر الامير رجاله فقاتلوهم حتى غلبوهم عليها ، وأمر الامير باخرا ب رجل من أرجلها ، فكان سببا في اذعان أهلها فدانوا له على اخراج فرسانهم المذكورين عنهم ، فخرجوا منتقلين بالعيال والذرية ، وخلت المدينة من ذوى النجدة . فلم يكن الا قليل حتى انتقضت عليه وعاد اليها جماعة منهم كان أخرجهم عنها » (المقتبس لابن حيان ، تحقيق د . محمود على مكى ، ص ٣٢٢) .

(٢٣) تلقب عبد الرحمن بلقب الجليقي، وقد رأى العديد من المؤرخين أنه اكتسب هذا اللقب بسبب الحلف الذي كان يربطه بالفونسو الثالث ملك ليون ، ولكن هذا الرأي خاطيء ، وقد رفضه كل من

Martinez y Martínez وكوديرا وكذلك Lévi-Provençal

وقد بين كوديرا أن هذا اللقب اكتسبه عبد الرحمن بن مروان قبل أن يلحق بالفونسو الثالث في أبيض Oviado التي استقر فيها ثمان سنوات (انظر ابن حيان : المقتبس تحقيق د. مكى ، ص ٣٤٧ ، وابن عذاري : البيان ، ج ٢ ص ١٠٢) بل أن ابن سعيد قد لقب مروان بن يونس والد عبد الرحمن بنفس هذا اللقب الجليقي (انظر ابن سعيد ، المغرب ، ج ١ ، ص ٤١) وهذا يعنى أن هناك أسبابا أخرى جعلت أفراد هذه =

أننا اذا حاولنا التوسع في معرفة تاريخ هذه الاسرة تمهيدا لرابطة بقدر الامكان بالمناطق التى اقترنت بوقائع عبد الرحمن بن مروان الجليقى أثناء ثورته ، لن نجد سوى أخبارا متفرقة ، على الباحث أن يربطها فيما بينها ليتوصل الى بعض الحقائق الواضحة . وأول هذه الاخبار نص انفرد ابن سعيد المغربى دون غيره بروايته فى حوادث سنة ٢٠١هـ (٨١٦م) جاء فيه « وفيها نكت أهل ماردة وقام بأمرها مروان الجليقى » (٢٤) . وليس لدينا فى المصادر العربية ما يشير الى أن

=
الاسرة ابتداء من الجد الاول وهو مروان بن يونس يتلقبون بلقب الجليقى غير تحالفها مع الملك الفونسو الثالث لأن هذا الحلف كما أوضحنا لم يتم الا فى عهد عبد الرحمن أى بعد عام ٢٦٢هـ . (٨٧٥م) ويرى Lévi-Provençal أن سر تلقب هذه الاسرة بهذا اللقب يرجع الى أن أصولهم ترجع الى منطقة جليقية فهى أسرة مولدة ، ويرى ليفى بروفنسنال توضيحا لرأيه أن جليقية لم يكن المقصود بها جاليسيا Galicia الحالية وإنما كانت تضم أيضا كل المناطق التى تقع اليوم شمالى البرتغال وتشمل الولايات الواقعة ما بين دويره ومنيه Minho , Duero حتى وادى منديق الذى كان يفصل بين جليقية المذكورة ، التى يرجع منها الجليقى وبين أراضى الاسلام فى الثغر الأدنى ، وكانت ماردة عند بداية ثورة مروان بن يونس حاضرة هذا الثغر ، ويتفق Fernando Valdez مع Lévi-Provençal فى هذا الراى (انظر :

Levi-Provençal : Histoire de L'Espagne Musulmane, t, I P. 303
أبحاث فرناندو فالديز عن حفرياته الاثرية فى قصبة بطليوس فى صيف يوليو ١٩٧٨ ، وبحث عن بنى مروان الجليقى فى ماردة وبطليوس Francisco Codera ص ٤) ومما يدل على أن عبد الرحمن بن مروان الجليقى لم يكن جليقى الاصل بالمفهوم العام أن ابن حيان يلقبه بالماردى بعد ابن الجليقى ويصفه بأنه أمام ماردة الذى فارق الجماعة وجاور أهل الشرك ووالاهم على أهل القبلة « (ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ١٥) .

(٢٤) ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ، ص ٤١ ،
Codera : Los Beni Meruan en Mérida y Badajoz, en Estudios
criticos de historia arabe española, Madrid, 1917, Vol. IX,
P. 5.

ثورة ماردة في سنة ٢٠١ هـ (٨١٦ م) قد تم اخمادها على يد الحكم الرضى أو على يد ابنه وخليفته عبد الرحمن الاوسط (٢٥) . وقد ناقش كوديرا هذه المشكلة في بحثه وكان يعتقد بادیء ذى بدء عند قراءته لنص ابن سعيد أن الخبر يتعلق بعبد الرحمن بن الحكم وبالتالي فقد ظن أن التاريخ مشكوك فيه ، ولكن لما كان هذا النص فريدا من نوعه ولم يرد نص مماثل له في أى مصدر آخر ، بالاضافة الى أن التاريخ الذى يسجل هذا الحادث صريح لا مجال للشك فيه اذ ليس هناك ما ينقضه ، فقد وجد نفسه مضطرا الى قبول هذا النص على أنه حقيقة ثابتة ، وبذلك اعتبر مروان بن يونس الجليقى أول ثوار هذه الاسرة ضد الامارة بقرطبة .

ويبدو أن مروان بن يونس قد عاد الى الطاعة بعد ذلك في ايام الامير عبد الرحمن الاوسط بحيث يوافق هذا الامير على اسناد ولاية ماردة اليه ، ونستنتج من النصوص التاريخية التى أوردت خبر مصرعه في سنة ٢١٣ هـ (٨٢٨ م) أن أمره استقام مع حكومة قرطبة ، وأنه جنح الى الطاعة الامر الذى انتهى بقتله على أيدي الثوار في تلك السنة (٢٦) . ولتابعة اخبار هذه الاسرة علينا ان نلقى الضوء على الفترة التى تقع فيما بين ثورة مروان الجليقى بماردة في عام ٢٠١ هـ (٨١٦ م) وبين ثورة محمود بن عبد الجبار وسليمان بن مرتين بماردة في عام ٢١٣ هـ (٨٢٨ م) والتى سبق أن تحدثنا عنها .

وأول ما نلاحظه أن ابن الاثير بعد سرده للأخبار ثورة مروان الجليقى بعامين يسوق خبر حادث آخر فريد من نوعه له علاقة بهذه المنطقة ولم يرد في المصادر العربية الأخرى ، فقد ذكر في حوادث عام

(٢٥) Codera, Ibid. P. 6.

(٢٦) د. محمود على مكى : تحقيقات المقتبس من أنباء أهل الاندلس ، ص ٦٢٣ حاشية رقم ٥٦٧ .

٢٠٣هـ (٨١٨م - ٨١٩م) ما يلي « وفيها ظهر بالاندلس (٢٧) رجل يعرف بالولد وخالف على صاحبها ، فسير اليه جيشا ، فحصره بمدينة باجة ، وكان استولى عليها ، فضيقوا عليه فملكوها وقيد » .

ويزودنا ابن سعيد (٢٨) بنص آخر في حوادث سنة ٢١٠هـ (٨٢٥م) ربما يلقي الضوء على نص ابن الاثير ، جاء فيه « وفي سنة عشر ومائتين أمر عبد الرحمن عامله جابر بن مالك أن يتخذ مرسية منزلا للولاية ، وتحرك بنفسه الى حصار طليطلة وماردة ، وفتح حصونا كثيرة من جليقية » (٢٩) ، ويصمت كوديرا عن التعليق على هذين النصين ولكننا بمقارنة ما ذكره كوديرا بما لدينا من نصوص عربية نستنتج ان زعيم الثورة بباجة في عام ٢٠٣هـ (٨١٨/٨١٩م) ويسميه ابن الاثير بالولد، قد يكون نفس مروان الجليقي المولد الذي أشار ابن سعيد الى ثورته بماردة في عام ٢٠١هـ وفي هذه الحالة يتضح لنا مدى خطورة مروان الجليقي على الامارة في تلك الفترة من امارة الحكم الرضى ، ووجه الخطر يتمثل في أنه لم يقصر ثورته على ماردة وحدها وانما وسع

(٢٧) ابن الاثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ٣٥٦ .

(٢٨) ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ، ص ٤٨ .

(٢٩) يعلق كوديرا على هذا النص بقوله « وفي السنة التالية ٢١١هـ (٨٢٦/٨٢٧م) أرسل لويس التقى Ludovico Pio الى اهل ماردة يستحثهم على الثورة ويعرض عليهم حمايته وان كان فريق من المؤرخين يعتقد أن هذا الكتاب كان موجها الى ثوار ماردة ، وقد تحدثنا عن هذا الكتاب في بحث نشر بالجزء السابع من هذه المجموعة ، ص ٢٠٣ وأشارنا الى أنه كتب في سنة ٢١١م/٢١١هـ وأشارنا الى أنه لم يكن موجها الى اهل ماردة اعتقادا منا بأن هذه المدينة لم تعلن عصيانها على الامير القرطبي ، ولكن يثبت الآن ان ماردة ثارت منذ عام ٢٠١هـ (٨١٦م) الامر الذي يجعل اتصال لويس التقى بثوارها أمرا أكثر قبولا »

Codera : Los Benimeruan, Op. Cit., P. 7-8.

(انظر)

نطاقها بحيث أصبحت ثورة عارمة في الغرب كله ، ونستند في هذا
الرأى على النص الذى أورده ابن عذارى في جملة حوادث سنة ١٩٠ هـ
(٨٠٥ م) اذ يقول « وفي سنة ١٩٠ هـ خرج الامير الحكم غازيا الى
ماردة . فلما وصلها احتلها وحاصرها ، وكان بها اصبغ بن عبد الله
بن وانسوس ثائرا ، واذا بالخبر وصله ان سواد اهل قرطبة اعلنوا
بالنفاق وتداعوا الى صاحب السوق لسلح ، وكتب المحلفون الى الحكم
بما حدث بعده وبما ظهر من ضمائر السفلة ، فصدر قافلا ، وطوى المراحل
وقطع الطريق في ثلاثة أيام ، ودخل القصر ، فهذا الناس وسكنت
الاحوال ، وصار الناس في هدوء وسكون من سنة ١٩٠ الى ٢٠٢ هـ .
وترددت الغزوات سبعة اعوام الى ماردة وبها اصبغ بن عبد الله ثائرا
متمنعا ، وكان سبب ثورته ان عدوا لاصبغ طالبه عند الحكم واغراه
عليه . ثم مشى الى اصبغ بمثل ذلك ، وروعه منه ، فتوقع العقوبة
والسطوة به فكان ذلك سبب دخوله ماردة ، وقيامه بها ، وتكررت
الغارات عليه سبعة اعوام ، فافتتحت في العام السابع بمحاولة انجلت
عن طلب الامان لاصبغ ، فأمن وخرج من ماردة وصار في مصاف الحكم ،
فسكن قرطبة ، ثم فسح له في الاختلاف الى ضياعه بماردة حتى التاث
امرها ، واضطربت حالها (٣٠) ، وهذا معناه ان الحكم الرضى وضع
حدا لثورة اصبغ بن عبدالله بن وانسوس في عام ١٩٧ هـ (٨١٢ م) . ثم
التاث امر ماردة حين عاد اليها اصبغ مرة ثانية ، ولعل ابن عذارى يقصد
بذلك الالتياث الثورة الكبرى التى أشعلها مروان الجليقى في الغرب
كله ، ولعل اصبغ بن وانسوس كان قد شارك مروان الجليقى في هذه
الثورة لأنها كانت ثورة كبيرة وشاملة الى حد ان الامبراطور لويس التقى
ملك الفرنجة كما سبق أن أوضحنا خاطب اهل ماردة يستحثهم على
الصمود والاستمرار في هذه الثورة (٣١) . أما القول بأن ثورة مروان

(٣٠) ابن عذارى : البيان ، ح ٢ ، ص ٧٢ .
(٣١) ونحن نؤيد بذلك رأى الاستاذ الدكتور مكى الذى سبق أن
أوردناه في الصفحات السابقة .

الجليقى استمرت حتى عام ٢١٠ هـ (٨٢٥ م) في عهد عبد الرحمن الاوسط فغير مقبول لدينا على الاطلاق ، فمن الثابت ان مروان الجليقى كان عاملا على ماردة من قبل عبد الرحمن الاوسط وانه قتل على يد ثوارها في عام ٢١٣ هـ (٨٢٨ م) ، وعلى هذا النحو لا يمكن بأى حال من الاحوال أن يكون مروان الجليقى هو نفسه صاحب ثورة طليطلة وماردة ، بحيث استدعى الامر اقدام الامير على حصارهما في سنة ٢١٠ هـ (٨٢٥ م) حسبما أورده ابن سعيد في المغرب (٣٢) .

(٣)

ثورة عبد الرحمن بن مروان الجليقى وتأسيس بطليوس :
المرحلة الاولى :

فقدت ماردة بعد خضوع أهلها للامير عبد الرحمن الاوسط في سنة ٢١٩ هـ (٨٣٤ م) زعيمين من أبرز زعمائها الثوريين هما محمود بن عبد الجبار بن زاقلة المصمودى وسليمان بن مرتين المولد الاصل وكانا قد وثبا بمروان بن يونس الجليقى عامل الامير عبد الرحمن على ماردة فقتلاه في سنة ٢١٣ هـ (٨٢٨ م) ، واضطرا امام الحملة التى وجهها عبد الرحمن الى ماردة لاختضاعها لسلطانه الى الفرار عنها فيما يقرب من سنة ٢١٧ هـ (٨٣٢ م) ، فالتجأ محمود بن عبد الجبار الى حصن منت شلوط الواقع على مقربة من بطليوس واستقر به المقام فى منت شافر Monchique بكورة اكشونة حتى سنة ٢٢٣ هـ (٨٣٨ م) ، واضطر اخيرا الى اللجوء الى جليقية بسبب الحملات التى كان يوجهها الامير على حصنه ، أما ابن مرتين فقد لاذ بحصن شنت اقروج Santa Cruz de la Sierra الواقع بالقرب من ترجلة Trujillo ولكن فرقة من عسكر قرطبة تعقبته وأوقعت الهزيمة باتباعه ولقى ابن مرتين مصرعه فى سنة ٢٢٠ هـ (٨٣٥ م) (٣٣) .

(٣٢) ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ، ص ٤٨ .

(٣٣) ابن عذارى : البيان ، ج ١ ، ص ٨٤ .

ولكن ماردة لم تعدم رجالا من ابنائها واصلوا جمع الصفوف ومناهضة الحكم الاموى ، من أبرزهم عبد الرحمن بن مروان بن يونس الجليقى ومكحول بن عمر صاحب حصن جلمانية ، ويبدو أن عبد الرحمن قضى فترة ليست بالقصيرة لكى يزيل من نفوس أهل ماردة خيانة أبيه لقضيتهم ، ويثبت في نفس الوقت اخلاصه للثورة ، فلما تمكن من كسب قلوبهم بدأ هو ورفاقه في الاعداد لثورة جديدة ، ولم تلبث هذه الثورة أن تفجرت فيما يقرب من سنة ٢٥١ (٨٦٥ هـ) وشملت ماردة ونواحيها ، وكان على الامير محمد بن عبد الرحمن أن يتدارك هذا الخطر قبل أن يستفحل وأن يخدم نار الثورة قبل أن تأتى على كل البلاد في الغرب ، ولذلك لم يتردد في تسيير حملة بقيادة الوزير أمية بن عيسى في سنة ٢٥٣ هـ (٨٦٧ هـ) ووافاه الامير بنفسه في قوة اضافية فأحكم حصارها وانتسف مزارعها ، ثم قفل عنها بعد شهر من وصوله (٣٤) . وفي العام التالى غزاها الامير بنفسه (٣٥) ، وتمكن بعد حصاره لها وتخريب دعائم قنطرتها من السيطرة على الموقف ، وكان ذلك سببا في اذعان أهلها وبذلهم الطاعة له بعد أن سلموا له زعماء الثورة وعلى رأسهم عبد الرحمن الجليقى وابن مكحول وابن شاكر ورقط (٣٦) بأولادهم وذرائعهم ليتخذهم رهائن يضمن بوجودهم في قرطبة انضواء ماردة الى سلطانه . ثم استعمل عليهم سعيد بن عباس القرشى واليا عليهم من قبله (٣٧) .

(٣٤) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . مكى ، ص ٣٢١ .

(٣٥) راجع التفاصيل فيما سبق .

(٣٦) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق انطونية ملشور ، ص ١٥ .

(٣٧) أرخ الاسقف رودريجو الطليطلى لهذه الاحداث في مدونته عن تاريخ العرب Historia Arabium

بعام ٢٤٨ هـ (٨٦٢ هـ) وهو تاريخ غير صحيح كما سبق أن رأينا من خلال ما ورد في المصادر العربية راجع :

أقام عبد الرحمن بن مروان في ديوان الامير محمد بقرطبة فترة من الوقت تقدر بسبع سنوات ، كان خلالها موضع عناية الامير واهتمامه ، بحيث اعتبر من الحشم ، كما ظفر بثقة رجال الدولة والبلاط ، غير ان عبد الرحمن بن مروان الجليقي ، لم يكن ليرضى بالتنعم هو وذويه في قرطبة بمثل هذه الحياة المترفة ويتخلى هو ورفاقه عن قضية قومه في ماردة والغرب ، ثم انه كان بالاضافة الى هذا الشعور القومى الطاغى الذى كان يغمر جوانحه ويدفعه دفعا الى ترقب الفرصة المواتية للحاق بقومه ورفع راية الثورة من جديد ضد الحكم الاموى ، ومواصلة ما انقطع بعد مصرع ابطال ماردة العظام امثال ابن عبد الجبار وابن مرتين ، كان يحذوه الامل في الظفر بالزعامة المطلقة على بلاد الغرب تمهيدا لاقامة دولة مستقلة عن قرطبة يتولى رئاستها . وكان طبيعيا ان يعد عبد الرحمن خطة للافلات من الرقابة المسطرة عليه بقرطبة والهروب الى الغرب ليواصل من هناك نضاله ضد دولة الامير محمد ، فقد كان قبل كل شئ مولد الاصل تشده جذوره الاسبانية الى التحرر من التبعية للحكومة القرطبية وتأسيس ملك يتولاه امثاله من ذوى الاصول الاسبانية ، بدليل انه تعاون بعد فراره مع اقاربه من المولدين امثال مكحول وسعدون السرنباقي .

وهكذا خرج عبد الرحمن بن مروان عاصيا من مكانه في مصاف السلطان ، بقرطبة خالعا للطاعة (٣٨) ، ولهذا السبب نعت بأحط

(٣٨) اتخذ عبد الرحمن الجليقي من اهانة الوزير هاشم بن عبد العزيز له ذريعة للفرار الى الغرب واشعال نار الثورة هناك على الدولة الاموية ، والحادث هنا ، يشابه ما وقع في المغرب الادنى بين عقبة بن نافع الفهري وبين كسيلة زعيم البربر ، فقد فر كسيلة من المعسكر العربى عندما أهانه عقبة ، ثم ترصد لعقبة عند عودته من غزوته الكبرى الى المغرب الاقصى وقطع عليه طريق العودة الى القيروان ، وثار لنفسه من عقبة في وقعة تهودة (راجع عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٢٨) .

الصفات كالغدر والخبث والشر والنفاق والبصر بالشر ، فابن القوطية يقول عنه « وكان لابن مروان من العقل والكيد والبصر بالشر بحيث لا متقدم له فيه » (٣٩) . ويذكر ابن حيان أن أصله من « مولدى الغرب الغالبين فى رأى التغوية ، وكان ذا بأس شديد وكيد عظيم الى دهاء ومكر ويصر بالبشر لا يلحقه فيهن أحد من نظرائه . . . فخرج الى ما خرج اليه من الفساد فى الارض والسعى للامارة ، فأدرك من ذلك حظا عظيما جشم له مكاره شديدة » (٤٠) . وفى موضع آخر يصفى عليه صفة الخبث والمروق (٤١) .

المرحلة الثانية :

أفلح عبد الرحمن الجليقى فى الفرار من قرطبة (٤٢) فى سنة ٢٦١ هـ (٨٧٠ م) مع أصحابه الذين كان الامير محمد قد اتخذهم رهائن فى مصافه بعد أن تمكن من استئزال أهل ماردة فى سنة ٢٥٤ (٨٦٨ م) ، وكان سبب فراره فى الظاهر ، مشادة وقعت بينه وبين الوزير هاشم بن عبد العزيز الاثير عند الامير محمد جرعه بسببها من الاهانة ما جعله يعجل بالفرار الى الغرب (٤٣) ، وفى نيته المعصية وخلع الطاعة ، فقد أمر هاشم بن عبد العزيز بصفع قفاه واستذله بأن قال له : الكلب خير منك (٤٤) . وكان عبد الرحمن قد اتفق مع أصحابه المنتزين معه على

(٣٩) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٨٨ .
(٤٠) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . مكى ، ص ٣٤٣ ، ٣٤٤ .
(٤١) المصدر السابق ، ص ٣٤٥ ، والقسم الذى حققه انطونية ، ص ١٥ .
(٤٢) ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ١٠٢ ، ابن الاثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٢٨٨ .
(٤٣) ابن حيان : المقتبس من انباء أهل الاندلس ، تحقيق د . محمود على مكى ، ص ٣٤٣ .
(٤٤) ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ١٠٢ ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٢١ .

ان يخرجوا متفرقين في اوقات مختلفة وعلى طرق شتى على ان يتم اجتماعهم بحصن الثلج (٤٥) . فخرجوا من قرطبة متفرقين واجتمعوا

(٤٥) ابن حيان : المقتبس ، ص ٣٤٧ . أما حصن الثلج فقد وردت اشارة عنه في كتاب الحميري ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٠٨ ، في مادة شلبطرة Salvatierra رغم انه سيذكر تحت اسم حصن الثلج في نفس المصدر في المادة المخصصة لحصن العقاب Las Navas de Tolosa ، ص ١٣٧ . ولا ندري ما اذا كان حصن اللج هو نفسه حصن الثلج أم انه حصن آخر ، وكان سبب اشارة الحميري الى حصن الثلج في باب شلبطرة تعرضه للحملة التي وجهها محمد الناصر بن يعقوب المنصور على قشتالة في أوائل سنة ٦٠٨هـ (يونيو ١٢١١م) وفيها استولى الناصر على حصن الثلج أولا ثم عاد لحصار شلبطرة . وقد أشار ابن عذارى الى حملة شلبطرة دون ان يأتي بذكر حصن الثلج (انظر البيان ، تحقيق أويس ميراندا ، جزء ثالث ، تطوان ١٩٦٠ ، ص ٢٣٨ - ٢٤١) ، ويرى د . مكى أنه لو صح أن حصن الثلج وحصن اللج اسمان لموضع واحد فلا بد أن يكون هذا الموضع على مقربة من شلبطرة المذكورة هنا (انظر د . مكى - ابن حيان - المقتبس من أنباء أهل الاندلس ، ص ٦٢٩) ويستبعد د . مكى الموقع الذي حدده الأستاذ ليفي بروفنسال لهذا الحصن على الخريطة التي رسمها للاندلس بحيث جعله يقع جنوب غربى قلعة رباح ، وهو موضع يبدو منحرفا الى الشمال الشرقى من قرطبة ، ولا يعقل أن يخرج ابن مروان ومن معه من قرطبة الى هذا الموضع قبل توجههم الى حصن الحنش الذي يقع في اتجاه آخر في الغرب ، كما أن د . مكى يرفض أن يكون الحصن هو حصن اللج الذي جاء ذكره في الحلة السيرة (ابن الأبار : الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ٢٥٢) لأنه يقع في شمال شرقى قرطبة لنفس السبب ، كذلك يتشكك د . أحمد مختار العبادى في تعليقه على نص ابن الكردبوس (ص ٨٨) في أن يكون اسم حصن الثلج بجوار شلبطرة لأن اسم شلبطرة قد أطلق على عدة أماكن في اسبانيا شمالا وشرقا وغربا ، وينتهى د . مكى بعد دراسته لهذا المعلم الطبوغرافى الى أن ، حصن شلبطرة المقصود في نص الحميري ربما هو نفس الموضع الذي يعرف اليوم باسم Salvatierra de los Barros ، ويقع على سفح جبل ارتفاعه أكثر من ثمانمائة متر ، ويبعد عن ماردة بنحو ستين كيلو مترا وعن =

بعد ذلك في هذا الحصن، وهناك أحكموا خططهم واتفقوا على رفع لواء الثورة ، وإشاعوا من هناك أن الأمير محمد قد مات ، وأن لا طاعة لهم بعد ذلك للأمراء قرطبة ، ثم بدأوا يغيرون على النواحي القريبة منهم مدة يومين ، ثم استقر بهم المقام في اليوم الثالث من خروجهم من قرطبة بقلعة الحنش (٤٦) فاستولوا عليها لحصانتها وامتنعوا

= قلعة الحنش بنحو خمسين كلو مترا ، وهو بذلك جزء من مقاطعة بطليوس اليوم . . وأنا أؤيد رأى د . مكى حيث أن موقع حصن الثلج المذكور وفقا لرأيه موضع أقرب ما يكون الى قلعة الحنش التي لاذ بها عبد الرحمن بن مروان الجليقي . (٤٦) قلعة الحنش موضع قريب من بطليوس يتصف بالمنعة والحصانة ، والاسم ربما يكون مشتقا من الكلمة الاسبانية الايبيرية Lanca التي تعنى عين ، والظاهر أنها كانت عين ماء رومانية ، وكان لهذه القرية حصن أشار اليه ابن عذارى (راجع التفاصيل عن هذا الحصن في مجلة استرامادوره ، العام الثانى ، رقم ١٥ ، وانظر Martinez y Martinez, Op. Cit., P. 55, Codera, Op. Cit., P. 34. وعن الاسم القديم لقلعة الحنش أو حصن الحنش Alanje راجع الفصل التمهيدى للرسالة عن حصون مملكة بطليوس ، وأصل الاسم باللاتينية Castrum Colubri ، وهى ترجمة حرفية لاسم قلعة الحنش ، وقد ناقش الدكتور محمود على مكى الأراء التى دارت حول اسم حصن الحنش وأولها وأكثرها منطقية أن الاسم ترجمة من اللطينية الى اللغة العربية ، وفي هذه الحالة تعزى الترجمة الى جماعات المولدين أو المعاهدين النصارى باقليم ماردة . ويرى كل من Codera فى بحثه السابق Los Beni Meruan, P. 55.

وليفى بروفنسال فى كتابه Histoire de L'Espagne musulmane t. I, P. 296. ان الاسم له أصل عربى ، وأرجعه الى حنش بن عبد الله الصنعانى ، ولكن د . مكى يرفض هذا الرأى بحجة أنه لو كان ذلك حقا لقليل فيه « قلعة الحنش » بدون الحاق أداة التعريف ، كذلك رفضه الا ستاذ مانويل البران Manuel Albarran Op. Cit., P. 496 بينما يذهب مارتينث : Martinez y Martinez : Op. Cit., P. 54. الى أن أصل اسم الحنش يرجع الى Lanja التى تعنى عين ماء فتحرف بالعربية الى al-lanche ثم alange أنظر : Martinez y Martinez Op. Cit., P. 54. والحصن لايزال باقيا يقوم عاليا على الربوة، وقد تحول بعد =

بها (٤٧) .

وكان عبد الرحمن بن الجليقي قد اصطحب معه في خروجه الى قلعة الحنش أبناءه الثلاثة منتصر ومروان ومحمد ، وكانوا أكثر حزما وأُسَدَ برسالة من أبيهم (٤٨) ، كذلك رافقه صاحباؤه الثائران مكحول وابن شاكر ودخلا معه مكان أمنهم قلعة الحنش لحصانتها . وكان عبد الرحمن وصاحباه قد أشاعوا وهم بعد في حصن الثلج أن الأمير محمدا قد مات وأعلنوا خروجهم على الدولة الاموية ، وأخذوا يبشرون الغارات في نواحي الحصن ويسلبون وينهبون . فلما نزلوا بقلعة الحنش ، وضمنوا لأنفسهم هذا القرار المكين ، أطلقوا الغارات على أهل الطاعة وكل من يدين بالطاعة للحكومة المركزية في جميع النواحي ، وأوقعوا بكل من التقوا به من أتباع الدولة ، وأولى الأمر فيها من ولاية وعسكر وفرسان ، فكانوا يرجلونهم عن خيولهم ، ويسلبونهم أمتعتهم وثيابهم ثم امتدت أيديهم الى خيول العرب والبربر الذين ينزلون فيما جاورهم من قرى وضياح ، فجمعوا منها في ثلاثة أيام نحو خمسمائة فرس وأشاعوا الذعر وبثوا الرعب في نفوس الناس ، ففر سكان هذه النواحي من البسائط الى قمم الجبال والاوعار والحصون ، وأرسلوا الى أمير قرطبة يستعينون به بعد أن اختل صمام الأمن في بلادهم ، ولم يتردد الأمير محمد في انفاذ حملة أسند قيادتها الى وزيره هاشم بن عبد العزيز يستهدف منها وضع حد للاضطراب والعيث الذي سببه الخارجون على الدولة واعادة الأمن الى ربوع البلاد . وفي تلك الاثناء كان مكحول بن عمر زميل الجليقي في العصيان والثورة قد استولى على بلدة

= سقوط الحصن في أيدي المسيحيين لنظام سانتياجو الحربى
(ولزید من التفاصيل انظر :

Carlo Callego Serrano : Badajoz y su provincia, P. 124.

(٤٧) ابن حيان : المقتبس من انباء أهل الاندلس ، ص ٣٤٧ ، ابن

عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ١٠٢ .

(٤٨) المصدر السابق ، ص ٣٤٧ .

جلمانية (٤٩) Jurumenha القريبة من قلعة الحنش وهي قلعة حصينة اعتبرها الجغرافي الاندلسي ابن سعيد حصنا (٥٠) ثم تحولت في أواخر القرن السادس الهجري الى رباط للجهاد وموقع ثغرى هام بين دار الاسلام ودار الحرب (٥١) ، وتأبش اليه فيها من تأبش من المولدين المتجردين للعصيان والمرقين ومن تألبهم من أهل اقليم ماردة، وخرجت الحملة بقوة كثيفة من عسكر قرطبة يوم السبت الخامس من شعبان سنة ٢٦١هـ (١٥ مايو ٨٧٥م) ، فلما علم الجليقى فى قلعة الحنش ومكحول فى جلمانية بوصول جيش الامير محمد قرب قلعة الحنش ، وكانت قد احتشدت اليهما من جموع المولدين الثائرين اعداد هائلة . لم يترددا فى طلب العون من صاحبهم فى المعصية سعدون بن غار (٥٢) المعروف بالسرنباقي ، وكان آنذاك مستأمنا الى اذفنش بن رذمير بن أردون المعروف فى المصادر الاسبانية بالفونسو الثالث العظيم (el magno)

-
- (٤٩) جلمانية هي مدينة Jurumenha البرتغالية الحالية ، وهي الآن من أعمال يابرة Evora احدى المقاطعات الشرقية فى البرتغال ، وتقع جلمانية على بعد نحو خمسة وعشرين كيلو مترا الى جنوب شرقي بطليوس على الضفة اليسرى لواديانه وقد تحولت جلمانية فى أواخر القرن السادس وأول القرن السابع للهجرة (الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين) الى مركز من أهم مراكز المठाغرة والجهاد ضد النصارى فى الاندلس (ولزید من التفاصيل عن أهم شعراء جلمانية راجع ابن حيان: المقتبس ، تحقيق د . محمود على مكى ، ص ٦٣٤) .
- (٥٠) سماها حصن جلمانية من أعمال مملكة بطليوس (ابن سعيد ، ج ١ ، ص ٣٧٨) .
- (٥١) أورد محبى الدين بن عربى فى « رسالة القدس » ترجمة للصوفى الاشبيللى أبى العباس أحمد بن همام ذكر فيها أن هذا الصوفى استقر بحصن جلمانية المذكور بقصد الجهاد ضد النصارى (انظر ابن عربى : نشر وتحقيق أسين بلاثيوس ، مدريد - غرناطة ، ١٩٣٩ ، ص ٥٢ وما يليها ، وراجع تعليق رقم ٥٨٠ للدكتور مكى فى المقتبس لابن حيان ، ص ٦٣٤) .
- (٥٢) ابن حيان : المقتبس ، ص ٣٤٩ .

ملك اشتوريش وليون (١٣) (٢٥٢ - ٢٩٨هـ / ٨٦٦ - ٩١٠ م) مقيما بمدينة برتقال Porto الواقعة عند مصب وادي دويره على الحدود بين دار الاسلام ودار الحرب في ظل رعاية الفونسو المذكور ، فلما استنجد اصدقائه الثوار بحصن الحنش وجرلمانية استأذن الملك الفونسو الثالث في التوجه اليهم لمساعدتهم ، وعندئذ لم يتردد الفونسو الثالث في السماح له بمساعدة رفاقه في الشقاق ، وتحمس لذلك حماسا كبيرا اذ وجد في ذلك اضعافا لقوى المسلمين ، وتمزيقا لوحدهم ، وتشتيتا لجهود الدولة الاموية ، وبعبارة لقواها (٥٤) . ولم يلبث سعدون أن توجه في قوة كبيرة من أجناده الى ابن مكحول بجرلمانية ، فازداد عدد الخارجين في هذا الحصن واشتد أمرهم ، وكان هاشم بن عبد العزيز قد توغل في الغرب حتى توسط أقاليم ماردة وانحرف عن مقصده الاساسي ، فقد نكب عن عبد الرحمن صاحب قلعة الحنش وعن مكحول بن عمر صاحب جرلمانية بمعظم الجيش الذي خرج به ولم يترك منه الا قوة قليلة العدد لمواجهة الزعيمين ، والظاهر أن الامير محمد ، وقد بلغته اخبار حملة هاشم وانحرافها عن غايتها قرر أن يخرج بنفسه على رأس حملة أخرى أعدها هذه المرة اعدادا منظما وجهازها بكل ما يلزم من العدد والالات لاستنزال القلاع الحصينة ، ورأى ان يبدأ بجرلمانية التي

(٥٣) وعرف الفونسو الثالث أيضا بالامبراطور Imperator وورث خلفاؤه من بعده هذا اللقب وأعترفت قشتالة واريغون بذلك اللقب ، وورد لقب امبراطور في الوثائق الارغونية مع اسم ملك ليون انظر : Antonio Ramos Oliveira Historia de España, la edad Media, Mexico, 1974, P. 45. ولمزيد من التفاصيل عن حياة الفونسو الثالث ارجع الى : A. Cotarelo, (Valledor) «Historia critica y documentada de la vida y acciones de Alfonso III el Magno, ultimo rey de Asturias, Madrid, 1933. وقد لخصه الاستاذ اجوادو بليبي Aguade Bleye : Manual de Historia de España, t. I, Madrid, 1947, P. 482-483.

(٥٤) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . مكي ، ص ٣٥٠ .

احتشدت فيها حشود سعدون ومكحول . ولكنه أثر ان يطلع وزراءه ويشاورهم في الامر ، فنصحوه بأن يبدأ بقلعة الحنش ، ويترك جلمانية لكثافة حشودها وحصانتها وقالوا له « الجمع بجلمانية كثيف ، ولسنا نأمل أن (نظفر بهؤلاء المارقين فيها على قلتنا) فيقتصوا منك » (٥٥) . ثم انهم أقنعوه بضرورة البدء بالاسهل وهو عبد الرحمن بن مروان الجليقي في قلعة الحنش (٥٦) . فأخذ برأيهم ، وخرج على هذا النحو من قرطبة ، بعدته وعديده حتى وصل الى نواحي قلعة الحنش ، واستخدم أسلوبا حربيا مبتكرا في محاربة المارقين عليه بهدف التعجيل باستنزالهم ، فقد جمع الجيف والميتة من معسكره وأمر بالقائها في الآبار التي يشرب منها الثوار المحاصرون ، حتى أمر مأوها وداد وفسد وأصبح لا يصلح للشرب ، وفي نفس الوقت رتب وضع الرماة على ضفة النهر ، يحمون قواته عند ورودهم للسقاية والانتفاع بمياهه ، ونجحت، خطته على ما يشتهى ، وأقبلت جماعات من الثوار الى ضفة النهر ومشارعه لتعبئته فتعرضوا لسهام الرماة ، واضطروا الى التراجع الى حصنهم حتى أشرفوا على الهلاك من العطش ، ولما هم النوار بالاستسلام ، فطنوا الى امكانية حفر عدد من الآبار خارج سور حصنهم ، والتوصيل بينها عن طريق شبكة مائية من السروب الارضية ، وهى طريقة شرعية أدخلها المسلمون الى الاندلس (٥٧) . وتمكنوا

(٥٥) المصدر السابق ، ص ٣٥٠ .

(٥٦) ابن عذارى : البيان : ج ٢ ، ص ١٠٢ .

(٥٧) هذه الطريقة التى توصل بها ابن مروان الجليقي لاستخراج المياه العذبة الجوفية عن طريق السروب الارضية ظلت على حد قول د . محمود على مكى عصب الحياة فى مجرى الإسلام ثم المسيحية حتى أواخر القرن الماضى ، وبفضل هذا النظام المائى المحكم الذى أدخله المسلمون فى اسبانيا استطاعت مدريد أن تصبح عاصمة اسبانيا منذ سنة ١٥٦٢م (انظر د . محمود على مكى : مدريد العربية ، نشرة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ص ٤٨ والصفحات التالية ، والتعليق رقم ٥٨٦ من تحقيقه لكتاب المقتبس لابن حيان ، ص ٦٣٦) .

بفضل هذه السروب من استخراج ماء عذب معين على مقربة من حصنهم ، ولم يعد لهم حاجة الى ورود النهر ، كما أن قرب السروب من حصنهم أغنتهم عن ركوب المغامرة والتعرض لخطر رماة السهام بجيش الامير محمد ، وهكذا حلت مشكلة المياه بالحصن ، فرفع ذلك من معنويتهم ، وزادت طاقتهم للصمود ، فعادوا الى الامتناع والمقاومة وأقاموا للآبار المحفورة جدراناً خارجية تطوقها وتحمل من يرتادها من سهام الرماة ، وكسوا هذه الجدران أخشاباً ثقيلة مكسوة بجلود الابقار وكانوا يتسللون من حصنهم عبر هذه السروب الأرضية الى الآبار لجلب المياه . وعندما بلغ الامير محمد ذلك اجتهد في منع الثوار من الوصول اليها ، فنصب المجانيق وأصبح يرميهم بها ليلاً ونهاراً ، وهم يتحاشون التعرض لها لقرب الآبار من الحصن، وهكذا أخفق الامير في منع ابن الجليقي من التزود بالمياه ، ولم يبق أمامه سوى مطاولة الثوار بالحصار طويل الأمد بغية استنفاد الاقوات والمؤن داخل الحصن ، فلا يبقى أمام المحصورين سوى الاستسلام . واستمر الحصار المحكم قائماً حول الحصن، وأصل الامير خلاله قصف الحصن بحجارة المجانيق التي ركزها نحو تلك الناحية من الآبار، وأصيب أثناء ذلك عدد كبير من أهل الحصن، وهم في كل ذلك صامدون مصطبرون على مكروهه ، جادون في قتاله حتى استغرق الحصار ثلاثة اشهر وعشرة أيام ، وزع الامير أجناده لاحكامه على ثلاثة جهات ، وانفرد هو بقوة من رجاله في الجهة الرابعة (٥٨) . وعلى الرغم من هذا الحصار المحكم ، فقد كان بعض فريسان ابن الجليقي يتسللون خفية من القلعة أثناء الليل وتخرق عسكر الامير فتلحق ببسيط ماردة ، وربما أوغلت داخله ، وتعود الى أصحابهم بالغنائم . ولما طال الحصار واشتد الامر على أهل الحصن ، وضائق بهم الحال كتب عبد الرحمن الجليقي الى الامير كتاباً يسترحمه فيه على من معه من الاطفال والنساء ويسأله الامان ، وكاد الامير محمد

يستجيب الى ملتسمه لولا أن تقدم اليه رجل من رؤساء البحرين (٥٩) يعرف بابن اللغام كان مشهودا له بشدة البأس وقوة المراس لم يتردد في معارضة ما استقر عليه رأى الامير من تأمين ارواح الثوار ، ونصحه بمواصلة الحصار ، وضمن له افتتاح قلعة الحنش في يوم واحد أو بعض يوم، واقسم ألا يؤدي صلاة الظهر الا بداخل قلعة الحنش بعدافتتاحها، ولم يسع الامير أمام هذا الحماس المتدفق الا أن يعدل عن قراره ، في تأمين الثوار على ارواحهم ، فرد رسول ابن الجليقى خائبا ، ولم تلبث المعارك أن أستؤنفت من جديد وألح عسكر الامير في افتتاح الحصن ، فاشتد القتال وحمى وطيس المعركة ، وحملت قوات الامير بعنف وضراوة على المدافعين عن الحصن من اتباع ابن الجليقى مستغلين فرصة ضعفهم وطلبهم للامان في الوقت الذى أيقن الثوار بقرب النهاية المحتومة ، ومع ذلك فقد واصلوا القتال وتفانوا في الذود عن قلعتهم ، وتسلحوا بالصبر على المكاره الى أن نفذت مقاومتهم ، وسقطت حصون قلعتهم الواحد بعد الآخر ، ثم رأى المحصورون أن ينسحبوا من المواقع الدنيا من القلعة وأن ينقبضوا الى مواقعها المرتفعة حتى لا تصل اليهم سهام الرماة في الوقت الذى يمكنهم التحكم في الموقف . فزاد ذلك عسكر الامير اقداما وطمعا فيهم ، واستمر القتال دائرا الى وقت الزوال ، وحدث أن هبت عاصفة عاتية أثناء القتال أثارت سحابا كثيفا ، أظلم الجو فاعشى العيون الى حد أن أحدا من المقاتلين لم يكن يستطيع أن يتبين من يقاتله ، فمال الجانبان الى وقف القتال . ثم عاد ابن مروان الجليقى في الصباح الى طلب الامان (٦٠) بعد أن اشتد عليه الامر وتخرج موقفه ، ويئس من مواصلة الصمود ، وآثر أن يوسط في المسألة الولد

(٥٩) وهذا دليل قاطع على أن جيش الامير محمد كان مزودا ببعض رجال البحر ذوى الخبرة بالقتال ربما كان يستهدف من استخدمهم عبور نهر ريتش أحد روافد واديانه، وهذا النهر يقع عليه حصن الحنش .

(٦٠) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . مكى ، ص ٣٥٤ .

عبد الله ولى العهد لدالة كانت له عليه، فاستجاش به، وطلب منه الشفاعة له عند أبيه الأمير (٦١) ، ويبدو أن العلاقة بين الولد عبد الله وعبد الرحمن الجليقي كانت طيبة وربما كانت تربطهما صداقة ما نمت بينهما عندما كان ابن الجليقي رهينة بديوان الأمير ، بدليل أن ابن الجليقي كان يعرف عن ولى عهد الأمير الشيء الكثير كمين العريكة ، وشدة الحب للعافية (٦٢) ، فاستغل ذلك أحسن استغلال عندما طلب منه الوساطة عند الأمير .

ولم يتردد الولد عبد الله في تلبية طلبه ، وبادر على الفور بالاتصال بأبيه ، وشفع له في أمانه بعد أن استعطفه عليه ، ومازال يلح على أبيه ليرفقه على ابن الجليقي حتى يحقق له ذلك ، فمنح ابن مروان من معه الأمان على شريطة أن يجلووا عن قلعة الحنش، ولكن ابن الجليقي أخذ يشكو الى الأمير « ثقل الظهر وضيق الحال » فسأل الأمير أن يأذن له بالرحيل الى بطليوس والحلول بها ، وكانت في ذلك الحين مجرد قرية (٦٣) مهجورة (٦٤) خالية ، ليستقر فيها ويبتنيها ويعمر ما حولها ، وإباح له الأمير الرحيل بالأمان والنزول بهذه القرية ، ويذكر ابن القوطية أن ابن الجليقي كان قد طلب من الأمير أن يبيح له البشرى وهى قرية تقابل بطليوس ويفصلها عنها واديانه ليمدنها ويستقل بولايتها وجبايتها (٦٥) . وتم الأمر على ذلك ، وأصدر الأمير محمد منشورا بهذا المعنى . ولضمان انضواء ابن الجليقي تحت لواء الأمير وخضوعه له ، طلب الأمير محمد عددا من الرهائن ، فلم يتردد ابن الجليقي في أن يقدم من قبله ثلاثين رجلا من قومه رهينة يصحبهم الأمير معه الى قرطبة ، ومبالغة

(٦١) المصدر السابق ، ص ٣٥٥ .

(٦٢) نفسه ، ص ٣٥٥ .

(٦٣) ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ١٠٢ ،

Lévi-Provençal Op. Cit. t. I, P. 297.

(٦٤) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . مكى ، ص ٣٥٥ .

(٦٥) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٩٠ .

منه في استرضاء الامير ترك له ولده محمد بن عبد الرحمن الجليقي بل وحفيده ابن ابنه وهو عبد الرحمن بن محمد (٦٦) .

وعلى هذا الاساس من الاتفاق قفل الامير بحشوده الى قرطبة (٦٧) بينما اتجه عبد الرحمن بن مروان الجليقي الى بطليوس ، فنزلها ، وعمرها ، واقام بها مسالما الامير بقية سنة ٢٦١هـ (٨٧٤هـ) ، وصدرأ من سنة ٢٦٢هـ (٨٧٥م) كتم خلالها ما بنفسه من اعلان الخلاف والمعصية ، اذ لم يتخل قط عن طموحه وآماله في الاستئثار بحكم بطليوس وما يجاورها ، ولكنه كان يصطنع في ذلك الحذر الشديد ، فكان يدس عيونه وصنائعه ليتعرفوا على كل اخص اخبار الامير محمد ساعة بعد ساعة ويكتبون له بها فلا يكاد يغيب عنه شيء من اموره (٦٨) ، وبذلك يضمن لنفسه المبادرة بالتحرك عند الضرورة . ويمكن اعتبار هذه الفترة مرحلة اعداد لثورة جديدة .

-
- (٦٦) يذكر ابن حيان في المقتبس ، تحقيق د . مكى ، ص ٣٥٥ « وأعطاه ابن الجليقي ولده محمدا الى حفيده وثلاثين من قومه رهينة . » بينما يذكر في القسم الخاص بدولة الامير عبد الله أنه سلم حفيده عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن رهينة عنه الى الامير محمد أقام بدار الرهن فيها مدة (ابن حيان : المقتبس ، تحقيق انطونية ملشور ، ص ١٥) .
- (٦٧) وفي مدح الامير محمد وتهنئته باستنزال قلعة الحنش يقول الشاعر محمد بن عبد العزيز العتبي من قصيدة طويلة :
فاستخبرن قلعة الحنش التي دمرت
هل عندها لعداة الله من خبر ؟
فتلك دورهم اخلى معاهددها
تعاور الريح والصمصامة الذكر
فاترك سؤال مغانيهم وسل بهم
سيف الامير الرضا ينبيك بالخبر
محمد قمر الملك الذي أنقشعت
به دجى الغى من بدو ومن حضر
- راجع ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . مكى ، ص ٣٥٩ .
- (٦٨) ابن حيان : نفس المصدر ، ص ٣٥٦ .

فلما استكمل استعدادده للقيام بالثورة ، وأعد لكل شيء عدته ، وعقد حلفا مع الفونسو الثالث (٦٩) العظيم ملك ليون تأمينا لظهره عندما يتخرج به الموقف ، لم يتردد في اعلان الخلاف ونبذ الطاعة ، في نفس عام ٢٦٢هـ (٨٧٥م) . ثم استأنف غاراته على الانحاء المجاورة وارهق اهلها بسلب اموالهم ونهب متاعهم .

وهكذا تمكن عبد الرحمن بن مروان من اعادة تمصير مدينة بطليوس وتعميرها وكانت كما أوضحنا قرية خالية مهجورة ، وسرعان ما نمت واتسع نطاقها العمرانى لتتحول الى مدينة من أهم قواعد الغرب الاندلسى ، وحاضرة الثغر الجوفى ، وبالغ ابن مروان فى تحصينها اذ كان يزعم العصيان فيها عندما تنهيا له الظروف ، ولهذا يعتبر عام ٢٦٢/٢٦١هـ (٨٧٥م) نقطة تحول خطيرة فى تاريخ بطليوس المدينة والحاضرة .

المرحلة الثالثة :

لم يلبث عبد الرحمن الجليقى أن عاد الى سيرته الاولى فى الشقاق والخلاف والمجاهرة بالعصيان فى نفس عام ٢٦٢هـ (٨٧٥م) (٧٠) ، وأخذ يغير على المناطق المحيطة ببطليوس وتمكن من الاستيلاء على بعض المدن باقليم اشبيلية مثل طبلاطة Tablada واكثونة كما احتل جبلا يقال له هنت شافر Monte Sacro (٧١) ، وكان من الطبيعى أن ينزعج الامير لهذه الاخبار ، ويبادر بوضع حد لعيث ابن الجليقى ، وجاء رد فعله سريعا فانفذ وزيره الاثير لديه هاشم بن عبد العزيز على

(٦٩) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٣١ ، محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الاندلس ، ص ٣٠٥ ، Martinez y Martinez, Op. Cit., PP. 56, 57.

(٧٠) ابن حيان : المقتبس من انباء اهل الاندلس ، ص ٣٥٦ .
(٧١) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٨٢ ، عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، ص ٢٤٧ .

رأس صائغه يغزى بها ابن مروان الجليقى ببطليوس ، وشاركه قيادتها المنذر بن الامير محمد ، وكان الامير محمد قد بالغ في اعداد هذه الحملة ، وحشد لها اهل الكور ، وأشاع أنه عبا كل اجناده لغزو العدو (يقصد ملك جليقية) مستهدفا ألا يفطن ابن الجليقى لحقيقة مقصده (٧٢) ، ولكن ابن الجليقى كان قد بلغته حقيقة أهداف هذه الصائفة عن طريق اعوانه وجواسيسه الذين بثهم في بلاط الامير بقرطبة ، وسبقوا جيش الامير الى عبد الرحمن بن مروان وأبلغوه بفصول العسكر نحوه ، وكان لزاما على عبد الرحمن ان يتخذ أهبطه لتلقى هذه الجيوش الكثيفة ، ويتفادى تجربته الاولى مع الامير في قلعة الخنش ، وكانت بطليوس قد اتسع نطاقها العمراني بالمباني والمنشآت التى اقامها ابن الجليقى واكتظ بها العمران البطليوسى ، فرأى الامير ان بطليوس قد اتسعت عليه ، ولم تعد تصلح لمواجهة مثل تلك الجيوش وكان قد اجتمع اليه عدد كبير من اهل ماردة وغيرهم (٧٣) من المتمردين والعصاة من المولدين ، فبادر بالخروج مع أتباعه الى حصن منتشلوط وكان حصنا منيعا لا يرام ليتخذ منه ملاذا يتحصن فيه ويحتمى داخل أسواره وأبراجه ، ويبدو أنه اجتاز فى طريقه اليه اقليم مسطاسة (٧٤) Mestanza من أعمال فحص البلوط ، فانضم اليه عدد كبير من اهل

(٧٢) ابن حيان : المقتبس من انباء اهل الاندلس ، ٣٦١ ، ابن الاثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٣٠٦ ،

Codera : Op. Cit., P. 33.

(٧٣) انتجع بطليوس عدد كبير من سكان ماردة ، لاسيما بعد ان خربها عبد الرحمن الاوسط فيما بين ٢١٥ - ٢١٩ هـ (٨٣٠ - ٨٣٤ م) ، وأصبحت بطليوس على هذا النحو مركز جذب لأهل ماردة ، ورجب عبد الرحمن الجليقى بهم ليستفيد من مشاعرهم الثورية على الحكم الاموى فيؤازروه فى حركته المقبلة .

(٧٤) اسم قبيلة بربرية من شعب البرانس سكنت هذا الموضع فنسب اليها (مجهول : نبذة تاريخية من كتاب مفاخر البربر ، ص ٦٤) .

هذا الاقليم خشية أن تطأهم قوات هاشم بن عبد العزيز ، وفي ذلك يقول ابن حيان « وجد أهل مسطاسة مستوحشين من هاشم بن عبد العزيز خائفين من أن يطأهم بجيشه إذا اجتاز بهم ، فخرج جميعهم مع ابن الجليقى مجفلين قدام هاشم ، فنهضوا بنهوض ابن مروان يريدون الاقتراب من حصن منت شلوط كيما يدخلوا فيه لحصانته اذا استلح هاشم في اتباعهم » (٧٥) .

وفي تلك الاثناء كانت جيوش قرطبة قد وصلت الى حصن بطليوس وفوجئوا به خاليا مهجورا ، فانطلقوا في اثر ابن مروان ورجاله ، ومروا بحصن مقالش (لعلها نقالش Nogales) (٧٦) التابع لاقليم امسين (لعلها حرفت من أنسين Encinar) (٧٧) . وكان سكان هذا الاقليم ومعظمهم من المولدين والعجم (أى نصارى الذمة) يميلون الى عبد الرحمن الجليقى ، ولكنهم اذ هالتهم كثافة جيوش هاشم وادركوا عدم قدرتهم على مواجهتهم بادروا ببذل الطاعة لهاشم واطهروا تمسكهم بطاعتهم للامير ، وتضرعوا الى هاشم ان يؤمنهم على ارواحهم ، ولكن الوزير اتهمهم بالنفاق وموالة ابن مروان ، واشترط عليهم قبل كل شيء الاستسلام اليه والنزول على حكمه ، بل انه وعدهم بالامان وقال لهم « اهبطوا من ذاتكم وكذلك اؤمنكم » (٧٨) فلما استجابوا له وبادروا بالخروج من حصنهم مع اولادهم ونسائهم واصبحوا في معسكر الامير ، أمر هاشم بجمع الرجال منهم ثم انه غدر بهم فكان يسأل كل رجل منهم

(٧٥) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . مكى ، ص ٣٦١ .
(٧٦) يقع على مسافة تبعد نحو ٥٠ كم الى الجنوب الشرقى من بطليوس ويعتبر حصن منت شلوط الذى كان ابن الجليقى يسعى الى التحصن فيه من ضواحي نقالش
(Codera : Los Benimeruan en Merida, y Badajoz, P. 10).
(٧٧) موضع يقع على مقربة من بطليوس من أعمال بلدة ييرينة Lerena (ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . مكى تعليق رقم ٥٩٣) .
(٧٨) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . مكى ، ص ٣٦٢ .

عن دينه فان أجابه بأنه أعجمى (مسيحي) أمر بضرب عنقه وسبى ذريته ، وان أجاب بأنه مسلم يمتحنه بأن يأمره بقراءة سور من القرآن الكريم يختارها هاشم له ، فان أخطأ الرجل قتله وان أصاب قتله بعد ان يتهمه بأنها حيلة ينقذ بها نفسه من الموت (٧٩) .

وعلى هذا النحو لم يفلت من سيفه واحد منهم بل اتى عليهم جميعا ، ثم باع سبيهم لجماعة من وجوه عسكر المسلمين أطلقوا سراح من تأكدوا أنه من ذرية المسلمين (٨٠) . ولما انتهى هاشم من مذبحة مقالش تابع مطاردته لابن مروان ، فأصبح لا يمر على حصن الا اتهم أهله بممالة عبد الرحمن الجليقي والاتفاق معه ، فعند مروره بحصن سبب خرج اليه شيوخهم من المصامدة باذلين الطاعة ، فعنفهم على تقاعسهم في محاربة ابن الجليقي ، فلما اعتذروا له بعجزهم عن قتاله ، وبأنهم أكثر الناس عدااء لابن الجليقي ، لم يصدقهم قولهم فجمع من وجوه ثلاثين رجلا قتل بعضهم وصاب بعضهم ، واستبقى البعض الآخر ، فصار كلما مر بمرحلة قتل جماعة منهم حتى اتى على آخرهم . ويعلل د . محمود على مكي هذه القسوة (٨١) ، بأن عسكر قرطبة وعلى رأسه المنذر بن محمد والوزير هاشم بن عبد العزيز اصطنع كل مظاهر القسوة مع كل من لحقت به مظنة تأييد ابن الجليقي والايقاع بكل من اشتبه في التعاون معه أو حتى السكوت عنه من جيرانه المولدين والنصارى والبربر ، ويعتقد أن هاشم واصل هذه السياسة فكان ينتسف المزارع في المناطق المحيطة بابن الجليقي للتضييق عليه ، ولنع أي خيرات عنه من الممكن أن يتقوت بها هو وأتباعه ، وربما لارغامه على الخروج اليهم من مخبئه فيهاجموه أو يهاجمون معسكره

(٧٩) ابن حيان : المقتبس ، من انباء اهل الاندلس ، ص ٣٦٢ .
(٨٠) المصدر السابق ، ص ٣٦٢ وما يليها .
(٨١) د . محمود على مكي في تحقيقه لكتاب المقتبس لابن حيان ، حاشية رقم ٥ ص ٣٦٤ .

وهو بعيد عنه ، وقد تحقق ذلك عندما استدرجه عسكر قرطبة الى الخروج على رأس سرية الى المراعى المجاورة لجمع بعض الاقوات لقومه ، فانتهاز هاشم هذه الفرصة وهاجم محلة ابن الجليقى بقوة من رجاله ، فتصدى لها المسطاسيون أصحاب ابن الجليقى فهلك عدد كبير واصيب منهم رئيساهم لماقدمان عليهم ، واضطر مكحول صاحب جلمانية ورفيق ابن الجليقى الى النزول فيمن معه لنصرة السطاسيين ، فناشبه عسكر الامير القتال وهو فى قلة من رجاله ظنا منهم انه نفس ابن مروان الجليقى لشدة الشبه بينهما ، فقتلوه وعادوا الى معسكراتهم برأس مكحول وما اصابوه من غنائم (٨٢) . ووقع خبر مصرعه على ابن الجليقى وقوع الصاعقة ، وجن جنونه وعزم على الثأر ، فأنفذ رسولا ماهرا من أتباعه الى وليهم سعدون ابن غار السرنباقي ، يبلغه بما جرى من أحداث ويستدعيه لنصرته ، ثم غادر الحصن متجها الى حصن كركر (٨٣) ، أو كركى (٨٤) ، وما ان علم هاشم بن عبد العزيز بنزول عبد الرحمن الجليقى ، بحصن كركى حتى بادر بانفاذ فرقة من فرسانه الى حصن منت شلوط ليستولى عليه ، ويقطع بذلك الطريق امام ابن الجليقى الذى كان يسعى جاهدا الى التحصن فيه لحصانته ، اذا ما يؤس من الصمود فى حصن كركى . فانقطعت آمال ابن الجليقى فيه ،

(٨٢) ابن حيان : المقتبس ، من انباء أهل الاندلس ، ص ٣٦٥ .
(٨٣) يقول ابن حيان « وانصرف بأصحابه الى كركر محلته . فسار بقية يومه ذلك ، وسرى ليلته فأصبح بمحلته بكركر صبيحة اليوم التالى من كبسها بعد أن قدم اليها خيلا تطلع عليها وتسبق اليه بخبرها ، فرجعت اليه بسلامتها بأن خيل السلطان لم تقم عليها بعد كبسها لها فاستبشر وامتد الى محلتها فدخلها . » (انظر ابن حيان : المقتبس ، ص ٣٦٦ ، وابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ١٠٢) ويذكر ابن الاثير فى الكامل ، ج ٧ ، ص ٣٠٦ « وكان بمدينة بطليوس فلما سمع خبرهم فارقتهم ودخل حصن كركر » .

(٨٤) ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ص ١٠٢ ، ويعتقد الدكتور محمود مكى أن التسمية الصحيحة لهذا الحصن هى كركى ، وتقع على مسافة تبعد ٢٢ كيلو مترا شمال بطليوس *Albuquerque* راجع ابن حيان : تعليق رقم ٥٩٧ .

وأسقط في يده ، ولم يبق أمامه سوى استنهاض سعدون السرنباقي
لنصرته ، وكان هاشم يطمع في حصر عبد الرحمن الجليقي في حصن
كركى (٨٥) ، والقضاء عليه وعلى أصحابه قضاء مبرما . ولما تحققت
له السيطرة على حصن منت شلوط قفل بقواته الى حصن كركر (٨٦) ،
وطوقه بقواته وأحكم عليه الحصار - ثم نصب على الحصن مجانيقه
وسلطها عليه لتمطره بالاحجار الضخام ليلا ونهارا ، فهلك بسببها عدد
كبير من أصحاب ابن مروان ، تساقطوا صرعى من حوله ، واضطر
ابن الجليقي الى الامتناع بجذع شجرة بلوط هرمة كانت تحميه من
قذائف المجانيق وتقيه اذاها لضخامة الجذع وقوة احتماله .

وطال الحصار ونفذت الاقوات ، ولم يعد لديهم ما يأكلونه سوى
دوابهم ولحوم قتلاهم . ومع ذلك فقد واصلوا صمودهم وتفانوا في
القتال ، وتمكنوا في احدى الاشتباكات من قتل عدد من رؤسائهم ، من
ابرزهم فرحون العريف أحد العرفاء العشرة المقدمين عند الامير
محمد (٨٧) .

وفي تلك الاثناء تحرك سعدون السرنباقي في حشود كثيفة من قومه
واتباعه لمعاونة ابن الجليقي ، وذكر ابن عذارى انه دخل الى بلاد
الشرك مستمدا ، فجاء بمسدد من المشركين (يقصد من
الجلالقة) (٨٨) . وفي اثناء اجتيازه بمدينة قلمرية ، وكانت وقتئذ
متمسكة بطاعة الامير محمد ، وكان يسكنها قوم من بنى ادانس المصامدة
يتزعمهم ادانس بن عوسجه ، فاشتبك سعدون معهم ، وتغلب عليهم بعد
ان قتل منهم بعض رجالهم ، فأرسلوا رسلا من قبلهم الى هاشم يحذرونه من

(٨٥) ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ١٠٢ .

(٨٦) ابن الاثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٣٠٦ .

(٨٧) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . مكى ، ص ٣٦٨ .

(٨٨) ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ١٠٢ ، محمد عبد الله عنان :

دولة الاسلام في الاندلس ، ص ٣٠٦ .

سعدون ، وبعثوا معهم بثياب قتلاهم تحريضا له على الثار لهم . وفي نفس الوقت اشاع سعدون وهو في طريقه لنجدة ابن الجليقي انه قدم في قلة من الجند ، فكتب عامل حصن منت شلوط بذلك الى هاشم ، وأخذ يحرضه على انتهاز تلك الفرصة (٨٩) ، وهكذا رأى هاشم في ذلك فرصة مواتية للقضاء على سعدون ، فأسرع بالسير من معسكره في فرقة قليلة من الفرسان على غير تعبئة ولا أهبة الى أن وصل الى وادي يقال له « أحشد » ، فعسكر على أحد جانبيه بينما عسكرت قوات سعدون على الجانب الآخر ، عندئذ عمد سعدون الى اصطناع الحيلة والخداع فظاهر بالانسحاب الى بلده ، فطمع فيه هاشم ، ولم يشك في انه قد هاب لقاءه ، فصمم على مطاردته وقتاله ، وعندئذ عبأ قواته للقتال واندفع وراء قوات سعدون حتى تراءت له ، ولم يتردد هاشم في اجتياز الوادي من مخاضة سهلة العبور ، واشتبك في ١٢ شوال سنة ٢٦٢هـ (٩ يوليو ٨٧٦م) في قتال عنيف انتهى بتراجع أنصار سعدون سريعا ، فلما علم سعدون بذلك بادر بارسال مجموعة من الفرسان لترد عنهم جيوش هاشم ، ولكن هاشم استطاع أن يوقع بهم الهزيمة للمرة الثانية فترجعوا ، وهنا وقف سعدون بين أنصاره يصرخ فيهم (٩٠) ويذكرهم وعودهم له بالثبات للموت والاستبسال في القتال ، فثبتت قلوبهم وقاوموا رجال هاشم بن عبد العزيز ، وبدأوا الهجوم بدورهم ، واشتد وقعهم على أنصار هاشم وقد أبلى رجال سعدون بلاء حسنا في الدفاع عنه ، فقتل من رجاله خيرتهم، وقد أورد ابن حيان أسماء بعضهم ، منهم حجاج بن عمير الاشبيلي ، وعبد الرحمن بن محمد بن حزم ، ومحمد بن مسلمة الباجي ، وأحمد بن رفاعة . وحاول هاشم أثناء القتال أن يترصد لسعدون بنفسه ، فذهب الى المخاضة التي كان قد عبر منها الى سعدون فاستعصى عليه اجتيازها لكثرة المقاتلين من الجانبين ،

(٨٩) ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ص ١٠٣ .
(٩٠) ابن حيان : المقتبس من أنباء أهل الاندلس ، ص ٣٧٠ - ٣٧١ .

فترجل عن فرسه، وجلس على ترسه ريثما ينجلي الموقف، فأقبل اليه من أصحاب سعدون رجلان من أشجع فرسانه هما محمود وعبد الجبار ابنا قنباله (٩١) ، وهما بقتل هاشم لولا أن تعرف على هاشم أحمد بن خليفة الماردى أحد فرسان سعدون البارزين ، فنهاهما عن قتله وعرفهما به وبمكانته ، فترجلا عن فرسيهما وحمله أسيرا ، وأرسلوا بخبره الى سعدون ، فاقتاده سعدون الى حصن منت شلوط ، وكان خاليا من رجال هاشم فاحتله برجاله . وذكر ابن عذارى أن هاشم لما أخذت عليه المضايق وناشبهه القتال أخذته جراح وقتل من أصحابه جماعة، ثم وقع في أسر سعدون (٩٢)، ويردد ابن الخطيب (٩٣) نفس رواية ابن عذارى من أصابته بجراح أثناء القتال ، أما بقية المصادر العربية فتمر سريعا على هذه الموقعة التى أسر فيها هاشم ، فابن خلدون يذكر أن ابن مروان هزم هاشما وأسر (٩٤) ، والمقرئ فى نفح الطيب لا يأتى بأى إشارة عن أسر هاشم بن عبد العزيز ، بل لا يذكر شيئا عن ابن مروان الجليقى (٩٥) . ويلخص ابن القوطية الخبر تلخيصا مبتسرا على النحو الآتى : « وخرج الأمير المنذر وهو ولى عهد ، وهاشم قائد الجيش لمحاربتهم ، فلما قرب الجيش منهما تقحم عليهما هاشم فى الوعر فهزمهما فيه واسرا هاشم (٩٦) ٠٠٠ » .

ويتضح لنا من خلال روايتى ابن عذارى وابن الخطيب أن هاشم بن عبد العزيز اجتاز النهر مع عسكره وفرسانه عبر مخاضة سهلة

-
- (٩١) المصدر السابق ، ص ٣٧٢ .
وواضح من الاسم أنه من أصل أسباني Campillo وإن صاحبى الاسم مولدان .
(٩٢) ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ١٠٣ .
(٩٣) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٢١ .
(٩٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، المجلد الرابع ، ص ٢٨٩ .
(٩٥) المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٢٩ .
(٩٦) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٨٩ ،
Codera, Op. Cit., P. 36.

العبور ، وأسرع بقواته وراء سعدون وأصحابه فناشبهوه القتال ، فقتل من
عسكره جماعة وأصيب أصابات ربما أقعدته عن الفرار ، فسهل وقوعه
أسيرا . ونعتقد أن هذه الرواية أقرب الى المنطق من رواية ابن حيان ،
وتشير الى أن هاشم انحاز عن حاميته ربما بقصد الفرار بنفسه ، ولم
يكن أمامه سوى المخاضة التي كان قد عبر منها الى سعدون ، وقد
القاهها مغتصة بالخيول ، والفرسان يتقاتلون مع أتباع سعدون ، فترجل
وجلس على ترسه ينتظر نتيجة المعركة « والقتل يعمل في أصحابه الى
أن انتهى اليه » . ولا مجال هنا لتصديق ما تشير اليه الرواية ، فليس
من المنطقي أن يعتزل المعركة قائد جيش ووزير عظيم وفارس شجاع
مثل هاشم ، ويجلس متفرجا على أتباعه وهم يذبحون ويقتلون ،
منتظرا دوره دون أن يحرك ساكنا ، ولهذا فاننا نميل الى ترجيح رواية
ابن عذارى وابن الخطيب لاسيما وأن سعدون السرنباقي كان معروفا
بجراته وشجاعته ، وكان قد قدم في عدد كثير من الخيالة والمشاة
والرماة (٩٧) .

بادر سعدون بالقفول الى حصن كركر وقد حمل معه أسيره
هاشم ، واحتل في طريقه الى كركر حصن منت شلوط (٩٨) ، وبلغ
المنذر خبر وقوعه في الاسر فأسقط في يده ولكنه تماسك ، وضبط عسكره
وجعل على قيادته البراء بن مالك القرشي (٩٩) ، ثم شدد الهجوم ثلاثة

(٩٧) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . مكى ، ص ٣٦٨ ، يقول
ابن حيان « وكان معه فرسان أصحابه لا يدرون الموت شدة
ونجدة وكان هو من أهل البصر بالحرب والحزم فيها والعزم
عليها بحيث لا يساويه في ذلك أحد من أهل زمانه » (ارجع
الى ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . مكى ، ص ٣٧١ ، محمد
عنان : دولة الاسلام في الاندلس ، ص ٣٠٥) . ويرى الدكتور مكى
أن جلوس هاشم على ترسه يعنى أنه لم يجد مفرا له من
الاستسلام والاستئسار لأن الجلوس على الترس يجنبه القتل
وهو علامة على طلب الأسر حفاظا على الحياة .

(٩٨) ابن حيان : المقتبس : من أنباء أهل الاندلس ، ص ٣٧٣ .
(٩٩) وجد أبيه عبد الملك بن عمر ، وكان قد دخل الاندلس في عهد
عبد الرحمن الداخل وكان موضع ثقة الأمير ، فولاه أشبيلية =

أيام الى أن وصلت اليه رقعة من هاشم يشير عليه فيها برفع الحصار عن الجليقي والانسحاب الى قرطبة ، وأن يفاوض الثوار في فدائه . لم يتردد المنذر في الموافقة بشرط أن يحافظ الثوار على حياة هاشم بن عبد العزيز والا فانهما لن يفلتا من يدي الامير لو أن مكروها أصابه ، وفي مقابل ذلك وعدهما بأن يتشفع عند والده الامير محمد لكي يمنحهما الامان . وانصرف المنذر بذلك الى قرطبة بجيوشه (١٠٠) .

وكان سعدون قد سلم أسيره هاشم بن عبد العزيز الى صاحبه عبد الرحمن بن الجليقي ، فاختم به وبدأ معه حوارا عنفه فيه اذ أخذ يذكره بأهانتسه له ولزملائه في دار الرهائن بقرطبة (١٠١) ، ولم يلبث ابن الجليقي أن اثاره الحديث فهاج وماج واحتد على هاشم ، وهم بالوثوب عليه ، ولكن هاشم خفف من ثورته بعبارات هدأت من ثائرته وخففت غضبه ، وحملته على الاستحياء .

فقد كناه ثم طلب الا تشتت به ، فقد نال كفايته بسبب ذنبه ، وقد قضى الله قضاءه ، اذ وقع في أسر من تعدى عليهم وظلمهم ، وكان رد ابن الجليقي كما أورده ابن حيان على النحو التالي « صدقت والله يا أبا خالد ، وكرم مقامك ، ولكننا اختنقنا لاعمائك في مطالبتنا ، وارهأقك لنا الى هذا الطرف النائي ، الذي ليس ينقصكم ولا يوهن ملككم ، واسرافك في اتباعنا اليه حتى القاك الله فيما انت فيه » (١٠٢) . ويذكر

= (عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس ، ص ١٩٤ ، وما يليها) .

(١٠٠) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام في الاندلس ، ص ٣٠٦ .
(١٠١) ابن حيان : المقتبس ، من أنباء أهل الاندلس ، ص ٣٧٥ .
يذكر ابن حيان أنه قال له « أما علمت أنه لا ينبغي للمقتدر أن يغتر بقدرته فان قدرة الله فوقه ؟ اتذكر قولك لي ولأصحابي هؤلاء بقرطبة ، وقد أريناك الخبز الذي كان يقطع لنا ومحاكاته الزفت في لونه وسالناك عن غيره ؟ فالحمد لله الذي حكم بالعدل وطامن من نخوتك » .

(١٠٢) ابن حيان : المقتبس من أنباء أهل الاندلس ، ص ٣٧٥ .

ابن عذارى أن ابن مروان الجليقي بره وأكرمه وأحسن اليه ولم يعاقبه
بفعلته (١٠٣) .

والى هنا تنتهى المواجهة بين قائد جيش الامير محمد وقد استنذله
الاسر ، وبين ثائر من ثوار الغرب كان رهينة لدى الامير بقرطبة ، لم يثمله
النصر فيفقد وعيه ، ويأخذ بثأره ممن أهانه وقد أصبح تحت رحمته ،
وعندئذ لم يعد لدى ابن الجليقي سوى الرحيل بأسيره فى عمق الغرب
الاندلسى ليبحث مع صاحبه عن خطتهما المقبلة ، فمضوا الى الاشبونة
وأغاروا عليها وعاثوا فى ديارها ، وغنموا من الغنائم ما أنساها مرارة
الحرب ، وكان ابن الجليقي قد تسلم هاشم من صاحبه سعدون أملا فى أن
يرده الى الامير محمد ، وعندئذ يفرج الامير عن رهائن قومه ويردهم
الى بلدهم ، وكان قد اتفق على ذلك مع هاشم الذى ذلل له الامر وهونه
عليه وضمنه له . أما سعدون السرنباقي فقد أدرك خطأه فى تخليه عن
هاشم للجليقي ، وخشى أن يغضب اذفنش Alfonso III عليه ،
عندما يعلم بتفريطه فيه ، وبالغ أصحاب سعدون فى تجسيم هذا الخطأ
الذى وقع فيه وعظموا له الورطة التى زج نفسه فيها ، عندما ينصرف
الى بلده ، فكيف يواجه الملك الذى يأويه فى بلده ، وهو الذى أذن له فى
خروجه ؟ وكيف يبرر موقفه من المسيحية اذ تهاون فى تسليم وزير
المسلمين دون أن يأخذ رأى مليكه فيه ، وبينوا له حسد جماعات
المسيحيين بالملك له على ثقته فيه ، وهو بذلك قد أفسح لهم المجال
ليغيروا قلبه عليه . وما زالوا يهولون له ججوده نحو ذلك الملك الذى
فتح باب ملكه لهم ، وفاض عليهم بفضله ، ووثق بهم بين رعيته ، فتأثر
سعدون بمقالتهم وعظم عليه الامر ، وتبين له خطأه ، فحدث عبد
الرحمن بن مروان فيما كلموه فيه وأبلغه بأنه لن يرجع الى بلده
ومواطنيه الا وهاشم معه ليقدمه الى الملك أسيرا ذليلا فيظهر على
خصومه بأسره . فأقره ابن مروان على ذلك وأنكر على نفسه ان يكون

سببا في غم يدخل عليه أو في كرب يصيبه بسببه ، وأظهر له استعداداه للتضامن معه وافتدائه له اذا اقتضت الحال بأولاده وماله ، ثم السبب الذي دعاه الى الحرص على الاحتفاظ بالوزير الاسير ، وهو أن يستأمن له ولقومه به ليردهم الى بلدهم الذي أخرجوا عنه ، فيعودوا اليه معززين ، ويشترطوا عليه ما شاءوا من شروط ، ولكنه بعد أن استمع الى مقالة سعدون بشأنه لا يملك الا أن يرده الى صاحب الفضل في أسره ، ثم أنه دفعه الى سعدون ، فعاد به الى بلده ، وكتب الى اذفونش ييشره بما أصابه من نصر ويبلغه بشأن أسيره ، وما أن بلغ اذفونش ذلك حتى أذهله الخبر ، فعظم سروره به ، وشمخت أنفه بوقوع هاشم في أسره ، وأخذ ينتظر وقد أمضه الشوق والصبر وصول سعدون اليه والنهوض به نحوه ، فلما مثل هاشم أمام الملك ، ووقف على حسن شمائله ولطف معشره واتساع أفق معارفه ، قربه اليه ، وأدناه منه ، واتخذة نديما ، فأصبح نادرا ما جلس لأهل مملكته أو تفرغ لطعامه الا وكان هاشم برفقته يأخذ الملك بمشورته ويعمل برأيه (١٠٤) .

المرحلة الرابعة :

مع بداية عام ٢٦٣هـ (٨٧٦م) تبدأ مرحلة جديدة في تاريخ الثائر ابن مروان الجليقي ، اعتمد فيها على المغامرة وحياة السلب والنهب ، وتبدأ هذه المرحلة منذ أن ظفر هو وصاحبه بهاشم بن عبد العزيز ، فلم يتردد ابن الجليقي في الاغارة على اشبونة والعيث في نواحيها ، ثم ضاقت عليه الحياة في هذه المدينة ، فنقل مجال نشاطه التخريبى نحو وادى تاجه ، فنزل هو واصحابه بجبل أماية Amaya المعروف في زمنه

بأماية ابن مروان (١٠٥) ، وهو على حد قول ابن حيان « جبل شامخ حصين بشرقى مدينة أماية الخراب على وادى سير » (١٠٦) (يعرف حاليا بوادى Sever وهو رافد من روافد وادى تاجه) . ولم يلبث بربر البرانس والبتري الضاريين فى هذه المنطقة أن اقبلوا عليه يوادعونه ويهادونه ويخطبون سلمه اتقاء لشره ودرءا لغاراته ، وعقدوا معه عهدا وميثاقا تعاهدوا عليه ، وأقام عبد الرحمن بن مروان الجليقى فى جبل أماية أياما ثم خرج على رأس قوة كبيرة من فرسانه الى باجة وأطراف اكشونبة بعد أن ترك على حصنه بالجبل على بن لب (١٠٧) ، أحد أعوانه ، فى عدة قليلة من العسكر والفرسان مطمئنا الى جانب البربر لارتباطهم بعهد معه ، وانطلق ابن مروان بعيدا واستغرقت غزوته ما يقرب من أربعين يوما تعرض أثناءها لعواصف عاتية وسيول عاقته عن العودة سريعا الى حصنه ، وانتهاز بربر البرانس فرصة غيابه الطويل وقلة من بقى فى حصن الجبل فأقدموا على نقض العهد بينهم وبين ابن مروان ، واقبلوا فى حشودهم الى حصن أماية وقد أيقنوا بالظفر على أصحاب ابن الجليقى . ولكنهم اصطدموا بمقاومة عنيفة ، وتمكن على بن لب رغم قلة من كان لديه من العسكر أن يردهم على أعقابهم ، فولوا الادبار وقوات ابن لب تذرع فيهم حتى بلغت الغاية من نكالهم .

(١٠٥) مازال الحصن القائم على هذا الجبل باقيا حتى اليوم ومازالت البلدة تحمل اسم مروان وتسمى حاليا مرفاو Marvao وتقع فى شرق البرتغال بازاء مدينة شنترين ، وعلى مقربة من نهر سير Sever (راجع تعليق رقم ٦٠٦ ، ٦٠٧ على نص المقتبس لابن حيان ، تحقيق د . محمود مكى ، ص ٦٥٠ - ٦٥١) .

(١٠٦) ابن حيان : المقتبس ، من أنباء أهل الاندلس ، ص ٣٨٠ .

(١٠٧) من الغريب أن يطلق اسم لب على دير يقع على بعد ١٠٠ كم شرقى قاصرش يعرف بوادى لب guadalupe كما يطلق على سلسلة جبال تعرف بجبال وادى لب وواضح أن الموضعسمى باسم على بن لب صاحب ابن مروان الجليقى (ابن حيان المقتبس ، تحقيق د . مكى ، تعليق ٦٠٩) .

ويبدو أن حياة المغامرة التي كان يحيها ابن الجليقى واعتماده على السلب والنهب لم تستثير أصحابه ، فقد كرهوا حياة الحروب ، وسئموا الفتنة وخافوا عواقبها ، وتاقت نفوسهم الى الاستقرار في بلدهم آمنين . والظاهر أنهم حدثوا ابن الجليقى بهذه الخواطر فعارضهم معارضة شديدة ولكنهم اختلفوا عليه ، وخاطب نفر منهم عامل ماردة من قبل أمير قرطبة وسألوه أن يؤمنهم على أرواحهم وأموالهم ولهم عليه الطاعة ، فأمنهم نكاية في ابن مروان ، فقفلوا عائدين الى ماردة ، تاركين عبد الرحمن بن مروان مع قليل من أنصاره وحيدا خائفا ، قد ضاقت به الأرض على اتساعها ونفر أهالي الغرب من وجوده بين ظهرائهم ، واستوحش الجليقى ولم يجد من ينصره سوى اذفنش ملك جليقية ، فجد في الاتصال به وهو في حاضرتة ليون (١٠٨) يطلب منه أن يتقبله في بلاده ، ورحب الفونسو الثالث بهذا الطلب ترحيبا بالغا ، وأبدى قبولاً حسناً لتلقى ابن مروان الجليقى ، فقد دعاه الى ليون ووعدته باقطاعه واکرامه والتوسعة عليه ، وطلب منه أن يتعجل في المجيء ، ثم أنه خصص لاستقباله في بلاده قوة من فرسانه بقيادة قوماميسه وعظماء دولته ، واستقر عزم ابن مروان على قصده ، وفي ذلك يقول ابن حيان « وخرج عسكر اذفنش الذي أبعده الى بلد الاسلام لتلقيه فأجاز وادى تاجة في قنطرة السيف (١٠٩) ، وشن الغارات في تلك

(١٠٨) كانت أبيت Oviedo حاضرة الفونسو حتى نهاية سنة (٢٦٤ هـ) ٨٧٧م ولكنه انتقل منها حسب ما أورده ابن حيان الى ليون في الفترة من (٢٦٣ - ٢٦٤ هـ) ٢٤ سبتمبر ٨٧٦م الى ١٠ فبراير سنة ٨٧٧م (راجع : المقتبس ، تحقيق د.مكي ، ص ٦٥٣) .

(١٠٩) قنطرة السيف : بلدة من بلاد غرب الاندلس ، تقع على وادى تاجة على مسافة تبعد نحو ٥٠ كم الى الشمال الغربى من قاصرش وتعرف اليوم باسم القنطرة alcantara ، وقد أوردنا في دراستنا التمهيدية تفاصيل هامة عن تحليل تسميتها بقنطرة السيف ووصف واف لهذه القنطرة .

الناحية حتى انتهى الى كورة ايريكش (١١٠) ، ثم اتوا بن مروان بحصن أماية فدخلوه معهم في جميع أصحابه بنسائهم وأبنائهم ورجالهم حتى أوردوهم وادى دويره ، فلما أجازوه نزل ابن مروان في جميع من معه على مسيرة يوم امامه الى بلد العدو (١١١) ٠٠ » ، وقد رجع كوديره في دراسته عن بنى مروان الجليقى الى رواية ابن عذارى في أحداث عام ٢٦٣ (٨٧٦ م) وفيها يذكر ابن عذارى أن المنذر ابن الامير محمد قد خرج في هذا العام الى ماردة ، فلما وصل هناك علم أن ابن مروان الجليقى قد رحل عن بطليوس ، فاحتلها القائد الوليد بن غانم ، وهرب ابن مروان الى ليون (١١٢) ٠

وما كاد ابن الجليقى يصل الى ليون حتى قدم في خاصته للقاء الملك اذفنش (الفونسو الثالث) ، فاستقبله الملك احسن استقبال (١١٣) ، واكرم وفادته وادناه اليه ، ثم أنه انزل بحصن

(١١٠) حصن ايريكش : لعل صحته أبرنطيش وحرفت الى ايريكش خطأ في النسخة الخطية ، وفي هذه الحالة يقابل هذا الحصن اسم موضع من أعمال شنترين بالبرتغال يعرف باسم Abrantes ويقع على وادى تاجه على بعد نحو ١٥٠ كم شرقى هذه المدينة مما يتفق مع خط سير ابن الجليقى الى مملكة اشتوريش كما توضحه رواية ابن حيان (راجع ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د ٠ مكى ، ص ٣٨٢ ، وتعليق رقم ٦١٣ ص ٦٥٤) ٠

(١١١) ابن حيان ، المقتبس من أنباء أهل الاندلس ، ص ٣٨٣ ٠
Codera : Los Beni Meruan, Op. Cit., P. 38.

(١١٢) يقول ابن حيان « فلما وصل اليه أدناه ورحب به وبسط أمله وقال له : دونك بلدى انزل فيه بحيث شئت ، وتوسع منه وقومك حيثما أحببت ، فلا منازع لك فيه ولك عندى بعد ما أردت ، واختار له حصن بطرلسه على وادى دويره بالعدوة القصوى من ليون حضرته ، فنزل ابن مروان فيه بمن معه وأنبسط في عمارة ما حوله ٠٠٠ » (ابن حيان ، المقتبس من أنباء أهل الاندلس ، ص ٣٨٣ وقارن الرواية مختصرة ومشوهة في ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٠٣ في قوله « وفي سنة ٢٦٣ هـ خرج المنذر بن الامير محمد وجعل طريقه على ماردة ، =

بطرلسه (١١٤) على وادى دويره بالقرب من مدينة ليون ، فنزل فيه ابن مروان الجليقي بكل من قدم معه من أتباعه ، « وانبسط في عمارة ما حوله » (١١٥) . ومن الغريب أن ابن مروان ترك بصماته واضحة على اسم موضع بهذه المنطقة يعرف اليوم Vez de Marban قسره دكتور محمود مكى بأنه « فحص مروان » (١١٦) ، ولم يلبث ابن مروان أن استرد نشاطه في مهاجمة قرى المسلمين وأراضيهم المتاخمة لمملكة اشتوريش مظهرا ولاءه وإخلاصه للملك الفونسو الذى آواه في بلاده وغمره بكرمه ، وأظله بسابغ نعمته (١١٧) .

= فلما انتهى ذلك الى ابن مروان زال عن بطليوس واحتل بها قائد المنذر الوليد بن غانم ، فخرب ديارها وتقدم ابن مروان الى بلاد العدو (٠٠) . ويعلق د . محمود على مكى في تحقيقه للمقتبس من أنباء أهل الاندلس لابن حيان (هامش رقم ٦ ، ص ٣٨٣) على استقبال اذفنش لابن مروان وسعدون في بلاده بقوله « انما كان حرصه على الايقاع بين المسلمين حتى تنبسط أيدي الثوار من أمثال ابن مروان وسعدون السرنباقي واشباههما في بلاد المسلمين ، وتتزايد غاراتهم على ثغور الدولة ويقتطعوا بذلك له من المعقل والقرى ما يستطيعون ، فيسكن النصارى ما يستولى عليه هؤلاء الثوار من أطراف الثغور ويعمر بهم نواحيها وقراها التى يخليها المسلمون » .

(١١٤) حصن بطرلسه : لعله محرف من بطريشة الذى يعرف اليوم باسم لابدراخة La Pedraja ، وهى بلدة على بعد ٢٠ كم الى جنوب بلد الوليد كما تبعد عن مجرى وادى دويره بنحو عشرة كيلو مترات (راجع التفاصيل في البحث القيم الذى أعده د . محمود مكى حول هذا الاسم في تحقيقه للمقتبس لابن حيان ، تعليق رقم ٦١٥ ، ص ٦٥٥) .

(١١٥) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د . مكى ، ص ٣٨٣ .

(١١٦) أرجع الى تحقيق د . محمود على مكى لمقتبس ابن حيان ، ص ٦٥٦ .

(١١٧) أجاد دوزى في عرض الاخبار المتعلقة بأعمال ابن مروان ، ولكنه خصص له دورا لم يكن يحلم به في اعتقادنا ، يقول دوزى « ولما تمكن ابن مروان من حشد عصابة من بين مسالمة ماردة وغيرها ، دعاهم الى دين جديد هو وسط بين المسيحية والاسلام ، وتعاهد مع الفونسو الثالث ملك ليون والحليف الطبيعى لجميع من يثور ضد حكومة قرطبة » . ويبدو أن عبارة =

ومن أمثلة خرجاته ضد المسلمين ما حدث في نهاية عام ٢٦٣هـ
(٨٧٨م) عندما أوقع بنحو سبعمائة فارس من المسلمين في الموضع
المعروف بالبربرية (١١٨) ، فأبادهم عن آخرهم (١١٩) ، وكان ذلك في

=
دوزى عن دعوة ابن مروان لدين جديد وسط بين الاسلام
والمسيحية اقتبسها من ابن حيان وترجمها حرفيا ، يقول ابن
حيان (في المقتبس ، تحقيق أنطونية ، ص ١٥) « فارق
الجماعة وجاور أهل الشرك ووالاهم على أهل القبلة ، ثم بدا له
غير ذاك آخر ففارق مجاورة الكفرة ولاذ بالطاعة » ، وقوله في
المقتبس تحقيق د . مكى (ص ٣٤٤) « وضافرا الشرك وأحدثا
في الاسلام أحداثا عظيمة ، وبثا الغارات على المسلمين ، وصارا
في القفر بين الاسلام والشرك » ، وينقل ابن عذارى نفس هذه
الكلمات ، في حين تبدو العبارة في تاريخ افتتاح الاندلس لابن
القوطية أقل وضوحا . ويعتقد كوديرة
(Codera : los Beni Meruan, Op. Cit., P. 27).

أنه لا يوجد أساس كاف للتأكيد أو حتى للقول بأن مروان دعا
الى دين جديد ، وفي كتاب المقتبس لابن حيان تحقيق د . مكى
يتمثل رأى د . محمود على مكى في رفضه التام لرأى دوزى
وأتفاهه مع كوديرة ، فنص ابن القوطية وابن حيان يقصد
بالاسلام والشرك هنا بلاد المسلمين وبلاد النصراني وليس
المسيحية والاسلام (انظر تحقیقات د . مكى ، ابن حيان ،
المقتبس ، من أنباء أهل الاندلس ، تحقيق رقم ٥٦٩ ، ص ٦٢٣
- ٦٢٤) . ويبدو أن صفة التنصر والارتداد عن الدين الاسلامي
قد لحقت ببعض الثوار المولدين الخارجين عن السلطة المركزية
وكان شيئا مألوفاً في تلك الفترة خاصة عقب ردة عمر بن
حفصون وتنصره وكان قد ثار هو الآخر في نفس الفترة التي
ثار فيها ابن مروان الجليقي (انظر محمد عيسى الحريري، ثورة
عمر بن حفصون ، ص ٣٦) وقد ربط الدكتور محمد عيسى
الحريري بين أحداث حركة التطرف الديني أو حركة الاستشهاد
التي كانت قد ظهرت في عصر عبد الرحمن الاوسط ، واستمرت
في عهد ابنه الامير محمد وبين تنصر عمر بن حفصون ، ونحن
نرى أن الرأى الذى جاء به دوزى غير صحيح وربما كان تنصر
عمر بن حفصون قد أوحى له أنه لابد لابن الجليقي بدوره أن
يرتد هو الآخر أو يدعو لديانة جديدة .

(١١٨) عرفت في المصادر الاسبانية المسيحية باسم La Polvoraria
وعن هذه المعركة أرجع الى : ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق
دكتور محمود على مكى، هامش رقم ٦١٦ ص ٦٥٦ وص ٦٦٥ ، =

صيف سنة ٢٦٣هـ (٨٧٨ م) .

ومن الجدير بالذكر أن المصادر العربية لم تشر الى هذه الواقعة ، باستثناء ابن عذارى الذى أورد خبرها موجزا للغاية ومشوها (١٢٠) ، وابن حيان (١٢١) وابن الاثير (١٢٢) اللذان تحدثا عنها فى شيء من التفصيل مع اختلاف طفيف فى الرقم الدال على عدد اجناد السريّة الاسلامية التى أوقع بها ابن مروان الجليقى وأصحابه .

وفى عام ٢٦٤هـ (٨٧٧ م) عاد هاشم بن عبد العزيز من الاسر (١٢٣) فكانت عودته بردا وسلاما على الامير محمد الذى فجّع بأسره وظل فى قرارة نفسه يحن حنيئا متواصلا الى سماعه ومجالسته وأن كان فى الظاهر يعرض على عجلته وتهوره ، وفى نفس الوقت كان يعمل فى الخفاء على خلاصه من أسره (١٢٤) ، فكان يرسل الفونسو

وراجع ابن الاثير ، الكامل ، ج ٢ ، ابن خلدون ، كتاب
العبر ، ج ٤ ، ص ٢٨٦ ، Claudio Sanchez
Albornoz, la Batalla de la Polvoraria, anales de la Univ. de
Madrid, Fasc. III, 1932, PP. 225-238).

(١١٩) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د . مكى ، ص ٣٨٤ ، وقارن ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، ج ٦ حوادث سنة ٢٦٣ .

(١٢٠) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٠٣ .

(١٢١) ابن حيان ، المقتبس من انباء أهل الاندلس ، ص ٣٨٤ .

(١٢٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٧ ، ص ٣١٠ .

(١٢٣) ابن حيان ، المقتبس من انباء أهل الاندلس ، ص ٣٨٦ ، ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٠٣ .

(١٢٤) لقد كان الامير محمد فى قرارة نفسه ، رغم ما يبديه علنا من ذم فى هاشم بن عبد العزيز وانتقاده لعجلته وتسرعه بحيث انتهى الى الاسر ، يتمنى أن يفك أساره ، فلما أطلقه الفونسو من أسره ، سر الامير محمد سرورا عظيما كتبه فى نفسه ولم يظهره لحساد هاشم حتى لا يتعرض للخرج ، وتظاهر بالاعراض عنه نحو سنتين ، ثم أخذ يقربه ويدنيه منه حتى استعاد هاشم مكانته الاولى من قلبه ، ويذكر عيسى الرازى أن وزراء الامير محمد أصحاب هاشم بن عبد العزيز انقلبوا عليه بعد وقوعه فى الاسر ، ولم يترددوا فى اظهار الشماتة به واساءة القول =

الثالث ملك ليون على أن أهل هاشم يطالبوه بفك أسره في مقابل دفع الفدية ، وقد تحمل الأمير الفدية التي بلغ قدرها ١٥٠ ألف دينار (١٢٥) ، ولم يلبث هاشم أن استعاد مكانته في البلاط ، واستوت حاله في الاثرة لدى الأمير محمد ، فأعاده الى القيادة مع الوزارة في سنة ٢٦٦هـ (١٢٦) (٨٧٩م) ، وأخذ يغزو بلاد الشائرين والمتمردين ، ويقوم تجاهها الحصون والقلاع ويسكنها جماعات من الموالين للأمير ليتولوا مغاورتهم ، ومن بينها حصن قرذيره Cardela من عمل حصن اللوز Iznalloz بمقاطعة غرناطة الذي ما يزال يحتفظ اليوم ببقايا أسوارها وأبراجها على نشز من الأرض (١٢٧) .

ويواصل ابن مروان الجليقي بذل طاعته وولائه للملك الفونسو الثالث ، ويسجل ذلك بمشاركته في اعتداءات الجلالة على أراضي الثالث ، ويسجل ذلك بمشاركته في اعتداءات الجلالة على أراضي ملك جليقية دار الاسلام ، وفي هذه الغزاة خدع الفونسو الثالث

= فيه وأيدوا رأي الأمير محمد في ألومه لما سببه طيشه وعجلته وقلة أحكامه لنظره من هزيمة عسكره، وكان هؤلاء الوزراء مدفوعين في ذلك بما أقدم عليه حساده من تجريح ، ولم يقف الى جانب هاشم منهم الا وليد بن عبد الرحمن بن غانم الذي خالفهم في ذلك ودافع عنه ، وصوب رأي الأمير فيه ، وشجعه على المضي في تخليصه من أسره على الرغم من أن وليد هذا لم يكن تربطه به ثم رابطة صداقة وإنما كان يبتغى الانصاف ، وكان ابن غانم يتعهد أسرة هاشم أثناء أسره ويحمي ضياعه (لمزيد من التفاصيل) ، راجع ابن حيان ، المقتبس ، من أنباء أهل الاندلس ، ص ٣٨٩ - ٣٩١ ، أخبار مجموعة في تاريخ الاندلس ، ص ١٤٤ ، وما يليها) .

(١٢٥) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٨٩ ، عبد الرحمن الحجي ، أندلسيات ، المجموعة الثانية ، طبعة دار الارشاد ، ص ١١٧ ، حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٣٠٣ .

(١٢٦) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د . مكي ، ص ٣٩٥ .
(١٢٧) المصدر السابق ، تعليق رقم ٦٢٥ ، ص ٦٧٠ - ٦٧١ .

عبد الرحمن بن مروان الجليقي ، فقد أظهر له أنه إنما يقصد طليطلة فلما اجتاز السلاسل الجبلية التي تفصل قشتالة عن الاندلس (الدرب الثانى) وخلف وادى تاجه ، أفصح عن وجهته الحقيقية وهى كورة ماردة بلد ابن مروان ، فهاجم حصن دويل Los Adobales الواقع على مسافة تبعد نحو ٢٠ كم الى الجنوب الشرقى من بطليوس ، فهاجمه الملك وافتتحه وقتل عددا كبيرا من حاميته (١٢٨) .

أثارت خديعة الملك لابن الجليقي استيائه لاسيما وأن الملك استهدف الاغارة على بلد ابن الجليقي ، فأظهر انقباضه وسخطه وان كان قد كتمهما عن الملك ، ولكن هذا الأخير لاحظ قطوبه وتغيره ، فلما سأل عن سبب تغيره وانقباض نفسه أنكر ذلك وأظهر له التبرؤ مما ظنه به من استيائه لما فعله من وطنه لبلده ، وانتهت الغزوة ، وعاد الملك الى مقر ملكه ، وعاد ابن مروان الى حصنه . فأقام مدة من الوقت مستوحشا من الملك ، وامتدت الجفوة بين الحليفين ، وكان الباعث على هذا التحول تشكك ابن مروان فى نوايا الملك تجاهه ، لما عرف من غدره ، وتذكر ابن مروان غدر ملك جليقية السابق سمييه وسلفه الفونسو الثانى العفيف بحليفه محمود بن عبد الجبار (١٢٩) . وعندئذ عزم على فض الحلف القائم بينه وبين الملك الجليقي وعدم التبعية له ، وقرر العودة الى بلاده واستئناف ما كان قد انقطع بدخوله فى خدمة الفونسو الثالث .

(١٢٨) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د . مكى ، ص ٣٩٦ ، وقد انفرد ابن حيان بهذه الرواية من مؤرخى العرب ، أما المصادر المسيحية فقد أخطأت فى كثير من تفاصيل الغزوة فجعلت من ابن مروان الجليقي خصما للفونسو الثالث بحيث حاربه الفونسو ، كما تبالغ فى ذكر عدد القتلى من المسلمين ، وتخطئ فى تحديد موقع المعركة . (راجع تعليق رقم ٦٢٨ ، ص ٥٧٢ ، ٦٧٣) وانظر :

Aguado Bleye, Manual de la Historia, P. 48).

(١٢٩) راجع ما سبق ذكره عن ثورة ابن مرتين ومحمود بن عبد الجبار .

ومن المحتمل أنه قضى فترة الانتقال بين عودته من غزوة حصن دوبل وانقلابه على الفونسو الثالث ، وهى تقرب من ٤ سنوات عاطلا عن الغزو بدليل أنه لم يرد فى المصادر العربية ذكر لنشاطه الحربى حتى سنة ٢٧١هـ (٨٨٤م) التى بدأ يلمع فيها من جديد اماما للنفاق والشقاق .

ومن الثابت انه نقل نشاطه الى بطليوس ، وهى المدينة التى استحدثها فى عهد الامير محمد واتخذها معقلا له ، واضح انه عاد اليها هذه المرة لتعمير ما تخرب من حصنها قبل ان يستأنف عيته فى المناطق المجاورة (١٣٠) ، وكان على الامير محمد ان يتحرك من جديد لوضع حد لعيته ، ففى سنة ٢٧١هـ (٨٨٤م) وجه الامير محمد جيشا بقيادة ابنه المنذر الى بطليوس ليحد من نشاط عبد الرحمن الجليقى فى غرب الاندلس ، فلما عرف عبد الرحمن بأمر هذا الجيش ترك بطليوس وفر الى حصن أشبر غزة Esparragosa (١٣١) ليمنع فيه ، وانتهز

(١٣٠) يذكر ابن خلدون « ثم وقعت المراودة فى الصلح على ان ينزل عبد الرحمن بطليوس ويطلق الوزير هاشما فتم ذلك سنة خمس وستين ، ونزل عبد الرحمن بطليوس وكانت خربة فشيدها وأطلق هاشما بعد سنتين ونصف من أسره ، ثم تغير اذفونش لعبد الرحمن بن مروان وفارق ، وخرج من دار الحرب بعد أن قاتله ، ونزل مدينة انطانية Idanha-a velha بجهات ماردة وهى خراب فحصنها ، وملك ما اليها من بلاد اليون وغيرها من بلاد الجلالة واستضافها الى بطليوس « ابن خلدون ، تاريخ ج ٤ ، ص ٢٨٥ .

(١٣١) ورد الاسم خطأ فى ابن الاثير على أنه اشبرغرة بينما ذكره ابن عذارى صحيحا (ج ٢ ، ص ١٠٥) اذ يتفق فى النطق تماما مع التسمية الحالية للموقع ، ويتسمى بهذا الاسم فى الوقت الحاضر موضعان باقليم بطليوس الاول اشبر غزة دى لاسيرينا Esparragosa de la Serena والثانى اشبر غزة الارش Esparragose de lares فى مقاطعة القصير Alcocer ، ويرجح ليفى بروفنسال الموضع الثانى ليكون المقصود من حصن اشبر غزة فهو يقع بين واديانه والمعدن (Lévi-Provençal, Op. Cit., P. 298, Note 3).

الامير المنذر فرصة اخلاء بطليوس فقام بحرقها وتدميرها (١٣٢) .

ولم يكتف الامير محمد بذلك بل واصل توجيه حملاته لمحاربة ابن الجليقى . ففي صيف العام التالى ٢٧٢هـ (٨٨٥م) سير جيشا بقيادة ابنه الامير عبد الله ، والقائد هاشم بن عبد العزيز (١٣٣) الى الغرب ليحاصر عبد الرحمن فى حصن اشبرغزة Esparragosa الذى كان قد تحصن فيه فى العام السابق امام عسكر الامير المنذر . وتم حصار الجليقى ، ودارت بعض الاشتباكات ، ولكن هاشم لم ينل منه مأربا ففقل عائدا الى قرطبة دون نتيجة حاسمة (١٣٤) .

ويسوق كل من ابن القوطية ، وابن خلدون روايتين تتشابهان الى حد كبير عن هذه الفترة من ثورة عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، فابن خلدون يذكر أن هاشم بن عبد العزيز سار فى سنة ٢٧١هـ (٨٨٤م) الى عبد الرحمن الجليقى « وحاصره بحصن مونت مولن ، ثم رجع عنه ، فأغار ابن مروان على اشبيلية ولقنت . ثم نزل منت شلوط فامتنع فيه ، وصالح عليه الامير محمدا ، واستقام على طاعته الى أن هلك

(١٣٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٧ ، ص ٤١٦ ،
Lévi-Provençal, Op. Cit., P. 298.

(١٣٣) لم يكدهاشم يسترد مكانته ويحظى عند الامير محمد حتى أسند اليه قيادة الجيوش ، ففي عام ٢٦٧هـ (٨٨٠م) غزا هاشم وحده بالصائفة الى سرقسطة وحاصرها حصارا شديدا وانتسف حقولها واستولى على أرباضها (ابن حيان ، المقتبس تحقيق د . مكى ، ص ٣٩٩) ، وكذلك خرج هاشم فى تلك السنة الى كوره رية ليقتضى على الفتنة ويأخذ رهاثن من أهل تاكرنا ليلزمهم بالطاعة (راجع ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ١٠٤) وفى عام ٢٦٨هـ (٨٨١م) عاد هاشم بن عبد العزيز الى مهاجمة سرقسطة وكان معه فى هذه المرة المنذر ابن الامير محمد ، فدمر عمران سرقسطة ، وافتتح حصن روطه ، ثم تقدم الى البسة والقلاع وافتتح حصونا كثيرة (البيان ، لابن عذارى ، ج ٢ ، ص ١٠٥ ، ابن خلدون ، التاريخ ص ٢٨٧) .

(١٣٤) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ص ١٠٥ .

الامير محمد . . « (١٣٥) . أما ابن القوطية فيقول « ثم ظهر ابن مروان ظهورا صار بذلك رئيس المولدين في الغرب ، وصار السرنباقي (١٣٦) تابعا له ، وخرج بعد قفل العسكر عنه في جيش عظيم ، فبلغ الى كورة اشبيلية وتوسط أعمالها ، وغنم حصن طلياطة (١٣٧) بمن فيه ، ثم تقدم فشق كورة لبلة ثم دخل اكثونية وضبط بها جبلا يقال له منت شاقن ، فجبل الغرب كله وأفسده ، فلما طال غم الامير محمد به ، وجه اليه أمينا فقال له : يا هذا قد طال غمنا بك وغمك بنا ، عرفنا بمذهبك ، فقال لهم : مذهبى أن يباح لى البشرى ابتنيها وأمدنها وأعمرها وأقيم الدعوة ، ولا تلزمنى جباية ولا طاعة فى أمر ولا فى نهى . . ففعل (١٣٨) ، وصفت طاعته الى أن طامع هاشم يأخذ الثار فيه وقال للامير محمد انما كان تعاصى أمر ابن مروان علينا بأنه كان هو وأصحابه على ظهور خيولهم ، ينتقلون من موضع الى موضع ، وقد

(١٣٥) ابن خلدون ، العبر ، ص ٢٨٧ .
(١٣٦) سعدون السرنباقي : كما اتضح من سياق الأحداث هو صديق ابن مروان الجليقى الذى ناصرته فى العديد من المواقف أثناء ثورته ضد الامير محمد ، وكان فارسا شجاعا فى ميدان القتال ، وفى عهد الامير محمد أسره النورمان الخارجون بساحل الاندلس الغربى وقاده منهم بعض اليهود ، ولكنه هرب من هؤلاء التجار اليهود الى الجبل الذى نسب اليه بين قلنبرية وشنترين ، وعاد الى حياة المغامرة والسلب والنهب الى أن قتل على يد الفونسو الثالث ملك ليون (انظر ابن حيان ، المقتبس فى تاريخ رجال الاندلس ، تحقيق انطونيو ، ص ٢٣) .

(١٣٧) قرية بين اشبيلية ولبلبة تبعد عن كليهما بنحو عشرين ميلا (الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ص ١٢٨) . وذكر الجغرافى مجهول الاسم أنها مدينة ازلية عجيبة الشكل رائعة البناء من بنيان الاشبيان ، وبها حمامات عجيبة وأسواق حسنة وسور حصين (ذكر بلاد الاندلس ، لوحة ٦٨) .

(١٣٨) من المعروف (كما سبق أن ذكرنا فى موضعه) أن أول من بنى هذه المدينة عبد الرحمن بن مروان الجليقى فى سنة ٢٦١هـ (٨٧٤م) فى عهد الامير محمد وليس فى سنة ٢٧١ (٨٨٤م) كما يذكر ابن القوطية ، وواضح أن نص ابن القوطية مضطرب خلط فيه بين وقائع ثورة ابن الجليقى .

صار الساعة في مدينة ودور وقصور وبساتين محيطة بها فنخرج اليه ، فاني أرجو ان يظفر الله به ويخرج معي الولد عبد الله فقد كان لابن مروان اليه انحراف عند كونه بقرطبة ، فخرج الى اشبيلية ثم انتقل الى لبلة ، فلما بلغ ابن مروان الخبر ، أدرك الامر بعقله وذكائه ، فكتب الى الامير محمد : بلغني أن هاشما خرج الى جهة الغرب ، ولست أشك أنه قد أطمعه في أخذ الثأر منى كوني في حصن وغلق ، وبالله لئن جاز لبلة الى لأضرم بطليوس بالنار ثم أعود الى حالي الاول معك . فلما قرأ محمد كتابه أمر بصرف الولد وصرف هاشم من الطريق فانصرفا . . « (١٣٩) .

وبمقارنة الروايتين تتضح لنا الحقائق التالية :

١ - أنه على الرغم من مكانة ابن خلدون كمؤرخ الا أنه وقع في بعض الاخطاء التاريخية عندما كتب عن موقف حكومة قرطبة من عبد الرحمن بن مروان الجليقي في هذين العامين ٢٧١هـ (٨٨٤م) ، و ٢٧٢هـ (٨٨٥م) ، فقد سجل خروج هاشم بن عبد العزيز في سنة ٢٧١هـ (٨٨٤م) لمحاربة ابن مروان الجليقي ، في حين ذكر ابن الاثير أنه في عام ٢٧١هـ (٨٨٤م) خرج جيش من قرطبة بقيادة الامير المنذر وحده لمواجهة ابن مروان الجليقي (١٤٠) ، وربما كان ابن خلدون يقصد أن خروج هاشم بن عبد العزيز قد حدث سنة ٢٧٢هـ (٨٨٥م) على نحو ما أورده ابن عذاري في كتابه البيان (١٤١) . كما أن نص ابن القوطية (١٤٢) يؤكد أن خروج هاشم ، وهو حادث يدرجه ابن خلدون ضمن حوادث عام ٢٧١هـ (٨٨٤م) تم في عام ٢٧٢هـ (٨٨٥م) . وعلى الرغم من أنه لم يحدد صراحة عاما لوقوع هذه الحوادث ، الا أن انتهاء النص بعقد

-
- (١٣٩) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٩٠ .
 - (١٤٠) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٧ ، ص ٤١٦ .
 - (١٤١) ابن عذاري ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٠٥ .
 - (١٤٢) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٩٠ .

السلم النهائي بين الامير محمد وعبد الرحمن الجليقى ، وموافقة الامير على اقامة الجليقى فى بطليوس ، وتوقف كافة الحروب بينهما (بدليل سحب الامير محمد لجيشه الذى كان متجها للمرة الثالثة وفى ظرف عامين الى عبد الرحمن الجليقى بقيادة كل من هاشم والامير عبد الله) يؤكد انه لابد وان يكون هذا النص متعلقا بوقائع جرت فى اواخر عام ٢٧٢هـ (٨٨٥م) ، وبالتالى بعد عام ٢٧١هـ (٨٨٤م) ، ولما كانت الحوادث التى تتضمنها رواية ابن القوطية تتشابه الى حد كبير مع الحوادث التى وردت فى نص ابن خلدون ، لاسيما ما يختص بغارة الجليقى على كورة اشبيلية (١٤٣) واعمالها والاراضى التى حولها ، ففى ذلك ما يدعونا الى الاعتقاد بان نص ابن خلدون كان يومئذ الى اخبار سنة ٢٧٢هـ ، وليس ٢٧١هـ .

٢ - ان ما ذكره ابن خلدون بشأن تحصن عبد الرحمن الجليقى فى مونت مولن عندما بلغه قدوم هاشم بن عبد العزيز مشكوك فى صحته لاتفاق مصدرين موثوق بهما هما ابن الاثير وابن عذارى على ان ابن مروان الجليقى تحصن فى سنة ٢٧١هـ (١٤٤) (٨٨٤م) بحصن اشبرغزه عندما بلغه خروج المنذر لحصار بطليوس ، ثم فى عام ٢٧٢هـ (٨٨٥م) عندما بلغه قدوم هاشم بن عبد العزيز لقتاله (١٤٥) .

٣ - ان ابن خلدون اخطأ عندما ذكر ان ابن الجليقى صالح الامير محمد على ان يستقر فى حصن منت شلوط وأنه ظل به حتى وفاة الامير محمد . والواقع ان بطليوس كانت الحصن الذى اتفق مع الامير محمد

(١٤٣) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٩٠ ، ابن خلدون ، العبر ، ص ٢٨٧ .

(١٤٤) ابن الاثير ، الكامل ج ٧ ، ص ٤١٦ .

(١٤٥) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٠٥ .

على الاستقرار فيه كما يذكر ابن القوطية (١٤٤) والبكري (١٤٧).
ونعتقد أن ابن خلدون خلط هذه الحوادث مع حوادث عام ٢٦٢هـ عندما
لجأ عبد الرحمن الجليقي إلى حصن مونت شلوط وتبعه هاشم
بن عبد العزيز إلى هناك ، وحاضره كما سبق أن أوضحنا .

وباستقرار ابن مروان في بطليوس في أواخر عهد الأمير محمد تبدأ
هذه المدينة في الظهور والتألق ، إذ حظيت بعنايته واهتمامه ، فأمرها
بالمنشآت العظيمة مدنية وحربية ، ويعتبر ابن الجليقي المؤسس
الحقيقي لهذه المدينة منذ أن نزلها للمرة الأولى في عام ٢٦١هـ (١٤٨)
(٨٧٤ م) ، وكانت بعد قرية (١٤٩) ، مهجورة (١٥٠) ، وكانت
بطليوس على الرغم من الأضرار الفادحة التي سببها حرق المنذر لها
في عام ٢٧١هـ (١٥١) (٨٨٤ م) ماتزال في حالة جيدة تؤهلها لأن تكون
مقرا لعبد الرحمن الجليقي ، ويؤكد ذلك التهديد الذي أرسله ابن مروان
الجليقي إلى الأمير محمد سنة ٢٧٢هـ (٨٨٥ م) بحرق هذه المدينة
لو تقدمت جيوش قرطبة خطوة إلى بطليوس (١٥٢) ، ولو أن بطليوس
كانت قد أحرقت حقا على يد المنذر في سنة ٢٧١ (٨٨٤ م) لما هدد
ابن الجليقي الأمير محمد بحرقها في سنة ٢٧٤هـ (٨٨٥ م) ، ولما
استجاب الأمير لطلب ابن الجليقي وأمر على الفور بسحب قوات
قرطبة .

-
- (١٤٦) ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص ٩٠ .
 - (١٤٧) البكري ، جغرافية الأندلس ، ص ١٢٢ ، حسين مؤنس ،
معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣٠٣ .
 - (١٤٨) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٧ ، ص ٢٨٩ .
 - (١٤٩) ابن عذاري ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٠٢ .
 - (١٥٠) ابن حيان ، المقتبس من أنباء أهل الأندلس ، ص ٣٥٥ .
 - (١٥١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٧ ، ص ٤١٦ .
 - (١٥٢) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٩٠ .

٣ - تمصير بطليوس :

تتفق جميع المصادر العربية على أن عبد الرحمن بن مروان الجليقي هو الذى أعاد بناء بطليوس ومصرها بأذن من الامير محمد (١٥٣) ، باستثناء الحميرى الذى يجعل بناءها بأذن من الامير عبد الله (وليس الامير محمد) ، يقول الحميرى « بطليوس بالاندلس من اقليم ماردة بينهما أربعون ميلا وهى حديثة الاتخاذ ، بناها عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقى بأذن الامير عبد الله له فى ذلك ... » (١٥٤) .

وواضح من اجماع المؤرخين على أن بناءها حدث فى عهد الامير محمد أن الحميرى تجاوز الصواب فى تأريخه لبناء بطليوس اذ أرجعه الى عهد الامير عبد الله بدلا من الامير محمد ، وربما كان السبب فى هذا الخطأ يرجع الى أن الحميرى كان يقصد تجديد الاسجال لعبد الرحمن بن مروان الجليقى على بطليوس لأن هذا التجديد هو الذى تم فى عهد الامير عبد الله (١٥٥) .

(١٥٣) يقول البكرى « ومدينة بطليوس حديثة الاتخاذ ، بناها عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقى بأذن الامير محمد ، لما أخرجه من قلعة الحنش .. » (انظر البكرى ، جغرافية الاندلس ، ص ١٢١) ويقول ابن حيان : « وكان أحد من وقع بهاشم بن عبد العزيز مع سعدون بن فتح السرنباقي بكركر فى أيام الامير محمد ، فل جيشه وأسره ، فألقاه بيد الفونسو ملك جليقية ففكه بفداء ثقیل ... وهو الذى بنى بطليوس ومذنها وكان ابن ابنه عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن رهينة عنده بقرطبة » (انظر ابن حيان ، المقتبس فى تاريخ رجال الاندلس ، ص ١٥) .

ويقول ابن عذارى « فأباح له الامير محمد الرحيل الى بطليوس والحوط بها ، وهى يومئذ قرية ، فخرج اليها وقفل عنه » (انظر ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٠٢ وانظر نص ابن القوطية فى تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٨٩ ، ونص ابن سعيد فى المغرب ، ج ١ ، ص ٣٦٣ ، ٣٦٤) .

(١٥٤) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٤٦ .
(١٥٥) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ٥٣ ، ويقول =

وبعد أن جدد الأمير عبد الله الأسجال للجليقي أرسل له ابن مروان يخبره بأنه لا يوجد في بطليوس مسجد جامع يدعو للامير فيه ، ولا حمام واحد يغتسل فيه المسلمون ، كما طلب منه أن يرسل اليه بعض العمال ليتولوا بناء الجامع والحمام ، ففتحول بطليوس من ذلك من مقرر لسكنى اهل البـوادي الى حاضرة هامة بين حواضر الاندلس(١٥٦) .

فانفذ الامير عبد الله عددا من البنائة وكمية من المال يستعين بها ابن الجليقي في اقامة المنشآت المذكورة ، فبدأ عبد الرحمن الجليقي ببناء المسجد الجامع واتخذه من اللبن والطابية ، اما صومعة الجامع فقد بناها من الحجر وجعل للمسجد الجامع مقصورة . كذلك أقام الحمام ، وكان موقعه على مقربة من أحد أبواب المدينة .

ولم يهتم ابن مروان بتجميل بطليوس وتزيينها فحسب وانما اهتم كذلك بتحسين المدينة وتحويلها الى قلعة منيعة(١٥٧) ، فالبكرى

= ابن حيان في ذلك « وفيها (أى في عام ٢٧٥هـ) أيضا استدعى عبد الرحمن بن مروان المعروف بابن الجليقي صاحب بطليوس من الامير عبد الله تجديد الاسجال له على ما بيده منها ومن ذواتها ، وذكر امتساكه بالطاعة ، فأجابه الى سئله ، وجدد الاسجالة له على ما في يده فأقام على سكونه » . وانظر البكرى ، جغرافية الاندلس ، ص ١٢٢ حيث يقول « فلما توطد له الملك كتب الى الامير عبد الله وقد تولى الامر أن يجدد له سجلا على بلده وعقدا على قومه المولدين ، فأجابه الى ذلك » . (١٥٦) البكرى ، جغرافية الاندلس ، ص ١٢٣ ، يقول البكرى « ثم كتب اليه الا مسجد جامع له يعلن فيه الدعاء للامير ولا حمام يغتسل فيه ، فهم على كثرتهم بادية وان تحضروا ، وسأله ان يرسل اليه فعلة يبنون له الجامع والحمام فيلحق البلد بالحواضر ، فأجابه الى ما اراد » .

(١٥٧) لقد سبق أن اوضحنا في الدراسة التمهيدية ان عبد الرحمن الجليقي باعتباره رجل ثورة اختار منذ البداية بطليوس دون البشرنل لاستراتيجية موقعها الذي يتحكم في مدخل نهر واديانه ولأن بها ربوة مرتفعة كانت منذ أقدم العصور مصدر قوة ومنعة =

وابن عذارى والحميرى يؤكدون على قيام الجليقى ببناء حصن قوى فى بطليوس ليكون مانعا لها ويقيها حصار اعدائه (١٥٨) . ويذكر ابن حيان ان سور قصبة بطليوس كبرى مدائن اهل الغرب ، عمل أميرهم الاول عبد الرحمن بن مروان الجليقى كان مبنيا « بترب الطابية المرزوم بالمداوس وبالطوب الشمس » (١٥٩) . وكما اهتم ابن الجليقى بالبناء الحرى نراه يحرص على اقامة مسجد خاص داخل القسبة (١٦٠) لانصاره وجنده ، واحاط بطليوس بسور كبير بناه من التراب (١٦١) . ولم يكن المسجد الجامع ومسجد الحصن المسجدين الوحيدين بالمدينة فقد اقيم بها عدد من المساجد اقامها الاهالى (١٦٢) من بينها مسجد بناه احد العلماء وهو على بن حسن بن شبوقة ، وكان كثير العلم متصرفا فى الادب والظرف ، وكان موثقا ، انصرف الى اشبيلية ، ومات بها فى أوائل أيام عبد الرحمن الناصر ، وقد عرف هذا المسجد باسمه (١٦٣) .

ونستدل من احدى التراجم التى أوردها ابن الفرضى ان عبد الرحمن بن مروان حرص على رفع بطليوس الى مصاف الحواضر الاندلسية الكبرى ، فاتخذ لها قاضيا ليفصل فى الخصومات بين الناس ، ويقيم العدالة بينهم ، فى الترجمة رقم ٥٨٤ يذكر اسم احد القضاة

-
- = دفاعية للمدينة ، وقد سبق ان اوضحنا فى نفس الدراسة اعمال ابن مروان الحربية التى تتمثل فى القسبة والحصن .
- (١٥٨) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٤٦ ، ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٠٢ ، البكرى ، جغرافية الاندلس ، ص ١٢٣ .
- (١٥٩) ابن حيان ، المقتبس ، الجزء الخامس ، نشرة شاليتا ، ص ٩٦ .
- (١٦٠) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٤٦ .
- (١٦١) المصدر السابق ، ص ٤٦ .
- (١٦٢) نفسه ، ص ٤٦ .
- (١٦٣) ابن الفرضى ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ٣٥٦ .

الذين استقضاهم عبد الرحمن بن مروان الجليقي ، وفي ذلك يقول
« سلمان بن قریش أصله من ماردة ، وسكن قرطبة حينما واستقضاه
ابن مروان ببطليوس ، ثم صار الى قرطبة فسكنها وسمع منه الناس كثيرا ،
وكان ثقة سمعت غير واحد من شيوخنا يثنون عليه ويوثقونه ، وكان
فصيحا بليغا ، وتوفي بقرطبة في المحرم سنة تسع وعشرين
وثلاثمائة » (١٦٤) .

(١٦٤) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ، ص ١٩٤ . ومنذ
ذلك الحين تبدأ بطليوس في التألق والازدهار ، وسيمهد ذلك
لكي تصبح في عصر الطوائف إحدى العواصم الاندلسية الزاهرة ،
خاصة في مجال العلم والادب ، ولا عجب إذ أن بطليوس كانت
إحدى مراكز المولدين في الغرب الاندلسي ، وقد نبغ من هؤلاء
المولدين العديد من العلماء الذين نشأوا في بطليوس ثم انتقلوا
منها الى غيرها من المدن مثل اشبيلية وقرطبة ، وقد بلغت
بطليوس مكانة علمية كبيرة نافست قرطبة فيما بعد ، ولا شك
أن الفضل في ذلك يرجع الى عبد الرحمن بن مروان الجليقي
مؤسس بطليوس الاسلامية .
انظر :

Abdel Ghafour Rozi, The Social role of scholars in Islamic
Spain, Boston University, 1983, P. 86-89)

الباب الأول

الفصل الثانى

بطليوس فى عهد خلفاء عبد الرحمن بن مروان

- ١ - السنوات الاربعة الاخيرة من عهد عبد الرحمن الجليقى .
- ٢ - بطليوس فى عهد عبد الله بن محمد حفيد ابن الجليقى .
- ٣ - سقوط دولة بنى الجليقى فى بطليوس عام ٣١٨ هـ .

الفصل الثانى

(١)

بطليوس فى عهد خلفاء عبد الرحمن بن مروان

منذ ان استقر عبد الرحمن بن مروان الجليقى فى بطليوس ، وهو يسعى جاهدا لجعلها حاضرة لامارة مستقلة ، فلم يلبث أن ضم اليها عددا من الاقاليم والحصون التابعة لها ، وأهمها مدينة ماردة (١) ، وحصن الحنش وحصن كركر وحصن منت شلوط وغيرها .

ولم يلبث ابن مروان أن تاق الى حياة المغامرة والغزو ، اما رغبة فى توسيع رقعة امارته ، او اشباعا لهوايته فى الغزو ، فلم يمض على مصالحته للامير عبد الله عام واحد حتى نكث عهده وعاد الى سيرته الاولى فى المروق والعصيان ، ودخل فى طاعته عدد من الثوار المعروفين فى تلك الآونة بالغرب الاندلسى ، ومنهم عبد الملك بن أبى الجواد الذى ثار فى باجة (٢) Beja وامتلكها ، وتحصن فى حصن مارتلة (٣) Mertola ، وكان من أكثر حصون الغرب حصانة وله نصيب من المنعة ، ومنهم بكر بن يحيى بن بكر زدلف (٤) الثائر فى مدينة شنت مريه Santa Maria de Algarve من كورة اكشونية Ocsonoba وبنائها حصنا اتخذ عليها ابوابا من الحديد ملبشة عجيبه الصنعة، وفيه

-
- (١) البكرى ، جغرافية الاندلس ، ص ١٢٣ .
(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق ملشور ، ص ١٥ ، ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٢٥ وراجع :
Lévi-Provençal, Op. Cit., P. 341
(٣) تقع مارتلة على نهر واديانه على مقربة من بطليوس ولها حصن مشهور بالمنعة والحصانة (انظر الادريسي ، المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس ، ص ١٧٩ ، الحميرى ، صفة لجزيرة الاندلس ، ص ١٧٥) .
(٤) كان جده زدلف Zaulfo عجميا (مسيحيا) مولى لبكر بن نجاد الاودى ، فسمى ابنه باسم مولاة (ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق ملشور ، ص ١٦) .

يقول ابن حيان « وكان له ترتيب واهبة ورجال شجعان وعدة موفورة .
وكان يتشبه في سلطانه بابراهيم بن حجاج ، وله أصحاب الرأى وكتاب
للعمل ، وكان له عهد مؤكد الى جميع من في طاعته باضافة أبناء السبيل
وقرى النزال ، وحفظ المجتازين ، فكان السالك بناحيته كالسالك بين
اهله وأقاربه (٥) ، « وكان هؤلاء الثلاثة ابن أبى الجواد وابن مروان
الجليقى وابن زدلف قائمين بدعوة المولدين ، والبأ على من خلفهم ،
ويدا على من خرج عنهم » .

ولكى نستطيع ان نتفهم دور الجليقى فى هذه الفترة يجب ان
نرسم صورة الاندلس بعد وفاة الامير محمد عام ٢٧٣هـ (٨٨٦م) .
أصبحت الاندلس جمره تلتهب بسبب الثورات المشتعلة ضد الدولة
الاموية فى كل مكان ، وشغل الامير المنذر فى السنتين اللتين قضاها فى
الامارة بمحاربة ابن حفصون (٦) ، ثم تولى الامير عبد الله عام ٢٧٥هـ
(٨٨٩م) فبادر بطلب الصلح من ابن حفصون (٧) ، ولكنه عجز عن
تسكين ثورة كورتى اشبيلية ولبله (٨) ، وكان يسكن باقليم الشرف من

(٥) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق ملشور ، ص ١٥ ، ١٦ ، ابن
عذارى ، البيان ، ج ٢ ص ١٣٧ .

(٦) تعد ثورة ابن حفصون عام ٢٧١هـ (٨٨٤م) نتيجة مباشرة
لثورات الجليقى ففى هذا العام هرب عمر بن حفصون من
قرطبة وقصد جبل ببشتر فأرسل الامير محمد جيشا لحربه ،
وواصل الامير توجيه عسكره لمحاصرته فى العام التالى (انظر
ابن الاثير ، الكامل ، ج ٧ ، ص ٤١٦ ، ص ٤٩ ، ابن عذارى ،
البيان ج ٢ ، ص ١٠٥) .

(٧) Martinez y Martinez, Op. Cit., PP. 71-72.

(٨) وفى ذلك يقول ابن حيان « وفى سنة ست وسبعين ومائتين
ثار بمدينة لبلة ، أيضا المعروف بابن عمرو من العرب
واسمه عثمان ، فتعصب على المولدين والمسألة واستدعى
سواد الناس فناروا معه على عمرو بن سعيد القرشى عامل
الامير عليهم ، فدخلوا عليه بدار الامارة ونهبوا رحله وأخرجوه
عن المدينة . وثار بجبل العيون من حصون لبلة المعروف بابن
عفير ، فاتصلت الفتنة بكورة لبلة كلها ، وامتدت شرقا الى ما =

اشبيلية الحضارمة ويتزعمهم كريب بن خلدون الذى نجح فى توحيد القبائل اليمانية باشبيلية ولبلة وشذونة ضد قرطبة (٩) ، وراى أن يظهر ضعف الدفاع عن اشبيلية حتى يضمن التفاف العرب حوله ، فأوهم قبائل البربر المقيمة فى ماردة ومدلين بأن كورة اشبيلية قد بلغ بها الضعف الى حد يسهل معه الاغارة عليها وانتهابها . فسال لعاب البربر ، وتلهفوا على الاغارة عليها ، ولم يترددوا فى غزو طلياطة من قرى اشبيلية ، وقتلوا سكانها ، واستباحوا اموالهم ، وعندئذ خرج الى اشبيلية موسى بن أبى العاصى واستنفر سكان الكورة للدفاع عن بلدهم ، وعسكر على مسافة ثلاثة أميال من طلياطة على كوم من جبل يسمى جبل الزيتون (١٠) . وعند اللقاء تخاذل كريب عن عامل اشبيلية وفر

= يتصل بها من قرى اشبيلية وغربا الى ما يتصل من كورة باجة (انظر ابن حيان ، المقتبس فى تاريخ رجال الاندلس ، ص ٦٧) كما يفكر ابن حيان فى اخبار ثورة اشبيلية « وفى سنة ست وسبعين ومائتين ، هاجت الفتنة بكورة اشبيلية أيضا واضطرب أهلها على سلطان الجماعة الامير عبد الله ثم خرجوا الى المعصية ... فكان أول من أظهر الخلعان بها واثنى بأهل المعصية وسعى فى تفريق الكلمة كريب بن عثمان بن خلدون ، وكان امرىء سوء مصرا على الغش مبغضا للخلفاء ، فلما ارتضم أهل الكور حوله فى الشقاق ، وتتابعوا فى المعصية ، سما الى مناغاتهم مخالف سليمان بن محمد بن عبد الملك الثائر بكورة شذونة وعثمان بن عمرو الثائر بكورة لبلة وجنيد بن وهب القرمونى من البربر البرانس (انظر ابن حيان ، المقتبس فى تاريخ رجال الاندلس ، ص ٦٨) .

(٩) وفى هذا يقول ابن حيان « وكان دعوة كريب هذا من العرب فى يمن من قبل حضر موت ودعوة ابن عبد الملك الشذونى فيهم من لخم ، ودعوة ابن عمرون اللبلى فيهم أيضا من خشين ، فلما ظهر تألبهم فى عروبتهم ناغاهم الموالى والمولدون من أهل حضرة اشبيلية بتوالدهم ، فخافوا المضربين من العرب والبتتر من البربر من أهل كورة مورور مضادين لكريب بن عثمان من فعله ودعوته الى اليمانية ... » (المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ٦٨) .

(١٠) ابن حيان ، المقتبس انطونية ، ص ٦٩ ،
Martinez y Martinez Op. Cit., P. 72.

مع قسم كبير من جيش اشبيلية ، فاضطر موسى بن أبى العاصى الى الانسحاب ، وتحصن فى قرية وبر من اقليم البر ، وعاد البربر الى احتلال طلياطة وأقاموا بها ثلاثة أيام يعيشون فسادا ، ونهبوا كل منطقة الشرف، وملثوا أيديهم بما غنموه فى كل جهات الكورة، ثم عادوا الى بلادهم (١١) ، ولما علم ابن مروان بخبر هذه الغزوة وضعف الدفاع عن كورة اشبيلية عزم على غزوها بدوره ، وبث غاراته على نواحيها تحقيقا لهدفين : أولهما الظفر بأكبر قدر من الغنائم (١٢) وأحرار مزيد من الانتصارات مما يقوى موقفه امام السلطة المركزية بقرطبة . والثانى مساعدة (١٣) كريب بن خلدون على مهاجمة اشبيلية ونهب احوازها . فخرج فى اواخر سنة ٢٧٦هـ (٨٨٩م) على رأس قوة من عسكره من بطليوس ونزل بقرية مورة ، وتقع بما يبعد عن اشبيلية بنحو ثلاثة فراسخ ، ومن هنا أخذ يشن الغارات على نواحيها ، وانتهيت قواته جميع المواضع التى مرت بها دون أن تعترضه أى قوة الى أن ملا عسكره أيديهم بالغنائم ، وأشبع رغبته ، فقفل عائدا الى بطليوس ، وأثبت ابن الجليقى بهذه الغارة عجز الامير الاموى ووهنه ، كما استثار غضب الرعية على أميرهم وشجع أطماع أهل الشر فى كل مكان ، ونستخلص من ذلك أن عهد الامير عبد الله كان يموج بالفوضى والفتن والاضطرابات الى حد أن الامير عبد الله لم يكن يسيطر الا على قرطبة (١٤) وحدها ، فالعرب تظاهروا بعصبيتهم وظهر منهم زعماء استقلوا عن قرطبة مثل كريب بن خلدون زعيم الحضارمة فى شرف اشبيلية (١٥).

(١١) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٦٩ .

(١٢) نفسه ، ص ٦٩ ، ٧٠ .

(١٣) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الاندلس ، ص ٣٣٩ .

(١٤) Martinez y Martinez, Op. Cit., P. 74.

(١٥) وظهر كذلك ابراهيم بن حجاج الذى ملك اشبيلية وقرمونة ، وكان أبوه حجاج بكرى فى الوقعة التى اسر فيها هاشم بن عبد العزيز ثم ثار ابنه فيما بعد على الامير عبد الله (انظر ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ص ١١) .

Aljarafe de Sevilla وعبد الله بن حجاج مع اللخمين في فحص لبلة Niebla ، وابن عطاف في منطقة منتيشة ، Mentusa ، وابن السليم في مدينة شذونة Medina Sidonia ، وابن وداد في لورقة Lorca ، والانقرفي سرقسطة Zaragoza (١٦) ، كذلك ظهر من البربر زعماء عصابات منهم الطماشكة (١٧) وبعض قطاع الطرق ما بين قرطبة واشبيلية ، وأسس بعضهم دويلات أمثال موسى بن ذى النون وأولاده في شنت برية Santa Maria de Albarracin واقليش Uclés (١٨) ، وملقون Malagon ، وقونكة Cuenca ، ونواحي طليطلة (١٩) Toledo . ومنهم عمر بن مضم الهترولى المعروف بالملاحى في جيان (٢٠) Jaen ، وزغال بن يعيش بن فرائك النفزاوى بحصن أم جعفر من بلاد الجوف من عمل ترجماله (٢١) Trujillo باقليم ماردة (٢٢) ، وثار بناحية الثغر الادنى أيام الامير محمد من البربر أيضا محمد بن تاكيت المصمودى من لجدانية بين نهر دويره ونهر تاجه ، وفي قورية Coria وقلمرية Coimbra وشنترين (٢٣) Santarem ، الذى زحف الى ماردة وكان ينزل بها على أيام الامير محمد جند من العرب وكتامة ، فاستطاع بذكائه ودهائه أن يخرجهم من ماردة ، واستقر بها هو وقومه من مصمودة (٢٤) ، فزحفت اليه جيوش

-
- (١٦) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٣٧ ،
Martinez y Martinez, Op. Cit., P. 73.
- (١٧) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ٧٠ .
(١٨) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ١٧ - ١٩ .
Martinez y Martinez, Op. Cit., P. 74.
- (١٩) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ٢٥ .
(٢٠) المصدر السابق ، ص ٢٢ .
(٢١) Lévi-Provençal, Histoire, t. I P. 34, Note I, la péninsule iberi-
que, P. 252.
- (٢٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د . مكى ، ص ٣٦٣ ، وهامش ١ ،
ابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ٢٨٩ ، محمد عبد الله عنان ،
دولة الاسلام في الاندلس ، ص ٣٣٩ .
(٢٤) ابن خلدون ، العبر ، مجلد ٤ ، ص ٢٨٩ .

الامارة من قرطبة ، فاستعان بعبد الرحمن بن مروان الجليقي الذي لم يتردد في القدوم من بطليوس لمساعدته . وظلت جيوش الامارة تحاصرهم شهورا ثم رحلت بعدها الى قرطبة ، فبادر باعلان استقلاله بماردة فاثار غضب الجليقي الذي كان قد ضمها الى دولة بطليوس ونشبت بينهما الكراهية والعداوة (٢٥) ، واشتبكوا في بعض المعارك التي أسفرت عن هزيمة ابن تاكيت أمام ابن مروان في لقنت Fuente de Canto ، وقد سجل ابن خلدون هذه الوقائع في النص التالي « وعظمت الفتنة بينه وبين عبد الرحمن صاحب بطليوس بسبب مظاهرتة عليه ، وحاربه فهزمه ابن مروان مرارا كانت احداها على لقنت ، استلحم فيها مصمودة ، فقصت من جناح ابن تاكيت ، فاستجاش بسعدون السرنباقي صاحب قلنيرة (٢٦) فلم يغنه ، وعلا كعب ابن مروان عليهم وتوثق أمره وطلبه ابن حفصون في الولاية فامتنع ثم هلك سنة ... أيام الامير عبد الله » (٢٧) .

وبهذا يتضح لنا دور عبد الرحمن بن مروان في الثورة على الامارة وصراعه الاخير مع ابن تاكيت وانتصاره عليه ، ولم يرد تاريخ وفاته في المصادر العربية وان كان ابن خلدون قد أكد كما جاء في النص أنه توفي أثناء حكم الامير عبد الله . ويعتقد معظم المؤرخين المحدثين وعلى رأسهم ليفي بروفنسال (٢٨) و د . محمود مكي (٢٩) و د . عبد الرحمن (٣٠) الحجى انه توفي في عام ٢٧٦هـ / ٨٨٩م .

(٢٥) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د . مكي ، تعليق ٥٩٦ ، ص ٦٤٣ ، Lévi-Provençal, Histoire t. I, P. 441.

(٢٦) صحتها قلنيرة (Coimbra)

(٢٧) ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج ٤ ، ص ٢٩٠ وراجع أيضا ، محمود على مكي ، المقتبس لابن حيان ، حاشية رقم ٥٧٧ ، ص ٦٣٠ .

(٢٨) Lévi-Provençal, Histoire, t. I, P. 386.

(٢٩) د . محمود على مكي ، المقتبس ، ابن حيان ، حاشية رقم ٥٧٧ ، ص ٦٣٠ .

(٣٠) عبد الرحمن الحجى ، أندلسيات ، المجموعة الثانية ، بيروت =

وشجع اختفاء عبد الرحمن الجليقي من مسرح حوادث غرب
الاندلس على ظهور دولتين في الغرب : الاولى دولة عبد الملك بن ابي
الجواد في باجة ، ودولة بكر بن يحيى بن بكر في شنتمرية الغرب ،
وكلاهما كان تابعا لعبد الرحمن الجليقي . وهكذا تمزقت دولة عبد
الرحمن بن مروان الجليقي عقب وفاته ، أما عن أبناء ابن الجليقي فلا
نعرف عنهم الا أخبارا بسيطة عن أبنيه مروان ومحمد .

(٢)

بطليوس في عهد عبد الله بن محمد حفيد ابن الجليقي

(١) بطليوس في مرحلة الانتقال بين رئاسة عبد الرحمن الجليقي
وحفيده عبد الله :

أما ابنه الاول مروان فقد خلف أباه عبد الرحمن على حكم بطليوس
وذلك في عام ٢٧٦هـ (٨٨٩ - ٨٩٠ م) أو بعدها بقليل ، ولكن حكم
مروان لم يطل اذ توفي بعد توليه أمر بطليوس بشهرين . قال أمرهم
بعد وفاته الى الأمير عبد الله ، فعقد على بطليوس لأمرين عربيين ، ربما
فر بمقدميهما من كان ببطلليوس من أعقاب عبد الرحمن بن مروان
الجليقي الى حصن شونة ، هما مروان وأخوه عبد الله حفيدي عبد
الرحمن الجليقي لابنه محمد (٣١) . ولم يلبث الخلاف أن دب بين والي

= ١٩٦٩ ، ص ١١٨ ويرجح د . مكى أن تكون وفاة عبد الرحمن
بن مروان حدثت في سنة ٢٧٦ استنادا الى أن ابن حيان
ذكر أنه خرج في عام ٢٧٦هـ لغزوة قرية مورة ثم صمت عن ذكر
أخباره بعد ذلك (ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ،
ص ٦٩) .

(٣١) ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٤ ، ص ٢٩٠ . يقول ابن خلدون في
ذلك « ثم هلك أثر ذلك سنة ٠٠٠ أيام الأمير عبد الله وولى
ابن عبد الرحمن بن مروان ، وأثخن في البرابرة المجاورين
له ، وهلك لشهرين من ولايته ، فعقد الأمير عبد الله على بطليوس
لأمرين من العرب ، وأحق من بقى من ولد عبد الرحمن بحصن
شونة ، وكانا اثنين من أعقابه وهما مروان وعبد الله ابنا ابنه
محمد ، وعمهما مروان » .

ببطلوريوس ، ربما بسبب التنازع على ولاية المناطق التابعة لببطلوريوس وقتل أحدهما الآخر ، وشق عصا الطاعة على الامير عبد الله واستقل ببطلوريوس ، وما أن علم عبد الله حفيد عبد الرحمن الجليقي بهذه الاخبار حتى أسرع بمهاجمة المدينة وقتل حاكمها وسيطر على ببطلوريوس وامتلكها ، واشتد خطره حتى أعاد الى الازهان تاريخ جده عبد الرحمن ، فقد أثنى في حصون البربر المحيطة به ، وبث الغارات على نواحي ببطلوريوس وأرغم سكانها على بذل الطاعة ، واستكمل قتال جده لابن تاكيت صاحب ماردة . ويبدو أن هذه الحرب لم تكن ذات طائل ، فقد اصطلحا ودخلا في طاعة الامير فترة قصيرة لم تلبث أن تجددت الحرب بينهما حتى أواخر أيام الامير عبد الله (٣٢) . وكان عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الجليقي هو نفس عبد الله الذى ذكره ابن حيان فى المقتبس بقوله « وكان ابن ابنه عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن رهينة عنه بقرطبة ، أقام بدار الرهن فيها مدة وآلت اليه امارة ببطلوريوس بعد جده وعمه وأخبارهم طويلة » (٣٣) .

وتصمت المصادر العربية عن تزويدنا بأخبار عن أسرة بنى عبد الرحمن بن مروان الجليقي بعد وفاة ابنه مروان سنة ٢٧٦هـ (٨٨٩م) ، كما أن ابن خلدون وهو المؤرخ الوحيد الذى يرجع اليه الفضل فى توضيح هذه الفترة الغامضة من تاريخ ببطلوريوس لم يأت

(٣٢) ويقول ابن خلدون « ثم خرجا من حصن شونة ولحقا بآخر من أصحاب جدهما عبد الرحمن ، ثم اضطرب الاميران ببطلوريوس وتنازعا ، وقتل أحدهما الآخر واستقل ببطلوريوس ، ثم تسور عبد الله منها سنة ست وثمانين فقتله ، وملك ببطلوريوس واستفحل أمره والمعجل له الامير عبد الله عليها . ونازل حصون البرابرة حتى طاعوا له وحارب ابن تاكيت . صاحب ماردة . ثم اصطلحوا وأقاموا جميعا طاعة الامير عبد الله ، ثم تحاربوا فاتصلت حروبهم الى دولته . » (أنظر ابن خلدون ، العبر ، مجلد ٤ ، ص ٢٩١) .

(٣٣) ابن حيان ، المقتبس فى تاريخ رجال الاندلس ، تحقيق انطونية ، ص ١٥ - ابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ٢٩١ .

بتفاصيل عن حوادث بطليوس في الفترة بين مقتل مروان بن عبد الرحمن وبين اعتقال عبد الله عام ٢٨٦هـ (٨٩٩ م) ملك بطليوس ، ويأتينا كوديره بخبر غريب عن أحداث عام ٢٨٦هـ (٨٩٩ م) فهو يذكر أن الأمير عبد الله قتل الثائر في بطليوس واستولى عليها سنة ٢٨٦هـ (٣٤) (٨٩٩ م) . وهذا خطأ واضح ، فقد خلط كوديره بين الأمير عبد الله بن محمد وبين عبد الله بن محمد بن مروان الجليقي الذي تمكن من قتل صاحب بطليوس في تلك السنة (٢٨٦ هـ) (٨٩٩ م) .

وواضح أن كوديرة قد فسر النص التالي الذي أورده ابن خلدون « ثم تسور عبد الله منها سنة ست وثمانين ، فقتله وملك بطليوس ، واستفحل أمره والمعجل له الأمير عبد الله عليها » (٣٥) تفسيراً خاطئاً ، فظن أن عبد الله الذي أورد ذكره أولاً هو الأمير عبد الله وهذا غير صحيح ، فلو أن الأمير عبد الله هو المقصود بالهجوم على بطليوس سنة ٢٨٦ (٨٩٩ م) لما عبر ابن خلدون عن ذلك بقوله (وملك بطليوس) لأن بطليوس ملك طبيعي للإمارة ، هذا من جهة ، إلى جانب تعبير ابن خلدون بقوله « واستفحل أمره » ، وهذا يدل على أن المقصود هو عبد الله الجليقي ، فليس من المنطقي أن يستفحل أمر الأمير ، ثم قول ابن خلدون (والمعجل له الأمير عبد الله) يؤكد أن الجليقي هو المقصود بهذه الأعمال بدليل أن الأمير عبد الله قد عجل بالهجوم على المدينة بعد أن علم بتحركات الجليقي واستيلائه على بطليوس ، وأخيراً فابن خلدون حين يعنى الأمير عبد الله ، لا يحذف عنه لقبه الأميري ، وهذا يؤكد أن عبد الله حين ذكر في العبارة ، لأول مرة ، كان يعنى به عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الجليقي ، وإن

ابن خلدون قد فرق بين الثائر وبين الأمير بأن منح الأمير لقبه قبل بدء الحديث عنه .

وينبغي أن نشير بهذه المناسبة الى أن اختلاف الواليين العربيين اللذين ولاهما الأمير عبد الله على بطليوس وتنازعهما على ولايتها وولاية ما يتبعها من أقاليم قد ترتب عليه خروج بعض المدن التابعة لامارة بطليوس عليها ، ويزودنا كل من ابن حيان (٣٦) وابن عذارى (٣٧) بخبر نستنتج منه أن حصن كركى وجبل البرانس انفصلا عن ولاية بطليوس فاستقل بهما ابن يامين وابن موجول من اعلام المخالفين ، الامر الذى دفع الأمير عبد الله الى توجيه حملة بقيادة عباس بن عبد العزيز القائد الى هذين الموضعين ، وتمكن من قتلها ، والاستيلاء على حصونهما في سنة ٢٨٥هـ (٨٩٨م) .

(ب) موقف بطليوس من حركة ابن القط :

في عام ٢٨٨هـ (٩٠٠م) اجتاز أهل بطليوس أحداثا خطيرة ، شملت بلاد الجوف كلها ، ماردة وبطليوس وطليطلة ، وطلبيرة ، وتتمثل هذه الاحداث في خروج الداعى المعروف بابن القط القرشى لقتال مملكة ليون ومن ورائه اهالى الجوف جميعا يساندونه ويجاهدون معه فى سبيل الله (٣٨) . وكانت بطليوس فى تلك الاونة تحت سيطرة عبد الله بن الجليقى .

(٣٦) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ١٢٧ .
(٣٧) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٣٨ ، حوادث سنة ٢٨٥هـ (٨٩٨م) .

(٣٨) يقول ابن حيان عن ابن القط ودعوته لأهل الجوف « فنزل نفزة عند بنى راشد على وادى أنة فأقام لديهم شهورا ، وأظهر شأنه عندهم ، وخاطب من حوله يدعوهم ويعدهم ويمنهم حتى استجاب له أهل ذلك الجانب ، واجتمع اليه جمع منه ثم ارتقى الى مكاتبة أهل ماردة وبطليوس وطليطلة وذلك الثغرفسارعا =

وابن القط هذا هو أبو القاسم أحمد بن معاوية بن محمد المعروف بالقط بن هاشم بن معاوية ابن الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل، وكان من أهل العناية بالعلم والصناعة ، ومن المهتمين بوجه خاص بعلم النجوم ومعرفة الهيئة ، وكان وسيما حسن الصورة (٣٩) . وقد خرج على الأمير عبد الله داعيا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الى الجهاد في سبيل الله ، وقد ساعد ابن القط في دعوته هذه شخص يعرف بأبى على السراج المعروف بالزاهد (٤٠) ، دعاه ورغبه في الجهاد ضد الشرك وخرجا معا الى فحص البلوط Canton de los Pedroches ، وجبل البرانس Tierra de Almaden يدعوون البربر سكان الجوف والغرب الى الحق وازهاق الباطل ، ويرغبان هؤلاء القوم في الجهاد ، ويصوران لهم

= اليه . . » (انظر ابن حيان : المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ١٣٧ ، ١٣٨) .

ويقول ابن حيان أيضا « وتجول في بلاد البربر هناك يظهر لهم الزهد ويدعو الى جهاد الكفرة ، فاجتمع له خلق عظيم من برابر الجوف والغرب ومن أهل طليطلة وطلبيرة اقتحم بها أرض جليقية ، فقصدها منها مدينة سمورة وذلك سنة ثمان وثمانين » (انظر ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ١٣٩) .

(٣٩) ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ٣٦٨ وقد قيل في جماله شعرا هو :

اعجوبة ما سمعت قط

قالوا : رشا والسده قط

قد قلدوك السيف يا سيدي

والقـرط أولى بك والـرط

(٤٠) ذكر ابن حيان أن هذا الرجل كان من شرار الخلق ، كان يتردد بجهات الفجر مخيلا بالجهاد ، واشتهر بخبث الطوية وسوء النية (ابن حيان : المقتبس ، تحقيق انطونية ص ١٢٧) وذكر عيسى بن أحمد الرازي نقلا عن ابن حيان أنه كان يلبس ثياب صوف وفي رجليه نعلان من حلفاء ، يركب حمارا (ابن حيان ، نفس المصدر ، ص ١٣٨) ويشبهه ليفي بروفنسال بالثائر الخارجي أبى يزيد مخلد بن كيداد اليفرنى في جبال أوراس أفريقية على الدولة الفاطمية . انظر : Lévi-Provençal Histoire de L'Espagne musulmane, t. I, P. 382.

ضعف الامير عبد الله في مواجهة اعداء الدين ، ونجحا في دعوتهما فانثالت عليهما حشود من اهل هذه المنطقة تمكنت دعوتهما في نفوسهم ، فاستألفا قبائلهم ، واستغفوا طرائقهم ، وأعميا بصائرهم (٤١) .

ومما لاشك فيه أن ابن القط استغل ما عرف به البربر من سذاجة وسرعة الايمان بالمعتقدات الدينية ، وهى ظاهرة وضحت عند البربر منذ ايام الفتح العربى للمغرب ، استغلها قبله عقبسة بن نافع احسن استغلال ، كما استغلها ايضا الداعية الاسماعيلية أبو عبد الله الشيعى .

وزحفت هذه الحشود الكثيفة من فحص البلوطالى فحص ترجيلة Trujillo حيث قبيلة نفزة البربرية ، فزعم انه المهدي ، ناصر الدين وعاصم المسلمين ، وهو بذلك قد سبق عبد الله المهدي وداعيته أبى عبد الله الشيعى بأعوام (٤٢) . فانضم اليه اهاالى تلك المنطقة،ومن هناك وجه ابن القط دعائه ورسله (٤٣) الى جميع سكان الجوف والغرب ومن بينها أهل ماردة وبطليوس (٤٤) ، يدعوونهم الى الجهاد معه ويعدونهم بالنصر على أهل جليقية ، ، ولم يلبث ابن القط أن افصح عن هدفه الحقيقى وهو الاستيلاء على سمورة Zamora التى قام الفونسو بتعميرها سنة ٢٨٠هـ (٨٩٣م) وأسكنها بالنصارى ، واتخذها مقرا لحكمه ، ومركزا لتوجيه الغزوات الى دار الاسلام ، وأصبحت تشكل تهديدا متواصلا على أراضى المسلمين لقربها منها ، وبعد ليون ، المقر

-
- (٤١) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ١٣٣ ، ١٣٤ .
(٤٢) Lévi-Provençal Op. Cit., P. 383.
(٤٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ١٣٤ . ويقول ابن الابار « واجتمع اليه خلق عظيم يقال انهم بلغوا بين خيل ورجل ستين ألفا أكثرهم من برابر الجوف والغرب ، ومن أهل طليطلة وطلبيرة ، قصد بهم الى سمورة . » (انظر ابن الابار ، الحلة السراء ، ج ٢ ، ص ٣٦٩) .
(٤٤) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ١٣٨ .

السابق لملكة جليقية عنها ، وسبب انتقال الفونسو الثالث الى سمورة انزعاجا للمسلمين ، وعظم عليهم امتداد مملكة اشتوريش وليون الى ذلك ، وقد نال المسلمون من هذه المدينة اضرارا شديدة بسبب سهولة طرق قوات اشتورياش منها الى اراضيهم ، واستعصائها على المسلمين لناعتها وقوة بأس حمايتها ، بالاضافة الى انشغال الدولة الاموية عنها بقتال اهل الخلاف عليها بوسط الاندلس ، وانشغالهم عن المسلمين بصفة مؤقتة بخلاف الداخلية ، مما ترتب عليه انقطاع الجهاد . ولكن المسلمين في مناطق الثغر كانوا يخشون اليوم الذى يفض فيه ملوك المسيحية خلافاتهم فينصرفون اليهم ، ويعبر ابن حيان عن مخاوف المسلمين بقوله : « وصار اهل كل بلد من الثغور وما جاورها مضطرين الى مسالة المشركين وملاطفتهم لما بينهم وبين جيرانهم من داء الفتنة ، فهم مع ذلك يتهاقنون الى الجهاد ويتطلعون الى دخول ارض العدو ، فلا يجدون الى ذلك سبيلا ، ولا عليه معينا ، فلما وردتهم رسل هذا الرجل وقرعوا كتبه ، طابت أهواؤهم فخرجوا نحوه مبادرين اليه ، مستبقين نحوه ، كانما صبح فيهم لقدر مكتوب وحين مجلوب ، وصاروا اليه على الصعب والذلول (٤٥) » . وبلغ عدد انصار ابن القط من الفرسان والمشاة نحواً من ستين ألفاً أو أكثر ، خرج بهم من نفزة متجها الى سمورة ، حديثة الاستيطان ، وعبر بجموعه وادى تاجه وهو يعدهم بفتح سمورة وغيرها ، ولنا أن نتصور مدى افتتان هذه الحشود الضخمة من المريدين به ، وهو ما صورته ابن حيان عند وصفه للطريقة التى كان يحتال بها ابن القط على انصاره ، فكان يتكهن لهم ويدعى ما يشبه المعجزات والكرامات الى غير ذلك من الاوهام التى يتغلب بها على عقول هؤلاء البربر البسطاء (٤٦) .

(٤٥) ابن حيان ، نفس المصدر ، ص ١٣٤ .
(٤٦) يقول ابن حيان « وعبر بجموعه وادى تاجه وهم معض (معصوبون) مزدلفون الى قربه ، وهو يتكهن لهم ويعددهم بفتح سمورة وما وراءها ، ويقول لهم أنه لن يأتى مدينة ويدنو =

ولحق بابن القط مزيد من المريدين الجدد من أهالى طليطلة وطلبيرة Talavera ، ووادی الحجارة Guadalajara ، وشنت برية Santaver ، وفى نفس الوقت بدأ الخلاف ينشب بينه وبين أنصاره القدامى من أهل نفزة ، فقد خاف رئيسهم وهو زعال بين يعيش بن فرانك النفزاوى أن يغلبه ابن القط على رئاسة قومه فقرّر أن يفتك بابن القط ، وأن يغدر به ساعة لقائه مع العدو (٤٧) ، ثم زحف ابن القط فى حشوده حتى نزل على ضفة وادى دويره بالعدوة التى تلى ديار الاسلام ، وعسكر أمام سمورة . ومن هناك كتب الى اذفنش بن اردون (الفونسو الثالث) ملك أشتوريش وليون يدعوه الى الاسلام وينذره بالصاعقة منه . وكانت النتيجة ان غضب الفونسو وصمم على قتال ابن القط ، وذهب الى سمورة يعدها للقتال ، ثم أقام على ضفة نهر الوادى الكبير التى تلى سمورة . ثم اشتبك الفريقان على ضفة نهر دويره ازاء

= الى سورها الآخر قدامه وانفتحت له ، حتى فتن به كثير من الناس ، جهلة أتباعه ، وأقاموه مقام النبى الصادق قوله ، لضعف عقولهم وسفاه أحلامهم ، وكان يركب فرسا نضاحا كثير العرق ، فسأله بعضهم عن سبب كثرة عرقه بحيث لا يعرق خيولهم فقال : انى ما أمره بمكان أحاول تجاوزه الا وملائكته تجذبني للمقام عندهم وملائكة المكان الذى أوامله تنازعهم وتستكرنى الى مكانها ، فلهذا ما ترون من عرق فرسى ، وزعموا أنه كان يأخذ عدة أعواد يابسة فيضعها فى كفه ويشد عليها شبه المعتصر حتى يقطر منها رشح يشبه الماء بحيلة من الشباز قد أحكمها يخيّل أنه له ويقول هذه من بعض ما أعطانيه الله من الكرامة وسأريكم أكثر من هذه فى أوقاته ان أكر الله المدة ، ومضى بهم على جهته يوم سمورة ٠٠٠ » (انظر التفاصيل ، ابن حيان ، المقتبس تحقيق انطونية ، ص ١٢٥) .

(٤٧) ويمضى ابن حيان فى سرد تفاصيل علاقة ابن القط باتباعه الجدد وكيف أساء ابن القط استقبال هؤلاء الانصار ، وكيف خرج لهم على حصان أشهب بثياب بيضاء وعمامة بيضاء، وكيف اختال أمامهم بفرسه فكاد يقع أمام قبته مما أساء اليه وإلى مكانته أمامهم (انظر التفاصيل فى ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ١٣٥) .

سمورة ، فانهزم عسكر الفونسو عند أول لقاء وولوا الادبار ، فطاردهم رجال ابن القط وحصروا النصارى عند واد وعريقع قريبا من سمورة يقال له وادى اردونى فأبادوهم ، وجد فلولهم فى الفرار الى مدينتهم ، فجاءت هزيمة الاشتوريين على غير هوى زعال بن يعيش اذ كان يأمل فى أن تدور الدائرة على ابن القط حسدا فيه ، وعندئذ عزم زعال هو وقومه على خذلان ابن القط فنأدى بشعار الهزيمة ، وانسحب من المعركة هو واتباعه النفزيين ، فاقتدى بهم الناس ، ورجع أكثرهم ، فانتهز الفونسو هذه الفرصة وكرت عساكره على المسلمين ، وأذرعوا فى صفوفهم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، عند عبورهم النهر ، وكانت كارثة محققة على المسلمين استمرت ثلاثة أيام وانتهت فى اليوم الرابع بهزيمة نكراء منى بها ابن القط ورجاله ، ولقى فيها مصرعه فى ٢٠ رجب ٢٨٨هـ (١٠ يوليو سنة ٩٠١م) ، فاحتز رأسه وأمر الفونسو بنصبه على باب سمورة ، وعرفت هذه الواقعة بيوم سمورة (٤٨) .

وبمقتل ابن القط تنتهى الاحداث التى عاشتها بطليوس فى زمن الامارة فى ظل واليهم الثائر عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الجليقى ، حيث أن المصادر لا تمدنا بأى معلومات عن الفترة الواقعة بين حركة ابن القط عام ٢٨٨هـ (٩٠٠م) وبين اعتلاء عبد الرحمن الناصر دست الامارة بقرطبة سنة ٣٠٠هـ (٩١٢م) ، وهذا يعنى سكوت المصادر عن تحركات عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الجليقى فى أثناء الاعوام العشرة الاخيرة من حكم الامير عبد الله الى أن يرد ذكره من جديد فى المقتبس لابن حيان فى حوادث عام ٣٠١هـ (٩١٣م) فى عهد عبد الرحمن الناصر .

(٤٨) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ١٣٨ - ١٣٩
وراجع التفاصيل فى :

Cotarelo, Historia de Alfonso III, el magno, P. 265.

Aguado Bleye, Op. Cit., t. I, P. 483.

ونستدل من رواية ابن خلدون على أن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الجليقي أقام على طاعة الأمير عبد الله فترة من الوقت ثم شغل بمحاربة جيرانه بالغرب ، فاتصلت حروبهم حتى نهاية عصر الامارة (٤٩) ، وواضح من رواية ابن خلدون أن الفترة التي أقام فيها عبد الله بن محمد بن الجليقي على طاعة الأمير عبد الله كانت موقوته ، وانتهت بقيام الحروب بينه وبين جيرانه ، ونعتقد أن هذه الحروب إنما نشبت بينه وبينهم بهدف توسيع رقعة اراضيهِ ، ومد نفوذه على المدن والمواضع القريبة من بطليوس . ومن الواضح أن نفوذ عبد الله بن الجليقي صاحب بطليوس كان يشتمل على مدينة ماردة ويابرة وبعض الحصون كحصن أروش وقلعة الحنش ومنتانجش ومنت شلوط ، كما تحالف مع بعض الثوار أمثال مسعود بن سعدون السرنباقي وكان متحصنا بحصن نياني (٥٠) ، ومسعود بن ادانس صاحب قصر ابن ادانس (٥١) ، وسنرى كيف ثار عليه بعض القائمين بدعوة المولدين في الغرب في بداية عهد عبد الرحمن الناصر ، وعمدوا الى ضم بطليوس اليهم والقضاء على دولة بنى مروان الجليقي واعنى بهم الحلفاء الثلاثة سعيد بن مالك صاحب باجة (٥٢) ، ويحيى بن بكر صاحب اكشونبه صهره ، وابن عفير صاحب لبلة (٥٣) ، اتفقوا على محاربة ابن الجليقي .

-
- (٤٩) ابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ٢٩١ .
(٥٠) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١٠٤ .
(٥١) المصدر السابق ، ص ١٠٦ .
(٥٢) كان قد أخرج العناصر العربية من باجة وتزعم دعوة المولدين ممثلا ما كان قد حققه عبد الرحمن بن مروان الجليقي من قبل في رئاستهم وتشيوخهم على جماعتهم .
(٥٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١١٦ - ١١٧ .

(ج) بطليوس في ظل السنوات الثلاثة الاولى من عهد عبد الرحمن
الناصر :

في بداية عام ٣٠١هـ (٩١٣م) فاجأ أردون بن اذفونش (٩١٤
م - ٩٢٤م) ملك اشتوريش وليون (٥٤) أهالي مدينة يابرة بغزوهم ،

(٥٤) توفي الملك الفونسو الثالث في (٢٩٨هـ) في ٢٠ ديسمبر سنة
٩١٠م اثر مرض قصير وقد بلغ من العمر ٦٢ عاما ، وكان قد حكم أربع
سنوات حكما مشتركا و ١٣ سنة منفردا . فقد كان قد أسند
الى أردون Ordoño حكم مملكة جليقية في حين تولى ابنه
الأكبر غرسيه Garcia حكم مملكة ليون وابنه فرويله Fruela
حكم الشتوريش ، ونونة فراند Nuno Fernandez حكم قشتالة
وقنع الفونسو بالمقام في سمورة مدينته الاثيرة لديه في رفقة
زوجته خمينة ، ومواصلة الصراع ضد المسلمين الى أن توفي
في نهاية عام ٢٩٨هـ - ٩١٠م ، (راجع :

Cotarelo, Alfonso III el Magno, P, 519, Aguado Bleye, Op.
Cit., P. 485).

أما أردون فقد عهد أبوه الفونسو الثالث الى بنى موسى بن
قسي أصحاب سرقسطة بتنشئته ، فعاش في كنفهم حتى سنة
(٢٧٣هـ) ٨٨٦م . وفي سنة (٢٧٩هـ) ٩٨٢م أسند اليه أبوه
حكم مملكة جليقية ، فظل يتولاها الى أن توفي أخوه الأكبر
غرسيه في سنة (٣٠٢هـ) ٩١٤م ، واستقر في مدينة ليون التي
أصبحت مركزا للإدارة والحكم ، وفيها أنشأ قصره الملكي
والكاتدرائية . أما عن نشاطه الحربى فكان موفقا . ويذكر
أجوادو بليي أنه اجتاحت أراضى ماردة في سنة (٣٠١هـ) ٩١٣م
واستولى على حصن الحنش وذبح كل حاميته وإن عبد الرحمن
الناصر رد على هذه الغارة الشنعاء بحملة سيرها بقيادة ابن
أبى عبدة نحو حصن قاشترة مورش المعروف بحصن غرماج
سنة ٣٠٥هـ (٩١٧م) San Esteban de Gormaz ، فسارع الملك
أردون للدفاع عنها واشتبك مع ابن أبى عبدة في معركة ضارية
انتهت بهزيمة القائد المسلم ومصرعه (راجع

Aguado Bleye, Op. Cit., P. 487.

ولكن ليفي بروفنسال يذكر استنادا الى رواية الرازي أن الحملة
كانت موجهة الى يابرة (في الاقليم الذى يعرف اليوم في
البرتغال باسم اليمتيخو Alemtejo) ، وأن الحملة الموجهة الى
ماردة حدثت بعد أن أصبح ملكا على ليون أى على اثر وفاة
أخيه غرسيه في سنة (٣٠٢هـ) ٩١٤م ، ويستند ليفي =

ففى أول هذه السنة (صيف عام ٩١٣ م) عبأ أردون الثانى قواته وعزم على قصده مدينة يابره ، فخرج على رأس هذه الحشود الكثيفة التى بلغت ثلاثين ألفا (٥٥) من الفرسان والمشاة والرماة نحو الثغر الجوفى ، وكان يتولى يابره آنذاك من قبل الامير عبد الرحمن بن محمد ، مروان بن عبد الملك بن أحمد ، فنزلت عساكر أردون على يابره يوم الاربعاء ١٣ من المحرم من عام ٣٠١ هـ (١٩ أغسطس ٩١٣ م) ولم تكن أسوار يابرة من الحصانة الكافية بحيث تستطيع أن تصمد لحصار طويل ، فقد كان سورها خلوا من الدراوى (الستائر العليا) كما أنه كان بأحد جوانبه من الخارج تل كبير من أزيال المدينة التى يطرحها الاهالى . وأول ما فعله أردون أنه طاف حول سورها يتفحصه عساه يعثر على نقطة ضعيفة فيه يحتاج منها المدينة ، فالفاه سورا متطامنا منخفضا قد سقطت شرفاته وستائره ، وكانت الأزيال قد تكدست وأحدث كوما مرتفعا يكاد يتساوى فى ارتفاعه مع ارتفاع السور . وعندئذ تكشفت له نقاط الضعف فى الدفاع عن يابرة واستبان له العورة فى سورها ، فتحركت اطماعه فى فتحها بعد أن كان هدفه هو مجرد الغارة ، فمن هذا الكوم يمكن أن يحتاج المدينة بكل يسر وسهولة ويقضى على مقاومة أهلها دون أن يستطيعوا له دفعا . ويبدو أنه تظاهر بجهله لنقطة الضعف فى سورها ، فحاصرها من كل جانب ، وجد فى منازلة

= بروفنسال فى ذلك على رواية لابن خلدون وعلى رواية راهب
سيلوس Lévi-Provençal, Op. Cit., t, 11 P. 36
— Codera, loc Benimeruan, P. 54, 59).

وان كان راهب سيلوس يجعل هذه الغزوة فى العام الرابع من حكم أردون الثانى ، والمقصود بذلك العام الرابع من وفاة الفونسو الثالث .

(٥٥) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٩٣ ، مدونة عبد الرحمن الناصر ، تحقيق غرسيه جومث وليفى بروفنسال ، ص ٤٣ .

Una crónica anónima de Abd Al Rahman III, al Nasir, P. 43,
Aviles Fernandes (M.) y otros, España musulmana, t. V de
la serie : nueva historia de España, Madrid, 1980, P. 106.

اهلها (٥٦) . ويصف ابن حيان نقلا عن الرازي اقتحام اردون للمدينة وصفا تفصيليا دقيقا ، فذكر أنه أمر جميع فرسانه بالترجل عن خيولهم للاشتراك في القتال بما فيهم القوامس والاباترة (لعلها جمع لباتر أي الألب عند المسيحيين) ولم يستثن من رجاله سوى خمسة أفراد من مشيخة أهل بيته (٥٧) . ثم بدأوا يهاجمون أهالي المدينة المترسسين بأعلى السور ليدفعوا عن المدينة واستخدموا في هجومهم النبال والسهام الحارقة التي لم يستطع المدافعون أن يتجنبوها لخلو السور من ستراته أو ذرواته ، فلما اشتد الهجوم وتكاثر عليهم النبال وعجز المسلمون عن الصمود وأصبحوا هدفا للرماة ، تركوا الاسوار مكشوفة وتراجعوا عنها الى داخل المدينة ، وعندئذ خلا الجو للقوات الليونية للتسور عن طريق كوم الازبال الى أعلى السور ، وتمكنوا بفضل هذا الكوم من فتح ثلثة في السور كانت قد سدت بالبناء مؤخرا ، ومنها اخذوا يتسللون الى قلب المدينة ، فما شعر أهل المدينة الا وهم قد دخلوا عليهم من جميع نواحيها ، وصاروا معهم فيها ، فاحتفى المسلمون عند ذلك في دفاعهم ، وشدوا عليهم شدة رجل واحد حتى اخرجوهم من داخلها ، وعادوا الى سورهم فصاروا في أعلاه ، وقتلوا من العدو خلقا « (٥٨) .

وهكذا اخفق الهجوم الاول لقوات اردون الثانى ، عندما كر عليهم الالهالى فاخرجوهم من السور ، وارتقى المدافعون مشاهه المكشوف Promenoir من جديد . وكان لكثرة المسلمين على القوات الليونية

(٥٦) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٩٤ .
(٥٧) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٩٤ ، مدونة عبد الرحمن الناصر ، ص ٤٤ .
(٥٨) المصدر السابق ، ص ٤٤ .
(٥٩) مشى السور هو طريق المدافعين بأعلى السور الذى يتحركون عليه للدفاع عن المدينة ، وكان مشى السور فى اسوار المدن الاسلاميه مزودا فى العادة بستارة ذات دروات وشرفات ، ولكن هذه الستارة كانت مهدمة فى سور يابرة .

أثرها العميق في نفوسهم ، فقد أخرجوا من المدينة بعد أن افتتحوها ، ولم يطبقوا أن يفلت الزمام من أيديهم واستشاطوا غضبا ، ثم أنهم أعدوا تنظيم صفوفهم وكروا كرة رجل واحد ، فأوقعوا بالمسلمين هزيمة نكراء أشد أثرا على المسلمين من الهزيمة الأولى ، واضطر المسلمون الى التراجع عن الاسوار ، فافتحمتها قوات أردون الثاني من جديد ، والتحموا مع أهل المدينة في معركة عنيفة قتل فيها عدد كبير من الجانبين ، ودارت الدائرة على المسلمين ، فأذرع فيهم الليونيون قتلا ، وتكاثروا عليهم ، وأرغموهم على التراجع الى موضع بشرقى المدينة على مقربة من السور فحصرهم فيه ، ولم يستطيع المسلمون الدفاع عن أنفسهم لاكتظاظهم في هذا الموضع الضيق وصعوبة تحركهم فيه ، فسهل ذلك على الليونيين ابادتهم فقتلوه عن آخرهم ، واستباحوا المدينة ، فسبوا جميع نساء وأطفالها عدا عشرة أفراد من وجوه أهل يابرة لجأوا الى إحدى المنشآت الأثرية وارتقوا الى أعلاها وتحصنوا فيها ، وتحكموا في الدفاع عن أنفسهم من قمة ذلك المبنى الى أن أجنهم الليل وفتر العدو عن ملاحقتهم بالقتال ، فتسللوا أثناء الليل واتخذوا من ظلامه ستارا أخفاهم حتى خرجوا منها الى مدينة باجة ، ولم ينج سواهم من أهل المدينة جميعا (٦٠) ، والظاهر أن عددا من الأهالي لاذ بالمساجد فذبخوا عن آخرهم ، ومن بينهم مروان بن عبد الملك عامل يابره الذي استشهد في المسجد المنسوب اليه ، وبلغ مجموع عدد القتلى داخل المدينة ٧٠٠ رجل وعدد من سباهم العدو من النساء والأطفال ما يزيد عن أربعة آلاف ، ويعلق ابن حيان نقلا عن الرازي على هذه المذبحة بقوله « فذكر أهل الغرب أنه لم تدر بالاندلس على أهل الاسلام دائرة من قبل العدو ومنذ سكنت أشنع من هذه الدائرة ، ولا أفضع منظرا ، ولقد كان الداخل اليها بعد

(٦٠) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٩٥
R. Ricard, pour Comprendre l'art musulman dans L'Afrique
de Nord et en Espagne, Paris 1924, P. 221.

خروج العدو بمدة يدخل إليها، فيأتى ذلك المأزق الذى ضم اليه المسلمون عند الاحاطة بهم ، ولم يجدوا عته منفذا ، فينظر الى عقرى جاثمين قد ركب بعضهم الرجال والنساء ، قد همدت جثثهم سافا فوق ساف فى سملك قاماة وقامتين ، وصعد الى حائط السور ، فيرى منظرا موحشا شنيعا وهولا هائلا فظيعا ، وذلك الموضع يعرف بالافراتس بالعجمية Apretos اسما لضيقه «(٦١) .

ولما تحقق لاردون ما كان يسعى اليه بادر بالرحيل عنها فى صبيحة اليوم التالى أى الخميس : خوفا من رد فعل عبد الله بن الجليقى صاحب بطليوس الذى فجع بالكارثة ولم يتهاى له المجال للتدخل فى الوقت المناسب ، وكان لهذه الغزوة المفاجئة ليابرة اكبر الاثر على الثغر الجوفى بأجمعه ، فقد جزع سائر اهل الغرب لهذه الحادثة الاجرامية جزعا شديدا ، واتخذوا منها نذيرا لهم من غزوات مقبلة ، فأخذوا يحسبون لغدهم كل حساب وشرعوا فى ترميم معاقلمهم واصلاح اسوارهم ، وتحصنين مدنهم ، وحفظ عورتهم ، وكان أكثر المهتمين بذلك اهلالى مدينة بطليوس كبرى مدائن الغرب ، وقاموا بتنفيذ ذلك خير قيام ، وكان سور قصبتهم التى ابتناها عبد الرحمن بن مروان الجليقى من تراب الطابية المرزوم بالمداوس وبالطوب المشمس (٦٢) . فخطب اهل بطليوس أميرهم عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الجليقى فى ضرورة النظر فى تحصين مدينتهم بسور قوى ، فاستجاب لذلك ، وخرج مع

(٦١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٩٥ ، مدونة عبد الرحمن الناصر ، ص ٤٦ وكلمة *apretos* (مضايق) من المصدر *apretar* يعنى يضيق أو يشدد الضغط . وقد يكون من الاتراش المحرفة من اللفظة الرومانسية *Estrecho* (٦٢) الطابية نوع من الملاط الذى تختلط فيه قطع الحجارة غير المنتظمة بالنورة والكلس واللبن ويعرف فى الاسبانية باسم *Tapia* وبالفرنسية *Pisé* (راجع :

R. Ricard, pour comprendre l'art musulman, P. 326 — George Marçais, l'Architecture musulmane d'Occident, Paris 1954, P. 224.

كبار مشايخهم ليشرف على تحصينها بنفسه ، وجمع العمال والفعلة لتقوية متن السور وزيادة عرضه فجعلوه في عرض « عشرة أشبار لوحا واحدا » (٦٣) أى ما يعادل مترين .

وبعد أن اطمأن عبد الله بن محمد الجليقى الى قوة معاقل بطليوس ، تطلع الى يابره المهجورة ، فقد كان يتوقع ان يلجأ اليها جماعات البربر يسكنونها ويضايقونه بسكناهم فيها ، فعزم على هدم أسوارها وتدمير أبراجها فتكون عورة لا يطمع أحد في النزول بها ، فخرج مع قوة من أتباعه الى يابرة ، فهدم أبراجها ودمر بقية أسوارها وسواها بالأرض . ثم تركها خالية طوال ذلك العام ٣٠١ (٩١٣) حتى اذا ما استهل عام ٣٠٢ هـ (٩١٤ م) أقبل هذه المرة لاعادة بنيان أسوارها ليسكنها مسعود بن سعدون السرنباقي حليفه وتابعه وابن صاحبه القديم (٦٤) ، مع من يصحبه من أنصاره الشاردين الخارجين على الحكم الاموى ، وكما هدم عبد الله الجليقى أسوار المدينة وأبراجها في العام السابق خوفا من أن ينزل المدينة من يتهدد بلده من المغامرين عاد لبنائها من جديد في العام التالى لينزلها صاحبه مسعود بن سعدون (٦٥) . ولالتجاء مسعود بن سعدون السرنباقي بيابرة قصة طويلة كان عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الجليقى صاحب بطليوس طرفا فيها بحكم مخالفته لمسعود ، وايوائه له بجواره في يابره ، فقد

(٦٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٩٦ .

(٦٤) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٩٦ .

(٦٥) يقول ابن حيان « فيها (٣٠٢ هـ) أنزل عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن الجليقى ، صاحب بطليوس وأعمالها ، حليفه مسعود بن سعدون المعروف بالسرنباقي ومن معه من قومه الشاردين عن الجماعة ، مدينة يابره الحديثة ، الخراب بأيدى الكفرة سنة احدى وثلاث مائة ، وابتنى لهم سورها وعمر بهم مكانها ، فأهلت بهم مساكنها بعد اقوائها .. » (انظر ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ١٠٤) .

سبق أن أشرنا (٦٦) أن مسعود هذا كان متحصنا بحصن يقع شرقي مدينة شنترين يعرف باسم نياني ، وكان صديقا لسعيد بن مالك صاحب مدينة باجة الذي سيطر عليها بعد جلاء العرب عنها .

وحدث أن استدعى سعيد بن مالك ، مسعود السرنباقي من حصنه ليستعين به وبأتباعه على عدوه يحيى بن بكر المنتزى بأكشونية ووعدته مقابل ذلك أن يوسع له في بلده ، ولم يتردد مسعود في الاستجابة لطلبه ، فوفد عليه بباجة ومعه جموع أصحابه ، فأنزلهم سعيد في حصن البشتريل من حصون باجة ويقع على مسافة تبعد عشرين ميلا غربى باجة ، وبوصول مسعود وقواته ، تقوى سعيد بن مالك وأخذ يدفعه لزعاج يحيى بن بكر ومضايقته حتى اضطر يحيى الى مصالحة غريمه سعيد بن مالك .

وأصبح وجود مسعود على مقربة من سعيد بن مالك ويحيى بن بكر بعد مصالحتهما شوكة في جنبيهما ، فقد أخذ يشعر باعتداده بنفسه عليهما ويحس بأهميته في المنطقة بعد أن ارتفعت المنافرة بين الغريمين ، ثم أنه أخذ يتحصن في معقله ويعمل على حماية قومه ، وانقطع عن توجيه الغارات على الحصون المجاورة ، فاجتذب الانصار اليه وانتجع الناس بلده وقصدوا حصنه لعدالته وحسن سيرته ، حتى كثرت رعيته ، وصلاح حال أهل حصنه ، فأثار بذلك غيرة صديقه القديم سعيد بن مالك وحليفه الجديد يحيى بن بكر ، فكرها جبرته وعملا على طرده من حصنه ، فاصطنعا الخداع والحيلة للتخلص منه ، فكتبوا اليه يدعوانه للقاءهما في موضع من بسيط باجة وأكشونيه ، وحددا له موعدا بعينه ، وفي ذلك اليوم خرجا اليه بسائر رجالهما وانصارهما ، في حين خرج مسعود السرنباقي صافي النفس لا يخامرهُ أدنى شك في نيتهما ،

(٦٦) في نهاية الحديث عن بنى الجليقي في عصر الامارة .

ولا يدري الشريك الذى نصباه له ، فغدرا به مع خاصته وقيسده ، ثم سجناه ، وأرسلا الى الحصن من أخرج منه أهله وولده واستوليا على ما فى الحصن من مال وسلاح ، وفرقا رعيته بين بلديهما (٦٧) . وهم يحيى بن بكر بقتله والتخلص منه ، فأنكر ذلك عليه سعيد بن مالك وابنه مالك بن سعيد ومنعاه من الاقدام على تلك الجريمة الشنعاء بعد أن جاء اليهما مطمئنا ، وكان سببا فى مصالحتهما ، وحسبه ما أصابه من خروجه عن حصنه وتشريد قومه ، وقرر الحليفان أن يطلقا سراحه ويتركا له حرية الانتقال حيث شاء ، فمضى مسعود الى بكر بن مسلمة صاحب حصن أروش لثقتة فيه ، ثم أن بكر كان قد زوج ابنه من ابنة مسعود السرنباقي قبل تلك الحادثة ، فأقام مسعود فى كنف صهره بكر بن مسلمة فترة من الوقت حظى خلالها برعاية صهره وحسن تقبله له ولكن مسعود ضاق من وضعه نزيلا على صهره عبثا عليه ، كما أنه أحس بأنه فرط فى حق من حقوقه ، وشرذ قومه فتفرقوا أيدي سبأ ، فعزم على جمعهم تحت لوائه ، وعلى هذا النحو ترك أروش الى قصر أبى دانس (٦٨) ، حيث نزل عند صاحبها مسعود بن ادانس ، فأحسن استقباله وأكرمه وعظمه ، وأقام عنده فترة اتصل خلالها مسعود بن سعدون بحليفه عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الجليقى حفيد حليف أبيه ، وأخذ يطلعه على ما أصابه من سوء الحال ، وما انتهى اليه أمره من تشريد وضيع ، وناشده أن يرعى بحق الدعوة المولدية التى تجمعهما ، والحلف الذى كان قائما بين جده عبد الرحمن بن مروان الجليقى وبين أبيه سعدون السرنباقي ، وأخذ يذكره بالصدقة التى كانت تربط بين أبويهما ، وكانت منزهة عن الاغراض الدنية ، صدقة خالصة هدفها التضامن والحلف والموالة والنصرة ، وتجلت عندما ساند

(٦٧) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ .
(٦٨) المصدر السابق ، ص ١٠٥ .

سعدون السرنباقي جده عبد الرحمن الجليقي بنفسه وقومه ، وعندما طالع عبد الله الجليقي مضمون الرسالة استعظم ما وصل اليه أمر مسعود وعز عليه أن يلقى هذا المصير ، فأجمع هو وقومه على نصرته والاخذ بيده ومساعدته (٦٩) .

ولم يلبث أن أقدم على دعوة مسعود السرنباقي الى النزول هو وخاصته وعدتهم خمسون رجلا ببابره ، كما كتب الى مسعود بن أدانس يطلب منه يأذن لمسعود السرنباقي وخاصته ومن يفد اليه من قومه بالرحيل من عنده الى يابره على أن يشيعه (٧٠) بنفسه وأصحابه حتى لا يتعرض مسعود لكمين ينصبه له خصماه سعيد بن مالك أو يحيى بن بكر ، ومبالغة من عبد الله الجليقي في الترحيب بالسرنباقي ، لم يتردد في التوجه بنفسه مع رجاله الى يابرة قبل وصول حليفه مسعود السرنباقي ، ومسعود بن أدانس ليكون في استقبالهما عند وصولهما ، وحرص على أن يرافقه جمع كبير من الفعلة وعرفاء البناء بضروب

(٦٩) يقول ابن حيان « فاستعظم عبد الله وقومه ما جرى على ابن سعدون ، وأنفوا له وأجمعوا على معونته والاخذ بيده ، واعترفوا بذمامه وحق والده وقالوا : هذه مدينة يابره بقرينا ، قد صارت منذ زال عنها العدو ضرا على أطرافنا فلنسكنها هذا الرجل وقومه ، ولنغنهم على ايطانها وعمارتها ، فإذا أسكنوها استرحنا من غمها ، وصارت مع ذلك في عداد أعمالنا ، فأجمعوا على ذلك ووافقهم على ذلك أميرهم عبد الله بن محمد ، وخاطب مسعود بن سعدون عند ذلك أن يرحل الى يابره بأهله وولده ومن لحق به من قومه ٥٠ » (انظر ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١٠٦) .

(٧٠) ذكر ابن حيان أن عبد الله الجليقي صاحب بطليوس كتب الى مسعود ابن دانس صهر مسعود السرنباقي يطلب منه أن يشيعه ورجاله من بلده الى يابره ، وهذه العبارة توضح لنا أن ثمة علاقة مصاهرة كانت تجمع بين مسعود السرنباقي ومسعود بن دانس وكذلك بين مسعود السرنباقي وبين بكر بن مسلمة صاحب أروش (انظر ابن حيان : المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١٦) .

الآلات والعدة لاعادة اصلاح ما تهدم فى يابره من اسوار وجبر ثلماتها ، وتقوية أركانها ، وغلق ما تفتح من أبوابها . وتولى ابن الجليقى اصلاح ما وهى من الاسوار بالبناء ، وحصن عوراتها قبل أن يصل صاحباه ، ثم خرج لاستقبال المسعودين عند وصولهما ، ثم سلم لمسعود بن السرنباقى مدينة يابره وقد دارت بها الاسوار وسدت فيها الثغرات وهو يقول له « هذه لك ولقومك فانزل بمن معك على اسم الله ، فاكتب الى من قعد عنك من قومك واستبدل بهم ، فرغبهم فى الاقبال ، وحضهم على الاستجماع ، وعدهم عنى بالمعونة على توسعة المعيشة ، والحملان من الرحلة ، فسوف أفى لك ولن فاء اليك بالموعدة ، حتى يلم الله شعئك ويرد اليك قومك ، ويعيدك الى أحسن حالك ، فتكونوا لنا ظهره ... » (٧١) .

واهتزت نفس مسعود بن السرنباقى امام كرم ابن الجليقى وشهامته ، ولم يستطع أن يعبر له عن شكره ويقدر له عظيم صنعه لكل ما اسداه اليه بأكثر من أن يعده بالوفاء والموالة . وأقام ابن الجليقى أياما أورد الى يابره أثناءها كميات كبيرة من الاطعمة والاقوات وزودها بالخيول والبغال والكسوات ، ثم رحل عنها بعد أن اطمأنت نفسه لحليف صادق ، يقوم عنه بمهمة الدفاع عن يابرة ويحمى له بطليوس بهذا الخط الدفاعى الامامى . وسرعان ما انتشر خبر نزول ابن السرنباقى ببيابره ، فى النواحي المجاورة ، وعرف به قوم ابن السرنباقى الذين توزعوا فى باجة واكشونية ، فأقبلوا اليها كما أقبل كل من نجا من مذبحه الليونيين من أهلها ، ومن أفلت من أسارهم ولم تلبث أن عمرت المدينة بأهلها وتزايد عدد سكانها بما عرف عن مسعود السرنباقى من حب للعدالة وما أشيع من كثرة الخيرات والمرافق بها ، وفى ذلك يقول ابن حيان « ولحق بأمرها ابن سعدون أكثر أصحابه الذين كانوا احتسبوا

عنه بأكشونبة وباجة وغيرهما فكثرت حوزته وعمرت خطتها ، وعدل في رعيته ، فتزيدت عمارة يابره ونمت في غلاتها فصلحت بذلك حاله و حال أهلها معه ، فكان ذلك سبب سكناها وعمارتها الى اليوم «(٧٢) .

وفي عام ٣٠٣هـ (٩١٥م) أى العام التالى من نزول مسعود بن سعدون السرنباقي في يابره اصطلح عبد الله بن محمد الجليقى مع سعيد بن مالك صاحب باجة ، وكان لهذا الصلح أسباب ، كما كان لخصومتهم قبله أسباب ، وترجع أسباب الخصومة وفقا لما ذكره الرازى الى أن سعيد بن مالك عندما استولى على مدينة باجة ، أخرج من فيها من العناصر العربية ودعا للمولدين ، وأراد بذلك أن يظهر على عبد الله بن الجليقى وان يتقدمه في دعوة المولدين ، فيتزعّم حركتهم في الغرب ، ويحتل بذلك مكانة عبد الرحمن بن مروان الجليقى شيخ ثورة المولدين في غرب الاندلس في زمنه ، ونجح في ضم يحيى بن بكر صاحب أكشونبة اليه بعد أن أصهر اليه وسوى معه بتلك المصاهرة الخلاف الذى كان قائما بينهما ، كما نجح في الوساطة بين يحيى بن بكر وبين ابن عفير المنتزى بكورة لبلة (٧٣) ، وتحالف الثلاثة فيما بينهم وأصبحوا يدا

(٧٢) المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

(٧٣) لبلة تتصل بأحواز أكشونبة وهى مدينة قديمة حسنة في غرب الاندلس تعرف بالحمراء بها آثار كثيرة للاول ، وكان لها سور منيع قائم على تماثيل أربعة وانفردت بهذه البنية من بين سائر المدن ، ومن مدنها مدينة جبل العيون Gibralléon ، وتجتمع مياهه من عيون ثلاثة تخرج من جبل قطر شانة ، ويجاز عليه في قنطرة الى لبلة ، وبها أسواق مرتبة وتجارات ، ويصلح بها دبح الجلود ، وبينها وبين البحر المحيط ستة أميال . وليلة جامعة لفوائد الكور ، كثيرة العنب والزيتون ، وضروب الثمار يكثر فيها القرنفل الفاصل ويوجد بها العصفور ، وهى سهلية جبلية ، وبها صيد وفير من الطير والوحوش والاسماك (انظر جغرافية الاندلس لمؤرخ مجهول ، لوحة ٥٢ ، ابن غالب ، قطعة من فرحة الانفس ، تحقيق د . لطفى عبد البديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، عدد ٢ ، نوفمبر ١٩٥٥ ، ص ٢٩١ ، معجم البلدان ، مادة لبلة) .

واحدة على عبد الله بن محمد بن الجليقي . ثم حاول الحلفاء الثلاثة ، أن يضموا بكر بن سلمة صاحب أروش الى حلفهم ، ولكنه أبى عليهم ذلك وأنف أن ينضم طرفا في هذه المؤامرة على عبد الله الجليقي يعد أن كان حليفا قديما لجده عبد الرحمن بن مروان الجليقي ، ناظم جماعة المولدين ، بل انه تمسك بموالاته عبد الله بن الجليقي والتحالف معه على خصومه ، وبدأ سعيد بن مالك ومعه أنصاره بالعدوان على ما كان بيد عبد الله من أراضى ، وكان على عبد الله بن محمد الجليقي أن يتحرك سريعا فيتصدى لهذه المؤامرة الخسيسة ويواجه هذا الحلف الثلاثي بكل ثقله قبل أن يفلت منه زمام المبادرة ، فبادر بحشد حشوده وخرج ومعه حليفه بكر بن سلمة صاحب أروش في جيوشه الكثيفة للقاء سعيد بن مالك وحليفه ، فنزل عبد الله بن الجليقي في قرية الطمّال التي تبعد عن باجة بنحو خمسة أميال وبدأ بارهاب أعدائه ، وذلك بافساد الزروع وحرقتها وقطع الشجر والاغارة على المناطق المجاورة ، وكان من الطبيعي أن يتحاشاه ابن مالك ، ويتجنب الاشـتباك معه بعد أن تبين له عظم قوته ، كما أنه خاف من مغامرة الاصطدام به وأثر مصالحته ، وتناقش مع صاحبيه في ذلك فوافقا على مسالته ، وأرسلا له رسولا من قبلهما يستلطف الجليقي ويحمل إليه اعتذارهما ، ولم يسع عبد الله الجليقي الا أن يقبل هذا الاعتذار بعد أن اعترف له بأنه سيد أهل هذه الدعوة المولدية وابن شيخها ، وبعد أن أبدى رغبتهما في ارضائه وعقد الصلح معه ، عاقدهما ابن مروان الى ما أحياه ، كما عاقده ابن عفير صاحب لبلة ، وعندئذ قفل عبد الله بن الجليقي عائدا الى بطليوس ، ولكن ابن عفير سرعان ما نقض عهده مع عبد الله الجليقي ، فبدأ يغير على أعماله ، وحاول ابن الجليقي أن يثنيه عن سوء فعله وأخذ يحثه على الوفاء بعهده معه على الصلح والسلام (٧٤) ، غير أن ابن عفير أصر على عدوانه ونكثه لعده ، ولم يتراجع عن عزمه ،

وعندئذ أعد ابن الجليقي عدته لمحاربته ، والتصدى له ، فزحف اليه بعدته وعديده ، وأمر بكر بن سلمة صهره أن يأتي اليه بجميع قواته لمحاربة ابن عفير الناكث للعهد ، وتمكنا من التغلب على ابن عفير وتأديبه بعد أن نجحنا في افتتاح حصنه المعروف بالمنت ، وفي ذلك يقول ابن حيان « واستمد عليه بكر بن سلمة صهره ، فجاء بجميع من معه واجتمع في طريقه الى ابن عفير ، فنزلا معا بجمعهما على حصن لابن عفير يعرف بالمنت في وسط بلده ، وحاربا حتى افتتحاه ، فغنم عبد الله بن محمد ما أصابه فيه وقتل بعض رجاله ، وأسر باقيهم وانتقل عنه الى حصن بلايش Velillos ، وقد شده ابن عفير بحماية رجاله ، فحاربهم ابن مروان يومه الى الليل وابن عفير بحيث يراه ، وجالت الخيل في بسيط هذا الحصن وأغارت عليه ، واستاقت أمواله ، واعتاص الحصن في ذاته على ابن مروان وقد بات عليه ، فرجل من الغد قافلا الى بطليوس طاعته وقد أخزى ابن عفير وأذله » (٧٥) . وكان قد بلغ عبد الله بن الجليقي أن ابن الفرّج شيخ مكناسة الاصنام قد استطال على أعمال ابن مروان ببطلليوس وأغاروا على أطراف دولته ، فما كاد ينتهي من تأديبه لابن عفير حتى تفرغ له عقب قفوله عن بلبة ، وعزم على وضع حد لعيثه في أراضيه ، ولذلك فما كاد يعود الى بلده حتى خرج في حشد من قواته وفرسانه لمواجهة المكناسيين ، فوطأ بلادهم ، وعاث فيها فسادا واستولى على إحدى قراهم وهي قرية قسولة ، وكانت من أكبر قراهم ، وأكثرها غنى ، وكانت وكرا للمفسدين وقاطعى الطرق ، فقتل رجالها ، ودك مبانيها ، وجعل أعاليها أسافلها ، فاثار ذلك الغزو البطليوسى حفيظة المكناسيين فبادروا بتتبع عبد الله بن الجليقي عسى أن يلحقوا به ويستردوا ما غنمته قواته من أموالهم ومتاعهم ، ودار القتال بين الطرفين وأسفر عن هزيمة المكناسيين ، ومقتل أعداد كثيرة من فرسانهم ووجوه رجالهم ، وحال

الليل بين قوات بطليوس وبين فلولهم ، فعاد الجليقي الى بطليوس مظفرا ، غانما ، وبهذه الغارة تمكن عبد الله بن الجليقي من فرض هيئته على جميع أعدائه . وعلى الرغم من الهزيمة النكراء التي تلقاها شيخ مكناسة على يد ابن الجليقي ، فقد عاود الكرة اذ عز عليه ان يتقبل الامر الواقع ، فأخذ يجمع فرسانه ويغير بهم على الاراضى التابعة لعبد الله الجليقي عسى أن يدرك منها شيئا ، فاستاء ابن الجليقي من هذا الاعتداء السافر على أملاكه وقرر أن يلقيه درسا جديدا لا ينساه ، لذلك فقد عاد الى غزو بلاده ، وهاجمه في بيت له كان قد خرج اليه للشراب مع المقربين اليه من أتباعه ، غير أن عبد الله الجليقي لم يتمكن من مفاجأة ابن الفرّج بسبب عين من عيون ابن الفرّج من مستأمة مكناسة كان عند ابن الجليقي بادر بتحذيره بوقت كاف قبل أن يهاجمه ابن الجليقي ، فأسرع ابن الفرّج باللجوء الى حصنه واستعصى على ابن الجليقي مفاجاته ، فلما وصل ابن الجليقي لم يجد ابن الفرّج في مجلس شرابه الذى كان قد أعدّه لذلك ، فاكتفى بالاغارة على المناطق المحيطة بهذا الموضع ، وأرسل رجاله بخيولهم على البسيط يكتسحونه وينهبونه حتى امتلأت أيديهم بالغنائم ، فعادوا مع رئيسهم عبد الله الجليقي الى بطليوس ، ولكن شيخ مكناسة لم يسكت على ذلك وقرر أن يقتفى أثره ثم يفاجئه بالهجوم ، ويثأر لنفسه ولقومه ، فجمع ابن الفرّج رجاله وتتبعوا الجليقي (٧٦) وأنصاره ، ثم هاجموا عند نهير ، غمر الماء ضيق المجرى ، فبادر بالهجوم على قوات عبد الله بن الجليقي ، فارتد اليهم بقواته واشتبك معهم في قتال عنيف انتهى بهزيمة المكناسيين من جديد وفرار زعيمهم ، ورفع انتصار عبد الله بن الجليقي من قدره أمام خصومه ، واسترداده مكانته زعيما لطائفة المولدين في الغرب .

(د) الاخطار التي أحاطت بببليوس منذ عام ٣٠٣ هـ (٩١٥ م) حتى مصرع عبد الله ابن الجليقي سنة ٣١١ هـ (٩٢٣ م) :

تعرض كوديرة (٧٧) في دراسته القيمة عن بنى مروان الجليقي لحمله أردون ابن رذمير Ordoño hijo de Ramiro (٧٨) على الغرب وأرخها في عام ٣٠٢ هـ (٩١٤ م) ويتفق معه ليفي بروفنسال في هذا التاريخ (٧٩) بناء على ما ذكره ابن خلدون ، اذ يقول « وكان في أول المائة الرابعة ، ملك على الجلالة أردون بن رذمير بن برمند بن فريولة بن اذفونش بن بيطر ، وخرج سنة اثنتين وثلاثمائة الى الثغر الجوفي لأول ولاية الناصر ، وعاث في جهات ماردة واخذ حصن الحنش ، وبعث الناصر وزيره أحمد بن عبده في العساكر الى بلاده فدوخها ٠٠٠ » (٨٠) .

هذا الى جانب ما جاء به كوديرة من اشعارات وردت في مدونة سيلوس عن هذه الحملة التي قام بها أردون الثاني على ماردة وبلاد الغرب . وعلى الرغم من أن مدونة سيلوس تؤخر هذا التاريخ اربع سنوات الا أن كوديرة أخذ برأى ابن خلدون وأرجع تاريخ هذه الحملة الى عام ٣٠٢ هـ .

ويذكر صاحب مدونة سيلوس أن أردون الثاني خرب في حملته اقليم ماردة وأنه استولى على حصن الحنش ، وتضيف المدونة أن جميع

Codena, Los Benimeruan, P. 54.

(٧٧)

(٧٨) صحته أردون بن الفونسو وليس ابن رذمير .

Lévi-Provençal, Histoire de L'Espagne, Vol. 2.

(٧٩)

ويبدو أن ليفي بروفنسال لم يعتمد في رأيه هذا عن حملة أردون الا على ابن خلدون ولم يطلع على ابن حيان اذ كان لا يزال مخطوطا رغم انه كان في متناول يده .

(٨٠) ابن خلدون ، العبر ، المجلد الرابع ، ص ٣٠٧ .

البربر كانوا يدافعون عن الحصن في حين سبى الغزاة النساء والذرائى ، وظفروا بغنائم هائلة من التحف الذهبية والفضية ، والمنسوجات المصنوعة من الحرير . أما أهل ماردة جميعا فقد خرجوا مع ملكهم حتى بطليوس يحملون الهدايا القيمة ويطلبون السلم (٨١) .

وبالرجوع الى ابن حيان المصدر الرئيسى لحوادث هذه الفترة الذى لم يرجع اليه كوديرة فى تأريخه لهذه الغزوة تتضح لنا النقاط التالية :

١ - أن التاريخ الصحيح والصريح لخروج هذه الحملة المسيحية الى الغرب الاندلسى كما أورده ابن حيان (٨٢) هو عام ٣٠٣هـ (٩١٥ م) ويؤيد هذا التاريخ الاستدلال المنطقى استبعاد سنة ٣٠١هـ (٩١٣ م) لتكون تاريخا لحملة أردون على ماردة وحصن الحنش لأن هذا العام شهد وفاة غرسية ملك ليون واعتلاء أردون الثانى أخيه دست المملكة ، ومن الطبيعى أن يسعى أردون الملك الجديد الى اثبات وجوده وسطوته فى بداية حكمه ، فيستهل عهده بهجوم خاطف ومركز على مدينة يابره يترتب عليه تدمير أسوارها ، وتشهد الشهور الباقية من هذه السنة قيام أهل بطليوس بتحسين بلدهم وتخريب ما تبقى من أسوار يابره حتى ، لا تكون مقرا وسكنا للبربر يتهددون منها بطليوس ، وعلى هذا النحو يتبين لنا استنادا الى ابن حيان الذى يعتمد بدوره على الرازى أن عام ٣٠١هـ (٩١٣ م) لم يشهد أى نشاط عسكرى جديد لأردون الثانى فى أراضى الغرب ، وهو أمر يبدو منطقيا للغاية فمن الحكمة أن يحتاط أردون فلا يغامر مرة أخرى بعد أن استثار عليه جميع القوى الاسلامية فى الغرب ، وعليه أن ينتظر فرصة أخرى مواتية ليضرب ضربته التالية . أما عام ٣٠٢هـ (٩١٤ م) الذى يعتقد كوديرة أنه العام الصحيح الذى تم

فيه وقوع الغزو فنستبعده أيضا لأنه شهد وقائع عديدة ساقها ابن حيان على مدار السنة بحيث لم يعد هناك مجال لسرد اخبار أخرى على قدر كبير من الخطورة ولا يمكن اغفالها : كأخبار حملة أردون على الغرب مثلا ، فكما أوضحنا من قبل كان ذلك العام مشحونا بأخبار الخلافات التي وقعت بين مولدى الغرب من جهة ، واهتمام عبد الله بن الجليقى باقرار صاحبه السرنباقى على يابرة ، فلو أن هذا العام كان حقا نفس العام الذى تم فيه غزو أردون للثغر الجوفى لما تفرغ الجليقى لتعمير يابرة تمهيدا لاستقرار السرنباقى ، وفى هذه الحالة ربما كان قد صرف جهده لتحصين بلاده ضد أى عدوان لا تنهيا لأهل الغرب القدرة على دفعه ومقاومته . ويسوقنا الحديث الى عام ٣٠٣ هـ (٩١٥ م) الذى يسجل فيه ابن حيان نقلا عن الرازى خروج أردون بن أذفونش لغزو بلاد الجوف ، فى وقت بلغت فيه الفتنة ذروتها فى الغرب ، على النحو الذى صورناه فى الصفحات السابقة . ويعبر ابن حيان عن الحالة السيئة التى وصل اليها التفتت السياسى فى الغرب عند خروج أردون بقوله « فخرج من مدينة ليون حضرته الى مدينة سمورة ، وتلوم فيها حتى تتامت جموعه ، ففصل منها نحو بلد الاسلام ، والمسلمون يؤمئذ فى طخية من الفتنة ، وعلى انبتات من الجماعة (٨٣) والواقع أن علم ٣٠٣ هـ (٩١٥ م) كان أكثر الاعوام الثلاثة التى انصرفت على بداية القرن الرابع اضطرابا لأنه شهد منازعات حامية وصراعات دامية بين رؤساء المولدين فى الغرب على زعامة الدعوة المولدية التى كان يتولاها عبد الرحمن بن مروان الجليقى بجدارة واستحقاق ثم انتهت الى عبد الله الجليقى حفيده بعد أن تغلب على جميع منافسيه عليها .

٢ - استعد أردون لهذه الغزوة استعدادا كاملا فحشد قواته «من حد بنبلونة الى سيف البحر من أقصى جليقية» (٨٤) .

(٨٣) ابن حبان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١٢٠ .
(٨٤) المصدر السابق ، ص ١٢٠ .

فاجتمع له منها نحو ٦٠ ألف مقاتل خرج بهم من سمورة أقرب مدنه الى دار الاسلام ، وكانت الظروف التي خرج فيها مواتية ، فالفتنة قد استشرت في الغرب ، وطحنت المسلمين برحائها ، والمجال قد انفتح أمام أردون للسيطرة على الموقف ، فطمع في الاستيلاء على ماردة التي تعتبر من كبريات مدن الغرب .

٣ - يسجل ابن حيان المراحل التي مرت بها تلك الغزوة ، ففي المرحلة الاولى يجتاز وادي تاجه عبر قنطرة السيف وقد اصطحب معه بعض الادلاء من رعيته بالاضافة الى عدد من خونة المسلمين كان امهرهم في الدلالة رجلان من ماردة ذكر ابن حيان اسم أحدهما وهو ابن الريشى وأصله من بربر مضمودة البرانس المستقرين في ماردة .

ويذكر ابن حيان أنه قدمهما أمام عسكره ليفاجيء أهل مكناسة دون أن يتحرزوا من قواته ، ويتأهبوا للقاءه (٨٥) ، وقد كان لهذين الدليين أكبر الاثر في الهزيمة التي حلت بالمسلمين في مكناسة الاصنام ، فقد طلب أردون منهما أن يعبروا وادي أنه أدنى حصن مدلين وأن يخرقا سهل الوادي أثناء الليل حتى يصلا الى مكناسة الاصنام في الصباح فيفاجئا أهلها دون أن يشعر أهالي المنطقة بهذه التحركات فلا يحتاطوا للدفاع عن بلدهم . ونجح الدليلان في مهمتهما ، ولم يفتن أحد اليهما ولا الى ما وراءهما من حشود كثيفة ، فلما عبر الجيش الليوني وادي آنة ، وأصبح على مسافة تبعد خمسة أميال جنوبى مدلين Medellin ، وبدأ الدليلان يخرقان السهل أثناء الليل ، أحس ابن الريشى بالندم ، واستيقظ ضميره فجاء وعز عليه أن يتحالف على أهل دينه ، وافضى بذلك الى صاحبه، فأبدى أسفه هو الآخر على فعلتهما الشتعاء ، وخشيا أن تجتاح الجيوش الليونية مكناسة الاصنام ، فعمدا الى تنكب السهل الذي كان الملك أردون قد

أمرهما باختراقه ، وقررا أن ينحرفا عن السهل ، فيسلكا الطريق المحاذية لوادى آنة بمضايقتها ووعورتها ، كل ذلك لاتاحة الفرصة أمام المسلمين للتكبد عن طريق الخيل والتحصن في القلاع فلا يصيبهم اذى من عسكر أردون ، وعلى هذا النحو نجحوا في تضليل جيش الليونيين طوال الليل فصاروا يتخبطون في مسالك وعرة لا يجدون منها منفذا الى أن أصابوا الطريق في الصباح ، وقد تنبه المسلمون في تلك النواحي الى وجودهم فلاذوا بحصونهم ، فلما أطلق أردون عسكره في المنطقة للاغارة طول نهارهم لم يصيبوا أحدا ، وقلق أردون على مقدمته فلحق بها ، فالفى عسكره وقد أصابهم الاعياء والكلل وحل بهم التعب ، فجمع أردون الادلاء ، وطلب منهم أن يشقوا السهل فيصبحوا أمام مكناسة الاصنام وحسبه ما تعرض له اثناء الليلة السابقة من متاعب فسلخوا به عبر سهلة الاصنام وأم غزالة Magazla الى أن وصلوا به الى حصن مدلين في طريق سهلة لم يلق فيها وعورة ، ففطن أردون الى خطة ابن الريشى وصاحبه وخداعهما له وأدرك أنهما غررا به وبقواته فأمر بضرب عنقيهما ، وكان أهل حصن مدلين قد أخلوه اثناء الليل فأمر بهدمه وقضى فيه ليلة وعندئذ تبدأ المرحلة الثانية ، وتبدأ برحيله بعسكره الى قلعة الحنش ، فتصدى لقواته برانس كتامة ، وكانوا قد أجلوا من حصن سكتان (٨٦) ، واستقروا بقلعة الحنش وقد عرف هؤلاء البربر بشدة البأس والنجدة ، فاشتبكوا بقيادة مقدمهم ابن راشد مع قوات أردون في معركة عنيفة دارت خارج الحصن ، وأسفرت عن هزيمة المسلمين فتراجعوا الى حصنهم ، وتلقاهم قومهم بأدنى

(٨٦) حصن بشغل موقعا عسكريا استراتيجيا هاما اتخذ قاعدة لخروج الحملات الاسلامية الى بلاد جلنقية ، وقد ذكر ابن حبان أنه كان يقع الى الشمال الغربى من طليخة ، ويعتقد د . مكى أنها نفس البلدة المسماة حاليا Zacatena على مقربة من مدينة قلعة رباح ، واسم سكتان اسم بطن من بطون البربر كان مقيما في هذه المنطقة (راجع ابن حبان ، المقتبس ، تحقيق د . مكى ، تعليق رقم ٥٤٢ ص ٦١٣) .

الحصن لمساعدتهم ، ولكن الليونيين أطبقوا عليهم وتمكنوا من اقتحام الحصن وبادوهم عن آخرهم وسبوا نساءهم وذرايهم ، وقتل ابن راشد رئيسهم ، ودهدم الحصن وسوى بالأرض . ثم يبدأ أردون المرحلة الثالثة برحيله في اليوم التالي الى ماردة وسلك الطريق المؤدية الى غربى المدينة بحيث كان وادى آنة يفصل بينه وبينها . ثم توقفت قواته ازاء قصبة المدينة عند قرية اشترلة Estrella الواقعة أمام قناطر المياه المعروفة بجسر المعجزات ، واخذ الملك يتأملها متعجبا من تقانة بنيانها وارتفاع اقواسها ، وخرج لمحاربته فرسان من أهل ماردة ، ولكنه منع فرسانه من مبارزتهم ، وآثر أن يجنح الى السلم ، فأخرج اليه واليها محمد بن تاكيت رسولا من قبله يوادعه بهدية تتمثل في فرس رائع من عتاق الخيل بسرجه ولجامه ، أعجب به الملك ، فقبل الهدية ثم رحل عن ماردة ونزل بقرية قولسانة (٨٧) الواقعة على واديانه على مقربة من ماردة ففضى بها الليل ، ثم قفل عائدا الى بلده مارا بقنطرة السيف .

٤ - ذكر كوديرة أثناء حديثه عن هذه الغزوة خبرا غريبا ورد في مدونة سيلوس وهي أن أهل ماردة خرجوا مع ملكهم حتى بطليوس وقد حملوا معهم هدايا قيمة يطلبون منه السلم ، ولما لم يرد أى ذكر لبطلليوس في رواية ابن حيان التى نقلها عن الرازى وفيها يؤكد (٨٨) رحيل أردون من ماردة عائدا الى بلده مرورا بقولسانة فقنطرة السيف ، فأننا لا نقبل الخبر الذى ساقه كل من كوديرة (٨٩) وليفى بروفنسال (٩٠) لعدم وجود ما يقابله في المصادر العربية . ولا ينهض

(٨٧) لم أتوصل الى معرفة موقع قولسانة المذكورة وهي غير بلدة قلسانة Calsena إحدى مدن كورة شذونة .

(٨٨) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شاليتا ، ص ١٢٣ .

(٨٩) Codera, los Benimeruan, P. 55.

(٩٠) ذكر ليفى بروفنسال أن أردون استخدم الاتاة المallee دفعها

له أمير بطليوس في تأسيس كنيسة سانتا مارييا بليون

Lévi-Provençal, Op. Cit., P. 37.

انفراد مدونة سيلوس بهذا الخبر مبررا لأن نأخذ به لما نعرفه عن دقة الرازي الذي استقى منه ابن حيان روايته وصدقه لاسيما وقد أورد في ذكر حملة أردون الثانى تفاصيل غاية فى الدقة بحيث وردت مبتسرة ومثبوة فى المدونات الاسبانية الامر الذى يجعلنا نثق به ثقة كاملة .

(هـ) مصرع عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الجليقى سنة ٥٣١١ هـ (٩٢٣) :

تمضى ثمان سنوات على هذه الاحداث دون ان يرد لبطليلوس أى ذكر فى المصادر العربية ، فمنذ أحداث غزوة أردون الثانى على بلاد الجوف فى عام ٣٠٣ هـ (٩١٥ م) لم نعد نسمع عن حوادث جرت فى مدينة بطليلوس أو فى منطقة نفوذها كأمانة أو حتى عن أى أخطار خارجية تعرضت لها أو تهددت بها (٩١) ، الى أن حل عام ٣١١ هـ

(٩١) ورد فى المقتبى لابن حيان (تحقيق شالميتا ، ص ١٥٥) فى حوادث عام ٣٠٧ هـ (٩١٩ م) ، خبر هام مؤداه أنه فى منتصف هذا العام وصلت الى عبد الرحمن الناصر أنباء تأهب أردون ملك ليون للهجوم على الثغر الجوفى ، فأعد عبد الرحمن الناصر جيشه وأمر وزيره القائد اسحاق بن محمد المروانى بالخروج فى حشود كثيفة الى غرب الاندلس لمواجهة هذا الهجوم ، كما عمل على استنفار المسلمين الى الثغر الجوفى ليساعدوا اخوانهم اهاالى هذه المنطقة على مواجهة العدو ، وتحركت جيوش الامارة وعلى رأسها القائد اسحاق بن محمد ، فلما بلغت أردون الاخبار بخروج المسلمين فى حشود ضخمة لتلقيه خاف فتقهقر راجعا الى بلاده ، ولكن الوزير القائد اسحاق بن محمد ظل مقيما فى بلاد الجوف مدة حتى تأكد من رحيل العدو فعاد الى قرطبة ، ومنذ ذلك الحين اهتم عبد الرحمن الناصر باستنفار المسلمين لجهاد الليونيين ، وبدأ يرسل المنشورات الى عماله لترغيب الناس فى الجهاد (انظر ، ص ١٥٥ ، ص ١٥٦ ، ص ١٥٧) ومما لاشك فيه أن هذا الخبر الذى أورده ابن حيان عن مشروع أردون لغزو بلاد الجوف ، من الاخبار الهامة ، ونستنتج منه أن منطقة الثغر الجوفى كانت عرضة لمغامرات ملوك ليون وغاراتهم المدمرة ، وكان من الممكن أن يتحقق هذا الهجوم لولا يقظة عبد الرحمن =

(٩٢٣ م) ، وهو العام الذى قتل فيه عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الجليقى ، ويأتى ابن عذارى على ذكر هذه الحادثة على وجه السرعة ، ولا يذكر أية تفاصيل عنها فيقول « وفيها (أى عام ٣١١ هـ) قتل عبد الله بن محمد بن مروان الجليقى صاحب بطليوس ، دخل عليه بعض أهل الموضوع فقتلوه (٩٢) ٠٠ » ويرى كوديرة (٩٣) أن نص ابن عذارى يبدو مبهما بسبب افتقاده الى النصوص التفصيلية التى من شأنها أن تسلط الضوء على الظروف التى أدت الى مصرعه ، الا ان رواية ابن حيان رغم اختصارها هى الأخرى تساعد الى حد كبير على معرفة الاسباب الحقيقية التى أدت الى اغتيال عبد الله بن الجليقى ، فهى أكثر وضوحا من رواية ابن عذارى ، وتتضمن بعض التفاصيل ، يقول ابن حيان فى حوادث سنة ٣١١ هـ (٩٢٣ م) « وفيها قتل عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن الجليقى ، صاحب بطليوس ، المنتزى فيها على الخلاف للجماعة ، وراثة عن آبائه ، وكانوا أولى شأوا بعيد فى المعصية ، وذوى حوادث عظيمة ، قتله أصحابه لاختلاف وقع بينهم ، فرجع الله به عن المسلمين شرا شديدا » (٩٤) .

وواضح أن قتلة ابن الجليقى كانوا من جملة أنصاره ، اختلفوا معه لأمر خطير ربما يتعلق بتسليم بطليوس لعبد الرحمن الناصر ، والكف عن الخلاف للجماعة ، وان كان ابن حيان يختتم نصه بعبارة يفهم منها أن قتله جاء خيرا للمسلمين ، وفى هذه الحالة يمكن تفسير سبب قتله بنيته فى التحالف من جديد مع ملك ليون واشتورياش ، ونعتقد أن هذا التفسير الأخير هو أقرب الى المنطق ، ويفسر هذا نوايا اردون العدوانية على بلاد الجوف سنة ٣٠٨ هـ (٩٢٠ م) .

= الناصر وسرعة تحركه (انظر مدونة عبد الرحمن الناصر ، ص ٦٠ - ٦١) .

(٩٢) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٨٥ .
(٩٣) Codera, Los Benimeruan P. 56.

(٩٤) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شاليتا ، ص ١٨٨ .

وأيا ما كان الامر فقد كان مصرعه خاتمة مرحلة تعرض فيها الغرب - اقصد غرب الاندلس - لنشاط واضح المعالم لحركة الريكونكيستا La Reconqui ta من جانب ملوك اشتورياش وليون ، ويكفى أن عهده شهد موجات متتابة من المد الليونى : ففى سنة ١٨٢ (٧٩٨ م) استولى الفونسو الثانى على الاشبونة استيلاء مؤقتا حتى سنة ١٩٣ هـ (٨٠٨ م) (٩٥) . وفى سنة ٢٥٤ هـ (٨٦٨ م) سقطت مدينة برتقال Porto فى يد الفونسو الثالث ولكنها ظلت تتأرجح بين الحكم الاسلامى والجليقى الى أن استردها المنصور بن أبى عامر سنة ٣٨٧ هـ (٩٩٧ م) (٩٦) . وفى سنة ٢٦٤ هـ (٨٧٨ م) سقطت قلمرية فى ايدى الليونيين (٩٧) ، وان كان د . مكى ينفى وقوعها نهائيا فى ايديهم استنادا الى ما أورده كوتارلو (٩٨) .

وخلف عبد الله بن الجليقى على امارة بطليوس وما يتبعها من حصون وقرى ابنه عبد الرحمن بن عبد الله ، وقد أورد كل من ابن حيان وصاحب مدونة الناصر لدين الله اسمه كاملا (٩٩) . ومن الغريب أن كوديرة عندما يؤرخ لبطليوس فى هذه الفترة الحاسمة من تاريخها لا يذكر اسم الامير الجديد ويكتفى بقوله « وبعد وفاة عبد الله بن مروان الجليقى خلفه فيما يبدو على بطليوس رجل من أسرته » . ولم يحدد كوديرة للأسف مدى قرابة هذا الامير الجديد للامير المقتول كما أنه لم يتوصل الى معرفة اسمه رغم وجود نصين صريحين يشيران الى ذلك

Lévi-Provençal, Histoire de L'Esp. Mus., t. II, P. 174. (٩٥)

(٩٦) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د . مكى ، تعليق ٥٨٤ .

Lévi-Provençal, Op. Cit., t. I, P. 321. (٩٧)

(٩٨) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د . مكى ، تعليق ٦١٩ وانظر :

A. Cotarelo Valledor, Alfonso III el magno, Madrid, 1933, P. 628.

(٩٩) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٢٤٦ ، مؤلف

مجهول ، مدونة الناصر ، ص ٨١ . وراجع ابن عذارى، البيان،

ج ٢ ، ص ١٩٩ .

بكل وضوح كانا في متناول يده . ومن المرجح أن السبب في اغفال كوديره لاسم خليفة عبد الله بن محمد بن الجليقي يرجع الى أنه اعتمد في دراسته لهذا الموضوع على البيان المغرب لابن عذارى الذى لم يذكر الاسم صراحة واكتفى بقوله « وفيها (اى فى سنة ٣١١ هـ) كانت غزاة الناصر الى مدينة بطليوس لمحاربة أهلها وابن مروان المنتزى عليه فيها » (١٠٠) .

(٣)

سقوط دولة بنى الجليقي فى بطليوس سنة ٣١٨ هـ (٩٣٠م)

(١) استرجاع الناصر لبطليوس

اهتم عبد الرحمن بن محمد منذ توليه الامارة فى قرطبة سنة ٣٠٠ هـ بالقضاء على الدويلات الطائفية ، واعادة الاندلس الى سابق وحدتها على نحو ما كانت عليه فى عهد الامراء الاقوياء (١٠١) ، واعتمد فى ذلك على سياسة تقوم على الترهيب والترغيب ، فقد ارسل الكتب والرسائل الى جميع الثوار المستقلين فى نواحي الاندلس يطلب منهم الطاعة والتبعية لسلطانه ، فكان أول من اجابه سعيد بن السليم عامل حصن مارتس Martos من كورة جيان Jaen ، وأول من بايع الناصر من أصحاب الاطراف محمد بن عبد الرحمن أمير سرقسطة ، ثم بدأت تتتابع البيعات من جميع بلاد الاندلس ، وبعد مرور شهر من توليه الامارة اعد حملة كبيرة استهدف منها القضاء على من تبقى من الثوار الخارجين على دولته ، فبدأ عهده بصائفة سيرها عام ٣٠٠ هـ (٩١٢م) وتعرف بغزوة المنتلون (Monteleon) نسبة لافتتاحه حصن المنتلون وكان من أهم الحصون المناوئة لسلطانه وأخطرها ، وفيها افتتح سبعين حصنا « كل حصن منها قد نكبت عنه

Codera, los Benimeruan, P. 57.

(١٠٠)

(١٠١) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ،

ص ٢٨٠ .

الصوائف ، وأعياى على الخلائف ، وكان استعداد لها من أول شهر رجب من هذه السنة وأنفذ الكتب الى عمال الكور والنواحي فى الاحتشاد لها والاستعداد «(١٠٢) . ونجح عبد الرحمن فى اجتذاب أحمد بن محمد بن مسلمة بن حجاج صاحب اشبيلية الى الدخول فى الطاعة ، فسلم له مدينة اشبيلية عام ٣٠١هـ (١٠٣) (٩١٣ م) ، وكذلك تمكن من القضاء على ثورة بنى عمر بن حفصون فى ذى القعدة ٣١٥هـ (٩٢٧ م) . وفى العام التالى افتتح مدينة لقنت Alicante وقلبوشة Calliosa بشرق الاندلس (١٠٥) . ثم تفرغ بعد ذلك لاستنزال ثوار الغرب : ففى عام ٣١٦هـ (٩٢٨ م) افتتح الناصر مدينتى ماردة وشنترين بدون قتال ، وكان قد سير لهذا الغرض قائده الوزير أحمد بن محمد بن الياس على رأس قواته غازيا الى كور الغرب ، فاستسلم له مسعود بن تاجيت (أو تاكيت) بعد أن استأمن لنفسه ولأهله ، فنزلوا قرطبة وسكنوها « ودخل عبد الملك بن العاصى عامل الناصر لدين الله مدينة ماردة فملكها واستوثقت فيها الطاعة (١٠٦) » .

-
- (١٠٢) ابن حيان ، المقتبس : تحقيق شالميتا ، ص ٥٨ ، مدونة عبد الرحمن الناصر ، ص ٣٤ ،
Lévi-Provençal, Op. Cit., t. II, P. 22.
- (١٠٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٦٩ ، ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٦٤ .
- (١٠٤) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٢٢٦ ، مدونة الناصر ، ص ٧٤ .
- (١٠٥) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٢٣٨ ، ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٩٧ و
Lévi-Provençal, Op. Cit., t. 11 P. 23.
- (١٠٦) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .
ويفسر ابن حيان سبب افتتاح ماردة صلحا بأن أهلها أطاعوا الناصر وأذعنوا له بعد أن قوى أمره واشتدت شوكته واستولى على مكناسة الاصنام وما حولها من بلاد الثغر الجوفى، وكانوا قد علموا كذلك أن الوزير أحمد بن محمد بن الياس استقر على رأس جيشه الكثيف فى تلك المنطقة بعد طول حروب مع أهالى الحصون المجاورة ، كما بلغهم أنه حاصر حصن أم جعفر =

كذلك افتتح الناصر مدينة ماردة قاعدة بلاد الجوف صلحا في تلك السنة فاستسلم اليه أهلها بالامان (١٠٧) ، وتولاها من قبل الخليفة عبد الرحمن الناصر عبد الملك بن العاصي ، فدخلها عبد الملك دخول الفاتحين وبذل أهلها الطاعة، وجمع الناصر لواليتها عمل مكناسة وهوارة ونفرة ولقنت ، فاتسعت ولايته (١٠٨) .

وفي تلك السنة أيضا افتتح مدينة شنترين بلا حرب (١٠٩) ثم ازداد حرص الناصر على وضع حد لدولة بنى الجليقى وجميع المخالفين عليه من زعماء هذه النواحي ، وأصر على استئصال المستمسكين بالخلاف عليه ، فقرر الخروج بنفسه لغزو كور غربى الاندلس وبدأ بتعبئة قواته لهذه الغزاة في ١٠ من ربيع الاول سنة ٣١٧ هـ (٢٣ ابريل ٩٢٩ م) (١١٠) ، فكان خروجه من قصره بقرطبة في اليوم الحادى عشر من شهر ربيع الآخر (الموافق ٢٤ من مايو) وأغزى معه ولديه الامير الحكم ولى العهد والامير المنذر . وكان قد أرسل رسله الى ثوار

= قاعدة قبيلة نفرة التى يتزعمها آنذاك ابن عيسى من بنى ورجول ، فخاطبه ابن عيسى فى طاعة الامير عبد الرحمن وتسليم حصنه والنزول الى قرطبة ومع الامان ، فتم ، وبذلك أصبح الخطر يتهدد ماردة لا سيما بعد أن نقل أحمد بن الياس نشاطه الحربى الى حصن الحنش ، وحارب رجاله ، فصمم مسعود بن تاجيت أمير ماردة على الدخول فى طاعة الامير والمضى الى قرطبة ، واختار للتفاوض عن بلده رجلا من بربر ماردة اسمه ابن منذر نجح فى وساطته ، وتمكن من أخذ الامان لابن تاجيت ولأهل ماردة ، ونتج عن نجاحه فى الوساطة أن استقضاه عبد الرحمن الناصر على ماردة ، ثم أمر الناصر عبد الملك بن العاصى بدخول ماردة ، فدخلها وضبط قصبته المنيفة .

- (١٠٧) ابن حيان ، المقتبس : تحقيق شالميتا ، ص ٢٣٨ .
- (١٠٨) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٢٤١ .
- (١٠٩) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٩٨ .
- (١١٠) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٢٤٥ .

الغرب المستمسكين بالخلاف في صدر هذه السنة ، يدعوهم الى الدخول في طاعته ، وينصحهم بالتخلي عن غيهم وضلالتهم وعصيانهم ، ولوح لهم باكرام الطائعين ، وانذر المخالفين بالقتال وللأسف لم يلق الناصر اى استجابة من هؤلاء الثوار وعلى رأسهم صاحب بطليوس وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن مروان الجليقي الذي ورث امارته « عن أربعة من آبائه أولى شأو في الغى وقدم ثابتة في الضلالة » (١١١) .

نزلت جيوش قرطبة بقيادة الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وشارك في القيادة القائدان أحمد بن اسحق القرشي واخوه محمد في ساحة بطليوس ازاء بابها في ٢٣ ربيع الآخر من سنة ٣١٧هـ (٩٢٩م) ، فبرز له صاحبها عبد الرحمن الثاني فأفحش في القول وأساء التصرف (١١٢) ، ولم يتردد في تحدى الخليفة الأموي ، فبادر باخراج عدد من فرسانه لمحاربة عسكر قرطبة ، ولم يتردد الناصر في اخراج قوة من أبطاله ناشبوا أهل بطليوس القتال فدافع ابن الجليقي سوية ثم انهزم رجاله وولوا الادبار ، فطاردتهم عساكر قرطبة داخل ارباضهم وقتلت جماعة من فرسانهم (١١٣) فتدافعوا الى باب المدينة وتحصنوا بداخلها وقد أصيبوا بالذعر وتولتهم دهشة الهزيمة ، والظاهر أن قوات ابن الجليقي حاولت في اليوم الثاني من الحصار الاشتباك من جديد مع قوات الناصر في موقعة اخرى ، انتهت بهزيمتهم ، وقتل فيها عدد كبير منهم أرسلت رؤوسهم الى قرطبة ، وعلى اثر ذلك بدأ الناصر يحكم حصاره على المدينة ، فبادر رجاله بانتساف المزارع واحراق الاشجار وافساد العمران الممتد في الارياض الواقعة خارج السور ، وتدمير كل مرافقهم ، وشدد الناصر الحصار

(١١١) المصدر السابق ، ص ٢٤٦ .

(١١٢) نفسه ، ص ٢٤٦ .

(١١٣) نفسه ، ص ٢٤٦ .

عليهم(١١٤) ووكل به الى القائد أحمد بن اسحاق القرشى ، ثم اتجه هو بقوة من رجاله الى ماردة لتنفذ احوالها ، واستصلاح أهلها ، ومباشرة معاشها . ثم ان الناصر ولى على ماردة محمد بن اسحق القرشى بدلا من عبد الملك بن العاصى الذى كان قد ولاه عليها فى العام السابق . وترك الناصر فى خدمة الوالى الجديد عددا من الحشم ، وكر عائدا الى مدينة بطليوس ، ثم هاجم بعساكره جانبا آخر من بطليوس غير الجانب الذى سبق أن هاجم منه المدينة ، وأذاق أهلها وبال عصيانهم ومروقهم ، ولم يكتف الناصر بذلك بل استقدم لتعزيز الحصار وإحكامه أعدادا كثيفة من قواته بعددهم وآلاتهم ، وأمرهم بالمبالغة فى مضايقة أهل بطليوس ، وجعل على كل حصن من حصون بطليوس طوائف من أنجاد قواته يضيقون عليها ، ويواصلون مضايقة المدافعين فيها بعددهم وآلاتهم ، واستمر حصار الناصر لها عشرين يوما (١١٦) ذاق فيها أهلها مرارة قذائف المجانيق وآلام الجوع، وبعد أن اطمئن الناصر الى احكام الخناق على بطليوس والى تشدد قائده أحمد بن اسحق فى تأديبهم ، خرج فى جمهور عساكره متجها الى باجة ، وكان يتولاها الثائر عبد الرحمن بن سعيد بن مالك صاحب ابن الجليقى فى الخلاف والمعصية ، فنزل الناصر بقواته فى ساحة باجة فى أول جمادى الآخرة ، وأرسل يدعو صاحبها الى الطاعة ويذره بالقتال ، فأبى النصيحة ، فطوق العسكر أسوار المدينة من كل جانب ، وحاصروا أهلها ، وقد تحصنوا داخل أسوارهم ، فقطع الناصر عنهم الميرة والاقوات حتى نالهم الجوع والعطش ، وتساقطوا من الاعياء ، فاضطر صاحبها الى طلب الامان والاستسلام ، فأمنه الناصر ، وأمن أهله وبنى قومه ، فأدخلهم بعسكره ، ثم نقلهم الى قرطبة فأصبحوا فى عداد

(١١٤) المصدر السابق ، ص ٢٤٧ ، ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ .

(١١٥) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ .

(١١٦) المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .

حشمه ، وتم افتتاح باجة في ١٥ من جمادى الآخرة سنة ٣١٧هـ (٩٢٩م) وولى عليها عبد الله بن عمرو بن مسلمة في أول رجب ، وندب معه قوة كثيفة من الرجال والعدة ، وأمر بإنشاء قصبة لسكنى عامله . وما أن تم للناصر كل ذلك في غضون ١٥ يوما (١١٧) حتى زحف الى اكشونية ، وكان يتولى هذه الامارة الشائر خلف بن بكر المولد ، وكانت تضم الاراضى من شنتمرية الغرب الى شلب (١١٨) .

فنزل بساحتها في ٢٣ من جمادى الآخرة وكان قد افتتح في طريقه اليها حصن الرقاع (١١٩) ، فغنم فيه لخلف بن بكر مالا كثيرا وعدة وسلاحا ، ففت ذلك في عضد ابن بكر ، وأيقن بعبث المقاومة ، فأرسل رسله الى الناصر للتفاوض في التسليم واطهار طاعته له ، فقبل الناصر منه ذلك ، وأقره على ولايته على أن يلتزم بالطاعة ويطبق العدالة بين الرعية ويحسن السيرة ، ولا يأوى مارقا أو يقبل مخالفًا ، ثم قفل الناصر الى قرطبة بعد ثلاثة وتسعين يوما (١٢٠) . أما أحمد

(١١٧) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٢٤٨ وقارن مدونة

الناصر ص ٨١ ، وابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ .

Lévi-Provençal, Op. Cit., t. II, P. 25.

(١١٨)

(١١٩) ابن حيان ، المقتبس ، شالميتا ، ص ٢٤٨ ، ابن عذارى ،

البيان ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ ، ولم نتوصل الى معرفة موقع هذا

الحصن أو ما يقابله حاليا من أسماء المواضع .

(١٢٠) مدونة عبد الرحمن الناصر ، ص ٨١ ، وفي ذلك يقول ابن حيان

« فأخرج اليه النزائل وأقام الوظائف ودعا الى اقراره بمكانه

على أن يمحض الطاعة ويلتزم ادرار الجباية الوافرة ويحسن

السيرة في الرعية ، وقد أظهر رعيته فيه رغبة شديدة ووصفته

بسيرة حميدة فقبل الناصر لدين الله أنابته وأوسع حسن

رايه وأقره على ولاية بلده ، وفارقه على عدد مقرر في جباية بلده

يحملة لميقاته في كل عام الى حضرته ، وأخذ عليه احسان

السيرة في رعيته ، وألا يقبل نازعا ولا يكشف هاربا ، فالتزم

جميع ما شرط عليه ، ووقف عند ما حد له ، وجدد الناصر

لدين الله سجله على كورة اكشونية عند اياه عن غزوته الميمونة

يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة منها ، فدخل قصر =

ابن اسحاق القرشي فقد واصل حصاره لبطلوريوس ومقاتلته لاهلها ، وتدميره لعمرانها ، وكانت بينه وبينهم وقائع دارت فيها الدوائر عليهم ووقع في يده خلالها سبعون أسيرا من فرسانهم بعث بهم الى باب السدة (١٢١) بقرطبة حيث ضربت رقابهم بالمرج (١٢٢) على ضفة الوادى الكبير . ومنذ ذلك الحين انكسرت شوكتهم وانهارت مقاومتهم ، واستمر حصار بطليوس حتى صدر عام ٣١٨ هـ (١٢٣) (٩٣٠ م) ، فقد واصل عسكر الخليفة التضييق على اهل بطليوس وقطعوا عنهم الاقوات ، فيئسوا من المطاولة ، وايقنوا بنهايتهم المحتومة بعد أن لمسوا اصرار الخليفة الناصر على استنزالهم ، ورأوا منه عزما لا فترة فيه وجدا لا بقاء لهم عليه . ولم يلبث أميرهم عبد الرحمن بن عبد الله أن استكان لقدره ، وأذعن بطاعة الخليفة ذليلا ، فأرسل يطلب الامان ، فأجابه

= قصر الخلافة بقرطبة حضرته ، يوم الاحد لاربع عشرة ليلة خلت من رجب منها ، وقد استتم في غزاته تسعين يوما وثلاثة أيام زائدة عليها » (انظر ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شاليتا ، ص ٢٤٩) .

(١٢١) كان ينفث على رصيف قرطبة ويعتبر من الابواب الرئيسية بقصر الخلافة بقرطبة ، وكان الخليفة يشرف من السطح على اعدام الثوار امام هذا الباب (ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ١١٢) وتعليق جثثهم أو صلبها على شرفاته . ولزيد من المعلومات عن هذا الباب راجع السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة حاضرة الخلافة في الاندلس ، ج ١ ، بيروت ١٩٧١ ، ص ١٩٣) .

(١٢٢) المرج من متنزعات قرطبة التي يقصدها الوشاحون والشعراء في قرطبة الاسلامية ، وقد عرف بالمرج الخصب ، وورد في زجل قاسم بن عبود الرياحي وعرف أيضا بالمرج النضير ، وكان يقع بالقرب من الرملة بين الوادى ونهير يتفرع منه يعرف اليوم باسم فونسانتا ، وورد ذكر المرج النضير في قصيدة لأبى القاسم عامر بن هاشم القرطبي ، (المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٨٠) كذلك عرف بمرج الخز كما ورد في شعر كل من أبى الحسين بن أبى جعفر الوقشى وأبى سعيد المغربي (المقرئ ، ج ٢ ، ص ٢٠) .

الناصر اليه وأمنه هو وأهله ورجاله ، ورحلوا الى قرطبة حيث أسكنهم الخليفة وبالح في اكرامهم ، وهكذا سقطت دولة بنى مروان الجليقي، ودخلت بطليوس الحاضرة في فلك الخلافة فاضبطها الخليفة وقلد عثمان بن عبد الله عاملا عليها بصفة مؤقتة فكان أول عمال الدولة بعد انضمامها الى الجماعة (١٢٤) .

(ب) بطليوس في ظل الخلافة الاموية :

أصبحت بطليوس تابعة لدولة عبد الرحمن الناصر ، تدين له بالتبعية والطاعة والولاء ، ويعين عليها كل عام عاملا أو واليا من قبله يباشر أمورها ، ويشرف على شئون أهلها ، ويرعى مصالحهم ، وفي نفس الوقت يعمل على ربطها بالخلافة (١٢٥) بقرطبة . وفيما يلي جدول يتضمن أسماء عمال بطليوس في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر :

(١٢٤) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٢٧٢ .

(١٢٥) تلقب عبد الرحمن الناصر باللقاب الخلافة في ٢٨ ذي القعدة سنة ٣١٦ هـ (٩٢٨ م) ليوطد مركزه داخل الاندلس وخارجه وليحارب الفاطميين الذين كانوا يسعون الى السيطرة على الاندلس حتى تصبح لهم دولة مترامية الاطراف تضم المغرب والاندلس يسودها التشيع ، ولهذا تلقب الناصر باللقاب الخلافة ، وأصدر منشورا وزعه عماله في النواحي المختلفة (انظر السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ، ص ٢٨٧ ، وانظر الملحق ، ص ٣١٩) .

اسم العامل	نام الولاية
عثمان بن عبد الله	اول عام ٣١٨ هـ
محمد بن مطرى (١٢٦)	المحرم من ٣١٨ هـ
محمد بن مطرى (١٢٧)	٢١٩ هـ
محمد بن عبيد الله (١٢٨)	٣٢٠ هـ
معاوية بن حكم القرشى (١٢٩)	٣٢١ هـ
مطرف بن جراح (١٣٠)	٣٢٢ هـ
براء بن مقاتل (١٣١)	٣٢٣ هـ

- (١٢٦) ابن حيان ، المقتبس ، شالميتا ، ص ٢٨٥ .
- (١٢٧) ذكر ابن حيان اسم هذا العامل في ثبت عمال الناصر عام ٣١٩ هـ (٩٣١م) ولم يرد في احداث عام ٣٢٠ هـ (٩٣٢م) اسم عامل بطليوس .
- (١٢٨) لم يرد اسم عامل بطليوس لهذه السنة ٣٢٠ هـ (٩٣٢م) الا في عام ٢٢١ هـ (٩٣٣م) حيث قال ابن حيان « وفيها (٣٢١ هـ) عزل محمد بن عبيد الله من مدينة بطليوس ووليها معاوية ابن حكم القرشى » (المقتبس لابن حيان : تحقيق شالميتا ، ص ٣٣٢) .
- (١٢٩) ذكر ابن حيان (في اخبار عام ٣٢١ هـ كما ذكرنا) أن معاوية بن حكم القرشى هو الذى تولى بطليوس لهذا العام ، ولكنه ذكره في اخبار عام ٣٢٢ هـ بصورة أخرى حيث قال « وعزل حكم بن معاوية القرشى عن مدينة بطليوس بمطرف ابن جراح » (ابن حيان ، المقتبس ، شالميتا ، ص ٣٥٦) .
- (١٣٠) المصدر السابق ، ص ٣٥٦ .
- (١٣١) نفسه ، ص ٣٧٨ .

السنة التي تولى فيها العامل	اسم عامل مدينة بطليوس
٣٢٤ هـ	عيسى بن ديسم (١٣٢)
٣٢٥ هـ	حمد بن جهور (١٣٣) - قاسم بن ق مقام
٣٢٦ هـ	أحمد بن محمد بن عبد الرحمن (١٣٤)
٣٢٧ هـ	لياس بن سليمان
٣٢٨ هـ	أحمد بن يحيى (١٣٥)
٣٢٩ هـ	براء بن مقاتل (للمرة الثانية)
٣٣٠ هـ	محمد بن سليمان ، ومحمد بن عبد الله ابنو جودي معا مع ولاية شنترين .
٣٤٣ هـ	أحمد بن محمد ، وعباس بن عبد الله معا أية ركب واروش واحوازهما (١٣٩) .
٣٤٣ هـ	أحمد بن يعلى بن وهب
٣٤٣ هـ	عبيد الله بن أحمد بن يعلى بن وهب (١٣٧)

(١٣٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شاليتا ، ص ٣٩٢ .
(١٣٣) حدث اضطراب في نص ابن حيان الذي يشير فيه الى عزل عامل
بطليوس سعيد بن وارث في سنة ٣٢٥ هـ (٩٣٦م) (ص ٤١٧)
بينما كان قد ذكر من قبل في حوادث سنة ٣٢٤ هـ (٩٣٥م) انه
تولى على بطليوس عيسى بن ديسم بدلا من براء مقاتل
(ص ٣٩٢) . وبمقابلة النصوص التي أوردها ابن حيان نجد
انه حدث خطأ ما في ذكر اسماء الولاة في عامي ٣٢٥ هـ
(٩٣٦ م) ، ٣٢٦ هـ (٩٣٧ م) ، فسعيد بن وارث كان واليا
على وادي الحجارة سنة ٣٢٣ هـ (٩٣٤م) كما ان محمد
بن جهور الوارد ذكره لم يكن يلى بطليوس وانما كان يلى
أشبيلية في سنة ٣٢٤ هـ (٩٣٥ م) ثم عزل عنها سنة ٣٢٥
(٩٣٦ م) .
(١٣٤) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شاليتا ، ص ٤٣٠ .
(١٣٥) لم يذكر ابن حيان اسم من ولى بطليوس هذا العام (٣٢٧ هـ)
(٩٣٨ م) ، ولكننا نستنتج من أخبار الوزراء والعمال في سنة
٣٢٨ هـ (٩٣٩ م) على انه كان يليها أحمد بن يحيى قبل ولاية
براء بن مقاتل الثانية .

هذا ما وصلنا من المصادر العربية عن أهم عمال بطليوس في عهد الناصر ، وقد ذكر ابن حيان في أحداث عام ٣٢٤هـ (٩٣٥م) أن الوزير يحيى بن اسحاق « دخل من مدينة بطليوس غازيا الى جلالقة الغرب دمرهم الله فافتتح حصن اربقيرة (١٣٨) . هذا الخبر يشير الى حقيقة هامة للغاية وهى أن بطليوس على الأخص في عصر الخلافة الأموية ، أصبحت منطقة ثغرية هامة ومنطلقا للجهاد ضد أعداء الاسلام،

= (١٣٦) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٤٩٠ .
(١٣٧) ورد في الحلة السيرة لابن الابار والبيان ، ج ٢ لابن عذارى ، ص ٣١٩ أن الناصر ولاء على اقليم الثغر الجوفى (بطليوس) بعد أن عزل أباه أحمد بن يعلى من منصبه ورقاه الى ولاية طليطلة وأعمالها من الثغر الأدنى ، ورفع منزلته ، وجعله في مرتبة الوزراء مع احتفاظه بخطته في الشرطة العليا ، ولم يحدد ابن الابار العام الذى تولى فيه أحمد بن يعلى ولاية بطليوس ولكن لما كان ابن الابار قد ذكر السنة التى تولى فيها ابنه عبيد الله ولاية بطليوس بدلا من والده فيمكننا أن نتصور أن الأب القائد أحمد بن يعلى كان واليا على بطليوس قبل عام ٣٤٣هـ (٩٥٤م) (انظر ابن عذارى ج ٢ ، ص ٢١٧) وكان أحمد بن يعلى قد أبلى بلاء حسنا اثناء ولايته على بطليوس في حروبه ضد جليقية (انظر ابن الابار ، الحلة السيرة ، ج ١ ، ص ٢٥٦) ، من بينها حملة قادها أحمد بن يعلى في سنة ٣٣٩هـ (٩٥٠م) استولى فيها على ثلاثة حصون ، وعاد بالآلاف من الاسرى (انظر Lévi-Provençal, Histoire de l'Esp. Mus., t. II. P. 25.

ويذكر ابن عذارى ، (البيان ، ج ٢ ، ص ٢١٧) في أحداث سنة ٣٣٩هـ (٩٥٠م) أن الناصر أخرج قائده أحمد بن يعلى نحو جليقية « رجاء في انتهاز فرصة من العدو ، فاعانه الله عليها واقتحم على غفلة فافتتح ثلاثة حصون وسبى نحو من ألف سبية » . « وفي سنة ٣٤٠هـ كانت للمسلمين غزوات على الروم نصرهم الله فيها منها فتح على يد قائد بطليوس بجليقية هزمهم أقبح هزيمة ، قتل جملة من حماتهم ومقاتلتهم ، وسبى نساءهم وذرايرهم نيفا على ثلاثمائة رأس . . . وفتح آخر على يدى أحمد بن يعلى قائد الناصر » ، والظاهر أن ابن يعلى كان يتولى أيضا قيادة الاسطول في هذه السنة ، (ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ٢١٨) .

(١٣٨) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٣٨١ .

فكانت معبرا لجيوش المسلمين ضد اعدائهم ، اما الوزير يحيى بن اسحاق فهو يحيى بن اسحق البطليوسى الطبيب الذى «لم يكذب صدق حدسه ولا خفى غامض على حسه» ، وكان بصيرا بالعلاج ، استوزره عبدالرحمن الناصر وولاه الولايات الجليلية بعد اسلامه (١٣٩) ، ويورد ابن عذارى خبرا فى حوادث عام ٣٤٠ هـ (٩٥١ م) نصه « وفى سنة ٣٤٠ هـ كانت للمسلمين غزوات على الروم نصرهم الله فيها ، منها فتح على يد قائد بطليوس بجليقية ، هزمهم اقبح هزيمة ، قتل جملة من حماتهم ومقاتلتهم ، وسبى من نسائهم وذراريهم نيفا على ثلاثمائة رأس ووصل ذلك السبى الى قرطبة لثلاث خلون من المحرم ، وفتح اخر على يد احمد بن يعلى قائد الناصر « (١٤٠) ، ولعل هذا الخبر يوضح تماما مدى اهمية بطليوس فى عصر الناصر ، فقد كان يرسل اليها اقوى الولاة الذين يتساوون فى مقدرتهم الحربية مع اعظم قادة الخلافة فى ذلك الوقت ، ويشير ابن عذارى انه فى ذلك العام الذى خرج فيه قائد بطليوس الى جليقية غازيا ، فتح أحمد بن يعلى قائد الناصر بلاد العدو ، وانتصر رشيق قائد الناصر فى طليبرة ، كما انتصر فى نفس العام يحيى بن هاشم التجبى فى غزاته لهذا العام ، ومن الجدير بالذكر ان أسماء هؤلاء القادة الكبار ترد فى نفس الوقت مع خبر غزوة قائد بطليوس مما يدل على ان قائد بطليوس كان على قدم المساواة مع باقى القواد ، وما يؤكد اهمية المدينة كقاعدة للجهاد .

وقد اهتم بنو أمية لاسيما فى عهد الناصر بتحسين الثغور ، وكان يبعث ثقات رجاله من الفقهاء والقضاة لتفقدوها ، مثل ذلك محمد بن

(١٣٩) ابن فضل الله العمري ، مخطوطة مسالك الابصار ، الجزء التاسع ، نسخة مصورة ، محفوظة فى مكتبة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمديرية تحت رقم ٢٠ لوحة ١٥٦ وجه ، وانظر جمال الدين أبى الحسن على بن يوسف القفطى ، تاريخ الحكماء ، تحقيق Julius Lippert ، ليبزج ١٩٠٣ ، ص ٢٥٩ .

(١٤٠) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ٢١٧ .

عبد الله بن يحيى بن يحيى الليثى قاضى الجماعة بقرطبة منذ عام ٣٢٦هـ (٩٣٧ م) الذى كان يخرج الى الثغور ويتولى اصلاح ما وهى فيها ، وقد تسوفى فى آخر خرجاته الى بعض الحصون المجاورة لطليطلة . ولما كانت بطليوس من اهم المناطق الثغرية ، فكان لابد للخلافة ان تهتم ببناء الحصون لها خاصة وقد ذكر ابن الفرضى فى ترجمته لقاسم بن أحمد بن محمد بن عباس المعروف بابن ارفع رأسه أنه استقضى فى زمن المستنصر بالله على بطليوس ، وتصرف فى بنيان الحصون فى الثغر الجوفى ، فإذا كان الحكم المستنصر قد قام بتحسين حاضرة الجوف بطليوس فمن البديهي أن تكون بطليوس أحد الثغور التى كان أمثال محمد بن عبد الله يهتمون بتحسينها فى عهد عبد الرحمن الناصر (١٤٢) .

ومثل آخر نسوقه لاثبات أهمية هذا الثغر ، ذلك أن الناصر كان قد أخرج قبل غزوة الخندق الوزير القائد أحمد بن محمد بن الياس بقطيع من جيشه الى ثغر الغرب احتياطا على أهله حتى لا تكون للعدو عليهم حيلة عند توغله هو بالصائفة فى أرضهم (١٤٣) ، وفى سنة ٣٢٨ هـ (٩٣٩ م) انفذ كتبه الى جميع القواد والعمال بالثغور العليا والشرقية والجوفية (بطليوس) والغربية بادخال السرايا الى دويلات اسبانيا المسيحية من كل جهة ، وأرسل يزود هذه الثغور بأعظم قواده .

وقبل أن نختم هذا الفصل لابد من الإشارة الى خبر غريب أورده ابن خلدون فى كتابه العبر فى سياق حديثه عن ملوك بنى أذفونش من الجلالة نقلا عن ابن حيان ، يقول ابن خلدون « ثم هلك شانجة ملك بنى أذفونش ببطلليوس (وصحتها بليون) وقام بأمرهم بعده ابنه رذمير» (١٤٤) . ومن المعروف أن شانجة هذا ويعرف فى المصادر

(١٤١) ابن الفرضى ، تاريخ علماء الاندلس ، ص ٣٧٠ .

(١٤٢) المصدر السابق ، ص ٣٧٠ ترجمة ١٠٨٣ .

(١٤٣) ابن حيان ، المقتبس ، شاميتا ، ص ٤٣٤ .

(١٤٤) ابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ٣٨٨ .

الاسبانية بسانشو السمين كان وفد جدته الى قرطبة سنة ٣٤٧هـ (٩٥٨م) ليستعين بالناصر في استرجاع عرش مملكة ليون ونبرة الذي عزله منه نبلاء ليون وقشتالة وقد تمكن بفضل معونة الناصر من استرجاع ملكه في سنة ٣٤٩ (٩٦٠م) ، ولكنه لم يف بوعود للناصر فاضطر خلفه المستنصر الى محاربته . وعاد الحكم محاربته في صائفة سنة ٣٥٢هـ (٩٦٢م) ونازل شنت اشتييان دى غرماج على نهر دويره . ومن المعروف أن شانجة توفي في ٣٥٥هـ (٩٦٦م) مسموما سمه أحد نبلاء جليقية ويدعى القومس جنثالو El Conde Gonzalo de Galicia في تفاحة قدمها له في قصره ، وخلفه ابنه ردميره الثالث (١٤٥) ، ووضح أنه لا علاقة بين سانشو ومدينة بطليوس التي ظلت في عصر الحكم المستنصر بالله ثغرا للمسلمين في الجوف ومنطلقا للجهاد الى مملكة ليون ونبرة ، ولم تكن تربطه بالحكم المستنصر أية علاقات ودية بل على الضد من ذلك كان الحكم يوجه اليه الحملات بسبب عدم وفائه بالتزاماته وعهوده نحو ابيه .

الباب الثانى

مملكة بطليوس فى عصر دويلات الطوائف

الفصل الثالث

(بطليوس في عصر المنصور بن الافطس وولده المظفر)

- ١ - بطليوس قاعدة غرب الاندلس في عصر دويلات الطوائف
- ٢ - المنصور أبو محمد عبد الله بن محمد بن مسلمة ابن الافطس .
- ٣ - بطليوس في عهد المظفر محمد بن عبد الله ابن الافطس .

الفصل الثالث

(بطليوس في عصر المنصور بن الافطس وولده المظفر)

(١)

بطليوس قاعدة غرب الاندلس في عصر
دويلات الطوائف

منذ أن أصبحت قرطبة مستقر الخلافة المروانية في الاندلس ، يبدأ عصر جديد تألفت فيه قرطبة وازدهرت فيها الحياة العلمية وترعرعت ، وارتبط اسمها بالعلم والادب ، فكانت اليها الرحلة في رواية الشعر والشعراء والمركز الذى يتردد عليه طلاب العلم والعلماء ، وقد تعهد خلفاء قرطبة الحركة العلمية فيها بالرعاية وشاركوا فيها مشاركة فعالة .

فانتجع قرطبة في أيام الحكم على وجه الخصوص جلة من خيرة العلماء اجتذبتهم اليها أضواء حضارتها الساطعة ، وشدهم الى قصدها انها على حد قول الحجارى « منتهى الغاية ومركز الراية وأم القرى ، وقرارة اولى الفضل والتقى ، ووطن اولى العلم والنهى ، وقلب الاقليم ، وينبوع متفجر العلوم وقبة الاسلام وحضرة الانام ودار صوب العقول وبستان ثمر الخواطر وبحر درر القرائح » (١) .

ولقد اجتذبت قرطبة في جملة من اجتذبتهم شمس علومها صفوة من علماء بطليوس وادبائها نذكر منهم في عصر الناصر الطبيب يحيى بن اسحق وكان بصيرا بالعلاج ، يصنع الادوية بنفسه وعالج الناصر من مرض حل به ، فحظى بثقته ، واستوزره وجعله طبيبه الخاص ، وطبيب

(١) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم بالاندلس ، ص ٢٩٥ ، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، ج ١ ، ص ٦١ وما يليها .

حرمه وكرائمه (٢) . وفي عصر الحكم المستنصر الخليفة العالم (٣) استقدم الخليفة الى قرطبة والى بطليوس ابا الوليد يحيى بن عبد لوس وكان شاعرا من مشاهير شعراء الاندلس في زمنه ، ولكن كان من النوع الذى يغلب عليه الزهد ، وربما دفعه ذلك الى ان يطلب من الخليفة ان يأذن له بالرحيل الى الغرب للتنسك (٤) . كذلك ذاعت شهرة شاعر بطليوسى آخر ، هو سليمان ابن بطلال البطليوسى ، كذلك قدم الى قرطبة في عصر هشام المؤيد وخاجبه المنصور اعداد لا تحصى من العلماء والادباء ، من سائر انحاء الاندلس شاركوا في النهوض بالحياة الادبية والعلمية . هذا الدافع الذى اجتذب الكثير من رجالات العلم الى قرطبة حاضرة الخلافة ، اجتذب أيضا فارسييا (٥) يدعى سابور (٦) ، قدر

(٢) ابن جليل ، طبقات الاطباء والحكماء ، تحقيق الاستاذ فؤاد السيد ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص ١٠١ ، ابن أبى أصيبعة ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، نشرة الدكتور نزار رضا ، بيروت ١٩٦٥ ، ص ٤٨٨ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، ج ٢ ، ص ١٦١ وما يليها .

(٤) ولقد كان الحكم من أكثر خلفاء قرطبة اهتماما بالحركة العلمية ففي عهد والده الناصر استقبل الحكم ، ابا على اسماعيل بن القاسم القالى اللغوى ، صاحب كتاب « الامالى » (٣٣٠ هـ) عند نزوله بالاندلس واصطحبه معه الى قرطبة تكريما له واحتفاء بقدمه . وكان الحكم بعد خلافته ، يعين الكتاب والمصنفين بالكتب والمال ، كما اهتم للغاية بفن تجليد الكتب واجتمع له في قصره عدد مهول من خزائن الكتب ، وقد بلغ عدد فهارس دواوين الشجر وحدها في مكتبته اربعا وأربعين فهرسة تشتمل كل فهرسة على عشرين ورقة ، (انظر ابن سعيد ، المغرب ، ص ١٨١) هذا الى جانب اهتمام الحكم المستنصر بكتب الطب والعقاقير والتنجيم (انظر السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٣١٤ - ٣١٥ وراجع قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ٢ ، ص ١٦١ - ١٦٥) .

(٥) Martinezy Martinez; Op. Cit., P. 83.

(٦) ذكر ابن الابار نقلا عن ابن خيyan ان سابور هذا كان من الفتيان العامرية وكان أخذ صبيان فائق فتى الحكم المستنصر بالله (ابن الابار ، الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ٩٦) ويؤكد =

له ان ينتزى فى ثغر الغرب ويتلقب بالحاجب وهو اللقب الذى احتفظ به حتى وفاته وسجل فى شاهد قبره . ويبدو أن سابور هذا بعد أن أصبح من فتيان المنصور بن أبى عامر قد تألق بين فتيانه الصقلية وبرز بينهم ، وربما كان يتولى عملا هاما فى البلاط تحت اشراف فائق الفتى (٧) بحيث

=
ابن الاثير أنه من الفتيان العامرية فيذكر انه قام ببطليوس «سابور الفتى العامرى» ولكنه أخطأ وذكر انه تلقب بالمنصور والحقيقة أن المنصور هو لقب أبو محمد عبد الله بن محمد بن مسلمة الذى كان يدبر له أمره ثم استولى على ما كان بيده بعد وفاته (راجع ابن الاثير ، ص ٢٨٨) وواضح مما سبق أن سابور كان من الفتيان العامرية اذ كان أحد صبيان فائق فتى الحكم المستنصر وعبدًا من عبيده ، وربما الحق النسب العامرى به عندما استبد المنصور محمد بن أبى عامر بالدولة ، ثم انتزى ببطليوس وثرغ الغرب فصاحبه عبد الله وظهره ودبر أعماله وأصبح بيده الحل والربط ، فلما توفى سابور استولى عبد الله بن مسلمة على مقاليد الامور ، وتلقب بالمنصور . أما نسبته الى الفرس ، فأمر مشكوك فيه ، ولم يرد له ذكر فى المصادر العربية ، وربما انتشرت هذه النسبة بين المؤرخين المحدثين لارتباط اسم سابور باسم سابور ذى الاكتاف وهو اسم فارسى ، ولكن اتخاذ سابور لهذا الاسم لا ينفص دليلا على أنه فارسى ، ومن الجدير بالذكر أن الاستاذ محمد عبد الله عنان عند رجوعه الى النسخة الخطية من الحلة السيرة لابن الابار ، قرأ كلمة سابور العامرى على أنها سابور الفارسى « دول الطوائف » القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٨٠ - ٨١) ونحن نرجح النسبة العامرية للأسباب السابقة ، لاسيما وأنه لم يعد هناك مماليك أو عبيد من الفرس فى القرن الخامس الهجرى .

(٧) كان رئيس الصقلية فى بلاط الحكم المستنصر والخادم الخاص له ، ويعرف بقائق النظامى وكان يتولى البرد والطرارز ، وكان من مؤيدى المغيرة ابن الناصر ، خليفة للحكم المستنصر واتفق معه فى ذلك جؤذر الفتى زميله فى خدمة الحكم ، وحاول جؤذر اخفاء خبر وفاة الحكم عن سائر اهل الدولة ، وعن جعفر بن عثمان الصحفى الحاجب ، بل انه اقترح على زميله فائق أن يغتال جعفر ولكن فائق نهاه عن قتله ، وأرسل فى طلب جعفر ، فلما حضر نعيًا اليه الحكم ، ولما كان جعفر يرغب فى تنصيب هشام لصغر سنه فقد أشار على أصحابه بقتل المغيرة ، وأسند هذه المهمة الى ابن أبى عامر فنفذها وأسقط فى يد =

ظهرت مواهب له كانت خافية ، فأسند اليه الحكم عملا اداريا في الثغر
الجوفى .

Martinez y Martinez

ويعتقد مارتينث اى مارتينث

ان الخليفة الحكم المستنصر عهد الى سابور بحكم بطليوس ومنطقتها ،
ويبدى مارتينث رايه في كيفية وصول سابور الى الحكم في بطليوس ،
فيذكر أن المنصور بن ابي عامر هو الذى أوحى الى الخليفة عن
طريق علاقته الوثيقة بالسيدة صبح البشكنسية ام ولد الحكم أن يسند
حكومة بطليوس الى سابور ، في الظاهر مكافأة لجهوده ، وفي الواقع
لابعاده عن المسرح السياسى في قرطبة وحتى يتفرغ لتحقيق مآربه (٨)
بعيدة المدى .

وقد يكون هذا الرأى صحيحا وهو ما أرجحه شخصا استنادا الى
النص الذى أورده ابن عذارى ويفيد بأن سابور هذا كان زمن الجماعة ،
وفي عهد الحكم المستنصر بالله بالذات مقيما بالغرب الاندلسى ، يقول
ابن عذارى « وكان بهذا الصقع بطليوس وشتنرين والاشبونة وجميع

= فائق وجؤذر ، ثم تمكنت الوحشة بين جعفر والصقالبة ، فقد
انحرفوا عنه وكرهوا خلافة هشام ، وبلغ جعفر أن فائق
وجؤذر يدبران انقلابا على الدولة ويدسان في ذلك الى بعض
من في قيادتهما من وجوه الفلمان ، فأراد أن يفل من قوتهما ،
فاوعز الى ابن ابي عامر بضم معظمهم اليه ، فاتخذ منهم نحو
خمسائة غلام شد بهم أزره ، وفخم أمره فأحبوه وأصبحوا في
قيادته فنسبوا اليه ومن المرجح أن يكون سابور واحدا من
هؤلاء العامرية .

أما فائق فقد انتهى أمره بأن نفاه المنصور ابن ابي عامر
الى الجزائر الشرقية حيث مات (ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ،
ص ٢٦٣) .

Martinez y Martinez, Op. Cit., P. 84.

(٨)

الثغر الجوفى فى امد الجماعة رجل من عبيد الحكم المستنصر بالله يسمى
سابور (٩) .

وواضح من هذا النص انه كان يؤدى عملا اداريا فى كل الثغر
الجوفى بما فى ذلك المدن الثلاثة المذكورة ، وهذا يدعونا الى الاخذ برأى
مارتينث اى مارتينث . ومن الجدير بالذكر أن المنصور بن أبى عامر تقلد
فى آخر ايام الحكم قضاء القضاة بالغرب ، وجعله الخليفة عينا على
العسكر وأوعز اليه فى مهماته ، فحمدت سيرته هناك وصحب حينئذ
وجوه العسكر وأشياخ القبائل (١٠) ولعل صلته بسابور توثقت منذ
ذلك الحين .

وفى ٤ من صفر عام ٣٦٦ هـ (٩٧٦ م) دعا ابن أبى عامر الناس
لمبايعة هشام بن الحكم بالخلافة بعهد من أبيه ، وحلف امامه الوزراء
وكبار رجال الدولة يمين الولاء، وأرسلت من البيعة نسخ ليوقعها العمال
فى مختلف الولايات (١١) ، وكان هشام صبيا حصر عليه ابن أبى عامر
داخل القصر ، ويذكر كوندى أن سابور اراد فى زيارته الى قرطبة على
اثر وفاة الحكم ربما لحلف يمين الولاء أن يختلى بهشام الصبى ، ويفضى
اليه ببعض الامور او يحذره من المحيطين به من رجال الدولة ، مدفوعا
فى ذلك بولائه لفائق الفتى ، الا أن ابن أبى عامر حال دون تحقيق هذه
الزيارة ، واضطر سابور الى العودة الى ولايته كما فعل غيره من
الولاة (١٢) . ويعمل Martinez y Martinez ، رغبة سابور هذه
فى الالتقاء بهشام المؤيد بأن سابور عندما كان يعمل فى خدمة الحكم
المستنصر تمكن من اكتساب ثقة ولده الامير هشام وربما لهذا السبب
اوعز بعض خصوم ابن أبى عامر الى سابور أن يحدث الامير هشام

(٩) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢٣٦ .

(١٠) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٥٣ .

(١١) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ٢٦٣ .

Conde, Op. Cit., P. 10.

(١٢)

بشأن مؤامرة قد يكون الحاجب قد دبرها ضده (١٣) . ولكنني لا أرى هذا الرأي ، فليس لدينا من النصوص ما يؤكد انه قدم لمبايعة هشام ، والمعروف ان العمال على الاقاليم ، كانوا يوقعون على نسخ البيعة ويرسلونها بالبريد الى قرطبة . وواضح ان رأى كوندى لا يعتد به لانه لا يستند على اى اساس تاريخى ، وكذلك رأى مارتينث اى مارتينث الذى يميل الى الظن بأن سابور كان مدفوعا باخلاصه لهشام وانه ربما اراد ان يحضره من مؤامرة قد يدبرها الحاجب (جعفر المصحفى) واتساءل كيف يفكر الحاجب فى مؤامرة لاطاحة هشام بينما هو صاحب المؤامرة التى رفعت هشام الى دست الخلافة واطاحت بالمغيرة .

حقيقة ان سابور كان من الفتيان المخلصين لفائق الفتى كبير صقالبة القصر بحكم انه كان احد صبيان فائق ، ولما كان فائق يؤيد خلافة المغيرة ، فمن المرجح ان سابور كان بالتبعية مؤيدا لخلافته ، وربما كان من بين الصقالبة الساخطين على هشام ، الامر الذى دفع ابن ابي عامر الى استمالتهم بحيث اصبح يقتنى منهم خمسمائة غلام نسبوا اليه ، واعتقد ان سابور منذ ذلك الحين اصبح يعرف بالعامرى بعد ان استوثق ابن ابي عامر من اخلاصه له ، وعلى هذا الاساس يصبح تقليده لولاية الغرب من قبل المنصور اقرب الى المنطق .

ومنذ استقرار هشام المؤيد على دست الخلافة بدأ نجم محمد بن ابي عامر فى الارتفاع والتالى ، وعمد الى دعم سلطانه عن طريق حجرة على الخليفة هشام وحصره بشخصيات ممن يثق المنصور بهم ، أما هو فقد انفرد بشئون الدولة ، وكون جيشا اعتمد فيه على ثقات رجاله واتباعه ، وبدأ سلسلة من الغزوات ضد اسبانيا المسيحية والتى بفضلها اكتسب فى سنة ٣٧١هـ (٩٨١م) لقب المنصور (١٤) ، ودعى له بهذا

(١٣) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ٢٧٩ .
(١٤) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ٢٧٩ .

اللقب على المنابر استيفاء لرسوم الملوك ، وكانت الكتب تنفذ عنه « من الحاجب المنصور ابى عامر محمد بن ابى عامر الى فلان » واخذ الوزراء ووجوه بنى امية يقبلون يده .

وكان المنصور بن ابى عامر قد بلغ بعد تسوره الى منصب الحجابة ونكبته لجعفر بن عثمان المصحفى درجة عالية من النفوذ والسلطان ، وافقتن به اهل الاندلس لما احرزته من انتصارات مذهلة على قوى المسيحية فى اسبانيا (١٥) .

وتصمت المصادر العربية خلال الفترة التى اصبح فيها المنصور ، الحاكم الفعلى والمطلق للبلاد عن ذكر سابور الذى يبدو انه واصل القيام بأعباء منصبه عاملا على الغرب ، ويشير مارتينث Martinez y Martinez فى تاريخه لبطلينوس الى ملاحظة هامة هى ان المنصور بن ابى عامر ترك سابور يواصل القيام بأعباء عمله واليا على الغرب فى الوقت الذى لم يتردد فيه فى تحية اى شخص يناصبه العداء ، من منصبه ، ولكن هذه الملاحظة لا تبدو غريبة اذا وضعنا فى الاعتبار ان سابور كان يحكم ولاية بعيدة عن قرطبة ومتطرفة عنها ولا تمثل بالنسبة لقرطبة خطرا حقيقيا بالاضافة الى ان المنصور لم يكن ليترك سابور ينعم بالراحة فى منصبه لو لم يكن موضع ثقته .

وتوفى المنصور عام ٣٩٢هـ (١٦) (١٠٠٢م) ، بعد خمس وعشرين

(١٥) غزا المنصور سبعا وخمسين غزوة ما بين شاتية وصائفة لم تنكس له فيها راية (راجع ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ٣٠١ ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين واثارهم فى الاندلس ، ص ٣٣١ ، وانظر غزوات المنصور الى بلاد اسبانيا المسيحية فى العذرى نصوص عن الاندلس ، تحقيق د. عبد العزيز الالهوانى ، مدريد ١٩٦٥ ، ص ٧٤ - ٨٠) ويجعلها صاحب ذكر بلاد الاندلس ٥٦ غزوة يذكرها ببعض التفصيل (مجهول ، ذكر بلاد الاندلس ، مخطوطة ، نسخة مصورة لوحة ١٥٧ - ١٦٤) .

(١٦) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ٣٠١ .

سنة وأربعة وأربعين يوما مضت منذ توليه منصب الحجابة ، وعلى اثر وفاته بدأت اركان الدولة العامرية تتصدع وتختل على الرغم من ان ابنه المظفر عبد الملك قد انتهج نفس سياسته الاستبدادية العسكرية، الا ان وفاة عبد الملك في ١٦ صفر سنة ٣٩٩ هـ (٢ اكتوبر ١٠٠٨ م) كان ايذانا بالانهيار ، فعبد الرحمن شنجول الذى خلفه على الحجابة كان يطمع فى ان يكون وليا للعهد لهشام ، وقد اثار عليه ادعاؤه (١٧) وغروره أهل الحاضرة قرطبة أثناء غيابه فى غزوة اغزاها فى جمادى الاولى ٣٣٩ هـ (١٠٠٨ م) واستغل محمد بن هشام بن عبد الجبار أحد أحفاد الناصر انحراف مشاعر الاهالى على شنجول واشعل نار ثورة عاتية فى ١٦ جمادى الآخرة من تلك السنة احتدم ضرامها سريعا، فقد اقدم على قتل عبدالله بن عمر صاحب المدينة بقرطبة وتمكن بواسطة اتباعه من العامة وسفلة القوم من اطلاق سراح سجناء المطبق ، ثم اقتحم قصر الخلافة بقرطبة وهدم الزاهرة بعد ان انتهبتها العامة وجردتها من روائعها ، فلما بلغ شنجول ذلك ولم يكن قد تجاوز طليطلة بعد ، عدل عن مواصلة الغزو وقرر القفول ، وفى اثناء عودته تخلص عنه اجناده ، وتفرقوا حتى لم يعد معه عند وصوله الى مشارف قرطبة أحد من رجاله ، فقبض عليه وصلب على باب السدة من قصر قرطبة .

وكان هشام المؤيد ليلة اشتعال نار الثورة قد تنازل عن الخلافة الى محمد بن عبد الجبار الذى تلقب بالمهدى وعندئذ طغى ابن هشام وبغى وزاد جبروته ، فأخرج الخليفة المؤيد من قصره واسكنه بعض دور الملك واحضر للناس رجلا ميتا قيل انه يهودى او نصرانى زعم انه المؤيد ،

(١٧) وفى ذلك يقول ابن الخطيب نقلا عن ابن حبان «وقد تقدم القول فى سبب تعلق هذا الجاهل بدعوى الخلافة عجز فيه من غير تأويل ولا عقيدة وكيف استهواه كيد الشيطان وغرته قوة السلطان ، الى ان ركبها عمياء مظلمة لم يشاور فيها نصيحا ولا فكر فى عاقبة » (ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ١٠٥) .

وجاء بمن شهد من وزرائه ان هذا الميت هو هشام المؤيد ، ثم عمد رجاله الى مهاجمة زعماء البربر بالرصافة وانتهبتها فكسب ابن هشام بذلك عداؤهم ، وبدأت نفوس البربر والصقالبة العامرية المتضررين من قواته تتحد وتتجمع ضده ، واشتعلت بذلك نيران الفتنة بين البربر والعامية ، وقامت مذبحة بشعة قتل فيها العامة عددا كبيرا من البربر ، فخرجوا من قرطبة الى الثغر وتزعمهم امير مرواني آخر هو سليمان بن حكم بن سليمان بن الناصر (١٨) ، ولاء البربر عليهم فعرف بامام البربر وتلقب بالمستعين بالله (١٩) .

وكان البربر يسعون الى الثار من المهدي ، فاستعانوا بشانجة بن غرسية قومس قشتالة ، واشتبك البربر وحلفاؤهم القشتاليون مع قوات واضح الفتى قائد المهدي في معركة حامية الوطيس جرت في المحرم سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ م) انتهت بهزيمة واضح وانفتح الطريق امام البربر نحو قرطبة .

ولم تحد محاولات المهدي لتحسين ابواب قرطبة من هذا السيل البشري الهائل ، فقد اجتاحتها حشود البربر الظافرة بعد انتصارها الساحق على قوات المهدي خارجها ، وفر المهدي من قرطبة متنكرا الى ظليطة حيث اقام في كنف واضح الفتى . وكان واضح قد استنصر بقومس برشلونة زيموند بوريل واخيه ارمنجول المعروف في المصادر العربية بأرمقند (٢٠) ، فنصراه نظير تخليه عن مدينة سالم ، وبهذه

(١٨) ابن عذاري ، البيان ، ج ٣ ، ص ٨٤ .

(١٩) حول الفتنة البربرية - راجع : ابن عذاري ، البيان ، ج ٣ ، ص ٨١ - ٨٦ ، ابن الخطيب اعمال الاعلام ، ص ١٣٠ ومايليها
Algunas Precisiones sobre la ruina de la Córdoba omeya; Al-Andalus, Vol. XII, 1947; P. 278-292.

والسيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ، ص ٣٤٧ - ٣٥١ ، قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ١ ، ص ١٠٩ -

١١٤ .

(٢٠) ابن عذاري ، البيان ، ج ٣ ، ص ٩٤ .

القوة القطلانية بالاضافة الى قوة اخرى حشدتها من طليطلة ومرسية وبلنسية (٢١) ، تقدم واضح والمهدى الى قرطبة حيث التقى مع قوات سليمان في عقبة البقر Albacar ، وهو سهل يقع على مسافة تبعدنحو ٢٠ كم الى الشمال من قرطبة ، فانهزم سليمان وتحصن في الزهراء في حين دخل المهدى قرطبة منتصرا ، ولا نستبعد ان يكون بربر غرب الاندلس قد اشتركوا مع بربر قرطبة في تلك المعارك تضامنا منهم مع سليمان ، اذ ان معظم منازل البربر في بلاد الاندلس تقع في الغرب في ماردة ومنتانجش وبطليوس ومكناسة الاصنام ، وكثامة ونفزة وغيرها من المواضع التى تحمل اسماء نازليها من البربر ، ومع ذلك فليس لنا أن نجزم باشتراكهم في هذه المعارك التى خاضها البربر في قرطبة وفي مربلة ورندة عند وادى آره وانتصروا فيها على قوات المهدى طالما لم تسعفنا المصادر العربية بنص صريح يؤكد ذلك .

ثم تتابعت الفتن والنوائب تطحن الحاضرة طحنا ، فمنذ ان اقتحم البربر مدينة الزهراء في ٢٣ ربيع الاول من سنة ٤٠١ هـ (٤ نوفمبر سنة ١٠١٠ م) وفتكوا بأهلها وحتى مقتل سليمان في ٢٣ من المحرم سنة ٤٠٧ هـ (يونيو ١٠١٦ م) ، عاشت بلاد الموسطة في عهود مظلمة الفوضى السياسية والاضطراب الى ان سقطت الخلافة المروانية في قرطبة في ١٢ ذى الحجة ٤٢٢ هـ (نوفمبر ١٠٣٠ م) بعد حوادث مثيرة (٢٢) تركت بصماتها واضحة على العمران القرطبى وعلى المجتمع الاندلسى بأسره ، ثم قامت دويلات الطوائف ، وأعلن ولاية الاقاليم والقادة والرؤساء في النواحي استقلالهم ، وكان سابور العامرى أحد هؤلاء

Mortinez y Martinez, Op. Cit., P. 93.

(٢١)

(٢٢) فى سقوط الخلافة المروانية بقرطبة انظر :

Aguado Bleyc; Manual de la Historia de España, t, I, P. 507 —

Lévi-Provençal, Histoire de L'Espagne musulmane, t, II, P. 311-341.

السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ١ ، ص ٩٢ - ١١٦ .

الولاة الذين استقلوا بمناطق ولايتهم (٢٣) . والظاهر انه كان من الشخصيات القوية في الغرب بحيث تمكن من السيطرة على عدد من المدن الكبرى ، ثم مد نفوذه على كل الثغر الجوفى مستغلا في ذلك اشتغال الناس بالفتنة وانهيأر سلطان الخلافة . ويرجع اليه الفضل بلا شك في أنه جنب بلاده التعرض لنارالفتنة التي اصطلت بها قرطبة وجاراتها في جنوب شرق الاندلس في غرناطة والمرية ورندة ومالقة ، ومن الغريب انه التامرى الوحيد الذى استقل في الغرب في حين اختار الفتيان العامرية شرق الاندلس لممالكهم المستقلة .

ولم يكن سابور العامرى بالسياسى البار ، الخبير بأمور الدولة الذى يمكنه انشاء ملك قوى له ولاولاده من بعده (٢٤) ، ولكنه كان جلفا عنيفا غفلا من الصفات التى تؤهله لادارة دولة وسياسة رعية ولذلك كان لزاما عليه ان يستوزر رجلا تتوفر فيه كل الصفات التى يفتقدها هو لتدبير شؤون الدولة ، فاستعان بأبى محمد عبد الله بن محمد بن مسلمة (٢٥) . وكان ابن مسلمة هذا من أهل المعرفة التامة والسياسة والدهاء وهى الصفات التى كان يفتقدها سابور .

واصل أبو محمد عبد الله بن مسلمة من بربر مكناسة (٢٦) الذين

(٢٣) يقول ابن عذارى في ذلك « فلما وقعت الفتنة وتفرقت الجماعة وانشقت عصا الامة ، انتزى سابور المذكور على ما كان بيده كما فعل غير من الثوار ٠٠٠ » (ابن عذارى ، ج٣ ص ٢٣٦) .
(٢٤) ابن عذارى ، البيان ، ج٣ ، ص ٢٣٥ ، محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف منذ قيامها ص ٨٢ .
(٢٥) ابن الابار ، الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ٩٦ ، ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢٣٥ ، ص ٢٣٦ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص ١٨٢ ،

Albarran, el solar de los Aftasies, Op. Cit., P. 32-Martinez y Martinez, Op. Cit., P. 95.

(٢٦) ذكر ابن الابار نقلا عن ابن حيان ان اصل عبد الله بن مسلمة من مكناسة وأنه انتزى ببطلبيوس وثغر الغرب وان سابور قد استعان به فظاهره ودبر أعماله (ابن الابار ، الحلة السيرة ج ٢ ، ص ٩٦) .

استقروا بفحص البلوط جوفى قرطبة (٢٧) ، ومن غرائب الامور التي تعجب لها ابن الخطيب أن بنى الافطس أرجعوا نسبهم الى قبيلة تجيب العربية (٢٨) ، ولعلمهم أرادوا بذلك أن ينالوا مزيدا من الشرف بانتسابهم الى العرب بعد ان ازدهرت مملكتهم ولمح اسمها فى كافة المجالات . وقد استغل ابو محمد جهل سابور بشئون الدولة ، فأظهر همته وبراعته فى ادارتها ، وأثبت أنه قادر على امضاء أمورها وسياستها ، فجعله يثق به ويعهد اليه بكل امور دولته وينظمها بحيث أصبح بيده الحل والربط شأنه شأن وزراء التفويض فى الخلافة الفاطمية او السلاطين فى عصر السلاجقة ، فأستبد به وتحكم فى كل أموره (٢٩) . ويحدد ابن عذارى أهم المدن التي كانت قد دخلت فى سلطان سابور ووزيره ابنى محمد عبد الله فى صقع الغرب وهى بطليوس وشنترين والاشبونة بالاضافة الى جميع الثغر الجوفى ، ويتبين لنا من ذلك ان امارة بطليوس او مملكة بطليوس اذا جازت لنا هذه التسمية اتسعت اتساعا كبيرا فى عهد مؤسسها سابور بحيث شملت المثلث الممتد ما بين بطليوس والاشبونة وشنترين ويدخل فيه يابرة وبعض الحصون الواقعة على ضفاف واديانه وتاجة ، قرب المصب ، ثم اتسعت المملكة فى عهد المنصور ابن الافطس بعد ذلك بحيث شملت اقليم استراما دورة بالاضافة الى قسم كبير من البرتغال حتى وادى دويرة ، ومن جهة ليون حتى نواحي شلمنقة ، ومن الشرق عند الحدود الحالية لاقليم استراما دورة ، وتمتد من سلسلة جبال وادى الرمل Guadarrama حتى سيرامورينا ومن تلك السلسلة الجنوبية جنوبا الى اقليم الغرب الحالى بالبرتغال .

(٢٧) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ١٨٢ .

(٢٨) ذكر ابن الخطيب نقلا عن ابن حيان ، العبارة التالية « ومن النادر الغريب انتماءه فى تجيب ، وبهذه النسبة مدحته الشعراء آخر وقته ، اذ يقول ابن شرف القيروانى :

ياملكا أمست تجيب به تحسد قحطان عليه نزار

(٢٩) يقول ابن البار « وتزيد فى الغلبة عليه حتى صار كالمستبد به »

(انظر ابن البار ، الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ٩٦) .

وكان الغرب البرتغالي يخرج عن نطاق امارة بطليوس خاصة بعد وفاة سابور وفي ايام المنصور ابن الافطس ، ففى اكشونبه وشنتمرية استقل المعتصم محمد بن سعيد بن هارون (٣٠) ، وفي مرتلة استقل ابن طيفور (٣١) فى نفس الوقت ، كما استقل ابو بكر محمد بن سعيد بن مزين فى شلب (٣٢) ، وعلى نفس الحال استقل ابن ذى النون

(٣٠) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢٩٨ . ويذكر ابن عذارى عن بنى هارون ، ان اولهم سعيد بن هارون ، استقل بمدينة اكشونبة فى بداية الفتنة ، الى ان توفى فى سنة ٤٣٤هـ (١٠٤٢م) فخلفه على اكشونبه ابنه محمد الملقب بالمعتصم الذى كان قد بوبع له بشنتمرية الغرب فى سنة ٤٣٣هـ (١٠٤١م) ، وكان مثالا اصاب للحاكم العادل والسياسى القدير ، ولم تصف له الايام لطمع المعتضد ابن عباد فى دويلته ، قدخل معه فى صراع طويل ، فلما ضيق عليه المعتضد بحروبه ، وادرك المعتصم الا قبل له به ولا قدرة له على منازلته ، تنازل عن ملكه سنة ٤٤٣هـ (١٠٥١م) فكانت دولته بها عشر سنين .

ويذكر ابن عذارى فى موضع اخر ان المعتضد اخبره من بلده سنة ٤٤٩هـ (١٠٥٧م) (ص ٢١٥) ، وواضح ان التاريخ الاول اجدر بالثقة لانه حدد بعد ذلك مدة حكمه .

(٣١) ابن بسام ، الذخيرة فى محاسن اهل الجزيرة ، القسم الثانى ، المجلد الاول ص ٢٠ .

(٣٢) امارة شلب ، كانت تشتمل على كورتين ، كورة شلب وكورة باجة ، استقل بها بعد الفتنة الحاجب القاضى ابو الاصبح عيسى بن ابى بكر محمد بن سعيد بن مزين واقام بها دولة سنة ٤٤٠هـ (١٠٤٨م) وتلقب بالمظفر ، وكان يحترس من ابن عباد ويتقى شره ، وبعد ان انتزع ميرتلة من ابن طيفور عام ٤٣٦هـ (١٠٤٤م) وقتله المعتضد فى آخر سنة ٤٤٥هـ (١٠٥٣م) ثار بها ولده ابو عبد الله محمد وبسط نفوذه عليها وايده فى ذلك اهل شلب جميعا . وقد لقب نفسه بعميد الدولة وتسمى بالناصر ، واستمر يحكم البلاد حتى توفى عام ٤٥٠هـ (١٠٥٨م) ثم تولى بعده ولده المظفر عيسى الى ان ضايقه المعتضد ولكن ابن عباد تمكن من دخول شلب وهدم اسوارها ، ودخل القصر ، وقتل عيسى المظفر وضرب عنقه صبرا فى شوال عام ٤٥٥هـ (١٠٦٣م) ، وسجل هذا الحدث نهاية دولة بنى مزين (ابن الابار ، الحلة السرياء ، ج ٢ ، ص ١٨٦ ، ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ١٩٢ - ١٩٣ ، ص ٢٩٦ - ٢٩٨) .

بطليطلة بينما تحولت اشبيلية ولبلة وقرمونة وولبة الى امارات مستقلة (٣٣) .

وعلى الرغم من ان ابا محمد عبد الله ينتمى الى فرع متواضع من قبيلة مكناسة البربرية ، ليس لها نصيب من النباهة والمعرفة ، الا ان عبد الله بن محمد الملقب بابن الافطس (٣٤) كان شديد الدهاء ، بعيد النظر والمعرفة ، وافر الحزم والسياسة بحيث استطاع السيطرة على دولة سابور بعد وفاته عام ٤١٣هـ (١٠٢٢م) دوناً عن ولديه الغلامين عبد الملك وعبد العزيز (٣٥) .

وتاريخ وفاة سابور الحاجب في سنة ٤١٣ هـ (١٠٢٢م) كما هو مسجل في شاهد قبره الذي وصل الينا ، والذي يحتفظ به المتحف الاقليمي للآثار ببطليوس (٣٦) ينهض دليلاً على ان سابور كان من

(٣٣) Martinez y Martinez, Op. Cit., P. 96.

(٣٤) لقد تعرض Manuel Albarran لاصل اسم ابن الافطس ، وقد اخذ برأى الاستاذ اوليفر اسين Asin الذي يرى ان لقب ابن الافطس الذي اطلق على هذه الاسرة في بطليوس كان له اكبر الاثر على المدينة فهناك منطقة في بطليوس اطلق عليها جزيرة الافطس ، هذا بخلاف منطقة اخسرى تسمى باسم « مرج الافطس » ومدينة في محافظة او منطقة بطليوس تسمى « منزل الفطس » ويستطرد المؤلف بقوله ان هناك العديد ممن تلقبوا بابن الافطس شاركوا في واقعتى العقاب أو Las Navas de Tolosa وطريف (Rio Salado) بل ان هناك عائلات في مالقة ووادي الحجاره تحمل نفس اللقب بل وفي المكسيك ايضاً . وفي طليطلة وجدت اسرة يهودية تحمل نفس اللقب . ويعتقد المبران ان جد بنى الافطس دخل الاندلس مع حملة طارق عند فتحه الاندلس (انظر Albarran, Op. Cit. P. 29. ومما يدل على رسوخ اثر هذه القبيلة في منطقة الغرب ان منطقة باسرامادورا ماتزال تعرف باسم Mequinesa) انظر

Albarran. M, El Solar, Op. Cit., P. 28.

(٣٥) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢٣٧ وانظر ايضاً ، محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف منذ قيامها ، ص ٨٢ .

(٣٦) الشاهد لوحة من الرخام ٤٢ × ٣٥ م ، عثر عليها في سنة ١٣٠١هـ (١٨٨٣م) جماعة من البنائين في بطليوس كانوا يحفرون اساس المنزل رقم ١٧ بشوارع ابريل ملك دون ادواردو غرسية =

أوائل المنتزين من أهل الاندلس على الخلافة بقرطبة ، وقد تلقب بالحاجب ، وهو لقب فخرى تلقب به بعض ملوك الطوائف للتظاهر بالعظمة لما كانت تحمله وظيفة الحاجب زمن الخلافة من معانى الاستبداد بالملك والتفخيم ، ومنهم الحاجب ذو الرئاستين عبد الملك بن رزين صاحب السهلة (٣٧) ، والحاجب حسام الدولة أبو محمد اسماعيل بن المأمون بن ذى النون (٣٨)، والحاجب سيف الدولة أحمد المستعين بالله بن هود (٣٩) ، والحاجب عماد الدولة عبد الملك بن هود آخر ملوك بنى هود بسرقسطة (٤٠) ، والحاجب معز الدولة فى البوننت (٤١) ، والحاجب سراج الدولة عباد باشبيلية (٤٢) ، والحاجب شرف الدولة ببلنسية (٤٣) .

وإذا كان من الصعب تحديد مدة استقلاله بالشجر فاننا قياسا الى

= . فلورندو ، ويتضمن النقش الكوفى ، النص التالى :
(بسم الله الرحمن الرحيم . هذا قبر سابور الحاجب رحمه الله ، وتوفى ليلة الخميس لعشر ليال خلون من شعبان من سنة ثلاث عشرة وأربع مائة ، وكان يشهد أن لا اله الا الله)
راجع :

Martinez y Martinez Op. Cit., P. - Jose Ramón Mélida,
Catálogo Monumental de España, Badajoz, texto II, P. 73.
Lévi-Provençal In:criptions arabes d'Espagne, texte, Paris,
1931, P. 53.

(٣٧) الفتح ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص ٥٢ .
(٣٨) هذا اللقب ورد فى صندوق من العاج صناعة قونكة مؤرخ سنة ٤٤١ هـ (١٠٤٩م) من عمل عبد الرحمن بن زيان (أنظر :
José Ferrandis, Marfiles arabes de Occidente, t, I, Madrid 1935,
P. 93, 93, 98.

كما ورد فى درهم مضروب بطليطلة سنة ٤٤٨ هـ (١٠٥٦م)
باسم الحاجب حسام الدولة المأمون (Prieto y vives, P. 217).
Antonio Prieto y Vives, los reyes de Taifas, P. 128, 206. (٣٩)
Ibid, P. 129. 207. (٤٠)
Ibid, P. 197. (٤١)
Ibid, P. 140. (٤٢)
Prieto y Vives, P. 218. (٤٣)

تاريخ وفاته سنة ٤١٣هـ (١٠٢٢م) يمكننا أن نحدد تاريخ استقلاله أما بسنة ٤٠٠هـ (١٠٠٩م) التي انتصر فيها البربر على المهدي محمد بن هشام في ١٣ ربيع الاول سنة ٤٠٠هـ (١٠٠٩م) في قنطش او قنتيش او في موقعة وادي آره في ٦ ذى القعدة سنة ٤٠٠هـ (٢١ يونيو ١٠١٠م) التي انتصر فيها البربر على حشود المهدي ، واما سنة ٤٠٣هـ (١٠١٢م) عندما اقتحم البربر ارباض مدينة قرطبة عنوة في ٢٦ شوال (٩ مايو ١٠١٣م) وأعملوا السيف في رقاب خصومهم ، ونثروا الدمار في كل أنحاء قرطبة ، وفي هذه السنة قسم سليمان المستعين بعض كور الاندلس بين رؤساء القبائل البربرية في جيشه ، فأعطى جوفى البلاد لمغراوة ، وجيان لبني برزال وبني يفرن ، والبيرة لحبوس بن ماكسن الصنهاجى ، وشذونة ومورور لبني دمر وأزداجه ٠٠٠ وبذلك غلب العنصر البربرى في الاندلس (٤٤) . ونحن نميل الى الاخذ بتاريخ سنة ٤٠٣هـ (١٠١٢م) الذى استقرت فيه اوضاع البربر في الجنوب الاندلسى والموسطة ، ولعل ذلك اتاح لسابور الفرصة في ان يستقل بدوره بمعظم بلاد الغرب في تلك السنة الفاصلة التى تحدد بداية الفتنة ، وهو ما يتفق مع ما ذكره ابن عذارى في قوله « فلما وقعت الفتنة وتفرقت الجماعة وانشقت عصا الامة انتزى سابور المذكور على ما كان بيده كما فعل غيره من الثوار » (٤٥) . والمقصود بهؤلاء الدويلات البربرية التى اشرنا اليها بالاضافة الى الدويلات الصقلبية التى قامت في شرق الاندلس في نفس الفترة في بلنسية وشاطبة ودانية ولورقة وطرطوشة وميورقة والمرية . ومن أصحاب هذه الدويلات التى استقلت في أول قيام الفتنة دولة بنى رزين البربر أيام ثورة ابن عبد الجبار (٤٦) ودولة بنى خزرون بن عبدون الخزرى البربر

(٤٤) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٣٥٦ .
(٤٥) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢٣٦ . وذكر ابن بسام أن سابور انتزى ببطلينوس وثغر الغرب من عمل الحاجب ابن ميتويه (انظر ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٦٤٠) .
(٤٦) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ٣٠٧ .

من بنى يرنيان ، استقلوا بقلسانة Calsona سنة ٤٠٢ هـ (١٠١١م)
عند استحكام الفتنة (٤٧) .

وعلى أساس هذا الافتراض يكون سابور قد حكم زهاء عشر سنوات بفضل وزيره ومشيريه أبى محمد عبد الله بن محمد بن مسلمة المعروف بالافطس الذى استغل جهل سابور بسياسة الملوك وإدارة البلاد «فاشتمل هذا الوزير ابن مسلمة على أمر سابور كله» ويبدو أنه صاهر سابور فزوج ولده محمد ابنة سابور (٤٨) الى أن هلك سابور فى سنة ٤١٣ هـ (١٠٢٢م) وعندئذ استأثر عبد الله بن الافطس بملك الثغر دون ولدى سابور ، واستقام أمره فى بطليوس مؤسسا دولة بنى الافطس ، أما عبد الملك وعبد العزيز ولدا سابور فقد ساءهما ضياع حقهما فى مملكة ابيهما واهتضام ابن الافطس لهذا الحق ، فتسللا من بطليوس ونزلا الى مدينة الاشبونة ، واستقل بها عبد العزيز فترة عن مملكة ابن الافطس ، ولم تطل مدته الى ان توفى فخلفه اخوه عبد الملك مكانه ، وكان ضعيف الشخصية عاجزا عن الادارة وتصريف الامور ، لا يصلح للملك ، فكتب أهل الاشبونة الى عبد الله بن مسلمة ابن الافطس سرا ، وطلبوا منه أن يرسل اليهم عاملا من قبله ، فوجه اليهم ولده ، « ولم يشعر سابور حتى امتلأت البلد من العسكرية ، فلم يكن له بد من طلب السلامة لنفسه وأهله وماله ، فأعطى ماسأل وسلم على ماشرطه» (٤٩) وواضح أن عبد الله بن مسلمة هذا قد سهل لعبد الملك بن سابور الخروج من الاشبونة اذ كانت بينه وبين ابن سابور صلة مصاهرة ، ثم رحل عبد الملك من الاشبونة بعد ان تركه زوج اخته يسير حيث شاء ، فأثر عبد الملك ان يقصد قرطبة . فلما اقترب موكبه منها استأذن الوزير

(٤٧) المصدر السابق ، ص ٢٩٤ .

(٤٨) استنتجت ذلك من قول ابن عذارى فى معرض حديثه عن استيلاء ولد عبد الله ابن الافطس على الاشبونة وانتزاعها من عبد الله بن سابور « وكان هذا الداخل زوج اخته فأجمل معه اجمالا كثيرا » (ابن عذارى ، ج ٣ ، ص ٢٣٧) .

(٤٩) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢٣٧ .

أبا الحزم جهور بن محمد بن جهور (٤٢٢ - ٤٣٥ هـ) (١٠٣٠ - ١٠٤٣ م) الذي اجتمع الملاء من أهل قرطبة على تفويض أمرهم له، والذي عرف بأمين الجماعة، فأذن له في ذلك ونزل عبد الملك بدار أبيه سابور فأقام بها إلى أن توفي .

أما عبد الله بن مسلمة المعروف بأبن الأفطس، فيجمع مؤرخو الأندلس على أنه من بربر مكناسة، ولكنه من البربر البلديين أي الذين استقرت أسرهم بالأندلس منذ فترة طويلة، فتأقلموا وأصبحوا من أهل البلد، وفي ذلك يقول ابن الأثير « أصله من بربر مكناسة لكنه ولد أبوه بالأندلس ونشأ بها، وتخلقوا تخلق أهلها وانتسبوا إلى تجيب وشاكلهم الملك » (٥٠) . وشأن ابن الأفطس في ذلك شأن غيره من البربر البلديين أمثال بنى ذى النون أصحاب طليطلة (٥١) وبنى دراج القسطلين (٥٢) .

وعندما نتتبع مناطق استقرار البربر في غرب الأندلس لابد لنا من

(٥٠) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٢٨٨ .
(٥١) اسم جدهم ذى النون، وأول من دخل منهم الأندلس اسماعيل الملقب بزنون بن السمح ابن وردحيين الهواري، نزل بكورة شنتبريه وخدم هو وقومه المنصور بن أبي عامر وتقدموا في دولته، وأول من تملك منهم طليطلة في عصر الطوائف اسماعيل بن عبد الرحمن بن عامر بن مطرف بن ذى النون، ولد بالأندلس وتأدب بأدب أهلها، وكان أديباً وشاعراً (ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ٢٨٨، ابن عذاري، البيان، ج ٣، ص ٧٦) .

(٥٢) ومنهم ابن دراج القسطلی الشاعر وهم من البربر الصنهاجة الذين دخلوا إلى الأندلس في بداية فتح طارق بن زياد للأندلس (راجع ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٦٦)، وقد اندمج هؤلاء البربر في المجتمع الأندلسي اندماجاً تاماً وكان ذلك الاندماج شأن كثير من الأسر البربرية، ذات التاريخ المتأصل في الأندلس، بعكس الطوائف البربرية الطارئة التي انثالت على الأندلس في عهد المنصور بن أبي عامر وولده المظفر فلم تتمثل المجتمع الأندلسي ولم يتمثلهم هذا المجتمع (ديوان ابن دراج القسطلی، تحقيق د. مكي، دمشق ١٩٦١، ص ٢٥) .

التعرض بطبيعة الحال لرأى المستشرق الهولندى رينهارت دوزى الذى يذهب الى القول بأن العرب استثمروا جهود البربر فى فتح الاندلس لصالحهم ، فاختموا أنفسهم بالمناطق الخصبة الدفيئة فى سهول الأندلس ومروجها ، واقصوا البربر الى المناطق الجذباء فى لامنشا واسترامادورة وجليقية ومرتفعات ليون حيث كانوا يصطدمون بدون انقطاع بقوات اسبانيا المسيحية (٥٣) . وقد أخذ كثير من الباحثين بوجهة نظر دوزى وعلى رأس هؤلاء الاستاذ ليفى بروفنسال (٥٣) والاستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم (٥٤) . « ويبدو أن اسباب الخلاف بين العرب والبربر ترجع الى استئثار العرب بالاراضى الخصبة دون البربر ، وكان البربر لذلك كله يضمرون للعرب السوء وينتظرون فرصة مواتية فيثبون عليهم » (٥٥) . والى جانب هذا الفريق هناك بعض المؤرخين لا يذهبون هذا المذهب ومنهم د. حسين مؤنس (٥٦) ، ود. عبد الواحد ذنون طه (٥٧) .

وعلى أية حال فقد كانت أكثر المناطق المأهولة بالبربر السهل المعروف بفحص البلوط El valle de las pedroches الذى يمتد الى الشمال الغربى من قرطبة وجبال سيرا مورينا Sierra Morena وأهم مدنه بطروج وغافق. ويرجع سبب استقرار البربر فى هذه المنطقة الى ثرواتها الطبيعية كالبلوط والزيتون ومعدن الزئبق .

وأشهر القبائل التى استقرت فى هذه المنطقة مكناسة ومديونة ومصمودة ونفزة وجراوة ، وقد سيطرت هذه القبيلة الاخيرة على إحدى

Lévi-Provençal Histoire, Op. Cit., t.I, P. 87. (٥٣)

(٥٤) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، ص ١٢٣ - ١٢٤ .

(٥٥) المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ٣٨ ، ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ٤٣ .

(٥٦) حسين مؤنس ، فجر الاندلس ، ص ٣٨٨ .

(٥٧) عبد الواحد ذنون طه ، استقرار القبائل البربرية فى الاندلس ، مجلة اوراق ، العدد الرابع ، ١٩٨١/٤ ، ص ٣٥ .

اماكن فحص البلوط . وهناك موضع بكورة ماردة يعرف بمكناسة (٥٨) Mequinenza في غرب الاندلس ربما كان الموضع الذى استقرت فيه قبيلة مكناسة التى ينتسب اليها الجد الاعلى لبنى الافطس لقربها من بطليوس ، كما نزلت قبيلة نفزة وفرعها ولهاسة في فحص البلوط ، واليهما ينتمى منذر بن سعيد البلوطى قاضى الجماعة بقرطبة في عهد عبد الرحمن الثالث (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ) - (٩١٢ - ٩٦١ م) وان كان ابن حزم يرى ان منذر بن سعيد ينتمى الى مديونة التى كانت تقطن في المنطقة ذاتها (٥٩) . في حين يذكر صاحب مفاخر البربر انه من ولهاسة (٦٠) . وقد امتدت منطقة استقرار البربر في وسط الاندلس عبر وديان نهر تاجة Tajo من شمال طليطلة وطلبيرة الى واديانه Guadiana في الجنوب حيث تقع ماردة وبطليوس ومداين ، وبقيّة المناطق المأهولة في الاجزاء الغربية من شبه الجزيرة الايبيرية (٦١) . كما استقر في وادي آنة جماعات من نفزة مثل بنى رشيد ، بينما عاش آخرون من هذه العشيرة في ترجالة ، وبالقرب من ماردة لا تزال هناك قرية تحمل الى الوقت الحاضر اسم نفزة ، اما جبال المعدن Sierra de Almadén ، فقد كانت مأهولة بالبربر ، وقد كانت هذه المنطقة غنية بمصادرها الطبيعية المعدنية ، لذا فقد اطلق عليها المسلمون اسم جبال المعدن ومازالت تحتفظ بنفس التسمية . وكانت قبيلة البرانس البربرية أكثر القبائل تجمعا في هذه السلسلة حتى أنها سميت بجبال البرانس ، والى الشرق من هذه الجبال عاشت مجموعة أخرى من البرانس تشمل اوائل الذين

(٥٨) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، مادة مكناسة ، وانظر : Miguel Asín Palacios, Contribución a la toponimia arabe de España, Madrid, 1944, P. 121.

وهذا الموضع يحمل نفس اسم مكناسة التابعة لعمل لارده (٥٩) ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ٢ ، ص ٥٠٠ .
(٦٠) مجهول ، نبذ تاريخية من كتاب مفاخر البربر ، تحقيق ليفى بروفنسال ، الرباط ، ١٩٣٤ ص ٦١ ، ص ٧٩ .
(٦١) عبد الواحد ذنون ، استقرار القبائل البربرية ، ص ٤١ .

ينتمون الى مسطاسة وهى فرع من عشيرة ازداجة (٦٢) . وقد كان لهؤلاء حن مسطاسة (٦٣) . ويرجح د . حسين مؤنس ان تكون قرية Mestanza الحالية القريبة من مدينة مسطاسة هى أصل الحصن الذى استقرت فيه قبيلة الرأس (٦٤) ، وفى قسطة الغرب Cacella من أعمال شلب (٦٥) نزل بنو دراج البربر وهم من صنهاجة (٦٦) وعلى هذا النحو تجمعت بالغرب قبائل بربرية كثيرة الى حد يمكننا معه ان نطلق على الغرب بلاد البربر ، وكانت كل ماردة وبطلبيوس ومنلين الواقعة على واديانه من أكثر مناطق شبه الجزيرة اكتظاظا بالبربر ، وكان معظمهم ينتمون الى مصمودة وهوارة ومكناسة وكتامة (٦٧) . اما قورية (٦٨) ولجداية فقد كانتا منزلا لقبائل مصمودة وربما لبعض افراد مكناسة ، ثم تحولوا عنها الى ماردة بعد تقدم الهجوم والزحف النصرانى من الشمال بداية من عام ٢٦١هـ (٨٧٢م) مع حركة ابن مروان الجليقى ، ورغم كل هذا فقد استقر بعض البربر فى اماكن متفرقة فى الغرب مثل شنترين Santarem ، ونرجح ان يكون بعض براير البرانس

(٦٢) وقد عبر بعض افراد ازداجة نفسها الى الاندلس فى أوقات لاحقة ، وكانوا بقيادة أبو دليم بن خطاب الذى استقر فى قرطبة ، وأصبح بعض أحفاده فقهاء ومحدثين مشهورين فى هذه المدينة .

(٦٣) حصن ينسب الى قبيلة مسطاسة من اعمال أوريط Oreto باقليم فحص البلوط (راجع ياقوت ، مادة مسطاسة ، ابن الابار ، الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ١٧٨ وانظر هامش رقم ٢) .
(٦٤) ابن الابار ، الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ١٧٨ ، هامش ٢ .
(٦٥) قرية تقع اليوم على حدود البرتغال وتقع على ساحل المحيط بين حدود اسبانيا ومدينة طبيرة Tavira (ديوان ابن دراج القسطلى ، ص ٢٩ - ٣٠) .

(٦٦) مجهول ، نبذة تاريخية فى أخبار البربر فى القرون الوسطى ، منتخبة من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر ، تحقيق ليفى بروفنسال ، الرباط ١٩٣٤ ، ص ٧٨ .

(٦٧) من بربر مصمودة محمود بن عبد الجبار الثائر بمساردة فى ٢١٣هـ (٨٢٨م) وأخته جميلة ، اللذان تمردا سويا على عهد عبد الرحمن الاوسط (انظر تعليق د . مكى على نص المقتبس لابن حيان ، تعليق رقم ٦٢٩ ص ٦٧٣) . =

فد استقروا بالقرب من شنترين حيث لا يزال يوجد اليوم موضع الى الشمال الشرقى من شنترين يسمى برنس Pernes نسبة اليهم ، كما استقرت بعض بطون من مصمودة فى الاشبونة بدليل تردد ذكر اسماء عدد كبير منهم فى كتب التراجم وفى بعض المصادر العربية (٩٩) . اما بنو دانس بن عوسجة فقد استقروا فى موضع من الغرب عرف فيما بعد بقصر ابى دانس (٧٠) ، وكانوا قد استقروا فى قلمرية Coimbra التى تقع على بعد ١٢٠ كلم الى الجنوب من برتقال Porto ، هذا الى جانب استقرار جماعة من قبيلة زواغة البربرية بالقرب من بطليوس فى حصن اقترن باسم هذه القبيلة « حصن Azuaga » كما عاشت قريبا من بطليوس قبيلتا مغيلة وزناتة ، ولاتزال حتى اليوم هذه المناطق تحمل اسم هاتين القبيلتين Gincta, Maguilla (٧١) .

ماكاد عبد الله بن مسلمة المعروف بابن الافطس يستولى على امور الدولة بعد وفاة سابور حتى يسيطر على بطليوس وما يتبعها ، ويتلقب بالملك المنصور ، ومن ثم بدأ يمارس نفوذه كملك من ملوك الطوائف ، ونم يلبث ان دخل فى صراع عنيف طويل الامد مع ملوك اشبيلية فى

= (٦٨) قورية Coria تتبع محافظة قاصرش Caceres الحديثة على وادى نهر تاجة قريبا من الحدود البرتغالية، وقد ورد ذكر هاتين المدينتين فى المصادر العربية جنبا الى جنب ، ويرجح د. عبد الواحد ذنون ان تكون اجدانية وتبعد نحو ستين كيلو مترا الى الغرب من قورية ، هى نفس المدينة البرتغالية الحالية (ص ٢٠١) Idanha Velho . ولكن د. مكى يرجح أن تكون هى نفس حصن انطاظة (راجع ابن القطان ، نظم الجمان ص ٢٠١) .

(٦٩) ابن الفرصى ، تاريخ علماء الاندلس، القسم الاول، ص ١٧ - ١٨ ، ياقوت الحموى ، المعجم ، ج ١ ، ص ١٩٥ .
(٧٠) تسمى مدينة قصر ابى دانس اليوم Alcaçer do Sal
اي قصر الملح ، لذا فقد رجح د. عبد الواحد ذنون طه ان بربر هذه المنطقة كانوا يتاجرون بالملح الذى يشكل الانتاج الرئيس لهذه المنطقة (المرجع السابق ص ٤٢) .
Albarran, Op. Cit., P. 45.

الحدود الجنوبية كما دخل في صراع مع مدينة باجة الثائرة (٧٢) .

(٢)

المنصور (٧٣) أبو محمد عبد الله بن محمد بن مسلمة بن الأفطس
أ - بداية الصراع بين أبي محمد عبد الله بن محمد ابن الأفطس
وبين ابن عباد في اشبيلية :

لا نعرف على وجه الدقة التاريخ الذى بدأ فيه العداء بين المنصور
ابن الأفطس وأبى القاسم محمد بن عباد ، ولكن المتواتر هو ان الصراع
الحاد بين كل من مملكة اشبيلية (٧٤) ومملكة بطليوس قد بدأ في عهد

Albarran, el solar de los Aftasiés, Op. Cit., P. 32. (٧٢)

(٧٣) يخلط الأستاذ الدكتور حسين مؤنس بين المنصور والمظفر ،
فيلقب عبد الله بن مسلمة خطأً بالمظفر في حين انه تلقب
بـ المنصور أما المظفر فهو لقب ولده محمد الذى خلف أباه
المنصور عبد الله في مملكة بطليوس سنة ٤٣٧هـ (١٠٤٥م)
والله ينسب كتاب المظفرى

Hussain Monés, Consideraciones sobre la época de los Reyes de
Taifas, al Andalus, Vol. XXXI, 1966, P. 316.

ومن الجدير بالذكر ان الدكتور سلفادور جومث نوجاليس
عندما رجع الى المقال المذكور في دراسته القيمة عن بلاط بنى
الأفطس ببطلليوس

Gomez Nogales; La corte de los Aftasies de Badajoz; Princi-
palmente en el campo de la filosofia, en Actas del IV Coloquio
Hispano-Tunecino; Madrid 1983, P. 137.

لم يلاحظ هذا الخطأ الذى يغلب على الظن انه ورد سهواً في
بحث الدكتور مؤنس .

(٧٤) ينتسب بنود عباد ملوك اشبيلية ، الى لخم ، ومؤسس دولتهم
القاضى أبو القاسم محمد بن اسماعيل بن قريش بن عباد بن
عمرو بن اسلم بن عمرو بن عطف بن نعيم . وعطاف كان قد
دخل الاندلس مع طالعة بلج بن بشر القشيري ، وقيل انهم
ينتسبون الى النعمان بن المنذر بن ماء السماء (لمزيد من
التفاصيل ارجع الى ابن الابار ، الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص
٣٤ ، ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ١٩٣ ، محمد عبد الله
عنان ، دول الطوائف منذ قيامها ، ص ٣٢) . وقد تألق نجم
بنى عباد في اعقاب الفتنة على يد جدهم القاضى أبى الوليد
اسماعيل قاضى اشبيلية الذى كان قد تقلد العديد من الوظائف ، =

المنصور ابي محمد عبد الله بن محمد بن مسلمة مؤسس الدولة الافطسية منذ سنة ٤٢٠هـ (١٠٢٩م) وانه استمر في عهد ابنائه مدة طويلة ، وكان السبب في نشوب هذا الصراع في بداية الامر مدينة باجة التى كانت تابعة للمنصور الافطسى ، وكان ابن الافطس قد بادربالاستيلاء عليها لقربها الشديد من مملكة بطايوس ، وكانت مدينة باجة (٧٥) قد طحنتها النوائب فترة تتجاوز قرنا من الزمان ، ففى فترة التمزق السياسى التى سبقت ارتقاء عبد الرحمن الناصر على دسست الخلافة ، كانت مسرحا لصدامات مسلحة كما أنها تعرضت ابان الفتنة التى واكبت السنين الاخيرة من خلافة هشام المؤيد لحن ونكبات ، فقد هاجمتها قبائل البربر وعاثوا فيها فسادا ، وتأثر عمران باجة بهذه الغارات ، فرحل عنها كثير من سكانها وباتت باجة مدينة شبه مهجورة (٧٦) .

= فقد تولى الشرطة لهشام المؤيد ، ثم خطة الامامة والخطابية بالجامع الاعظم ، ثم ولى قضاء اشبيلية . وعندما احتدمت نيران الفتنة البربرية بقرطبة واستدعى القاسم بن حمود لتولى الخلافة بقرطبة بعد مصرع اخيه على بن حمود سنة ٤٠٨ هـ (١٠١٧م) ، وخلا الجو للقاضى رأى أن يتخلص أهل اشبيلية من البربر ، فلما استدعى القاسم الى قرطبة ليتولى الخلافة للمرة الثانية ، اجتمع رأى أهل اشبيلية على ثلاثة من الزعماء يتولون امرهم من بينهم القاضى اسماعيل ، ثم قدم القاضى ولده ابا القاسم محمد لينفرد بالحكم فى اواخر سنة ٤١٤هـ (١٠٢٣م) وهو التاريخ الذى يبدأ فيه استقلال مملكة اشبيلية (انظر ابن البار ، الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ٣٤ وما بعدها ، ابن بسام ، الذخيرة ، المجلد الثانى ، القسم الثانى ، ص ١٣ - ١٤ ، البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٩٣ وما يليها) .

(٧٥) ذكر صاحب كتاب « ذكر بلاد الاندلس » انها مدينة عظيمة ازلية من اقدم مدن الاندلس بنيانا ، « وكانت متصلة باعمال ماردة ، وهى غرب قرطبة ، واغلة فى الجوف ، وهى خصيبة كثيرة الثمار ذات زرع وضرع وفواكه وعسل طيب ، وبها معدن الفضة . وبها حمامات وشوارع واسعة واسواق ومساجد كثيرة واهلها عرب » (لوحه ٤٨) وينسب الى باجة القاضى الفقيه الاديب العالم المتكلم أبو الوليد الباجى شارح الموطأ ، ت ٤٧٤هـ (١٠٨١م) انظر الحميرى صفة جزيرة الاندلس ، ص ٣٦) .

Martinez y Martinez, Historia de Badajoz; P. 101 — Albarran; (٧٦) = el solar de los Aftasies P. 259.

ولم يكد عبد الله بن الافطس يبلغه ان أبا القاسم محمد بن عباد يسعى للاستيلاء على باجة ليعمرها ويشحنها بأجناده حتى تبين له مدى الخطر الذى يمثله ذلك بالنسبة لدولته ، وأدرك ان عباد انما كان يستهدف اتخاذها نقطة ارتكاز رئيسية فى الغرب ينطلق منها لاختضاع الدويلات الصغيرة المتناثرة فى غرب الاندلس لسلطانه ، ومنها دويلة بنى مزين فى شلب ودولة بنى هارون فى شنتمرية الغرب ودولة البكريين فى أونة وشلطيش Saltés ودولة بنى خزررون فى أركش Arcos ، وانتزاع بعض المدن التابعة لمملكة بطليوس ، وعندئذ يصبح فى امكانه تنفيذ سياسة توسعية نحو الشمال .

كان ابن الافطس يعلم تماما ان ابا القاسم بن عباد منذ ان انفرد بحكم اشبيلية حتى أصبح خصما عتيدا له ، فلما بلغه ما كان ينتويه نحو باجة اعتبر ذلك نذيرا له ، وكان عليه ان يبادر بالتحرك (٧٧) ، ولم يتردد ابن الافطس فى اتخاذ زمام المبادرة ، فأرسل قوة من اجناده

= ولقد تعرضت باجة بعد سنة ٢١٥هـ (٨٣٠م) لغارات كثيفة مخربة قام بها محمود بن عبد الجبار الماردى المصمودى قبل أن يستقر مؤقتا فى منت شاقر Monchique بكورة اكشونيه التى نزح منها الى جليقية (Lévi - Provençal, Histoire, t. 1, P. 205)

وفى تلك الفترة استقل بباجة عبد الملك بن أبى الجواد القائم بدعوة المولدين (ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ١٥) ثم تعرضت لموجة ثانية من التخريب عندما حاصرها عبد الرحمن الناصر فى جمادى الآخرة سنة ٣١٧هـ (يونيو ٩٢٩م) بالمجانيق وآلات الحرب حتى استنزل صاحبها عبد الرحمن بن سعيد بن مالك (ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٢٤٨) .

(٧٧) لم يكن عبد الله بن الافطس يهتم كثيرا بمدينة باجة ، ولا يقدر اهميتها العسكرية بالنسبة لمملكته حتى بلغه سعى ابن عباد للسيطرة عليها ، وعندئذ اتضحت له ابعاد استراتيجية خصمه وأدرك الخطورة الحقيقية التى تمثلها باجة بالنسبة لمملكة بطليوس لو ان ابن عباد بادر قبله بالاستيلاء عليها ، وهكذا بدأ التنافس بين مملكة بطليوس ومملكة اشبيلية على باجة .

بقيادة ابنه محمد ، الى باجة للاستيلاء عليها ، ونجح محمد بن عبد الله بن الافطس في تنفيذ مهمته .

ولما بلغ ابن عباد ان ابن الافطس سبقه في الاستيلاء عليها ، لم يسكت عن ذلك وان كان قد تظاهر بالسكوت وقبول الامر الواقع . ولكنه اخذ يخطط للاستيلاء عليها ، واستعان في ذلك بمحمد بن عبد الله البرزالي صاحب قرمونة (٧٨) الذي كانت تربطه به مصالح مشتركة ، فقد كانت قرمونة الحصن الامامي لاسبيلية من جهة الشرق ، كما ان البرزالي صاحب قرمونة كان يخشى على بلده من بنى حمود في قرطبة ، ولهذا لم يكن يتردد في تلبية اى طلب لابن عباد .

وحدث ان اختلف اهل مدينة باجة فيما بينهم على الرئاسة ، وقامت فيها فتنة تعرف باسم فتنة البرابرة ، فاستغل ابن عباد الاوضاع المرتبكة في باجة وسير ولده اسماعيل على رأس حشد من الجند

(٧٨) بنوبرزال - او البرازلة - فخذ من زناتة من بنى يفرن كانوا ينزلون بالزاب الاسفل من افريقية (وسط الجزائر حاليا) بخلاف الزاب الاعلى الذى كان ينبع الاغالبية ، وصفوا للحكم المستنصر بالشدة والشجاعة في الحروب فأمر بمكاتبتهم ، فعبروا الى الاندلس ودخلوا في خدمة الخلافة الاموية ، واستعان بهم المنصور ابن ابي غنم ، فزادوا بذلك قوة ونفوذاً ، وعند وقوع الفتنة تمكنوا من الاستيلاء على قرمونة واستجوه ، وحصن الدور واحوازها ، وكان زعيمهم عندئذ محمد بن عبد الله البرزالي ، وكان قد تحالف لفترة من الزمن مع القاضى ابي القاسم بن عباد ، ولكن في عهد ابنه المعتضد قامت بين اشبيلية وقرمونة حروب طويلة انتهت بمقتل محمد بن عبد الله البرزالي ، ومنذ ذلك الوقت بدأ شأن البرازلة يضعف ، ويتحالف اسحاق بن محمد بن عبد الله البرزالي مع بنى الافطس الذين كانوا قد حاربوهم من قبل ، وانتهى امر البرازلة بان انضمت بقاياهم الى باديس بن حبوس الزيرى ، صاحب غرناطة ، (انظر ابن الابار ، الحلة السيرة ، ج٢ ، حاشية ، ص ٥٠ ، مجهول ، نبذ تاريخية من كتاب مفاخر البربر ، ص ٤٤)

للاستيلاء على باجة واشترك البرزالي في هذه الحملة بقواته (٧٩) . وكانت باجة حتى ذلك الحين ما تزال تابعة لابن الافطس ، وتم حصارها ، واجتاحت خيالة قوات ابن عباد وحليفه كل منطقة يابرة والمناطق الساحلية ، ونهبت ودمرت كل ما تقابله في الطريق ، وبالطبع توجهت قوات المنصور ابن الافطس للدفاع عن باجة ، وكان على رأسها محمد بن المنصور بن الافطس يساعده في ذلك ابن طيفور صاحب مرتلة قاعدة شلب ، وكان ابن طيفور قد أقبل لمساعدة ابن الافطس وذلك عندما تبين له مدى الضرر الذي سيترتب على سيطرة ابن عباد على باجة بالنسبة لدولته الصغيرة . ثم دارت معركة عنيفة بين الجانبين انتهت بتغلب ابن عباد وحليفه البرزالي على قوات ابن الافطس ، فتمزقت شر ممزق ووقع عدد كبير منها في أسر ابن عباد ، وكان من جملة الأسرى محمد بن عبد الله بن الافطس الذي اعتقله البرزالي في قرمونة حتى أطلق سراحه في ربيع الاول من سنة ٤٢١هـ (٨٠) (١٠٣٠م) بعد عام كامل

(٧٩) يقول ابن بسام « تعطلت قصبة باجة بسبب فتنة البرابرة ، وخربت على قدم بنائها في الجاهلية واتصال عمرانها في الاسلام ، ومكانها من طيب المرية واتساع الخطة ، وكان افائها من اختلاف اهلها قديما وبقاء شؤم العصبية بين العرب منهمس والمولدين ، فسما لها ابن عباد وابن مسلمة وذهبا يؤمئذ الى امارتها ، واستظهر القاضي ابن عباد في ذلك بحليفه محمد بن عبد الله البرزالي صاحب قرمونة ، وجرد ابنه اسماعيل لبنائها ، فسبقه ولد ابن مسلمة اليها الملقب بالمظفر ، وجاء في مدد ابن طيفور صاحب ميرتلة من امراء الساحل (المحيط) فنزل ابن عباد عليه بباجة ، وضربت خيله الى ناحية يابرة والغرب فهتكت استارها ، وخربت ديارها ، واتصل الحصار بابن الافطس بباجسة وانصدع الجمع عن اسره ، وقتل كبار رجاله وبعثت بالأسرى الى ابيه ، وكان في جملتهم اخ لابن طيفور صلب باشبيلية ، وحيس ولد ابن الافطس عند صاحب قرمونة ابن عبد الله . وبلغت هذه الغزاة من ابن الافطس المغاية وتجاوزت الملا برعيتيه النهاية ... » (انظر ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة القسم الثاني ، المجلد الاول ، ص ٢٠) .

(٨٠) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢٠٣ ، وذكر ابن =

من الاعتقال ، فعاد الى بطليوس بعد ذلك وقد هذبتة المحنة (٨١) .

ويبدو أن ابن الافطس وابن عباد اتفقا على هدنة تتوقف فيها المعارك بدليل أنه لم يحدث بين الجانبين قتال حتى سنة ٤٢٥هـ (١٠٣٤م) ولم تمض اربع سنوات على فك محمد بن عبد الله بن الافطس من سجنه حتى تجددت الحرب بين المنصور عبد الله ابن الافطس وأبى القاسم محمد بن عباد ، وكان ابن عباد قد عزم على غزو مملكة ليون ، وكان يتعين على قواته أن تمر من اراضى مملكة بطليوس ، فتعاقد بينه وبين ابن الافطس على الا يتعرض الاخير لقوات اشبيلية وعلى هذا الاساس ، خرج اسماعيل بن عباد على رأس جيشه الى اراضى العدو بموافقة ابن الافطس الذى سمح له بالعبور فى اراضيه ليحارب فى غليسية (٨٢) والمقصود بها مملكة ليون ، ويذكر سيمونيت نقلا عن مخطوطة ريجان

= عذارى أن ابن عبد الله البرزالي عرض على محمد بن الافطس أن يجتاز على القاضى ابن عباد ليشركه فى المين عليه باطلاق سراحه ، ولكن محمد بن الافطس انف من ذلك وأثر أن يكون اسيرا لديه على أن يتحمل منته عليه ، فكبر فى عين البرزالي ، واطلقه بعد أن اكرم تشييعه .

(٨١) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢٠٣ ، وانظر محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٦ ، ٨٢ .

(٨٢) يقول ابن بسام « فلما كان فى سنة خمس وعشرين وجه ابن عباد بابنه اسماعيل مع عسكر الى أرض العدو تحت معاقدة بينه وبين ابن الافطس ، فلما ارغل اسماعيل ببلده يريد أرض غليسية وابن الافطس ، قصد الغدر به ، بادر بجميع رجال ثغره ورصده فى شعب ضيق فى طريق قفوله ، ولم يعلم ابن عباد بشيء من تدبيره حتى حصل فى الانشودة ، فبادر اسماعيل بالنجاة لنفسه ، واسلم جميع عسكره له ، وجرت عليه فى مهره مع حملته من اصحابه شدة لجأ فيها الى ذبح خيله والاغذاء بلحومها ، ونجا بدمائه الى مدينة اشبونة آخر عمله من ساحل البحر المحيط ، فاصطلم ابن الافطس عسكره اصطلاما لم يسمع بمثله ، ووقع فرسان العدو من النصارى على كثير منهم ، فاقننصوهم اقتناصا وقتلوا منهم امة ، وكانت حادثة شنيعة » (انظر ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الاول ، ص ٢٢) .

اللباب ان ابا القاسم محمد بن عباد كان قد استولى فى احدى حملاته على شمال اقليم لجداانية على حصنين متقابلين يقومان على نشزين يفصل بينهما جرف يعرفان بالاخسوين ويقعان على مقربة من بازو Visco يعرفان اليوم باسم Alafocns كانت تسكنهما جماعات مسيحية من المستعربة بعضهم يتكلم العربية ويزعمون أنهم من سلالة جبلة ابن الابهيم ، وبعد أن استولى ابن عباد على الحصنين اصطحب معه فى جملة عسكره ثلاثمائة من حاميتها ، وكانوا محاربين اشداء (٨٣) .

ويعتقد البران أن هؤلاء المستعربين ارشدوا ابن عباد على الطرق المؤدية الى هدف غزوته وهى منطقة معروفة على مقربة من نهر دويرة (٨٤) . وقد يكون الهدف من هذه الحملة الاشبيلية رغبة المسلمين فى استغلال الوضع السيىء الذى كانت تجتازه مملكة ليون على عهد برمند الثالث بسبب الجفاف والمحل والجوع الذى كابدته فى العام السابق ، بالاضافة الى الاضطراب السياسى الذى نشأ نتيجة الصراع القائم بين الملك الشاب برمند الثالث ملك ليون وشانجة الثالث ملك نبرة ، ثم بينه وبين فردلند الاول ملك قشتالة (٨٥) . ولا تتيح لنا المادة التى فى متناول ايدينا ان نحدد الهدف الذى كان يسعى اليه ابن عباد فى مملكة ليون او الموقع الذى هاجمه فى الاراضى الليونية ، وعلى الرغم من موافقة ابن الافطس على عبور قوات اشبيلية فى اراضية الا انه قرر أن ينكت بوعده ويترصده عودته من غزوته وينقض عليه بكل عدته وعديده اشباعا لشهوة انتقامه من اسماعيل بن عباد الذى هزم قواته فى باجه قبل سنوات ، وأسر ولده محمد . وبينما أوغل اسماعيل بن عباد ببلاد ابن الافطس فى طريق عودته من غزوته خرج عليه ابن الافطس فجأة فى قوة كثيفة وطارده بشدة ففر

Simonet; Historia de los Mozárabes de España, P. 654.

(٨٣)

Albarran, el Solar, Op. Cit., P. 262.

Albarran, el solar, Op. Cit., P. 263.

(٨٤)

(٨٥) انظر الملحق رقم «١» .

اسماعيل (٨٦) في شزيمة من رجاله يطلب النجاة بنفسه ، تاركا جيشه كله تحت رحمة سيف ابن الافطس ، وتعرض اثناء فراره لمازق جملة ولجأ الى ذبح خيله والاغتذاء بلحومها الى ان وصل الى الاشبونة (٨٧) .

أما جيشه فقد كان ضحية الصراع بين بنى الافطس وبنى عباد ، فقد أصبح فريسة سهلة للعدو من النصارى الذين اقتنصوهم اقتناصا وقتلوا منهم اعدادا هائلة ، وكانت حادثة شنعاء تركت بصماتها واضحة في الحوادث التالية (٨٨) .

وقد اثار لجوء اسماعيل بن عباد الى الاشبونة ، كما ورد في رواية ابن عذارى واخذ به مانويل البران (٨٩) والمستشرق الهولندى دوزى (٩٠) جدلا بين الباحثين نظرا لان الاشبونة كانت تدخل فى نطاق مملكة ابن الافطس ، فلا يعقل ان يلوذ ابن عباد ببلد تابع لابن الافطس ، وهذا ما دعا الى التشكك فى صحة قراءة الاشبونة ، ولقد قراها ادريس روجيه فى مخطوطة البيان فى صورة الاشونة ، وبهذا فقد رجح ان تكون الاشونة التى لجأ اليها اسماعيل هى اكشونة (فارو الحالية) وكانت تابعة فى تلك الاونة لبنى هارون ، ويؤكد هذا الافتراض أنها وردت فى معجم البلدان لياقوت تحت اسم اشونة .

ومع ذلك فاذا كان المقصود بالاشبونة اكشونة فمن المستبعد ان نكتب بهذه الصورة الاشونة باضافة (ال) ، واغلب الظن ان تكون الاشونة الواردة فى مخطوطة ابن عذارى هى تحريف واضح من الاشبونة التى وردت واضحة فى نص ابن عذارى الذى نشره ليفى بروفنسال ونحن

(٨٦) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢٠٢ .

(٨٧) المصدر السابق ، ص ٢٠٣ .

(٨٨) نفسه ، ص ٢٠٣ .

Albarran, Op. Cit., P. 263.

Dozy, Op. Cit., Vol, III, P. 11.

(٨٩)

(٩٠)

نميل الى الاخذ بقراءة ليفى بروفنسال ، يضاف الى ذلك وجود اسباب اخرى تدعو الى ميل اسماعيل الى التراجع عن طريق الساحل مرورا بالاشبونة ، اذ انه للذهاب من مملكة اشبيلية الى الاراضى الليونية يتحتم سلوك الطرق الغربية المرتفعة من ساحل الاطلسي ، وللنزول من مناطق دويرة يتعين استخدام الطرق التي تهبط نحو تاجة عبر قلمرية ، ومن المعروف ان الاشبونة كانت قد اعلنت استقلالها عن ابن الافطس في فترة تسبق وصول اسماعيل بن عباد بقليل في ظل عبد العزيز وعبد الملك ولدى سابور ، ولا نستبعد ان يكون اسماعيل قد اختار الاشبونة في تلك الكونة بالذات التي كان سلطان ابن الافطس فيها مذبذبا ، وربما اثر اسماعيل ان يمضى من هناك الى شلب القريبة ، واغلب الظن ان بطليوس هاجمت فلول اسماعيل على مقربة من وادي تاجة أو عند مفترق الطرق المؤدية الى الاشبونة الامر الذي يفسر لجوءه الى هذه المدينة ومنها يمكن الوصول عن طريق الساحل الى حدود مملكة اشبيلية .

وعلى هذا الاساس علينا ان نستبعد الاحتمال بان تكون اكشنة ملاذا لابن عباد اذ ان ذلك من شأنه ان يورط قوات ابن الافطس المطاردة لقوات اشبيلية عند تراجعها ، فان مطاردتها لهذه القوات الى هذا الحد لابد ان تبعدها عن اراضى مملكة بطليوس ، وفي هذه الحالة تجد هذه القوات نفسها مضطرة الى النزول الى الساحل الجنوبي داخل نطاق امارة من الامارات الصغيرة المستقلة في هذا الصقع وذلك بعد اختراقها لمملكة ابن عباد ، الوحيد الذي يمكنه حماية رجاله ، ولا يمكن ان يكون الاشتباك قد وقع حسب ما زعمه مارتينث اى مارتينث في سيرادى لا استريا (سلسلة جبال النجمة) لانه لا يوجد ما يثبت ذلك (٩١) .

وهكذا يتضح لنا في الظاهر ان اطلاق سراح الامير محمد بن الافطس من معتقله قد تم نتيجة اتفاق بين الطرفين اقرب ما يكون الى مشاهدة الصلح ، تتوقف فيها الاشتباكات العسكرية ، ولكن في واقع الامر لا نستطيع ان نجزم بشيء من ذلك لان المصادر العربية لم تزودنا بما يؤكد هذا الافتراض ، وكل ما في الامر ان حالة الركود في العلاقات بين اشبيلية وبطليوس انتهت في عام ٤٢٥ هـ (١٠٣٣ م) بذلك الكمين الذي نصبه ابن الافطس لقوات ابن عباد وأدى ذلك الى كارثة تعرضت لها هذه القوات على أيدي الليونيين ، وأدى ذلك بطبيعة الحال الى توتر العلاقات من جديد بين العاصمتين وان كان ذلك لم يؤد الى اشتباكات جديدة بين قواتهما ، وانما كان الموقف على وشك التفجر بحيث يمكننا ان نشبهه بوميض النار تحت الرماد ، وقد وضعت وفاة القاضي ابي القاسم محمد بن عباد في سنة ٤٣٣ هـ (١٠٤١ م) حدا لهذا الموقف ، ومنذ اعتلاء ولده عباد تبدأ مرحلة جديدة في تاريخ الصراع بين اشبيلية وبطليوس ، وسيتجدد هذا الصراع في عهد المظفر بن الافطس مع ابي عمرو عباد الملقب بالمعتضد بالله (٩٢) .

ب - الاوضاع السياسية في الغرب في عهد المنصور بن الافطس :

لم يكن الصراع الدائر بين ابن عباد في اشبيلية وابن الافطس في بطليوس في حقيقته صراعا شخصيا بين ملكين ، وانما كان في واقع الامر حلقة من حلقات الصراع المتأصل بين الطائفة البربرية والطائفة العربية كان صراعا بين العنصر العربي والعنصر البربري في الاندلس ، فابن عباد

(٩٢) يرجع Martinez y Martinez الرأي القائل بأن ابا محمد عبد الله بن محمد بن مسلمة الملقب بالمنصور بن الافطس قد اكتسب هذا اللقب الذي يوضح انتصاره وتفوقه العسكري بعد هزيمته لابن عباد في عام ٤٢٥ هـ (١٠٣٣ م) ، فمن الحقائق التي نعرفها عن عهد المنصور بن الافطس انه لا يوجد حادث أو مناسبة واحدة تؤهله للتلقب بهذا اللقب الرفيع الا هذه الحادثة التي توضح طباعه الغادرة وخصاله التي قامت على الخدر ونكران الجميل لهذا فاني أرى رأي Martinez y Martinez (انظر : (Martinez y Martioz, Op. Cit., P. 104.

كما سبق أن أوضحنا يرجع في نسبه الى أصول عربية بحتة وقحطانية بالذات إذ أن نسبه يرتفع الى لخم بينما يرجع بنو الافطس الى أصل بربري قح . وقد يكون هذا الصراع نتيجة للمطامع الشخصية وشهوة السلطان بصرف النظر عن الأصول .

ويرى البران أن عام ٤٤٠هـ (١٠٤٨م) قد شهد تحالفا بربريا قويا يستهدف ابن عباد ، يضم كل من باديس بن حبوس القوى صاحب غرناطة ، ومحمد بن نوح الدمري سيد مورور ، ومحمد بن خزرون صاحب أركش وقلسنة، واسحاق بن محمد بن عبد الله البرزالي صاحب قرمونة ، وبنى يحيى اليحصبي أصحاب لبله ، والمظفر صاحب بطليوس ، وفي اعتقاد البران أن جذور هذا التحالف البربري قديمة ترجع الى الايام الاولى للصراع بين ابن عباد وابن الافطس في حدود سنة ٤٣١هـ (١٠٣٠م) ، وهذا الصراع بين العرب والبربر هو الذي سيؤدي الى مقتل اسماعيل ابن القاضي ابي القاسم محمد بن عباد في اوائل المحرم سنة ٤٣١هـ (أواخر سنة ١٠٣٩م) .

ولعل هذا الحديث يقتضى منا عرض صورة سريعة لخلفية الحوادث والوقائع التى حركت المنصور بن الافطس والتي ستعيننا فيما بعد على تفسير كثير من المواقف الغامضة فى عصر ملوك الطوائف .

ومن المسلم به أن حوادث القرن الخامس الهجرى الذى اصطلح على تسميته بعصر ملوك الطوائف كانت صراعا بين اهل الاندلس سواء من العرب او البربر القدامى المتأسسين أو العناصر الاسبانية المتعربة ، وبين العناصر الطارئة على الاندلس من البربر والصقالبة ، واتخذ هذا الصراع بادىء ذى بدء مظهرا قوميا واضح المعالم بين أهل الاندلس وبين البربر الذين يزاحمونهم دون الصقالبة الذين كانوا ينضمون مرة الى أهل الاندلس ، ومرة الى البربر الى ان اتخذوا فى النهاية جانبا فى هذا الصراع فمالت طائفة الصقالبة الى جانب الطائفة الاندلسية ضد الطائفة البربرية (٩٣) ، بحيث تحولت الطوائف الثلاثة الى طائفتين

متعاديتين احدهما بربرية والاخرى اندلسية تجمع بين العنصر العربى

وبين البربر البلديين والصقالبة .

وقد استغلت الطائفة البربرية احداث الفتنة التى انتهت بسقوط الخلافة الروانية بقرطبة ، واقتطع رؤساؤها لانفسهم دويلات بربرية مستقلة منها دولة بنى زيرى بن منساد الصنهاجى فى غرناطة ، وبنو برزال الزناتيون فى قرمونة ، وبنو دمر الاباضيون فى مورور Moron وبنو خزرون بأركش ، وبنو ابى قررة برنده Ronda ، وبنو يحيى بلبله وشلب ، وبنو هارون بشنتمرية الغرب ، وبنو مزين بشلطيش Saltés Silves Niebla ، فى حين استقل رؤساء الطائفة الاندلسية فى مناطق متعددة من الاندلس ، ففى شرق الاندلس قامت دويلات صقلبية فى دانية وبلنسية وطرطوشة والمرية ، وفى طليطلة قامت دولة بنى ذى النون ، وفى السهلة دولة بنى رزين ، وفى بطليوس دولة بنى الافطس وجميعهم من البربر البلديين . اما فى قرطبة فقامت دولة بنى جهور . واصلهم من الفرس دخل جدهم الاول يوسف بن بخت الى الاندلس قبل دخول عبد الرحمن بفترة طويلة (٩٤) . وفى اشبيلية قامت دولة بنى عباد الاخمين ، وفى سرقسطة دولة بنى هود الجذاميين ، وفى المرية دولة بنى صمادح التجيبين ، وكلهم من العناصر العربية فى الاندلس ، وقد تزعم بنو عباد بأشبيلية والمعتضد بالذات الطائفة الاندلسية ، وتولوا مهمة جمع شتات أهل الاندلس وتكوين جبهة اندلسية متحدة تهدف الى القضاء على الجبهة البربرية المعادية ، فمنذ أن خلف المعتضد اياه وهو يسعى سعيا حثيثا لتوسيع رقعة مملكته على حساب امراء زناتة فى الجنوب والجنوب الغربى من الاندلس ، ثم على حساب بنى حمود فى مالقة والجزيرة وبنى جهور بقرطبة ، وبنى طيفور بمرتلة ، وبنى طاهر بمرسية ، وكان ابوه

siècle, Paris, 1937, P. 5-15 — Isidro de las Cagigas, Andalucía musulmana, Madrid, 1950, P. 34-Lévi-Provençal, Histoire de — l'Espagne musulmane, t. III, P. 175.

(٩٤) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ١٨٦ .

القاضي ابي القاسم محمد بن عباد قد تصدى لاطماع بنى حمود في مملكته عن طريق الالتفاف حول زعيم روى، فزعم انه اهتدى الى هشام المؤيد فاستقدمه وبايعه بالخلافة، ثم خاطب الدويلات الاندلسية بشانه فخطب له بعض ملوك الطوائف وابي البعض ، فاضطر ابن عباد الى استخدام العنف والقوة في حملهم على الخطبة لهشام المزعوم (٩٥) .

ولم يلبث العداء بين الطائفة الاندلسية والطائفة البربرية ان بلغ

(٩٥) يتمثل ذلك في العملات التي وصلتنا من هذه الدويلات ، وقد نقش عليها اسم هشام المؤيد ، ويذكر ابن حيان أنه في سنة ٤٣٥هـ (١٠٤٣م) تميز امراء الاندلس وملوكهم من قبائل البر وغيرهم وصاروا فريقين ، وكان من بين ملوك الطوائف الذي اطاعوا بنى عباد في دعوتهم الهشامية سليمان بن هود الجذامي صاحب الثغر الاعلى ومعه مقاتل الصقلبي صاحب طرطوشة وعبد العزيز بن ابي عامر صاحب بلنسية وابن معن صاحب المرية ، وسعيد ابن رفيل صاحب شقورة Segura وغيرهما من الرؤساء الى الوزير محمد بن جهور صاحب قرطبة . وكان هؤلاء الاندلسيون ثمطا واحدا متظاهرين على عظيم البرابرة يومئذ باديس بن حبوس الصنهاجي صاحب غرناطة ومن تميز معه من البربر ومن يدعوا اليه من ادريس بن يحيى صاحب مالقة ، وكانوا متعاضدين متناصرين على من يباينهم من الامراء سواهم على اختلافهم في الراى والدعوة ، وكان هؤلاء الثغريون المذكورون يدعون لهشام المنصوب باشبيلية ، وكان باديس ومن والاه من امراء البرابرة يدعون لامامهم بمالقة وهو ادريس بن على بن حمود الحسنى و . . . » .

ويضيف ابن حيان ان فريقا آخر من ملوك الطائفة الاندلسية ومنهم مجاهد العامري صاحب دانية وابن الافطس صاحب بطليوس ايضا ، ومن يتصل به من الرؤساء بالغرب ويحيى بن ذى النون صاحب طليطلة ، واسحق بن محمد البرزالي صاحب قرمونة ومن والاه من الامراء الاصاغر امثال ابن نوح وابن خزرون وغيرهما ، كان هؤلاء جميعا على الدعوة الهشامية . ويعلق ابن حيان على هذا التكتل من جانب الطائفة الاندلسية ، فيقول « وتظاهر كل من هؤلاء الامراء على ضده في الظاهر اتم مظاهرة يتدخلون ويتعاونون على دفع الحوادث الطارقة لهم، ولا يثب بعضهم على بعض بخلاف رأى أو دعوة» (انظر ابن عذارى ، البيان ، ج٣ ، ص ٢١٩ ، ٢٢٠) .

ذروته عندما أقدم المعتضد بن عباد على التهام الدويلات البربرية المتناثرة حول مملكته وكان بعضها قد دخل في حلف ابن الافطس ، وادى هذا الاعتداء على تلك الدويلات البربرية الى تجدد الاشتباكات بين قوات اشبيلية وقوات بطليوس . ومن الغريب ان الصراع القائم بين ابن عباد وابن الافطس كان يتخذ في مظهره العام لونا عصبيا رغم ان ابن الافطس كان متأسبنا يندرج في الطائفة الاندلسية التي يتزعمها بنو عباد ، وربما كان ذلك سببا في انتحاله للنسب التجيبي ، وقد رأينا الاسباب التي أدت الى تجدد الصراع بين الجانبين ، ومع ذلك فلاستاذ محمد عبد الله عنان يوجه انظارنا الى نقطة هامة تحدث عنها ايضا مارتينث اى مارتينث Martinez Y Martinez وهى ان ابن عباد رغم خصومته للبربر اعتمد في صراعه ضد المنصور بن الافطس على حليفة البربري محمد بن عبد الله البرزالي صاحب قرمونة ، وقد سبق ان أوضحنا ان العامل الاستراتيجى وعامل المصلحة المشتركة قد جمعا بين الضدين (٩٦) وكما استعان ابن عباد بالبربر اعتمد المنصور بن الافطس على البربر .

ومن المعروف ان محمد بن عبد الله البرزالي صاحب قرمونة كان من اكبر محرضى ابن عباد على حروبه ضد العصبية البربرية تحقيقا لمصالحه واطماعه الشخصية حتى ان ابن عذارى يسميه « بقطب رحى الفتنة (٩٧) » حيناً و « بشهاب الفتنة (٩٨) » حيناً آخر .

وقد حاول قطع السبل على قرطبة وتضييق الحصار عليها حتى اضطر وزراء قرطبة الى الاستعانة ضده بطائفة من بربر بنى برزال بشذونة ، وكان ابن الافطس يعتمد في كثير من الاحيان على بعض

(٩٦) محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٥ .
Martinez y Martinez, Historia de Badajoz, P. 105.

(٩٧) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢٠٢ .

(٩٨) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٠٦ .

الطوائف البربرية (٩٩) .

ومن الامثلة التى تصور طبيعة الصراع الذى كان يدور سرا بين العصبيتين البربرية والاندرلسية موقف يحيى بن حمود الملقب بالمعتلى الذى كان قد استقر فى مالقة من عبد الله البرزالي حليف ابن عباد ، فقد كان المعتلى يخشى اطماع ابن عباد التى كان يعرف تمام المعرفة ان وراءها البرزالي ، لهذا فقد توجه الى قرمونة وانتزعها عنوة من يد محمد بن عبد الله البرزالي صاحبها ، فلجأ محمد البرزالي بطبيعة الحال الى اشبيلية ليستنجد بابن عباد الذى ادرك الخطر الذى يتهدهه من جانب المعتلى ، فقد كان المعتلى قد بدأ يشن الغارات المتوالية على مملكة اشبيلية ، عسى ان يتمكن من خلع ابن عباد من مملكة اشبيلية ، عسى ان يتمكن من خلع ابن عباد من مملكة اشبيلية ليضمها الى املاكه ، وعندئذ لجأ ابن عباد الى التوسل بالدعوة الهشامية التى سبق الاشارة اليها ، وايده فى ذلك رؤساء الطائفة الاندرلسية ، رغم وضوح اختلاق قصة العثور على هشام المزعوم (١٠٠)

(٩٩) يقول ابن بسام «وكان ابن عبد الله بقرمونة قطب رحى الفتنة ، كثيرا ما يحرض القاضى ابن عباد على الخروج الى بلد ابن الافطس الى قرطبة فيعما الجهات كلها تدويها ، كلما آبا من جهة صاروا الى سواها ، حتى اثرا اثارا قبيحة ، فارتفع طمع وزراء قرطبة المدبرين لها منه لانه كان لا يوافقهم على دعوة اموى لفرط شروده عن الجماعة ، وانما كان مذهبه طمس رسم الخلافة من معانيها بقرطبة ، وتصيرها اسوة اشبيلية فى اسنادها الى رئيس من اهلها ، وطرد قريش عن سلطانها ، ابطالا للامامة ورسوخا فى الخارجية ودفعاً لامر الله ، فقطع سبل قرطبة وشد حصرها ، فتمسك الوزراء بحبل بعض البرابر من بنى برزيل بجهة شذونة ، وكانوا على قديم الايام جمرة زناتة بأسا وحراسة واعتضدوا بهم مدة ، واعتضد أيضا ابن الافطس بطائفة اخرى منهم ، فكان فى كل بلد جملة منها سالت عن اهل البلاد سيول بها ، وخططوا الشر بين رؤسائها ...» (انظر ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الاول ، ص ٢١) .

(١٠٠) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ١٥٤ ، وفى ذلك يقول ابن الخطيب =

وتتديد بعض مفكرى الاندلس به (١٠١)، ثم عزم ابن عباد على القضاء على

= «فذكر أن هشاما فر من الفتنة ورفض الملك، وكتم امره واستقر في قرية من قرى اشبيلية يؤذن في مسجدها ويعمره ، ويتقوت من العمل في الحلفاء ، فخرج اليه القاضى محمد بن اسماعيل هذا وولده وجميع خاصته وعبيده ، ومعه اثواب الخلفاء وملابسهم وزينهم ومراكبهم ، ولم يشعر الرجل ، وهو خارج المسجد من القرية ، يعمل بيده في حلفاء ، اذا بالقوم قد غشوه واحاطوا به ، وترجل القاضى وابنه ومن معهما ، وقبلوا الارض بين يديه ، فبهت الرجل لما عاين وجعل يقول : لست بالذى تمنون ولا بالذى تطلبون » وهم لا يردون عليه شيئا سوى التضرع والرغبة الى أن اقاموه من مكانه ، وجردوه من حلفائه ، والبسوه الكسوة الخلافية ، ووضعوا القلائس على رأسه واركبوه ، ومشى القاضى وجميع من معه امامه ، وكان الرجل أشبه الناس بهشام ، ودخلوا به المدينة وصائح ينادى « يا أهل اشبيلية اشكروا الله على ما أنعم به عليكم ، فهذا مولاكم قد صرف الله الخلافة من قرطبة الى بلدكم ... » ، ويقول ابن عذارى « ومن أشهر اخبار ابن عباد انه نظر في شأن من بقى يومئذ من فتيان بنى مروان فسقط اليه خبر المدعى المشبه بهشام بن الحكم ، وكان قد تحدث انه أفلت من يدى سليمان قاهره وانه غاب بببلادالمشرق مدته الطويلة ثمعاد الى الاندلس ، فآثر ذلك في قلوب الناس لمقدمات سلفت في الشك في موته اذ كان سليمان قاتله قد ترك ابداءه للناس حسبما فعلته حزمة الملوك قبل فيمن خلعوه ، اما استخفافا من سليمان يومئذ بمن ملك نواحيهم بالقهر » (انظر ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ١٩٧) (لمزيد من التفاصيل عن هذه القصة انظر عنان ، الطوائف ، ص ٣٧) .

(١٠١) ندد الفيلسوف ابن حزم بقصة هذا الخليفة المزعوم ووصفها بأنها « اخلوقة لم يقع في الدهر مثلها » (انظر ابن حزم ، نقط العروس ، المنشور بمجلة كلية الاداب ، ديسمبر ١٩٥١ ، ص ٨٣) وقد علق محمد عبد الله عنان على تعليق ابن حزم هذا بقوله «انها لفضيحة لم يقع في العالم الى يومنا هذا مثلها»، أن يقوم اربعة من رجال في مسافة ثلاثة ايام في مثلها ، كلهم يتسمى بامرة امير المؤمنين ، ويخطب لهم في زمن واحد ، وهم خلف الحصرى باشبيلية على انه هشام بن الحكم ، ومحمد بن القاسم بن حمود بالجزيرة ، ومحمد بن ادريس بن على بن حمود بببشتر » (انظر محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٨) .

يحيى المعتلى فأرسل جيشا تمكن به من استرداد مدينة قرمونة بعد أن قتل انصاره من الاندلسيين يحيى المعتلى ، وارسلت رأسه الى اشبيلية في المحرم عام ٤٢٧هـ (١٠٣٥م) . ولكن تمادى الاندلسيين في قتل البربر اثار عليهم محمد بن عبد الله البرزالي حليف ابن عباد ، فاستاء لذلك ، وبدأت عصبية لقومه ، وكلم ابن عباد في رفع السيف عنهم فاستجاب له (١٠٢) .

ثم ما لبث الخلاف ان دب بين الحليفين ابن عباد والبرزالي ، واستولى ابن عباد على قرمونة ، ومن بعدها استجة الواقعة في شرقها ثم اشونة التي تقع جنوبي استجة ، فاستغاث البرزالي بزملائه من زعماء البربر ، فاعاذه ادريس المتأيد صاحب مالقة وباديس بن حبوس صاحب غرناطة ، ودارت موقعة حاسمة بين البربر والاشبيليين في اول المحرم ٤٣١ هـ (اواخر ١٠٣٩م) انتهت بهزيمة الاشبيليين ومقتل اميرهم اسماعيل بن عباد انتقاما منه لاقدامه على قتل خليفته يحيى المعتلى من قبل ، وسنرى ان رؤساء البربر يجمعون في سنة ٤٣٩هـ (١٠٤٧م) على البيعة لمحمد بن القاسم بن حمود الحسنى ويقدموه للخلافة ، وهم اسحاق بن محمد بن عبد الله البرزالي صاحب قرمونة ، ومحمد بن نوح الدمرى صاحب مورور ، وعبدون ابن خزرون صاحب اركش ، وباديس بن حبوس صاحب غرناطة واستجة وغيرها وزحفوا بقواتهم الى اشبيلية وحاصروها ، وانضم اليهم المظفر بن الافطس (١٠٣) ، وعندئذ يتحول بربر قرمونة ضد المعتضد بن عباد ، ويصبح اسحق بن عبد الله البرزالي حليفا للمظفر بن الافطس (١٠٤) ، وسط كل هذه الصراعات كان على المنصور بن الافطس ان يدعم اركان دولته ويقويها حماية لها من اطماع ابن عباد ، كما كان عليه ايضا ان يظاهر الدويلات الصغيرة المستقلة بالغرب ويتحالف معها ضد التوسع العبادى .

(١٠٢) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ١٨٩ .

(١٠٣) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢٣٠ .

(١٠٤) المصدر السابق ، ص ٢٣٥ .

شغل المنصور بن الافطس بتنظيم شؤون بلاده، فأهتم باعداد جيش قوى ، وتحصين حاضرتة لتكون بمأمن من هجمات بنى عباد أو غيرهم من ملوك الطوائف خاصة بعد وفاة ابي القاسم محمد بن عباد فى نهاية جمادى الاولى سنة ٤٣٣ هـ (يناير ١٠٤٢م) ، فقد كان ولده ابو عمرو عباد بن محمد بن اسماعيل الملقب بالمعتضد (٤٣٣ - ٤٦١ هـ) قاسميا وعنيفا بحيث لقب بقطب رحى الفتنة (١٠٥) ، واذا كان المعتضد بن عباد قد افتتح عهده بسفك دماء زعماء اشبيلية القدامى ، اصحاب جده القاضى ابن عباد (١٠٦) ، فان هذا العنف والقسوة اللذين اصطنعهما اصبحا ديدنه (١٠٧) ، وسيصبحان سلاحا يشهره على خصومه البربر بهدف توسيع رقعة مملكته ، لا سيما على حساب الامارات الصغيرة التى استقلت فى الغرب ، وهذا يقتضى منا ان نتحدث عن أهم هذه الامارات ، وفى ضوء سياسة ابن عباد العدوانية تجاه هذه الامارات الصغيرة نستطيع ان نتبين سياسة المنصور بن الافطس الودية نحو هذه الامارات

(١٠٥) ابن الابار ، الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ٣٩ - ٤٠ ، ويصفه ابن الابار بقوله « وتسمى أولا بفخر الدولة ثم بالمعتضد ، قطب رحى الفتنة ، ومنتهى غاية المحنة من رجل لم يثبت له قائم ولا حصيد ، ولا سلم عليه قريب ولا بعيد ، جبار أبرم الامر وهو متناقض ، واسد فرس الطلى وهو رابض ، متهور تتحاماه الدهاة وجبار لا تأمنه الكمأة ، متعسف اهتدى ، ومنبت قطع فمسا ابقى ، ثار والناس حرب ، وكل شئ عليه آلب فكفى اقرا نهوهم غير واحد ٠٠٠ » (انظر كذلك ابن بسام الذى اعتمد عليه ابن الابار فى وصفه للمعتضد ابن عباد ، الذخيرة فى محاسن اهل الجزيرة ، القسم الثانى ، المجلد الاول ، ص ٢٤) .

(١٠٦) قتل المعتضد حبيب وزير ابيه والفقيه ابا عبد الله الزبيدى ، وابا محمد عبد الله بن مريم حتى لا يقوم اخذ من اصحاب العصبية فى اشبيلية . (انظر ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الاول ، ص ٢٤) .

(١٠٧) من مظاهر قسوته ، وولعه بسفك دماء اعدائه انه اتخذ بباب قصره حديقة تطلع كل وقت ثمرا من رؤوس اعدائه ، مقرطة الاذان برقاع اسمائهم ، ومنها رأس محمد بن عبد الله البرزالى حليفه السابق ورؤوس الحجاب ابن خزرون وابن نوح ، ورأس امامهم الخليفة الحمودى يحيى بن على بن خمود الحسنى (ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢٠٦) .

لا سيما في السنوات الاربعة الاخيرة من حكمه اى في الفترة من ٤٣٣هـ (١٠٤١ م) (التى خلف فيها أبو عمرو عباد اباه القاضى ابا القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد فى اماره اشبيلية) الى عام ٤٣٧هـ (١٠٤٥ م) التى تسجل تاريخ وفاة المنصور .

وأولى هذه الامارات اماره لبلة Niebla التى استقل بها فى سنة ٤١٤هـ (١٠٢٣ م) تاج الدولة ابو العباس أحمد بن يحيى اليعصبى اللبلى (١٠٨) ، وبايعه اهلها وأهل نواحيها المجاورة مثل ولبة Huelva وجبل العيون Gibraléon ، وكان قد اشتهر بحبه للإصلاح وميله الى الاحسان الى رعيته ، وقد ازدهرت الامارة فى عهده وسادها الرخاء الى ان توفى عام ٤٣٣هـ (١٠٤١ م) دون عقب ، وكان قد أوصى الى اخيه محمد وعهد اليه ، ولهذا فقد خلفه اخوه عز الدولة ابو عبد الله محمد بن يحيى اليعصبى (١٠٩) ، وكان محمود السيرة محسنا ، فأحببه الناس ، وساد الامان فى بلده ، وارتبط بعلاقات ودية مع جيرانه لا سيما مع

(١٠٨) ابن الابار ، الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ١٨٥ ، ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢٩٩ .

(١٠٩) ابن عذارى ، ج ٣ ، ص ٣٠٠ ، ويسوق ابن عذارى فى موضع آخر رواية تناقض الرواية التى أوردها فى الصفحة سالفة الذكر ويتفق فى ذلك مع ابن الابار ، يقول ابن عذارى : (وفى سنة ثلاث وثلاثين واربعمائة) قام بمدينة لبلة يحيى بن أحمد اليعصبى أثر هلاك ابيه بعد ما كان تقلدها ابوه منذ عشرين سنة ، فلم تزل فى يد يحيى هذا الى سنة ثلاث واربعين واربعمائه « (ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ١٩٣) ، وانظر بن الابار ، الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ١٨٥ .

وواضح أن الرواية الاولى التى ذكر فيها وفاة ابي العباس أحمد دون أن يعقب هى أولى بالثقة لانها تتسم بالدقة كما انها اكثر تفصيلا من الرواية الاخرى ، وبينما يذهب ابن عذارى الى القول بأن ابن عباد ظل يضيق على عز الدولة حتى دفعه فى سنة ٤٤٣هـ (١٠٥١ م) الى اعتزال الامارة والرحيل الى قرطبة وان ابا نصر فتح بن خلف (وهو ابن أخى عز الدولة) قد خلفه فى الامارة ، (ابن عذارى ، البيان ، ص ٣٠١) ، ويذكر ابن الخطيب أن ابا نصر المذكور كان اخا لعز الدولة (ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٢١٠) .

المنصور عبد الله بن الافطس اقوى ملوك الغرب والذى كان يسعى الى كسب قلوبهم تمهيدا لتكوين جبهة موحدة من امراء الغرب تستطيع ان تصمد امام مطامع بنى عباد .

واستقام حال هذه الامارة فى ظل عز الدولة محمد الى ان تولى أبو عمرو عباد بن عباد ملك اشبيلية ، وبدأ ينفذ سياسته التوسعية على حساب جيرانه ، فأخذ يعيث فسادا فى اراضى لبلة ويخرب قراها ويحرق مزارعها ، ولم يلبث ان افصح عن نواياه (١١٠) ، فى عهد المظفر محمد بن الافطس ، وادى ذلك الى ازدياد حدة الصراع بين المظفر بن الافطس وبين المعتضد بن عباد ، لاسيما بعد أن ضم ابن عباد اماره لبلة سنة ٤٤٥هـ (١٠٥٣م) الى ملكه ، وانتقل صاحبها الى قرطبة (١١١) ، وكان حليفا للمظفر بن الافطس ووالده المنصور من قبله .

وهناك اماره ولبة وشلطيش التى استقل بهما أبو زيد عبد العزيز البكرى فى سنة ٤٠٣هـ (١٠١٢م) ، وكان يتمتع برضى أهل امارته عليه وحبهم له (١١٢) ، ثم احتال عليه المعتضد فانتزع منه ملكه بنفس الطريقة التى استولى بها على لبلة .

وحاول البكرى ان يسترضيه بالتنازل له عن ثغر ولبة ، ولكن المعتضد أبى الا ان يسلمه جزيرة شلطيش كذلك ، فأثر البكرى السلامة لنفسه ، وسلم له شلطيش (١١٣) ، واقام البقية الباقية من حياته فى

(١١٠) محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٢١ .
(١١١) ومن الغريب ان يبعث اليه المعتضد وهو المعتدى عليه ، خيلا تصحبه الى مأمنه بقرطبة (ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢٤١) .

(١١٢) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٢١٠ .
(١١٣) ابن الابار ، الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ١٨٤ ، وابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٣ ص ٢٤٠ وما يليها ، محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٤٣ .

قرطبة . وفي نفس الوقت أخذ المعتضد بن عباد يتطلع الى اماره شنتمرية الغرب ، ومازال يضيق على صاحبها ابي عبد الله محمد بن سعيد بن هارون حتى تنازل له عنها سنة ٤٤٣ هـ (١١٤) (١٠٥١ م) .

هذه الحوادث كانت تمضي امام عيني المنصور وهو لا يحرك ساكنا . واذا كانت وفاة المنصور المبكرة لم تتح له ان يشهد سقوط هذه الامارات في يد المعتضد ، مما دعاه الى التزام سياسة حيادية تجاه جيرانه ، فان ولده المظفر عاصر سقوط هذه الامارات ، وآله ان يتعرض اصحاب هذه الامارات للنفي وان تتسع دولة خصمه ابن عباد بحيث تصبح ملاصقة لاراضيه ، فبادر بالتحرك ، وعندئذ تبدأ مرحلة ثانية من الصراع بين بطليوس واشبيلية (١١٥) .

لم يكتف ابن عباد بما استولى عليه من امارات الغرب ، بل تطلع الى اماره شلب وباجه التي كانت اهم امارات الغرب شأنا بعد بطليوس ، اما باجه فقد كانت محورا للصراع بين المنصور بن الافطس وبين القاضي ابي المقاسم بن عباد ، وانتهى الامر ايامها بهزيمة جيش بنى الافطس ووقوع ولده في اسر ابن برزال بقرمونة ، واما شلب فقد استقل بها عيسى بن محمد بن مزين وظل يتولاها حتى وفاته في عام ٤٣٢ هـ

(١١٤) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، وهو في ذلك يقول « اسمه محمد بن سعيد بن هارون ، يكنى ابا عبد الله ، بويج له بشنتمرية الغرب سنة ثلاث وثلاثين واربعمئة ، وكانت ايامه في سياسته واحسانه وشهامته وعدالته احسن ايام الى ان ضايقه المعتضد بن عباد بحروب وقتل ، وقتال ، فكانت بينهما وقائع ونوازل وامره يضعف وامر المعتضد يقوى ، فلما رأى انه لا يقاومه ولا له به طاقة خطب سلمه على ان يخلع له نفسه ويخرج بمن معه الى اشبيلية ، فقبل منه ، فتخلى له عن البلد وذلك في سنة ثلاث واربعين واربعمئة ٠٠٠ » وذكر ابن الابار في الحلة السيرة ان المعتضد اخرجها منها في سنة ٤٤٤ هـ (ج ٢ ، ص ١٨) .

(١٠٤٠م) ، فخلفه ابنه محمد بن عيسى الملقب بعميد الدولة ، وهو الذى تنازل لابن عباد عن باجه انتقاء لشهره ، واكتفى بحكم شلب .

وجاء دور اماره مرتلة التى انتزى بها ابن طيفور ، فقد تمكن ابن عباد من الاستيلاء عليها فى سنة ٤٣٦هـ (١٠٤٤م) . ولم تقف اطماع ابن عباد عند الاستيلاء على امارات الغرب ، فقد تطلع أيضا الى السيطرة على الامارات البربرية المتناثرة شرقى الوادى الكبير وبرزها اماره بنى برزال فى قرمونة ، وكان بنو برزال كما سبق ان اوضحنا قد تعاونوا مع القاضى ابى القاسم بن عباد فى حروبه ضد المنصور بن الافطس .

ومنها اماره بنى يفرن وزعيمهم ابو هلال بن أبى قرة اليفرنى صاحب رنده الذى كان من اخلص اصدقاء المعتضد بن عباد ، وامارة بنى دمر فى مورور ، وامارة بنى خزرون فى شذونة وأركش .

نجح المعتضد فى الاستيلاء على جميع هذه الامارات وضمها الى مملكته ، ونجح زمن المظفر بن الافطس فى التخلص من ثلاثة من امراء زناته هم الحاجب محمد بن نوح بن أبى يزيد الدمري (١١٦)، صاحب مورور Moron ، وعبدون بن خزرون امير بنى يرنيان وصاحب أركش ، وابو نور هلال بن أبى قرة (١١٧) اليفرنى صاحب تاكرنا Tacorona ورنده Ronda حليفه وصديقه ، سجنهم فى قصره فى رجب عام ٤٤٥هـ (١٠٥٣م) ولم يزالوا فى حبسه الى ان ماتوا الا ابا نور الذى افرج عنه .

وذكر ابن عذارى ان ابن عباد بعد ان اعتقل الامراء الثلاثة مدة امر بهم فأخرجوا من سجنهم ، وصرف عليهم جميع ما أخذهم لهم ، ثم صنع لامرائهم طعاما وادخلوا عليه فأكرمهم » وأمر بتطبيب الحمام لهم وسار

(١١٦) دمر بربر يسكنون الجبل المصاقب لقابس ، وكانوا اباضية .
(١١٧) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢٩٥ ، ٣١٣ .

عبيده اليه معهم ، وكانوا ثلاثة امراء ابو نور وابن نوح وابن خزرون ، فلما دخلوا الحمام وجلسوا بازاء الحوض ، خرج العبيد عنهم وقد اعدوا الجيار والاجر فبنى عليهم على دفعة بيت الحمام وامر السخان ان يكثر الوقود ، فالتفد الحمام ، فقاموا من موضعهم يرومون الخروج ، فلم يجدوا مخرجا ، فكان آخر العهد بهم « (١١٨) » .

وهكذا تتجلى صورة الاوضاع السياسية لبلاد الغرب في الفترة التي تولى فيها المنصور عبد الله بن الافطس امارة بطليوس ، ومما لا شك فيه ان الصورة تؤكد موقف المنصور السلبي تجاه السياسة التوسعية التي انتهجها المعتضد ، وان كان هذا الموقف كان قناعا زائفا ، يخفى وراءه حالة التوتر التي كان يعيشها المنصور الذي انطوى على نفسه لتحسين بلاده وتجهيز قواته لعمل عسكري وشيك ، ربما دخل في طور التنفيذ لو أن العمر طال بالمنصور ، ولكنه سيتحقق في عهد ولده المظفر الذي تقترب ولايته بتحريك عسكري وسياسي مع جيرانه واسع النطاق على النحو الذي سنفصله فيما بعد ، وتوفي المنصور في ١٩ جمادى الآخرة من سنة ٤٣٧هـ (١٠٤٥م) وهذا التاريخ مسجل على شاهد قبره الذي نطالع فيه النص التالي :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا قبر المنصور عبد الله بن محمد بن مسلمة رحمه الله ورحم من دعا له برحمته ، مات ليلة الثلاثاء لآحدى عشرة ليلة بقيت لجمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين وأربع مائة) (١١٩) .

(١١٨) المصدر السابق ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢٧١ .

(١١٩) Lévi-Provençal, Incriptions arabes d'Espagne (texte), Paris, 1931, P. 55.

ومن الجدير بالذكر ان هذا التاريخ المسجل في النقش يجعل وفاته في ١٩ جمادى الآخرة بينما ورد في ابن عذاري في ١٩ جمادى الاولى . (انظر ابن عذاري ، المصدر السابق ، ص ٢٣٥) .

وقد ضاع الشاهد ، ولكن النقش نشره كوديره وسافدرا وامادور
دى لوس ريوس وخوسيه رامون ميليدا •

كما عثر على لوحة من الرخام (٧٠ ر × ١٣ م) اثناء هدم
كنيسة قلعة رباح ببطلبيوس ونقلت الى متحف الاثار ببطلبيوس، وقد نقش
في تلك اللوحة العبارة التالية بالخط الكوفى (هذا قبر المنصور ، رحمه
الله مات سنة سبع وثلثين « واربعة مائة ») •

(٣)

بطليوس في عهد المظفر محمد بن عبد الله بن الافطس

١ - حروبه مع المعتضد بن عباد :

خلف محمد اباه عبد الله المنصور بن الافطس في حكم مملكة بطليوس ، وكما قلد ابوه الحاجب محمد بن ابي عامر في لقبه فتلقب بالمنصور ، تلقب ولده محمد بلقب عبد الملك بن محمد بن ابي عامر ، وهو المظفر .

واستقامت اموره وازدهرت بطليوس في عهده ، وكان المظفر من اشجع الفرسان واكثرهم خبرة بفنون القتال (١) ، لا سيما وقد صدقته تجربة الاسر عندما كان يقاتل في مقدمة جيوش ابيه المنصور قوات القاضي ابن عباد صاحب اشبيلية وحليفه البرزالي ، ومن الامور الغريبة التي جعلت للمظفر محمد بن الافطس مكانة كبيرة بين سائر ملوك عصره انه كان شاعرا وعالما واديبا (٢) ، بل انه فاق كل ملوك عصره في نبوغه الادبي (٣) ، وفي عهده ازدهرت مملكة بطليوس ازدهارا لم تشهده من قبل في كافة مظاهر الحياة ادبية ومادية حتى ان مملكة بطليوس اصبحت تضاهي على ايامه مملكتي اشبيلية وطليطلة (٤) .

وكان قد شهد اباه المنصور المؤسس الحقيقي لمملكة بطليوس يمضي اياما في ارساء قواعدها وترسيخ دعائمها ، كما تشرب مشاعر ابيه نحو

(١) ابن عذاري ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢٣٦ ، محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٨٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٣٦ .

(٣) المقري ، نفح الطيب ، ج ٦ ، ص ٢٠٩ ، وكان المظفر حقا اديب ملوك عصره بلا منازع وينسب اليه الكتاب الرائع المعروف بالمظفري وسنتحدث عن هذا الكتاب عند تعرضنا للحديث عن ميوله العملية في نفس هذا الفصل .

(٤) ابن عذاري ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢٣٧ ، يقول ابن عذاري « واقام هذا الرجل ملكا عظيما بهذا الثغر الجوفي ضاهى فيه مصابقة ابن عباد ، وابن ذي النون » .

خصومه العباديين ، ولذلك فقد التزم نفس سياسة ابيه حيالهم ، لاسيما بعد ان تكشفت اطماع عميدهم المعتضد في امارات غرب الاندلس وأولها امارة لبلة التي كانت أول اهدافه لقربها من اشبيلية حاضرتة ، وكانت لبلة في هذه الفترة تحت حكم اميرها عز الدولة ابي عبد الله محمد بن يحيى اليعصبى ، حليف المنصور ابن الافطس وولده وخليفته المظفر محمد . ولم يكن المظفر محمد غافلا عن سياسة ابن عباد التوسعية ، وشراسته واطماعه التي لا حدود لها والتي قد تدفعه الى الاقدام على مهاجمة مملكته بطليوس . ولهذا السبب فقد اصطنع الحذر والاحتراز ، وحرص على رصد كل تحركات المعتضد بن عباد واحصائها ، ومنذ اللحظة الاولى أدرك ما يستهدفه المعتضد من ضغوطه على جاره ابي عبد الله محمد بن يحيى اليعصبى صاحب لبلة ، فقد حاول المعتضد ان يرهقه بمطالبه ، ثم بدأ يوجه الى بلاده الغارات الخفيفة ، التي لم تلبث ان تحولت فجأة الى هجوم خاطف عنيف شنته حشوده الكثيفة عام ٤٣٩ هـ (١٠٤٧م) على لبلة ، ولم يكن في وسع ابن يحيى اليعصبى سوى الاستجارة بصاحبه المظفر صاحب بطليوس ، ولم يتردد المظفر في اجارته وأعد حملة قادها بنفسه الى لبلة ، وفي ذلك يقول ابن بسام نقلا عن ابن حيان «وأول ما ظهر من تفاسد عباد والمظفر ان ابن يحيى صاحب لبلة عند هجوم عباد عليه استجار بالمظفر بن الافطس ، فأجاره وانزعج له ، ووصل يده وعطل ثغره ، وجمع جيشه واقبل الى لبلة ناصرا لابن يحيى مضيقا لمن خلفه ، يوقد نار فتنة ، كان في غنى عنها حتى نزل بنفسه على ابن يحيى ، ودافع ابن عباد عنه ، وحرك في ذلك من حلفائه البزابة جماعة ، فسارعوا اليه غير ناظرين في عاقبة امرهم ، وتقدموا في تحريك يعسوبهم محمد بن القاسم (٥) ، فانتظم به امرهم ، وتقدم

(٥) يقصد به محمد بن القاسم بن حمود الحسنى ، بويق بالخلافة في سنة ٤٣٩ هـ (١٠٤٧م) وتلقب بالمهدى ، وخطب له في قرمونة ومورور وأركش وغرناطة ، وتوفي محمد بن القاسم في ٤٤٠ هـ (١٠٤٨م) .

بهم الى اشبيلية ، ورحاهم تدور على قريعتهم باديس بن حبوس مدرهم في الحلبي ، ومفزعههم في النائبة ، يسلمون لرأيه ويزحمون بركنه ، وجهده في صرفهم ، وأرسل ثقات رسله الى عامتهم ، الا ما كان من الدائلين منهم عباد داعية المروانية ، ومحمد بن ادريس ، صاحب مائقة دائل الحمودية فانه تنكبها بعادا من الظنة ، اذ كان هو وجماعة قرطبة متوقفين عن كل دعوة ، فلما وصلت رسله اليهم مازادهم الالجاجا ، ولم يزل ابن جهور يضرب لهم الامثال ويخوفهم من سوء العقوبة والمثال ، حتى صار فيهم كمؤمن ال فرعون وعظا وتذكرة ، يجد منهم الاطواد الراسية ، ويرقى الحيات المتصامة ، واستن القوم في ميدان الغى . فلما صح عند ابن عباد خروجه لليلة بجيشه دفعا عن ابن يحيى منتظرا لخلطائه ، جرد خيلا ، ضربت على بلد ابن الافطس وغارت وانجذت ، وفعلت فعلات نكات القلوب ، وقرفت الندوب ، ثم نهض ابن عباد بنفسه الى ليلة للقائه ، فجرت بينهما على بابها وقعة عظيمة ، صعبة ، استهما فيها النصر في قام واحد ، شق الابلمة ، وكانت الدائرة أولا على ابن الافطس . (٦) ونستنتج من هذا النص أن المظفر بن الافطس بعد أن لى نداء صاحبه ، صاحب ليلة سنة ٤٣٩هـ (١٠٤٧م) ، خرج بنفسه على رأس جيش كبير تاركا مملكته بطليوس للاخطار الداخلية والخارجية ، ملقيا بنفسه في مشاكل كان في غنى عنها ، ومبالغة من المظفر في الحرص على سلامة ليلة ، حرك حلفاءه البربر ، فبادرت جماعات منهم اليه بدافع من العصبية البربرية ، وقد أعمتهم عداوتهم لابن عباد عن النظر في عاقبة أمرهم ، ويبدو أن اتفاقا تم بينهم على أن يتجهوا الى اشبيلية لمحاصرتها ، بينما يمضى المظفر الى ليلة ليدفع ابن عباد عنها ، وبذلك يضغطون على ابن عباد ، ويرغمونه على رفع الحصار عن ليلة والعودة الى اشبيلية لدفاعه البربر عنها .

(٦) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الاول ، ص ٣٤ ، ابن عذارى ، البيان ، ج٣ ، ص ٢١٠ .

كان ذلك هو مخطط المظفر مع حلفائه البربر . فاجتمع امراء البربر وهم اسحاق بن محمد بن عبد الله البرزالي ، صاحب قرمونة ، ومحمد بن نوح الدمرى صاحب مورور ، وعبدون بن خزرون صاحب أركش ، وكبيرهم باديس بن حبوس صاحب غرناطة واعمالها واستجة مع امامهم المهدي محمد بن القاسم بن حمود الحسنى صاحب الجزيرة الخضراء الذى بايعوه اماما وخطبوا له على منابر بلادهم (٧) ، ولكن البربر اخلوا بالاتفاق ، فقد تركز اهتمامهم نحو كبيرهم باديس بن حبوس ، فاتجهوا اليه ، لياخذوا برأيه ويطلبوا مشورته . فلما علم الوزير ابن جهور (٩) بنواياهم اخذ يخوفهم من سوء العاقبة وحاول ان

(٧) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢٣٠ .
(٨) يقول ابن الابار نقلا عن ابن بسام ان مالقة كانت تندرج تحت سلطة باديس بن حبوس صاحب غرناطة رغما عن اهلها الذين كانوا يأنفون من حكم البربر ويتمنون ان يصيروا الى حكم المعتضد بن عباد ، وانتهزوا فرصة ابتعاد باديس من غرناطة وبدأوا يرأسلون المعتضد بن عباد ، فأرسل اليهم ولديه جابرا ومحمد (الذى سيخلفه ويتلقب بالمعتمد) والذين وفقا فى ضم مالقة باستثناء قسبة المدينة التى تحصن فيها جماعة من جنده السود الذين قاوموا هذا الهجوم، وطلبوا نجدة أميرهم، فلما وصلت امداداته، صدت جيوش ابن عباد، ففرا هاربين الى رندة فاعتصموا بها (انظر ابن الابار ، الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ٥٦) .

(٩) هو ابو الحزم جهور بن محمد بن جهور بن عبيد الله ، وجده ابو الحزم جهور يرجع نسبه الى ابي امية عبد الغافر بن ابي عبده من وزراء عبد الرحمن بن معاوية وكان من حجاب هشام الرضا بن عبد الرحمن الداخل ، واستمر هؤلاء الجهاورة يتعاقبون على المناصب العليا من حجابة ووزارة وقيادة وكتابة الى ان وقعت الفتنة العظمى بالاندلس وانتهى الامر بان تمكن جهور بن محمد بن جهور من الاستيلاء على زمام الامور ، ويؤكد ابن الابار براعته ورفعة قدره وعفته وتواضعه ، فقد استطاع ان يلم شعث قرطبة وان يحفظها . ويؤكد الحميدى ان ابن جهور استطاع حماية قرطبة وصيانتها وازداد رخاء السكان فى عهده لعدالته وقد خلف جهور ابنه ابي الوليد محمد الى ان قبض المعتمد بن عباد عليه (انظر ابن الابار ، الحلة السيرة =

يصرفهم عن قصدهم فأرسل اليهم بعض ثقات رسله لحملهم على القبول الى بلادهم ، ولكنهم ضربوا بنصائحه عرض الحائط ولم يزداهم النصح الا عنادا ، ولم يجد رسل ابن جهور من البربر من استجاب الى العقل والفتنة الا اثنين هما عباد ، وكان داعيا من دعاة المروانية ، ومحمد بن ادريس صاحب مالقة ، لم يتورطا في هذا الامر ، ومع ذلك فقد انتهى رؤساء البربر الى الاختلاف ، فانصرفوا مع خليفتهم المهدي ، ولم يحققوا ما اتفقوا عليه (١٠) . وفي تلك الاثناء بلغ ابن عباد ان المظفر قادم الى بلبة لانقاذ حليفه ، فاراد ان يوقع بابن الافطس في نفس المازق الذي حاول هو ان يوقعه فيه ، فأرسل جماعات من فرسانه للاغارة على مملكة بطليوس في غيبة صاحبها المظفر ، فعاشت فسادا في نواحي بطليوس ، وكان ابن عباد يتوقع ان يهاب ابن الافطس مواجهته وبلده تتعرض لهذه الغارة ، وعندئذ يبادر ابن الافطس بالعودة اليها ، ولكن ابن الافطس لم يتحرك من موقعة بلبله ، فزحف اليه ابن عباد بنفسه واشتبك الملكان ابن عباد وابن الافطس في موقعة عنيفة دارت على بابها تبادلها فيها النصر والهزيمة ، فدارت الدائرة أولا على المظفر بن الافطس ، « فولى الدبر ، وخاض وادبها دون مخاضة وفيها قتل من رجاله عدد كثير » (١١) ولكنه لم يلبث ان نظم صفوفه من جديد ، وحطت على قوات ابن عباد ، فواقعت بها واصابوا نفرا من عسكره ، ثم تفرق العسكران .

والظاهر ان المظفر لم يقنع بهذا الانتصار الهزيل على ابن عباد ، وكان مايزال يسعى الى تاليب زعماء البربر عليه ، وفي هذه الاثناء كان باديس بن حبوس قد اجتمع بحلفائه البرابرة ، وخرج معهم في حشود

= ج ٢ ، ص ٢٤ - عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ١ ، ص ١٣٢ وما بعدها .
(١٠) ابن عذاري ، البيان ، ج ٣ ص ٢٣٠ .
(١١) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الاول ، ص ٣٤ ، ابن عذاري ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢١١ .

ضخمة نحو اشبيلية ، ونزلوا عليها وهناك وافاهم ابن الافطس (١٢) وعاثوا في نظر اشبيلية «وانقطعت السبل جملة وكثر القتل والهرج والسلب وأمسى الناس في مثل عصر الجاهلية» (١٣) فساعت أحوال المنطقة كلها وتسببت هذه الغارات في قتل أعداد كبيرة من أهل اشبيلية ونواحيها .

ويبدو أن ابن يحيى صاحب لبلة أحس بتقريع الضمير إذ انه باستجارته بالمظفر تسبب في كل هذه الحروب من الجانبين وما ترتب عليها من قتل وسفك دماء الأبرياء من الجانبين ، فقر عزمه على إنهاء الصراع طويل الأمد بينه وبين المعتضد ، فأثر أن يواليه ويودعه ، ولكن المظفر ابن الافطس الذي كان قد ضحى بالكثير من رجاله وماله في سبيل انقاذ لبلة اعتبر هذه المودعة بين صاحب لبلة والمعتضد نوعا من الخيانة والغدر له ، فانقلب الود القائم بين المظفر وابن يحيى الى عداوة، ويبدو أن يحيى احتجز مالا كان قد أودعه ابن الافطس عنده أيام كان متورطا في حرب المعتضد ، فلم يتردد ابن الافطس في الاغارة على لبلة بخيله فاستغاث ابن يحيى بالمعتضد ، فبادر لنجدته بنفسه ، واقبل بجموع كثيفة من فرسان اشبيلية (١٤) ، واشتبكت مع خياله المظفر في إحدى المواقع (١٥) ، وحاول ابن جهور التوسط بينهما عن طريق رسله بامل

-
- (١٢) ابن عذارى ، المصدر السابق ص ٢٣٠ .
(١٣) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الاول ، ص ٣٤ ،
ابن عذارى ، البيان ج ٣ ، ص ٢١١ .
(١٤) ذكر ابن بسام أن المعتضد ارسل الى ابن يحيى خيلا منتقاة .
(١٥) ابن عذارى ، البيان ج ٣ ، ص ٢٣٥ ، وفي هذه المعركة انهزم فرسان ابن الافطس وقتل منهم مائة وخمسون فارسا احتزت رؤوسهم ورؤوس خيولهم ، ويرجع السبب في هذه الهزيمة التي منى بها ابن الافطس الى أن ابن عباد كان قد نصب كميناً لفرسان ابن الافطس ، فلما تظاهر فرسان ابن عباد بالهزيمة وطاردتهم فرسان ابن الافطس وكانوا في ضعف عددهم ، إذا بعباد المعتضد يخرج من كمينه ، فولى فرسان ابن الافطس =

التوفيق بينهما ، فكانت رسله تلقى اللوم في ذلك على المظفر لمكابرته واصراره على القطيعة (١٦) وعلى اثر ذلك جمع ابن عباد خيل حلفائه ، وقدم عليها ولده اسماعيل مع وزيره ابن سلام ، فاتجهت نحو يابرة Evora واضطر ابن الافطس الى الاستعانة هو الآخر بحليفه البربري اسحاق بن عبد الله البرزالي صاحب قرمونة ، فوجه اليه ولده العز ، والتقى الجيشان بدون اهبة ولا تعبئة عند يابرة في سنة ٤٤٢ هـ (١٠٥٠ م) فانهمزمت خيالة ابن الافطس واستأصلهم القتل ، وكان العز بن اسحق من بين القتلى فاحتزت رأسه وارسلت الى اشبيلية مع رأس أحد أعمام المظفر هو عبید الله الحراز ، واضطر المظفر الى اللجوء الى يابرة بعد ان قتل من رجاله ما يزيد على ثلاثة الاف (١٧) .

ومن الجدير بالذكر أن المعتضد بن عباد ظل يواصل حربه ضد مملكة ابن الافطس طوال شهور سنة ٤٤٢ هـ (١٠٥٠ م) فكان يغير على بلاده ، ويقتطع منها بعض الحصون الى عمله ، وتسببت غارته في تدمير كثير من المنشآت وتخريب العمران ، وافساد الغلات والمزارع الامر الذي تترتب عليه تعرض رعية ابن الافطس للمجاعة ، وعجز ابن الافطس عن مواجهة قوات ابن عباد ، وعن مدافعته ، بعد ان استنفذت الحرب بينه وبين ابن عباد كل امكاناته ، وافنت حماته . ويذكر ابن بسام انه « اعتصم ببلده بطليوس ولم يخرج منها فارسا واحدا ، وجعل يشكوبه الى حلفائه ، فلا يجد ظهيرا ولا نصيرا » (١٨) .

= الادبار ، وركبتهم سيوف ابن عباد ، فكانت مذبحة شنيعة قتل فيها افضل خيالة ابن الافطس وابطال رجاله (ابن بسام ، القسم الاول ، المجلد الاول ، ص ٣٨٧ ، ص ٢٨٨) .

(١٦) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الاول ص ٣٥ ، ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ص ٢١١ .

(١٧) ابن عذارى ، ج ٣ ، ص ٢٣٥ .

(١٨) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الاول ، ص ٣٥ ، ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ص ٢١١ .

ومن الجدير بالذكر انه للمرة الاولى تقدم قوات ابن عباد على التغلغل داخل مملكة بطليوس وانتزاع عدد من حصونها .

ففى المرة التى ارسل المعتضد فيها بعض جنده للاغارة على ارض ابن الافطس اثناء غيابه فى لبله ، كان هدف ابن عباد لايعدو مجرد ابعاد ابن الافطس عن لبله وارغامه على العودة الى بلاده التى تعرضت لهجوم الاشبيليين ، وبذلك يتفرغ ابن عباد لمحاربة صاحب لبله على ما يشتهى ، ولكنه قصد فى هذه المرة توجيه ضرباته الى مملكة ابن الافطس ، وانتزاع ماشاء من حصونها ليضمه الى مملكته ، وقد نجح ابن عباد فيما ذهب اليه وضم عددا من الحصون البطليوسية ، وبادر بشحنها برجاله .

واعتقد أن عجز ابن الافطس ، لم يكن عن ضعف ، وان كسرتة على ايدى عسكر ابن عباد ، لا ترجع الى جبن أو خور ، فقد كان المظفر بشهادة مؤرخى عصره فارسا مقداما ومحاربا جسورا (١٩) .

وأرجح أن هناك عوامل أخرى أدت الى تغلب المعتضد عليه ، فمن المعروف ان المأمون يحيى بن اسماعيل بن ذى النون صاحب طليطلة ، وكان حليفا للمعتضد ابن عباد ، استجاب للدعوة الهاشمية التى دعاه اليها المعتضد طمعا فى أن يستعين به ضد خصمه سليمان بن هود . فلما توفي سليمان هذا فى سنة ٤٣٨ هـ (١٠٤٦ م) (٢٠) «جعل يطلب جاره

(١٩) يقول عنه ابن عذارى «كان شاعرا اديبا لبيبا وبطلا شجاعا (ابن عذارى ، ج ٣ ، ص ٣٦) .

(٢٠) يرى الاستاذ محمد عبد الله عنان أن الحرب بين طليطلة وبطليوس لم تبدأ الا بعد الصلح الذى انعقد بين اشبيلية وبطليوس فى عام ٤٤٣ هـ (١٠٥١ م) ، وفى ذلك يقول « وقد أغار المأمون مرارا على أراضى ابن الافطس ووقعت بينهما معارك محلية كثيرة ، ولم نعثر على تاريخ هذه المعارك بطريقة قاطعة ، ولكن الظاهر أنها وقعت بعد عقد الصلح بين ابن عباد وابن الافطس أعنى بعد سنة ٤٤٣ هـ » (عنان ، دول الطوائف ، ص ٨٤ ، ص ٩٦) .

يطلب جاره ابن الافطس صاحب بطليوس ، فجرت له معه حروب كثيرة (٢١) واعتقد أن المظفر كان يحارب في جبهتين في آن واحد، وفي مواجهة خصمين عنيديين من أكبر ملوك الطوائف المأمون والمعتضد، واعتقد أيضا أنه اشترك مع ابن عباد في معركة يابرة سنة ٤٤٢هـ (١٠٥٠ م) فرسان من حلفائه استنتاجا من قول ابن عذارى : «ثم ان عبادا اثر ذلك جمع خيل حلفائه وقود عليها ابنه اسماعيل» (٢٢) ويغلب على الظن أن عسكر المأمون اشتركوا مع المعتضد في هذه المعركة في حين تخلى حلفاء ابن الافطس عنه ولم يشترك معه في المعركة سوى حليف واحد هو اسحق بن عبد الله البرزالي صاحب قرمونة الذي أمده بقوة من الفرسان بقيادة ولده العز انضموا الى فلول ابن الافطس ، جمعهم « من بقايا جيشه من كل بلد » (٢٣) ، كما « اخرج كل من قدر على ركوب دابة من البياض ببلده وحشد من رجال البوادي بعمله خلقا كثيرا واقبل بجمعه هذا المنخوب ليدفع خيل ابن عباد عن بلده يابره . . فالتقى الفريقان من غير نزول ولا تعبئة فاختلفوا واجتادوا مليا ، فحقق العباديون الضراب وتابعوا الشدات ، فحاد البرابر عنه ، اصحاب اسحاق ، وانهزم ابن الافطس » (٢٤) .

ونستخلص من ذلك ان السبب في هزيمة ابن الافطس يرجع الى أن ابن الافطس حشد قوة غير منظمة من اعمار لا خبرة لهم بقتال ، جمعهم من البوادي وان حلفاءه البربر خذلوهم في الموقعة الفاصلة وفروا عند اللقاء ، واذرع العباديون فيمن كان مع المظفر ، وقد تجاوز عدد القتلى ثلاثة آلاف قتيل، بحيث ظلت بطليوس مدة خالية الدكاكين والاسواق .

ومما لاشك فيه ان انفراد المظفر ابن الافطس باصدار قرارات

(٢١) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢٨٢ ، ٢٨٣ .

(٢٢) المصدر السابق ، ص ٢٣٥ .

(٢٣) المصدر السابق ص ٢٣٥ .

(٢٤) ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ١ ، مجلد ١ ، ص ٣٨٧ ، ٣٨٨ .

القتال دون استشارة حلفائه البربر كان من العوامل التي ادت الى تعرضه للهزيمة .

فقد نصحه عسكر قرمونة بعدم تعريض عسكره لعدوه الكاسر ، وكانوا قد ادركوا قوة جيش اشبيلية ، وارتفاع مستوى كفايته العسكرية منذ انتصارهم السابق على قوات ابن الافطس ولكن كل هذه النصائح لم تجد امام اندفاع ابن الافطس (٢٥) .

وقد نظم ابن زيدون قصيدة يهنئ فيها المعتضد بن عباد بانتصار ابنه اسماعيل على ابن الافطس وقتله لولد اسحاق بن عبد الله في تلك الحرب وهذه بعض أبيات منها :

ليهن الهدى انجاح سعيك في العدا
وان راح صنع الله نحوك او غدا
ويشارك دنيا غضة العهد طلقة
كما ابتسم النوار عن ادمع النداء
دعوت فقال النصر لبيك ماثلا
ولم تك كالداعى يجاوبه الصدى
وأحمدت عقبى الصبر في درك المنى
كما بلغ السارى الصباح فاحمدا
ولما اعتمدت الله كنت مؤهلا
لديه بأن تحمى وتكفى وتعصدا (٢٦)

(٢٥) يعبر ابن بسام عن ذلك بقوله « وقد كان برابرة حليفه اسحق في عسكره قالوا له : لالتلهم فلسيت تعرف قدر من زحف نحوك ونحن رأيناهم وسمعنا بجمعهم باشبيلية فلم يسمع منهم ومضى » . ابن بسام ، الذخيرة ، المجلد الاول من القسم الاول ص ٣٨٨ .

(٢٦) انظر ابن بسام ، القسم الاول ، المجلد الاول ، ص ٣٨٥ ، ٣٨٦ .

وهكذا اسفرت موقعة يابرة عن هزيمة مروعة لجيش ابن الافطس قتل فيها ما يزيد على ثلاثة آلاف من رجاله ، من بينهم عبيد الله بن الخراز عم المظفر (٢٧) والى يابرة ، كما قتل العز ابن صاحب قرمونة اسحاق بن عبد الله البرزالي ، وكعادة بنى عباد احتزت قواتهم رأس القائدين القتيلين العز والخراز وتم ارسالهما الى اشبيلية ليحتفظ المعتضد بهما مع مجموعة رؤوس اعدائه الذين انتصر عليهم ، فقد كان يحتفظ بهذه الرؤوس في جوالق مغلقة ، عثر عليها المرابطون عند افتتاحهم لاشبيلية فظنوا ان بها مالا وذخيرة ، فلما امر الامير سير بن ابي بكر المرابطى بفتح الجوالق لم يجد فيها لا مالا ولا سلاحا ، كما كان يعتقد ، وانما وجد فيها رؤوس اعداء ابن عباد فعجب لهذا الامر ، وامر ان يرد كل رأس الى أهلها لكي يدفنوه (٢٨) .

ومما لاشك فيه ان هذه الهزيمة أثرت تأثيرا مباشرا على عمران بطليوس نفسها ، ويذكر المؤرخون انها خلعت من رجالها الى حد ان حوانيت بطليوس واسواقها ظلت خالية مدة طويلة لكثرة من قتل من ابنائها وزهرة شبابها في معركة يابرة بحيث لم يتبق من رجالها سوى الشيوخ والكهول (٢٩) .

واستمرت الحرب سجالا بين الفريقين بقية شهور هذا العام

(٢٧) عبيد الله الخراز صاحب يابرة هو ابن عم المظفر محمد بن الافطس عند ابن بسام ، وعم المظفر عند ابن عذارى ، وقد اورد الاستاذ محمد عبد الله عنان في كتابه « دول الطوائف » ص ١٨٤ ان ابن الافطس حين فر الى يابرة بعد هزيمته اختبأ هناك في كنف صاحبها عبيد الله الخراز ، ولكن هذا الاستنتاج الذى قام به الاستاذ عنان غير موفق لان كلا من ابن بسام ، وابن عذارى يجمعان على ان عبيد الله الخراز صاحب يابرة كان قد قتل في المعركة واحتزت رأسه الى ابن عباد ، وذلك قبل فرار ابن الافطس وتحصنه ببابرة .

(٢٨) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

(٢٩) ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ١ ، مجلد ١ ص ٣٨٨ .

٤٤٢هـ (١٠٥٠م) استطاع المعتضد خلالها ان يوقع بقوات ابن الافطس اكثر من مرة ، وان يعيث في اراضيه كما شاء دون ان يتصدى له ابن الافطس ، وان ينتزع من مملكة بطليوس عددا من الحصون ، فلما قضى المعتضد وطره من تاديب المظفر ، قفل عائدا الى حاضرتة في شوال من هذا العام ، وعندئذ تظاهر المظفر بالتماسك امام رعيته واطهر انه لم يحفل بهذه الهزائم التى تلقاها من خصمه حتى لا تسقط اسطوريته امام ملوك عصره وربما اراد من ذلك ان يطمس معالم هذه الهزيمة بما يروجه من شعارات زائفة قد يستقر بعضها في اذهان الناس . فأرسل رسولا من قبله الى قرطبة يلتمس شراء « وصيفات ملهيات ، يأنس بهن ، نافيا بذلك الشماتة عن نفسه ، ولم تكن له عادة بمثله فنقب له رسوله عن ذلك وكن قد عدمن بقرطبة يومئذ ، فوجد له صبيتين ملهيتين عند بعض التجار لا طائل فيهما ، فاشتراهما له . واقام رسوله يلتمس الخروج بهما فلم يستطع لقطع خيل المعتضد جميع الطرق ، فاقام مدة بقرطبة الى ان شيع بخيل كثيفة ، ومضى بهما وأولو النهى يعجبون مما شهر به نفسه من البطالة ، أيام الحروب المحرمة لاطهار النساء على فحول الرجال العاقدة الأزرة ، وعلى ما كان يدعيه لنفسه من الادب والمعرفة . وينكر ابن حيان من المظفر هذا المسلك اذ كان يعلم عزوف المظفر عن اللهو ، وقد تعجب من تصرفه ، فلما بحث في الأمر تبين له ان المظفر كان يمثل ما فعله المعتضد بعد انتصاراته العديدة على المظفر ، فقد كان من الطبيعى ان يلهو المعتضد بعد معاركه مع المظفر وان يحتفل بانتصاراته على خصمه ، فاستدعى قينة كانت لوزيره عبد الرحيم، بعد وفاته لما اشتهر عنها من حذق في صناعتها ، فأرسلت اليه ، فلما علم المظفر بذلك لم يتردد في تقليده في اظهار الفراغ واللهو والمرح وطلب الملهيات حتى يوهم معاصريه بأن الهزائم التى تلقاها لم تؤثر فيه، وأنها لم تفت في عضده مع انه كان ابعد ملوك عصره عن اللهو واكثرهم اهتماما بالعلم (٣٠) ، وقد شاع عنه ذلك في سائر بلاد الاندلس .

واستمرت العلاقات العدائية قائمة بين مملكتي اشبيلية وبطليوس بقية عام ٤٤٢هـ (١٠٥٠م) تبادل خلالها الجانبان القطيعة ، وتباريا في الغى الى أن تمكن ابن جهور أمير قرطبة بعد جهود مضنية من التوفيق بينهما في ربيع الاول سنة ٤٤٣هـ وتم الصلح ، وسكنت الحرب ، فتفرغ المعتضد لمحاربة الامراء الاصاغر بالغرب امثال ابن يحيى وابن هارون وابن مزين والبكرى ، وتمكن من ضم بلادهم الى عمله (٣٢) .

اما ابن الافطس فقد عكف على اصلاح ما افسدته الحرب من عمران بلده ، واعادة تنظيم قواته وتجهيزه لآلاته وعدده ، ولم يتم الصلح بين بطليوس واشبيلية بصورة نهائية الا في سنة ٤٤٤هـ (١٠٥٢م) وفي ذلك يقول ابن عذارى « وفي سنة اربع واربعين واربعمئة كانت المهادنة بين المعتضد بن عباد والمظفر بن الافطس » (٣٣) .

ماكداد المعتضد يحيد المظفر بالصلح الذى قبله الاخير بصفة مبدئية حتى تنفس المعتضد الصعداء ، وشرع من جديد فى سياسته التوسعية على حساب امراء الغرب الضعاف (٣٤) ، فبدا بلبله فاخذ يضيق الخناق عليها، وأرغم اميرها عز الدولة بن يحيى فى سنة ٤٤٣هـ (١٠٥١م) على التنازل عن امارتها لابن اخيه ناصر الدولة ابى نصر فتح اليحصبى ، بينما انتقل هوباهله الى قرطبه واستقر بها فى حماية الوزير ابن جهور بعد ان منحه المعتضد بالله ابن عباد من الخبول العدد الكافى لتوصيله واهله الى قرطبه فى امان .

(٣١) سعى ابن جهور صاحب قرطبة الى التوسط بين المعتضد والمظفر فكان يبعث الرسل والكتب والمظفر فى كل مرة يتظاهر بعدم قبوله للصلح تكبرا وترفعاً (ابن بسام ، المصدر السابق ص ٣٦) وفى النهاية قبل المظفر الخسوط الرئيسية لاتفاقية الصلح .

(٣٢) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الاول ص ٣٦ .

(٣٣) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ص ٢٤٢ .

(٣٤) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الاول ص ٣٦ .

اما ناصر الدولة فقد عمل على موادعة المعتضد وشراء سلمه، على مال يؤديه اليه كل عام ، ولم يشأ المعتضد ان يغير من هذه السياسة السلمية المؤقتة ويكشف عن حقيقة اطماعه في امارات الغرب الا بعد أن وقع مع المظفر هدنة يتوقف فيها القتال بين المملكتين ، وتم ذلك في ٤٤٤هـ (١٠٥٢ م) ، وبذلك اصبح الطريق ممهدا امام المعتضد لتحقيق اهدافه البعيدة ، فنقض اتفاقه مع ناصر الدولة متعللا بأعذار واهية وما أسهل ما يخلق الملك القوى الأعذار عند الضرورة ليبرر اعتداءاته على المستضعفين من ذوى السلطان ، وسرعان ما نصب المعتضد على ناصر الدولة الحرب ، وجرت بين الجانبين معارك وحروب راحت فيها أرواح بريئة وترتب عليها تخريب ودمار وسلب ونهب، وتبادل الجانبان الغارات الى ان استنفذت الحرب جهود ناصر الدولة وضائق الحال ، فاستسلم لمصييره وسلم بلده للمعتضد ، ولحق بعمه في قرطبه سنة ٤٤٥هـ (١٠٥٣ م) (٣٥) . ولم يكن استسلام ناصر الدولة عن ضعف وهزيمة فقد قاوم خصمه ببسالة وعزم ، وبذل قصارى جهده للصمود والنضال ، ولكنه لم يستطع ان يطاول خصما عاتيا متفوقا عليه ولهذا جنح الى السلم ، حققا لدماء قومه ، وآثر التنازل عن ملكه لصاحب الكفة الراجحة . وتوفي ناصر الدولة بعد عام من اقامته بقرطبة .

وكان المعتضد بالله ابن عباد يضغط في الوقت الذى كان يقاتل فيه ناصر الدولة ، على عبد العزيز البكرى صاحب ولبة وشلطيش واعلن عليه الحرب ، وشن عليه الغارات ، وعاث فسادا في بلاده ، وحاربه بلا رحمة ولا هوادة .

ولم يستطع البكرى الصمود طويلا ، وآثر خطب سلمه ، ولم يجد سبيلا لانقاذ بلده سوى مفاوضه ابن عباد في تسليم ولبة على أن يترك له جزيرة ليحكمها ، ووافقه ابن عباد على ذلك متظاهرا بقناعته بثغر ولبة .

وما كاد البكرى يركب سفنه الى جزيرة شلطيّش حتى حاصره في وسط الماء فلم يجد البكرى وسيلة لانقاذ نفسه وولده سوى التسليم بالامر الواقع والتنازل عن شلطيّش واللاحاق بقرطبة ، بعد ان باع له سفنه واثقاله بعشرة آلاف مثقال من الذهب ، وتم ذلك في عام ٤٤٣هـ (١٠٥١ م) (٣٦) .

وفي نفس هذا العام انتزع ابن عباد امارّة شنتمرية الغرب من صاحبها محمد بن سعيد بن هارون بعد ان ضايقه المعتضد بن عباد بغاراته ومعاركه التي استنزفت قوته وارغمته في النهاية الى طلب سلمه على ان يخلع له نفسه ويخرج ومن معه الى اشبيلية فوافق المعتضد على ذلك ورحل ابن هارون الى اشبيلية ولم يلبث ان توفي بها بعد فترة قصيرة من وصوله (٣٧) .

وبهذا يكون ابن عباد قد ضم الى ملكه من المدن لبلة وشلب وشنتمرية الغرب وولبة وشلطيّش وباجه في اقل من عشرين عاما واصبحت مملكة بنى عباد بذلك تشمل سائر الاراضى الممتدة من ضفاف الوادى الكبير شرقا حتى سواحل المحيط الاطلسى الغربية والجنوبية غربا (٣٨) .

(٣٦) المصدر السابق ، ص ٢٤١ ، ٢٢٩ ، محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٤٣ .

(٣٧) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .

(٣٨) هذا ولم يقنع ابن عباد بهذا التوسع الكبير في اتجاه الغرب وانما كان يطمح في الاستيلاء على الامارات البربرية الصغيرة القائمة في شرقى الوادى الكبير جنوبى الاندلس او على الاقل كان يسعى للقضاء عليها ضمانا لسلامة مملكته وتأميننا لجناحه في هذه الناحية وكانت هذه الامارات تنحصر في أربعة : امارّة بنى يفرن في رندة ، وامارة بنى دمر في مورور ، وامارة بنى خزرون في شذونة واركش وامارة بنى برزال في قرمونة . وقد استولى ابن عباد على اركش وشذونة في عام ٤٥٨ هـ (١٠٦٦ م) بعد ان قتل زعيمها محمد بن خزرون أثناء دفاعه عن امارته . أما =

ب - حروبه مع المأمون بن ذى النون :

ذكرنا فيما سبق أن المظفر تعرض أثناء صراعه مع المعتضد العبادي لمضايقات المأمون بن ذى النون (٣٩) صاحب طليطلة الذى لم يتردد فى الاعتداء على أراضيه ، ودارت بين الملكين معارك واشتباكات لا نعرف تفاصيلها ولا تواريخها على وجه الدقة ، ولا الزمن الذى استغرقتة .

= بالنسبة لمورور مقر بنى دمر والتي تولى حكمها عماد الدولة مناد بن محمد بن نوح بعد مقتل أبيه فقد وقعت فى يد ابن عباد عام ٤٥٨ هـ بعد أن استسلم أميرها ورحل إلى أشبيلية ليعيش فيها بقية حياته (الى أن توفى عام ٤٦٨ هـ / ١٠٧٥ م) أما رندة فقد اختلف أمرها بعض الشيء فهى لم تقع فى يد المعتضد بعد قتال وحروب وانما استسلم أهلها للأمير أشبيلية بعد أن تبينوا حقيقة أمورهم ، فأميرهم العادل أبو نصر فتوح كان قد اغتيل على يد ابن يعقوب صاحبها لصالح ابن عباد .

وأما قرمونة فقد آلت بعد وفاة أميرها محمد بن عبد الله البرزالي عام ٤٣٤ هـ (١٠٤٢ م) إلى ابنه عزيز المستظهر الذى أذعن للتسليم إلى ابن عباد بعد أن اغار على أراضيه وهاجمه عدة مرات وكان ذلك عام ٤٥٩ هـ (١٠٦٦ م) . وكان المعتضد ابن عباد قد تمكن من انتزاع الجزيرة الخضراء من يد أميرها القاسم بن محمد بن حمود فى سنة ٤٦٦ هـ (١٠٥٤ م) (المزيد من التفاصيل حول سقوط الإمارات البربرية فى يد المعتضد ابن عباد انظر ابن عذارى ، البيان ص ٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٣١٣ ، ص ٢٩٤ - ٢٩٦ ، محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ص ٤٥ - ٤٨) .

(٣٩) يرجع بنو ذى النون إلى أصول بربرية ، فهم من قبيلة هواره (ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص ٤٦٤ ، ٤٦٥) الذين كانوا يخدمون الدولة العامرية ، وكان اسم جدهم الذين ينسبون إليه هوزنون ، وقد ذكره ابن الخطيب فى أعمال الاعلام ص ١٧٦ على هذه الصورة ، غير أن مؤرخى ملوك الطوائف كابن حيان وابن بسام وابن عذارى كان يسمونهم بنى ذى النون وهو تعريب اسم جدهم زنون البربرى (٢٧٤ هـ - ٨٨٨ م) وكان أول ظهورهم فى أيام الدولة الاموية حيث كان جدهم الاعلى زنون بن سليمان بن طوريل حاكما لحصن اقليش منذ أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن ، ورغم ذلك فابن الخطيب يرى أن هؤلاء القوم لم يكن لهم رئاسة ولا نisاهة الا فى دولة المنصور محمد بن أبى عامر ، ففى أيامها تقدموا واشتهروا وقادوا =

ومن المعروف ان مملكة طليطلة كانت من اهم دويلات الطوائف ولا ترجع اهميتها الى اتساع رقعتها فحسب وانما الى موقعها الاستراتيجى كمنطقة ثغرية مصاغبة لمملكة قشتالة، ولهذا عرفت بالثغر الأوسط ، واعتبرت لذلك حاجزا اسلاميا ضد اعتداءات القشتاليين ، وكانت هذه المملكة تمتد شرقى مملكة بطليوس من قورية وترجالة نحو الشمال الشرقى حتى قلعة ايوب وشنتمرية الشرق الواقعتين الى الجنوب الغربى من مملكة بنى هود فى الثغر الأعلى ، والى الجنوب الغربى حتى حدود مملكة قرطبة عند مدينتى المعدن Almaden والمدور Almodovar وكان من اهم اعمالها مدينة سالم Medinaceli ووادى الحجاره Guadalajara وقونكة Cuenca ووبذة Ubeda واقلش Uclés ومورة Moura وطلبيرة Talavera وترجالة Trujillo . وقد تولى يحيى بن اسماعيل بن ذى النون حكم طليطلة خلفا لوالده وتلقب بالمأمون ، واتسعت بذلك حدود مملكة طليطلة فى عهده اتساعا

= الجيوش واستقروا بكورة شنتبرية . ولما اساء والى طليطلة عبد الرحمن بن متيوه وابنه عبد الملك من بعده السيرة مع اهل طليطلة عزلوه وارسلوا الى ابن زنون فوجه اليهم من شنتبرية ابنه اسماعيل بن عبد الرحمن بن زنون وكان ذلك عام ٤٢٧ هـ (١٠٣٦ م) فاستولى اسماعيل على ملك طليطلة ونواحيها واحسن السيرة مع اهلها وليس معنى هذا ان بنى ذى النون لم يظهروا قبل ذلك ، فقد ظهر بعضهم قبل هذا التاريخ بنحو قرن من الزمان ، فكان منهم مطرف بن اسماعيل بن عامر بن ذى النون الذى تولى على وبذة وحصون شنت برية وقراها . ثم ظهر عبد الرحمن بن مطرف فيما بعد ثم اسماعيل حفيد المطرف ، وبعد ان تولى اسماعيل بن ذى النون حكم طليطلة واعمالها ، تلقب بالظافر ، وامتدت رياسته شرقا حتى قونكة وجنجاله وامتاز بالعلم وبالعقل وبالدهاء ، ولكن لم يطل عهده فى الملك اكثر من بضعة أعوام اذ توفى فى سنة ٤٣٥ هـ (١٠٤٣ م) وخلفه ولده يحيى المأمون (انظر ابن الخطيب اعمال الاعلام ص ١٧٦ ، ابن عذارى البيان ، ج ٣ ، ص ٢٧٦ ، محمد الله عنان دول الطوائف ص ٩٧) .

كبيراً وترامت شرقاً حتى بلنسيه وأصبحت من أهم دويلات الطوائف، وأعظمها رقعة وأكثرها ثراء اقتصادياً .

ولقد كان عهد المأمون على عدله وحسن سيرته مليئاً بالحروب والمعارك بينه وبين الممالك الأخرى، فقد خاض العديد من الحروب ضد مملكة بنى هود بسر قسطة والثغر الأعلى، وضد مملكة بنى عباد بأشبيلية، هذا بخلاف حربه مع المظفر بن الأفطس ملك بطليوس موضوع هذا الفصل من الدراسة . ويذكر البران Albarran ويؤيده في ذلك محمد عبد الله عنان أن يحيى المأمون لم يبدأ صراعه الحربى مع المظفر بن الأفطس إلا بعد الصلح الذى تم بين المعتضد وابن الأفطس (٤٠) . وهو ما سبق أن أشرنا إليه ، وقد نوهنا من قبل برأى آخر يستند فيه على نص لابن عذارى أورده أيضاً ابن الخطيب جاء فيه أن الفتنة بين ابن هود وابن ذى النون استغرقت الفترة من سنة ٤٣٥هـ (١٠٤٣م) الى آخر سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م وانقطعت بموت سليمان بن هود فى السنة المذكورة، فلما تنفس مخنق بن ذى النون بموت سليمان المذكور رجح يطلب جاره ابن الأفطس صاحب بطليوس ، فجرت له معه حروب كثيرة (٤١) .

وقد سجلنا فى رأينا الذى ذكرناه بهذا الشأن أن المظفر بن الأفطس انهزم فى معركة يابرة سنة ٤٤٢هـ (١٠٥٠ م) لعوامل متعددة رجحنا من بينها انضواء المأمون بن ذى النون للمعتضد بالله بن عباد واشتراكه معه فى تلك المعارك التى انتصر فيها المعتضد على المظفر ، ونعتقد من خلال النص الذى أورده كل من ابن عذارى ، وابن الخطيب ان الصراع بين المأمون والمظفر مر بمرحلتين : مرحلة الاشتباكات الأولى وتبدأ فى الفترة من سنة ٤٣٨هـ (١٠٤٦ م) التى توفى فيها المستعين بالله بن

(٤٠) محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٩٩ .
Albarran, Op. Cit., P. 269.

(٤١) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢٨٢ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ١٧٨ .

والمعاقل (٤٤) . «وكان سليمان المستعين صاحب سرقسطة قد هزم يحيى المأمون في وادى الحجارة وطلبيرة (٤٥) .

ثم ظاهر سليمان بن هود فرذلند الاول بن غرسية وردمير بن شانجة وبعث الى فرذلند بأموال جمّة وهدايا نفيسة وطلب منه مهاجمة بلاد المأمون بن ذى ذى النون ، فخرج فرذلند بقوات كثيفة تقدم بها نحو طليطلة (٤٦) . ويذكر ابن الخطيب ان الحرب بين سرقسطة وطليطلة

(٤٥) وكان ابن هود جار طليطلة من الناحية الشمالية الشرقية، وكان مجال الصراع بين المملكتين هو سلسلة المدن والقللاع الحصينة التي تمتد بين الثغر الاعلى وبين مملكة طليطلة ابتداء من قلعة أيوب حتى وادى الحجارة . أما مدينة وادى الحجارة فقد كان أهلها يميلون الى الانضمام الى سليمان بن هود رغم تبعيتهم للمأمون بن ذى النون ، وكان المستعين يشجعهم على ثورتهم ضد يحيى المأمون بأن يبيث فيها رسله واعوانه لينشروا دعوته ويثيروا الشغب فيها ، وانتهى تدبيره بأن ارسل ولده أحمد بن هود للاستيلاء عليها . ودارت المعارك بين ابن هود والمأمون بن ذى النون الذى اسرع بنفسه الى وادى الحجارة لانقاذها من يد أحمد بن هود ، ولكن الغلبة كانت لابن هود الذى استمر في مطاردته للمأمون بن ذى النون ، فتراجع المأمون خائفا حتى مدينة طلبيرة ، فحاصره أحمد بن هود ، وظل يضيق عليه وارسل لوالده المستعين يخبره بانتصاراته على المأمون ، ولكن والده نصحه بأن يترك المأمون ويرفع عنه الحصار ، فعاد ابن هود الى سرقسطة مرة ثانية ، وبهذا يكون المأمون قد انقذه الله من ورطة كبرى وهزيمة شنعاء (ابن عذارى ، ألبيان ج ٣ ص ٢٧٧، ٢٧٨ ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص ١٧٧ - ١٧٨ ، محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ص ٩٩ .

Albaran, Op. Cit., P. 269.)

(٤٦) بعد ان هزم المأمون بن ذى النون في طلبيرة أو وادى الحجارة أمام ابن هود لجأ المأمون الى اسوأ طريق ممكن ان يلجأ اليه حاكم مسلم في حربه مع آخر مثله ، فقد لجأ المأمون الى فرذلند الاول ملك قشتالة يطلب مساعدته في مقابل ان يعترف بسيادته عليه وان يدفع له الجزية ، وكان طبيعيا ان يستجيب فرذلند الاول لطلبه اذ وجد في هذه المساعدة فرصة مواتية ليضعف من شأن ملوك الطوائف بالاندلس ، فعاث في اراضى ابن هود فسادا، وكما اوضحت عبارة كل من ابن عذارى وابن =

هود حتى عام ٤٤٣هـ (١٠٥١م) الذى تم فيه الصلح المبدئى بين المعتضد والمظفر ، وهذه المرحلة تتسم باشتراك المأمون رمزياً فى المعارك التى خاضها المعتضد مع المظفر بن الافطس .

أما المرحلة الثانية فتبدأ من سنة ٤٤٣هـ (١٠٥٥م) ، التى توقف فيها القتال بين المعتضد بن عباد والمظفر بن الافطس حتى سنة ٤٤٧هـ (١٠٥٥م) (٤٢) ، وهذه المرحلة هى مرحلة الصدام المسلح والمعارك الطاحنة . وقد سبقت هاتين المرحلتين مرحلة تمهيدية تميزت بتدهور العلاقات بين الدولتين وقيام بعض مناوشات تخللتها غارات شنها المأمون على بلاد ابن الافطس ، ونستدل على وجود هذه المرحلة التمهيدية من عبارة ابن الخطيب «رجع الى مطالبة جاره ابن الافطس» .

والرجوع الى المطالبة يعنى وجود حالة من الخلاف أو المناوشات انقطعت فترة من الزمن ثم عادت من جديد ، وهذا امر طبيعى اذ لا يمكن ان تنشب حرب بين فريقين دون ان يسبقها مرحلة تمهيدية من النزاع المسلح ، ولا يعقل ان تنشب الحرب دون أية مقدمات سابقة . وقد توصلنا الى تحديد فترة الصراع الحربى بين المأمون والمظفر من ٤٤٣ هـ الى ٤٤٧ هـ (١٠٥١ - ١٠٥٥ م) استنتاجاً من النصوص التاريخية . فقد توقفت الحرب بين المأمون بن ذى النون وبين المستعين ابن هود بوفاة الاخير عام ٤٣٨هـ (١٠٤٦م) (٤٣) . ويبدو ان المأمون ابن ذى النون قد افاد من العون الذى قدمه له فردلند الاول بن شانجة ابن غرسية ملك قشتالة الذى دمر حقول سرقسطة ولم يدع ما يقتات به الطائر ، وخرّب البلاد ، وأهلك العباد ، وفتح عدة من الحصون

(٤٢) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢٨٣ ، محمد عبد الله عنان ،
دول الطوائف ص ١٠١ .

Albarran, el solar de los Aftasies, P. 269, 270.

(٤٣) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢٨٢ .
(٤٤) المصدر السابق ، ص ٢٧٨ ، ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ،
ص ١٧٨ .

دامت ثلاث سنوات ويوضح الاستاذ البران Albarran ان بدء العداء بين ابن عباد وبين المأمون بن ذى النون يسجل نهاية الحروب بين بطليوس وطايطة . أما السبب في الصراع الذى نشب بين المأمون والمعتضد فمرجعه التنافس على ضم قرطبة ، وقد حاول المعتضد فى سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) النزول بمدينة الزهراء ، وانه انهض نحوها ولده اسماعيل ، فعصاه اسماعيل ، فسعى المعتضد الى قتله فى نفس هذه السنة (٤٧) ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) .

ثم حرص المعتضد عبد الملك بن محمد بن جمهور على قتل ابن السقا ابراهيم مدبر الدولة الجمهورية ليخلو له الجو فيستولى عليها ونجح عبد الملك فى تنفيذ الجريمة فى سنة ٤٥٥ هـ ، ويؤكد بريتواى فيفيز

= الخطيب مدى الخراب الذى أحدثته هذه الحملة النصرانية ، كل ذلك وابن هود ممتنع فى حصونه ، محتجب للاشتباك مع المعتدين ، وانتهاز المأمون هذه الفرصة ، فأغار هو الآخر على أراضى ابن هود ، هذا الى جانب قيام المأمون فى ذات الوقت بنقوية أواصر صداقته مع المعتضد ابن عباد الذى اشترط عليه ان يعترف بالدعوة الهشامية التى تزعمها ابن عباد والتي كان المأمون قد رفضها منذ البداية ، ولكن انشغال ابن عباد بحربه مع المظفر ابن الافطس لم يفد المأمون كثيرا . وفى نفس الوقت فان ابن هود مالبت ان انحدر الى نفس مستوى المأمون ، فقد ارسل الى فردلند من الهدايا والاموال الكثيرة ، ما جعله يستجيب لطلبه فى مهاجمة اراضى طليطلة حتى وادى الحجارة وقلعة النهر ، فغضب المأمون ، وحالف هو الآخر غرسية ملك نبرة اخى فردلند ملك قشتالة ، فهاجم غرسية اراضى ابن هود فيما بين تطيلة ووشقة ، وافتتح قلعة قلهرة ٤٣٧ هـ (١٠٤٥ م) ثم قام فرناندو ملك قشتالة مرة اخرى بالاغارة على احواز طليطلة المتاخمة له ، فهرع المأمون الى مدينة سالم للدفاع عنها ، فانتهز حلفاء ابن هود النصرارى هذه الفرصة واغاروا على طليطلة انظر : ابن عذارى ، البيان ج ٣ ، ص ٢٧٨ ، ابن الخطيب ص ١٧٨ .

وانظر أيضا محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ص ١٠٠
(٤٧) ابن عذارى ، البيان ج ٣ ، ص ٣٤٨
Prieto y Vives; Op. Cit., pp. 45-46.

Prieto y Vives (٤٨) من خلال النقش التاريخي المسجل على إحدى العملات أن أول محاولة قام بها المأمون لضم قرطبة حدثت سنة ٥٤٦هـ (١٠٦٩م) فقد انتهز فرصة وفاة المعتضد في ذلك العام وزحف بجيوشه نحو قرطبة واستولى على حصن المدور، ثم حاصر قرطبة نفسها فاضطر عبد الملك بن محمد بن جمهور إلى الاستعانة بحليفه المعتمد بن عباد، فأمدّه المعتمد بكتيبة قوامها ٣٠٠ فارس واتبعها بفرقة من الفرسان قوامها ألف فارس بقيادة خلف بن نجاح ومحمد بن مرتين (٤٩) . وكان المعتمد قد طلب منهما التحايل على دخول قرطبة والاستيلاء عليها إذ كانت منتهى أمله ، فنزلت قوات المعتمد بالربض الشرقي (٤) ، وأقامت أياما تحمي حماه ، فاضطر المأمون إلى الانسحاب إلى طليطلة .

ثم انتهز القائد ابن مرتين فرصة تراجع ابن ذي النون، وقبض على عبد الملك بن جمهور واخوته وسائر أهل بيته . وهكذا انتظمت قرطبة في سلك دولة ابن عباد فولى عليها ابنه سراج الدولة عباد الملقب بالظافر بالله إلى أن وثب به صنيعة لابن ذي النون يقال له حكم بن عكاشة (٥٠) ، واستشهد الظافر بالله بن المعتمد اثناء مدافعته للمتآمرين . وبهذه الصورة استطاع المأمون بن ذي النون السيطرة على قرطبة فأقيمت فيها الدعوة الذنوبية (٥١) ، وقدم ابن ذي النون إلى قرطبة للاحتفال بذلك الحادث الكبير ، فوصلها في ٢٥ جمادى الآخرة سنة ٤٦٧هـ (١٠٧٥م) ، وأقام نحو خمسة أشهر لم يلبث أن مات مسموما في ١٨ ذي القعدة من نفس السنة . وعلى الفور انتهز أهل قرطبة هذه الفرصة ، وبحكم كراهيتهم

(٤٨) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ص ٢٦٧ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص ١٥٤ ، وانظر عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ١ ص ١٣٦ .

(٤٩) ابن بسام ، الذخيرة ، مجلد ٢ ، قسم ١ ص ١٢٥ - ابن عذارى ، البيان ص ٢٥٧ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص ١٥٠ .

(٥٠) المصدر السابق (ابن الخطيب) ، ص ١٥٨ .

(٥١) نفسه ص ١٥٨ .

للبربر خاطبوا المعتمد في الحضور اليهم ، فلم يتردد في القدوم اليها في جموع كثيفة طالبا بثار ابنه عباد (الظافر بالله) ، فدخلها في ٢٧ من ذى القعدة وحاول حكم بن عكاشة الهرب ، ولكنه قتل وجيء به الى قرطبة فصلب مع كلب (٥٢) .

ونعود الى حديثنا عن المصادمات الحربية بين المأمون بن ذى النون والمظفر بن الأفطس، ونعتقد ان هذه المصادمات العنيفة وقعت قبل عام ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) الذي تبدأ فيه حملات فردلند الاول ملك قشتالة على اراضى مملكة بنى الافطس ومملكة بنى ذى النون ، ففى هذه السنة شغل كل من المأمون صاحب طليطلة والمظفر صاحب بطليوس بمواجهة اعتداءات قشتالة على اراضيها ، كما شغل المعتضد بمحاربة بنى افرن فى رندة وبنى حمود فى الجزيرة بالاضافة الى سعيه لضم قرطبة .

فى سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) بدأ فردلند يوجه حملاته على مملكة بنى هودبعد انتصاره على المستعين فى برلانجا Berlanga وغرماج San Esteban de Gormaz فى الوقت الذى كانت قواته تواصل تقدمها فى الاجزاء الشمالية من مملكة المظفر والمأمون كان فى شغل شاغل فى هذه الفترة عن عدائهما بالمشاكل التى واجهت كل منهما ، فالمظفر كان مشغولا بمحاولة جيوش فردلند الاول التى كانت تضايق القلاع الواقعة شمال نهر منديق ، والثانى كان مشغولا بدوره بمداغة قوات قشتالة التى هاجمت بعض قلاع مملكته .

ومن المؤسف حقا ان تغفل المصادر العربية تأريخ بداية الحرب بين طليطلة و بطليوس ، ومادام الامر كذلك فنحن لا نستطيع ان نضع تاريخا محددا لبداية الحرب ، وكل ما نستطيع ان نفعله هو مجرد التحديد الافتراضى للفترة التى دارت فيها هذه الحرب . وبالإضافة الى ذلك فنحن

لانعرف المسرح الذى دارت عليه العمليات الحربية بين الجانبين ، وربما وقعت فى المناطق المحصورة بين وادى تاجه وواديانه غربى ترجلة أو الى مسافة تبعد عنها بعض الشئ الى الجنوب حيث يمكن الوصول الى هذه المنطقة عبر مسالك ميسورة . ونرجح أن الصراع الحربى بين الجانبين لم يعد اشتباكات محصورة أو غارات غير ذى خطر بحيث لم تؤد الى سقوط مدن ، لأن ذلك من شأنه أن يسجل فى صفحات التاريخ .

وايا ماكان الامر فان نزاع ابن الافطس مع المأمون بن ذى النون لم يتعد على الأرجح بعض الاشتباكات الحربية ، ويمكننا اعتباره مجرد نزاع محلى يختلف كل الاختلاف عن الحروب التى كانت تشنها مملكتا قشتالة وليون على دولة بنى الافطس او حتى الوقائع التى دارت مع المعتضد بن عباد عند يابره او حتى عند باجة .

جـ - - صراع المظفر بن الافطس مع ملك قشتالة وليون :

لم يكد المظفر محمد بن الافطس ينعم بالراحة بعد حروبه المتواصلة مع خصميه العتيدين المعتضد بن عباد والمأمون بن ذى النون حتى تعرض لموجة جديدة من الصراعات لم يحسب لها حسابا ، وكان أعداؤه فى هذه المرة جيرانه الشماليون واعنى بهم القشتاليين (٥٣) . ومن الجدير بالذكر أن الغزو القشتالى لمملكة بطليوس فى عهد المظفر جاء فى اعقاب اتحاد مملكتى ليون وقشتالة ، وذلك على اثر انتصار فردلند الاول على برمودة الثالث Vermudo III فى موقعة تامارون Tamaron فى سنة ٤٢٩هـ

(١٠٣٧م) ، وانتصاره أيضا على غرسية ملك نبرة Garcia فى اتابويركا Atapuerca فى عام ٤٤٦هـ (١٠٥٤م) وهو انتصار استكمل على أثره توسعه الاقلمى ، وجاء اعتداء فردلند الاول على اراضى مملكة بطليوس فى ظروف غير مواتية بالنسبة لهذه المملكة ، اذ كانت قد استنفذت قواها فى حروب دامية مع مملكتى

اشبيلية وطليلة على النحو الذى رأيناه من قبل (٥٤) . ذلك ان الانتصارات التى احرزها فردلند كانت مبررا لشروعه على الفور فى سلسلة من الحملات تكللت بالنجاح ، كان هدفها الرئيسى نقل الحدود الى مواقع كان الفونسو الثالث Alfonso III (٢٥٢ - ٢٩٧ هـ) (٨٦٦ - ٩٠٩ م) و اردون الثانى Ordoño II (٣٠١ - ٣١٢ هـ) (٩١٤ - ٩٢٤ م) (٥٥) ، قد وصلا اليها . وقبل ان نتحدث عن الغزو القشتالى الليونى لاراضى مملكة بطليوس تجدر الاشارة الى امر هام يتعلق بالمنطقة الثغرية التى نفذت منها القوات القشتالية الى اعماق مملكة بطليوس . فقد كان يسكن هذه المنطقة جماعات مستعربة انحازت بطبيعة الحال الى جانب الغازين ، وهيثوا لهم المجال للسيطرة على الحصون المتناثرة فى المنطقة ، ومنهها

(٥٤) كانت الحرب بين اهل اشبيلية و بطليوس مريرة وقاسية ، تركت آثارها العميقة والسيئة فى نفوس اهل بطليوس الذين فوجئوا بموجة جديدة من الغارات و جهت هذه المرة من الحدود الشمالية ، فقد جاء الغزو القشتالى فى نفس عام ٤٤٧ هـ (١٠٥٥ م) الذى توقفت فيه المعارك مع طليلة و دمر هذا الغزو القشتالى الحدود الشمالية ، واتخذ شكل هجوم عات لم تستطع الحاميات الاسلامية له دفعا ، كما ان المظفر لم يكن متأهبا لدفع هذا الغزو ، فلم يقو على مدافعة القشتاليين لادراكه عقم المقاومة وعدم جدواها لا سيما وان القوى المسيحية كانت متعطشة للغاية فى تلك الفترة التاريخية بدافع دينى واقتصادى وقومى فى آن واحد لتنشيط حركة الاستيراد التى توقفت الى حين فى عصر الاستبداد العامرى .

(٥٥) تعمق الفونسو الثالث فى سنة ٣٦٨ هـ / ٨٨١ م فى الاراضى الاسلامية : فقد خرج من غليسية فى تلك السنة نحو قلمرية Coimbra مقر سعدون السرباقى ، وحاصرها ، ثم استولى عليها ، وأسره ، ثم أمر بقتله ، ثم تقدم منها الى ماردة وعبر واديانه ، وتغلب على قوات ابن مروان الجليقى على مسافة تبعد نحو عشرة أميال فيما وراء الوادى ، وعاد الفونسو الى ألبط يجر وراءه غنائم ثقيله .

Aguado Bleye, Op. Cit., P. 483. وراجع الملحق (١)

اما اردون الثانى فقد اجتاحت فى سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م اراضى ماردة واستولى على حصن الحنش بعد ان ذهبت قواته الحامية المسلحة (راجع الملحق رقم ١) .

حصن سان خوستو San Justo ، وطرانكة Taronca ، ومدينة بيزيو وليق Lamego ، ومدينة قلمرية ومنيه Miño (Minho حاليا) الحصينة ومدينة جوفيا Jouveia ، ومدينة سان مرتين دي مورس San Martin de Mouros . كل تلك الحصون والمدن المسورة تشير الى ان المنطقة الثغرية كانت تشتمل على مراكز دفاعية هامة ، ومع ذلك فان الحدود البطليوسية لم تلتزم بخط ثغرى يمكن ان يشكله مجرد وادى دويره ، فقد كانت غارات ملوك قشتاله وليون تجتاح هذه المنطقة بين الحين والحين ، مثل ذلك غزوة الفونسو الخامس النبيل (٣٩٠ - ٤١٨ هـ) (٩٩٩ - ١٠٢٧ م) على اراضى الغرب الاندلسى وحصاره لبيزيو فى سنة ٤١٨ هـ (١٠٢٧ م) حيث لقي مصرعه (٥٦) تحت اسوار هذه المدينة التى كان يسعى الى ضمها الى املاكه الليونية ، كما ان السيطرة الليونية اتسعت فيما يقرب من سنة ٤١٠ هـ (١٠١٩ م) بحيث امتدت من بالفه Paiva حتى منت ميور أو فيلهو Montemor O-Velho بما فى ذلك الشريط الساحلى ، بمعنى ان الحدود بين المسلمين والليونيين لم تعد تقتصر فى هذه المنطقة على خط وادى دويره وانما اصبح هناك جيبا أو ثغرة اقامها الليونيون فى داخل الاراضى الاسلامية تشكل اسفينا يهبط من وادى دويرة ويمتد جنوبا بحيث يحيط بمواقع هامة ستصبح هدفا للهجوم القشتالى الليونى المقبل . ومع ذلك فان فردلند الاول لم يفكر فى استغلال هذا الجيب ، فقد تقدم بقوة نحو هدفه الرئيسى ، ففى سنة ٤٤٧ هـ (١٠٥٥ م) خيم فى المنطقة الواقعة شمالى بيزيو Viseo ، ثم شرع فى هجومه . وتذكر مدونة راهب سيلوسر Silense انه تمكن من السيطرة أولا على بيزيو ثم زحف بعد ذلك الى ليق حيث تصدت له قوات من البربر قدموا من لجدانية وباطقة ، وبدأت الحملة فى الصيف ، ولم تسقط ليق فى يده الا فى ٢٩ من نوفمبر (٤٤٩ هـ) من سنة ١٠٥٧ م (٥٧) ، واستمرت حملة

فردلند عامى (٤٤٩ - ٤٥٠ هـ) (١٠٥٧ - ١٠٥٨ م) ، ولكن مدونة دون بلايو تزودنا برواية أكثر منطقية اذ تذكر ان الملك المسيحى استولى على لميق ثم على بيزيو واخيرا على قلمرية بالاضافة الى مدن أخرى كثيرة ومنها سنا Senna

«Iste belland a cepit Lamego, Viseo, Coimbrom, senam alias multas civitates(٥٨) »

ويعلق البران على هذه الرواية بقوله : ان هذه المسيرة فى الواقع تتفق تماما مع استراتيجية الارض ومع المواقع الممتدة من الشمال الى الجنوب ، فان لميق وهى مدينة قديمة ومركز اسقفى منذ القرن السادس الميلادى تقع على الضفة اليمنى من نهر بلسيماو Balsemão احد روافد دويره ، وعندما يصل هذا النهر الى المدينة يخضع مجراه لطبيعة جبال سيرادى بولو التى تشكل حاجزا امام الوادى من جهة الغرب ويقوم الحصن على ارتفاع ٦٠٠ م (٥٩) .

حاصرت قوات فردلند الموقع وشرعوا فى فتح ثغرة فى اسوار القلعة ، وعلى الرغم من مناعتها الا انها سقطت سريعا ، ثم نصبت قوات فردلند امام اسوار لميق ابراجا وآلات للحصار ، وبفضل ذلك امكنها السيطرة على المدينة فى سنة ٤٤٩ هـ (٢٧ من نوفمبر من سنة ١٠٥٧ م) ، وهلك من سكان لميق عدد كبير كما اسر القشتاليون والليونيون عددا آخر كبلوهم بالأغلال ، واستخدموهم فى اقامة منشآت دينية مسيحية كالكنائس بينما امر الملك بذبح عدد من هؤلاء الاسرى (٦٠) .

وتبع سقوط لميق وقوع عدد من الحصون والقلاع القريبة فى أيدي

Cronicon Don Pelayo, en España Sagrada, t. XIV, P. 471. (٥٨)
Albarran, Op. Cit., P. 109. (٥٩)
Primera crónica general de España, editada por Ramón Me- (٦٠)
nandez-Pidal, II, Madrid, 1977, P. 486.

القشتاليين ثم تابع فردلند زحفه نحو الجنوب وفقا لما ورد في مدونة دون بلايو ، ثم حل الشتاء وتوقف الزحف، فلما أقبل الربيع تمكن من الاستيلاء على بيزيو ، وكانت هذه المدينة قديما مفترقا للطرق الرومانية ، كما كانت تشغل موقعا استراتيجيا في الطريق الطبيعي الى قلمرية ، ويقوم حصن بيزيو المذكور على اساس حصن قديم (٦١) ، وفي (٤٥٠ هـ) ٢٣ يوليو سنة ١٠٥٨ م تمكنت القوات القشتالية الليونية من اقتحام المدينة الحصينة، وتذكر مدونة الفونسو العاشر انه كان بداخل اسوار بيزيو تركزت فرق من رماة السهام Ballesteros لم تستطع ان توقف تقدم القوات الليونية القشتالية الذين استخدموا التروس والدروع (٦٢) . ولم تمض ايام قليلة تخللتها اشتباكات عنيفة حتى تمكن فردلند من اقتحام بيزيو والاستيلاء عليها ، وفيما بين افتتاح لميقي وبيزيو حتى الهجوم على قلمرية تمكن فردلند الاول من الاستيلاء على عدد من الحصون سبق ان اشرنا اليها لتطهير المنطقة من اى مقاومة اسلامية . وتذكر مدونة راهب سيلوس ان من بين هذه الحصون التى سقطت بعد لميقي حصن سان خوستو وطروكه الواقع جنوبى لميقي وبيزيو ، وسان مرتين الواقع الى الغرب منها (٦٣) .

وفي سنة ٤٥٤ هـ (١٠٦٣ م) تقدم الملك فردلند على رأس قواته الى مارده ثم ارسل قواته من هناك للاغارة على اراضى مملكة اشبيلية ، واضطر كل من المتوكل على الله بن الافطس والمعتمد بن عباد الى تجديد دفع الاتاوة له ، ثم اشتط فردلند فى طلبه من ابن عباد ، اذ طلب

Albarran, Op. Cit., P. 110.

(٦١)

Primera Cronica general de España. P. 486.

(٦٢)

وانظر ما أورده راهب سلوس عن البران

Albarran, P. 110.

(٦٣) لم يحاول ابن الافطس مقاومة هذا الغزو أو حتى الدفاع عن هذه المدن والحصون فقد تركها جميعا لمصيرها التعس ، ويعلن الاستاذ عنان ذلك بان ابن الافطس ادرك عدم جدوى المقاومة، فآثر ترك هذه الحصون للغزاه (محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ص ٨٥) .

منه ان يسلمه رفات القديسة سانتا خوستا ، ولما تعذر على اسقفى ليون واسترقة ، رسولييه الى المعتمد ، العثور على هذه الرفات حملا رفات القديس ايسيدورو San Isidoro ، فاودعت فى احتفال مهيب اقيم يوم ٢١ ديسمبر ١٠٦٣ م (٤٥٦هـ) فى كنيسة سان خوان الملاصقة للمدفن الملكى الذى كان يجهزه فردلند وفقا للفن الرومانسكى (٦٤) .

وتبع هذا التاريخ هجوم جرىء شنه الملك فردلند على مدينة شنترين اهم قواعد الغرب فى مملكة بطليوس استهدف منه النيل من عمق هذه المملكة ، وفرض اتاوة على ملكها الذى امتنع عن أدائها ، وخبر هذا الفتح الكبير لم يرد فى المصادر المسيحية وانما رده ابن عذارى المراكشى فى البيان ، يقول ابن عذارى « ولم يزل امر العدو يقوى ويظهر على ملوك ثغور الأندلس الى ان خرج الطاغية فردلند بن شانجه ملك الجلالقة بارض الاندلس بجيوشه النصرانية الى ثغر المسلمين بارض الجوف قاصدا وضم محمد بن الافطس لما منعه الاتاوة من بين جميع امراء الثغور ، فعاث فى بلاد المسلمين ، وفتح حصونا كثيرة ، وكانت خيله تزيد على عشرة آلاف فارس معهم من الرجال اكثر من مثليهم ، واتصل خلال ذلك بالامير ابن الافطس ان عدو الله جرد من خيله سرية ثقيلة ، أمرهم بقصد مدينة شنترين ، اذ كانت مدينة شنترين افضل ذلك الثغر ، ففضى الله أن لحق بشنترين اميرهم المظفر بن الافطس قبل أن يأتهم عدو الله ، وقد كان خامرهم الجزع ، فقالوا لأميرهم : لقد هممنا ان نستسلم للعدو ، ولو لم تاتنا لضعفنا عن دفاعه ، وقصد هذا القوم سلعنه الله الى شنترين للوجهة التى وجهه لها اميره فردلند أمير الجلالقة ، فارسل ابن الافطس اليه ليجتمع معه فيكلمه فى امره ، فالتقى فى الماء بنهر شنترين ، ابن الافطس فى زورق والعلاج راكب فرسه فى الماء الى صدر فرسه ، وتكلما طويلا فيما عرضه من السلم والاتاوة فامتنع المظفر من ذلك الى ان وافقه بعد جهد ومشقة على خمسة آلاف دينار يؤديها اليه فى كل عام من أول هذه الهدنة ،

ولم يزل عدو الله فردلند يقوى والمسلمون يضعفون بغرم الجزية للنصارى الى أن نزل اللعين على مدينة قلمرية» (٦٥) ويتبين لنا من هذا النص ان فردلند وجه ضد شنترين عددا ضخما من الفرسان يبلغ عشرة آلاف فارس ومن المشاة الرجال ما يتجاوز مثلهم أى ضعفيهم (٢٠ ألفا) وكانت شنترين أهم مدن الغرب ومفتاح بلاد الثغر الجوفى ، ولم يستطع المظفر الذى طحنه النوائب الا أن يقف مكتوف اليدين امام الحرب التى تدور فى اراضيه الشمالية ، ولكنه أثر مقابلة الملك اللبوني والتفاوض معه بشأن الاتاة ، وقد انكر عليه بادية ذى بدء دفعها ، ولكنه اضطر الى الازعان لمشيئته امام التهديد ، وقبل الصلح بشرط ان يدفع خمسة آلاف دينارا سنويا . وفى تلك الآونة دارت بخلد فردلند فكرة استرداد الاندلس وتحرير اسبانيا نهائيا من السيطرة الاسلامية ، وكانت لاتزال فى يده منطقة بيزيو وليق عندما ظهر على مسرح الاحداث شخصية رجل مستعرب جرىء هو القومس سيسندو دافيدث Sinando Davidez (شسند) (٦٦) الذى اتخذه الملك مستشارا له فيما يتعلق بفتح قلمرية ، وهو الذى اقترح على فردلند افتتاح هذه المدينة .

(٦٥) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٣ ص ٢٣٨ .
(٦٦) يصفه ابن بسام فى الذخيرة بقوله «شر (اذ فونش السادس) العتيد وشيطانه المريد، وهامانه الذى اوقد له على الطين، وعلمه الدفع بالشك فى صدر اليقين ، احد اعلاج ابن عباد - كان - من رجل متوقد جمرة الذكاء ، بعيد المذهب بين الجراة والنكراء ، سفير بين المعتضد والطاغية فردلند ، فعقد وحل ونهض ، حمل من ذلك واستقل ، ثم خاف المعتضد على نفسه ، فنزع به عرق اللوم الى المقر المذموم واستقرت قدمه بجليقية ، فاضطلع بالسدروب والثغور ، وغلب على سائر السياسة والتدبير » . وهو الذى نصح الفونسو السادس بعد استيلائه على طليطلة بالابقاء على أهلها المسلمين وعدم تعميرها بعناصر مسيحية مستوردة ، وان يخفض جناحه لأهلها وعدم التعرض لجامعهم (انظر ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الرابع، المجلد الاول ص ١٦١ ، ١٦٩) ويذكر منندث بيدال أنه كان مستعربا من بلدة تنتوجال الواقعة غربى شنترين ، أسرة عباد المعتضد ملك أشبيلية فى احدى غزواته لهذه البلاد ثم اختص به فى السلم وفى الحرب، ثم انتقل الى خدمة فردلند الاول ، =

كانت عملية قلمرية هي الثمرة التي انتهت اليها الحملة القشتاليونية التي استمرت تسع سنوات ، وبفضل السيطرة عليها أمكن لفردز لاند التحكم في الموقف اذ كان موقعها الاستراتيجي يتيح له وضع قواته على ضفاف منديق مقيما بذلك حدودا جديدة بينه وبين المسلمين . وتقع مدينة قلمرية عند انحناءة النهر في منعطف حاد ، ويفتح السهل المحيط بها بفضل هذا الانحناء متخذاً شكل مروحة تمتد على مسافة تبلغ نحو ثلاثين كيلو مترا . وكانت قلمرية محاطة بسور منيع لا يرام ، وكانت أبوابها الثلاثة في غاية الوثاقة والمناعة .

وكان سقوط لميق وبيزيو وغيرهما من الحصون الشمالية لمملكة بطليوس قد أسال لعاب فردلند وحركه لفتح الطريق نحو قلمرية ، وقد ساعد على ذلك تحريض ششند له بالاضافة الى رهبان بلده لورفاو Lorvão الذين قدموا له العون في تحقيق هذا الهدف ، وفي عام ٤٥٦هـ (١٠٦٤م) سقطت قلمرية في يد فردلند الاول بعد حصار دام ستة شهور ، وكان واليها آنذاك من قبل ابن الافطس رجلا يسمى رانده اتفق سرا مع فردلند على أن يخرج هو وأهله من المدينة آمنا الى معسكر المسيحيين ويترك لهم المدينة ، ولما تبين لاهل قلمرية في صبيحة اليوم التالي خيانة واليهم طلبوا من فردلند الامان فلم يجبههم اليه ، فصمدوا الى ان نفذت اقواتهم في الوقت الذي جد العدو في قتالهم ، فاستسلموا ،

=
فعمل سفيراً بينه وبين ملوك الاسلام . وتذكر الوثيقة الصادرة في ٤٧٨هـ (٢٩ مايو سنة ١٠٨٥م) أنه هو الذي نصح فردلند الاول بفتح قلمرية عام ٤٥٧هـ (١٠٦٤م) . وهناك وثائق عديدة تؤكد ان ششند هو الذي أوحى الى فردلند الاول بفتح قلمرية ، وتنصيب باطرنه Paterno اسقفا مستعربا(انظر

Emilio García Gómez, R. Menéndez-Pidal, el conde mozárabe Sísando Davidez y la política de Alfonso VI con los Taifas, al-Andalus, Vol. XII, fasc. 1, 1947; 27-41.

ودخل عسكر فرزند قلمرية عنوة ، وقتلوا رجالها ، وسبوا نساءها واطفالها ، فكان لحادثة سقوط قلمرية أسوأ الاثر في نفس المظفر . ومن العجيب ان يعود واليها الخائن رانده الى بطليوس يطلب عفو مولاه ، فوبخه على فعلته الشنعاء ، ثم امر بضرب عنقه (٦٧) .

وقصة فتح فرزند للمدينة تثير الاسى في النفس ، ويشير المؤرخون الى أنه بينما كان الصليبيون الفرنجة يتجهون نحو بريشتر لفتحها Borbastro كان فرزندلند يحجج بشانت ياقب ويتضرع امام صورة القديس ياقب يسأله النصره في حملته الجديدة على قلمرية . وظل يصلى هناك ثلاثة ايام (٦٩) ،

(٦٧) ابن عذارى ، البيان ، ج٣ ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ - ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ص ٢١٣ ، طبعة الرباط .

(٦٨) ترتب على مصرع ردميره الاول ملك ارغون امام اسوار جراوس Graus في سنة ٤٥٦ هـ (١٠٦٢ م) نتيجة لتدخل قشتالة ، ان يبادر البابا الكسندر الثاني بالدعوة الى حملة صليبية تآلفت من فرسان من الفرنجة من جنوبي فرنسا بقيادة وليم دي بواتييه دوق اقطانية Aquitania ومن قوات ايطالية تغلب فيها العناصر النورمندية بقيادة البارون روبرت كريسبن ، واشترك في هذه الحملة الصليبية ايضا ارمنقذ الثالث Armengol III دي اورخيل قومس برشلونة الذي كانت له مصالح في المنطقة التي تقرر ان تكون هدف هذه الحملة . فاستسلمت مدينة بريشتر اول اهداف المشتركين في الحملة في ٤٥٦ هـ (اغسطس ١٠٦٤ م) ولكن الفرنجة لم يحترموا الشروط الواردة في معاهدة التسليم ، ثم رحل الصليبيون الفرنجة عنها بعد ان ملئوا ايديهم من غنائمها ، ولكن انسحابهم أدى الى ضعف الدفاع عنها امام حصار المقتدر بالله بن هود صاحب سرقسطة الذي قدم لاسترجاعها ومعه قوات اشبيلية قوامها فرقة من الخيالة .

وقد لقي ارمنقذ الثالث مصرعه في احدى المعارك ، وتمكن المسلمون من استعادتها في ابريل سنة ١٠٦٥ بعد ان قتلوا الحامية المسيحية (راجع Luis Suarez, Op. Cit., P. 175.

ولمزيد من التفاصيل عن استيلاء الفرنجه على بريشتر راجع ابن عذارى ج ٣ ص ٢٢٥ - ٢٢٧) .

Cronica general de España, PP. 487-488.

(٦٩)

ثم خرج بجيوش كثيفة نحو قلمرية ، واحكم الحصار حولها ، واستخدم في الحصار ابراجا خشبية وكباشا وآلات متعددة ، وظل فترة طويلة يحاصر المدينة الى ان عدمت لديه الاقوات ونفذت الميرة ، وعندئذ تدخل رهبان دير لورفاوالذين قدموا له الغلال والخضروات والحواء على الملك ان يواصل حصر المدينة وفتح ثغرة في سورها ، فاستسلم المسلمون ، وخرجوا منها بعد ان طلبوا الامان مقابل تسليمهم ، ولكن بعض المسلمين انفوا من التسليم وآثروا ان يواصلوا القتال ، وعندئذ ركز فرزند هجوما شاملا على المدينة انتهى بفتحها نهائيا في ٩ يوليو ، وفي اليوم الحادى عشر من هذا الشهر دخل فرزند قلمرية في موكب مهيب . ثم سلم ولايتها الى القومس المستعرب ششندد مكافأة له على خدماته له ونصائحه ، واشترط في معاهدة التسليم ان ينسحب المسلمون الى الضفة اليسرى من نهر منديق التى كانت تمثل الحدود القديمة (٧٠) . وظل يحكمها الى ان توفي فرزند فانتقل ششندد الى خدمة الفونسو السادس ، واسهم معه في فتح طليطلة . وتوفي هذا المستعرب الخبيث في عام ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م .

ولم تقتصر عمليات فرزند الاول في اراضى مملكة بطليوس على فتح قلمرية ، فابن الخطيب يذكر انه واصل زحفه في الغرب ، ولولا وفاته المبكرة ، لكان هذا الطاغية قد تسبب في مزيد من الاضرار بالمسلمين .

د - المظفر بين ملوك الطوائف :

استطاع المظفر محمد بن الافطس بفضل ما أوتى من مواهب خلاقة في الفكر والسياسة والأدب (٧١) ان يرفع من مكانة دولة الافطس بين دويلات الطوائف سياسيا وعلميا وحضاريا ، بحيث أصبحت دولته ندا لمملكة بنى عباد اصحاب اشبيلية ومملكة بنى ذى النون اصحاب طليطلة (٧٢) . وعلى الرغم من ميول المظفر العلمية والأدبية فقد كان

(٧١) كان المظفر باجماع مؤرخى الاندلس اديب ملوك عصره بغير مدافع ولا منازع (ابن بسام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، قسم ٢ ، مجلد ٢ ص ٦٤٠ ، المقرئ ، نفح الطيب ج ٦ ص ٢٠٩) الف كتابا ضخما في عداد الموسوعات الكبرى من خمسين مجلدا ، يحتوى على الاخبار والسير والتاريخ والاداب المتخيرة والطرف المستملحة والنكت البديعة والغرائب الملوكية ، ولم يكن يصلح لكبره الا لخزائن الملوك ، سماه بالتذكرة ، واشتهر بكتاب المظفر أو المظفرى ، ويعتبره ابن حزم في رسالته التي رد بها على ابن الربيب القيروانى في مصاف كتب التاريخ ، ويضاهيه بكتاب المتين لابن حيان ، ويذكر انه يتضمن تاريخا على السنين وفنون آداب كثيرة .

(انظر المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٤ ص ١٧٢ - وفيما يتعلق بالمظفرى انظر ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٢ مجلد ٢ ص ٦٤٠ ، ٦٤١ - ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٣ ص ٢٣٦) وقد اعتمد ابن عذارى في كتابه البيان على نصوص اقتبسها من المظفرى ، فكان من بين مصادره التي نص عليها (انظر ابن عذارى ، البيان ج ٣ ص ١١٦) اما من حيث شجاعته وفروسيته فقد شهد ابن عذارى انه كان بطلا شجاعا (ابن عذارى ، ج ٣ ص ٢٣٦) وقد رايناه في الحروب بطلا لا يهاب القتال ، ففي سنة ٤٢٥ هـ (١٠٣٣ م) فتكت قواته بعسكر ابن عباد فتكا لم يسمع بمثله وفر ابن عباد بنفسه ولاذ بالاشبونة (ابن عذارى ، ج ٣ ص ٢٠١) وكان شريفا في حربه مع المعتضد فلم يستعن على خصمه باى قوة نصرانية كما فعل ابن هود مثلا مع المأمون بن ذى النون أو كما فعل هذا الاخير مع ابن هود ، ومن حيث الادب كان ناقدا للشعر ينكره على قائله في زمانه الا ما كان في مستوى شعر المتنبى والمعمرى (ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٢ ، مجلد ٢ ص ٦٤١) .

(٧٢) يعبر ابن عذارى عن ذلك بقوله «واقام هذا الرجل (يقصد =

سياسيا قديرا ، استطاع ان يواجه المعتضد بالله بن عباد ويقارعه سنين طويلة ، كما تصدى بشجاعة لاطماع المأمون يحيى بن اسماعيل بن ذى النون فى أراضيه ، رغم ما كان يعانيه من مشكلات تمخضت عن الحروب الضارية بينه وبين المعتضد . ومع ان هذه الحروب عصفت بدولته ، واستنفذت طاقته ، فانها لم تطح بهيبته ، فظل شامخ الرأس ، مرفوع الهامة ، لم تضعف له قناة ، فلم يستسلم للظروف المستجدة ، وأنف من صلح أساسه الاستسلام ولم يستجب لوساطة ابن جهور صاحب قرطبة الا بعد تردد طويل ومكاتبات امتد أمدها ، وكان اثناء تعرضه لمحــن الحرب ونوائبها ، وبعد كسـرته فى يابرة يتجلد ويتماسك ويتظاهر بالقوة حفاظا على هيبته ومنعا لشماتة خصومه وغرمائه ، فارسل فى طلب مغنيتين ملهيتين من قرطبة حتى يشيع بين ملوك عصره ان هذه الهزيمة لم تفت فى عضده ، وأنها رغم عنفها لم تقض على اسطورته .

ولم يكن المظفر ضعيفا خوارا عندما امتنع عن مواجهة حشود فردلند والتصدى لقواته الكثيفة ولكنه كان واقعا فلم يشأ أن يلج طريقا محفوفـا بالمخاطر والاهوال يغامر فيه بأراضيه وملكه ، اذ كان على يقين بان وادى دويرة لم يعد يصلح حدا فاصلا بينه وبين مملكة ليون ، ولهذا اكتفى للدفاع عن هذا الثغر بعدد من الحصون المنيعة التى تعوق من تقدم الليونيين فى عمق بلاده ، ونقل الدفاع عن الثغر الجوفى الى ما وراء نهر منديق الذى

= المظفر) ملكا عظيما بهذا الثغر الجوفى ضاهى فيه مصاقبه ابن ذى النون « .

(ابن عذارى ج ٣ ص ٢٣٧) وذكر ابن خلدون: «استفحل ملكه وكان من أعظم ملوك الطوائف » (ابن خلدون ، كتاب العبر ج ٤ ص ٣٤٤) . وفى قوة شكيـمته ومضاء عزمه ونديته للمعتضد بالله يقول ابن بسام « بدأ المعتضد بغرب الاندلس وبها عدة رؤساء وجماعة خلفاء ، فكانوا دخان ناره وزيد تياره الا ما كان من ثبوت قدم قريعه المظفر بن الآقـطس ، فانه نازعه لبوسها وعاطاه الى آخر أيامه كؤوسها » (ابن بسام ، قسم ٢ ، مجلد ١ ، ص ٣٣) .

تقع على ضفته اليمنى مدينة قلمرية ، وعند مصبه مدينة منت ميور . وعندما حطمت جيوش فرذلند خط الدفاع الاول فى لبيق وبيزيو ، وبدأت فى مهاجمة الخط الثانى الذى يمثله نهر منديق وحاصرت قلمرية ، استغرق فتحها ستة شهور ، تعرضت فيها قواته لمقاومة عاتية رغم عظم الامكانات الهجومية لدى فرذلند الذى لم يتغلب على قلمرية الا بفضل خيانة راندة والى قلمرية من جهة ، وبفضل المساعدات التى كان يتلقاها من رهبان دير لورفاو بلا حساب ، وبفضل نصائح مشيره الماكر القومس ششند .

واذا ما قارنا بين شخصية المظفر وبين شخصية المعتضد كبير ملوك الطوائف نجد الاول يتصف بالشهامة والمروعة والسماحة وابعاء النفس ، وهى صفات رفعت صاحبها الى امجاد الشهرة ، وكانت باعثا على بناء اسطورة المظفر . فعندما استجار الامير ابن يحيى صاحب بلبة بالمظفر لم يتردد على الفور فى اجارته « وانزعج له ، ووصل يده ، وعطل ثغره وجمع جيشه ، واقبل اليه بلبة ناصرا له مضيعا لمن خلفه (٧٣) » .

وكان المظفر أبى النفس ، فعندما عزم عبد الله البرزالى على اطلاق سراح محمد المظفر بن المنصور بن الافطس من معتقله بقرمونة فى سنة ٤٢١ هـ ، وعرض عليه ابن عبد الله ان يجتاز على القاضى ابن عباد ليشكره فى المن عليه بفسكه « أبى من ذلك وقال : « مقامى فى اسرك اشرف عندى من تحمل منته على » (٧٤) . ومن الامثلة الدالة على ذلك ايضا انه بعد تغلب المعتضد عليه فى واقعة يابرة ، وقتل من رجاله ما يزيد على ثلاثة آلاف مقاتل ، عمد الى نفى الشماته عن نفسه ، فارسل الى قرطبة يلتمس شراء وصائف ملهيات يأنس بهن ، ويعلق ابن حيان على ذلك بقوله

(٧٣) ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٢ ، مجلد ١ ص ٣٣ ، ابن عذارى ،

البيان ج ٣ ص ٢٠٩ .

(٧٤) ابن بسام ، قسم ٢ ، مجلد ١ ، ص ٢٢ - ابن عذارى ، البيان

ج ٣ ص ٢٠٣ .

«وبحثت في هذه الاعجوبة، وما الذى حمله على هذا الافن، فاذا به ناغى كاشحه المعتضد المرتاح بعد الظفر لاجتلاب قينة عبد الرحيم الوزير من قرطبة اثر وفاته يومئذ ٠٠٠ فتقبله المظفر فى اظهار الفراغ وطلب المهيات وقد علم العالم انه لفى شغل عنهن » (٧٥) .

أما المعتضد فكان على حد قوله ابن حيان «أسد الملوك، وشهاب الفتنة وراحض العار ومدر ك الاوتار ، وذو الانباء البديعة والحوادث الشنيعة والوقائع المبيرة، وقضى نحبه يوم السبت الثانى من جمادى الآخرة سنة احدى وستين ، ودفن عشى يوم الاحد بعده تغمد الله خطاياہ ، فلقد حمل عليه على مر الايام فى باب فرط القسوة وتجاوز الحدود، والابلاغ فى المثلہ، والاخذ بالظنة، والاخفار للذمة ،حكايات بشعة لم يبدف اكثرها للعالم بصدقها دليل يقوم عليها ، فالقول ينساغ فى ذكرها ، ومهما برىء من مغبتها فلم يبرأ من فظاعة السطوة ، وشدة القسوة ، وسوء الاتهام على الطاعة ، سجايا من جبلة لم يحاسن فيها ذوى رحم واشجة» (٧٦) .
وقال عنه ابن بسام « قطب رضى الفتنة ، ومنتهى غاية المحنة ، من رجل ابرم الامور وهو متناقض، وأسد فرس الطلى وهو رابض، متهور تتحاماه الدهاة وجبار لا تأمنه الكماة ، متعسف اهتدى ، ومنبت قطع فما ابقى » (٧٧) .

عرف بالخسة والغدر وعدم احترام المواثيق ، ومن امثلة ذلك انه بعد ان تخلى له ابو زيد عبد العزيز البكرى عن مدينة ولبه Huelva اكتفاء بجزيرة شلطيش وافقه المعتضد ، فلما خرج البكرى فى سفنه وماله الى جزيرة شلطيش نكث المعتضد بعهده له وقطع عليه الطريق اليها ،

(٧٥) نفس المصدر ، ص ٢١٢ ، ابن بسام ، قسم ٢ ، مجلد ١ ،

ص ٣٦ .

(٧٦) ابن بسام ، الذخيرة ، قم ٢ مجلد ١ ص ٢٤ .

(٧٧) المصدر السابق ، ص ٢٤ .

وحاصره في وسط البحر وارغمه على التخلي عن هذه الجزيرة (٧٨) .
كذلك غدر بحليفه ابي عبد الله محمد بن عبد الله البرزالي صاحب
قرمونة (٧٩) ، كما غدر بكثير من جيرانه الحجاب ، ومن الأمثلة الدالة
على قسوته ولعه بسفك الدماء حديقة الموت التي اتخذ ثمراتها من رؤوس
خصومه السياسيين امثال ابن عبد الله البرزالي وابن خزرون وابن نوح
ويحيى بن علي بن حمود ، وقد عثر على رأس يحيى عند دخول المرابطين
اشبيلية فطلبته حفيدته سبيعه من زوجها الامير سير بن ابي بكر ، فدفتته
في المسجد الذي قتل فيه عبد العزيز بن موسى بن نصير برابطة باب عنبر
من اشبيلية (٨٠) . ومن هذه الأمثلة أيضا اقدامه على قتل ابنه وولي
عهده اسماعيل بيديه في سنة ٤٤٩هـ (١٠٥٧م) ، وقتله أيضا للوزير
الذي تواطأ معه عليه (٨١) . وكان على حد قول ابن حيان
كلفا بالنساء فقد ذكروا أنه خلف من صنوف السريات منهن خاصة
نحو من سبعين جارية الى حرمة الحظية لديه الفذة في حلائله بنت مجاهد
العامري صاحب دانية والجزر الشرقية ، وقد انجب من البنين نحو
العشرين وانجب من الاناث مثل هذا العدد (٨٢) .

اما المأمون يحيى بن اسماعيل بن ذي النون، ثالث ملوك الطوائف
العظام فكان جاهلا بأمور السياسة ، عاطلا من المبادئ والقيم ، لا هم
له الا البحث عن متع النفس وشهواتها ، فمن امثلة جهله بأمور السياسة

-
- (٧٨) ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٣ ، مجلد ١ ص ٢٣٤ - ابن
عذارى ، ج ٣ ص ٢٤١ .
(٧٩) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ص ٢٠٦ .
(٨٠) ابن بسام ، قسم ٢ ، مجلد ١ ص ٢٧ ، ابن عذارى ، البيان ،
ج ٣ ص ١٩٩ .
(٨١) ابن عذارى ، ج ٣ ، ص ٢٤٤ .
(٨٢) ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٢ ، مجلد ١ ص ٢٩ ، ابن عذارى ،
ج ٣ ص ١٩٩ .

ان المعتضد بالله استغفله وغدر به عندما طلب منه ان يتنازل له عن قرمونه فيعوضه عنها بقرطبة ، وكانت قرطبة على حشد قول ابن بسام « مضمار خيله ، ومدرج سيله ، وحديث نفسه ، وهم يومه وامسه » (٨٣) .

فلما اخلى له قرمونة لم يف المعتضد له بشيء مما وعده به ، فغضب المأمون ، ودلف الى قرطبة بجموع كثيفة من عسكره في سنة ٤٦٢ هـ (١٠٦٩ م) ولكن عبد الملك بن جهور بادر بالاستنجد بالمعتضد بن عباد صاحب اشبيلية الذى أسرع بارسال قوة من فرسانه نزلوا بالربض الشرقى ، فاضطر المأمون الى القفول الى طليطلة بخفى حنين . وحدث في سنة ٤٦٧ هـ (١٠٧٤ م) أن خاطبه ابن عكاشة فى القدوم الى قرطبة فلم يتردد فى القدوم اليها ، وهناك بايعه أهلها واقام بها خمسة أشهر ثم توفي مسموما فى ١٨ ذى القعدة سنة ٤٦٧ هـ (١٠٧٤ م) وحمل الى طليطلة حيث دفن .

أما عن سفهه وتجرده من القيم والمبادئ وهى صفات ورثها عن ابيه اسماعيل (٨٤) ، فنستدل عليه من استعانتة بغرسية Garcia ملك نبرة فى مهاجمة أراضى جاره سليمان بن هود ، فابرز أمواله وذخائره ، ووجه معظمها الى غرسية فى الوقت الذى استعان فيه ابن هود بفردلند الاول ملك ليون ، ليهاجم مملكة طليطلة ، وقد تسبب المأمون بتعاونه مع مملكة نبرة اضطرابا عنيفا فى مملكته ، نتيجة للغارات التى وجهها فردلند

(٨٣) ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٢ مجلد ٢ ، ص ٦١٠ .

(٨٤) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص ١٥٨ .

(٨٥) كان ابوه اسماعيل على حد قول ابن حيان « من البخل بالمال والكلفه بالامساك والتقتير فى الانفاق بمنزلة لم يكن عليها أحد من ملوك عصره ، لم يرغب فى صنعة ولا سارع الى حسنة ولا جاد بمعروف » . وذكر ايضا انه لما نوظر فى شأن التأمير لبنى أميه قال قولته المشهورة التى حفظها الناس عنه « والله لو نازعنى سلطانى هذا الد، ديق لقاتلته ولما سلمت له ، فكيف اسلم سلطانى لمن يدعى اليه من بنى أمية ، ممن لا يوجب الله =

على بلاده الى حد ان طليطلة الحاضرة غصت بمن قصدها من المهاجرين والمتضررين الوافدين من أنحاء مملكة بنى ذى النون فى الوقت الذى كان ملكهم يحيى المأمون غائبا عنهم بجيشه فى مدينة سالم Medinaceli . « مقيم بها لئلا يدخلها ابن هود » (٨٦) فلما ضجت رعيته اليه وطالبتة بانقاذ الموقف ، جاء فى جموعه ولم يصنع شيئا وخام عن لقاء فردلند ، واضطربت أحوال الناس بطليطلة خلال ذلك وغلت ، فلما عاين الاهالى سلبية ملكهم ، واضطراب احوالهم وتدهور أوضاعهم ، أرسلوا وفدا منهم الى فردلند المظاهر لابن هود « ليعقدوا معه صلحا على بلدهم طليطلة وما حولها على مال يؤدونه اليه ويرحل عنهم » (٨٧) ، فلم يقبل منهم الصلح .

أما عدم اكترائه بشؤون بلده وانصرافه عن الاصلاح الى ملذات النفس فيثبته استغراقه فى حياة اللهو والترف ، وما أكثر الامثلة الدالة عليه :

يروى ابن حيان انه لما مات أبوه الظافر اسماعيل دخل عليه بعض اعيان الدولة لايام يسيرة من وفاة أبيه ، وكان متربعا فى ايوان كبير قد ملأه بنقر الفضة بحيث لم يعد هناك فراغ يزيد على مجلسه قالوا : « فأمرنا بالدنو ، فبعد لآلى ما خلنا اليه لكثرة ما كان من ذلك بين يديه ، وقد امتلأت صدورنا عجا ، وتقيدت الحاظنا فما تجد متقلبا لهذا الاتفاق كيف وقع ، ولهذا السحت من أين جمع ، فأخذ يفيل رأى أبيه فى اختزانه ،

= طاعتهم » (ابن بسام قسم ٤ ، مجلد ١ ، ص ١٤٣) .
وقد أخطأ الدكتور حسين مؤنس اذ نسب هذا القول الى المتوكل بن الافطس . راجع مقاله بمجلة اكتوبر فى ابريل ١٩٨٤ ، وردى عليه بعنوان « للحقيقة والتاريخ يادكتور مؤنس » عدد ٤٠٠ ، يونيو ١٩٨٤ (٢٤ يونيو) ص ٤٨ ، ٤٩ .
(٨٦) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢٨١ .
(٨٧) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢٨٢ .

ويعرض بجمود كان في بنائه ، ونحن نقول : لعله قد انف لضياع ثغوره ، وتشعث أموره ، وانتشار الشرك بازائه وظهوره ، وكأنه فهم ما نحير وعلم الى أين نشير ، فاظلم ما بيننا وبينه وازور ازورارة أنكر بها أثره وعينه ، وقال : من حق مثل هذا أن يصرف في مثل ضروب الحلية الرائقة الآتية المؤانقة « (٨٩) .

ومن هذه الامثلة أنه أخذ في بناء مجلسه المكرم ، عهد به الى عريف من مهرة عرفاء البناء ، ولكنه كان متهاونا بجميع أموره . واتفق ان ضربت خيل فردلند ملك ليون على مملكة بطليوس واستباححت قواته حريمها ، ومحت رسومها ، وجاءت انباء هذه الاعتداءات اللبونية على اراضى المظفر بن الافطس الى ابن مثنى وزير المأمون ، فجلس حزينا مطرقا ، وبينما كان على تلك الحالة من الاطراق والوجوم اذ وردت رسل المأمون في طلبه ، توالى عليه زمرة بعد أخرى ، فأسرع بالمثل اليه ، فوجده قد استشاط حنقا ، فظن أن ذلك الضيق انما تسبب فيه ما وصله من اخبار اعتداءات النصارى على بلاد المظفر بن الافطس وما ترتب عليها من اخفار الذمم وانتهاك الحرم ، فأخذ ابن مثنى « يبسطه ويقبضه ، تارة يسليه وتارة يحرضه ، وطورا يقول له : فيك الخلف مما فات ، ومرة يقول : قد آن لك ان تنكر على الطاغية هذا الافتيات » . فلما أدرك المأمون ما يرميه بكلامه ، أعرض عنه ، ثم شكاه له تأخر عريف بنيانه عن اتمام بناء القصر ، وأفضى اليه بما تسبب فيه العريف في التنغيص للذمة ، والاستخفاف بامرته ، والتصغير لشأنه ، فعجب ابن مثنى من اغترار ابن ذى النون وجهله (٩٠) .

ونخلص من هذه الدراسة المقارنة بين تلك الشخصيات الثلاث بان المظفر كان عالما جليلا ورجل مبادئ وصاحب مثل ، تجرد من صفات

(٨٩) ابن بسام ، قسم ٤ ، مجلد ١ ، ص ١٤٥ - ١٤٦ .
(٩٠) ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٤ ، مجلد ١ ص ١٤٨ وما يليها .

فهرس موضوعات الجزء الاول

من

التاريخ السيامى لبطلوريوس الاسلامية

(من بداية انشائها حتى بداية عهد المتوكل ابن الافطس)

الخسة والغدر التى اتسم بهما المعتضد، والجهالة والسفه التى اتصف بهما المأمون ، أكسبه حبه للمعرفة والعلم فضائل جمّة الهته عن شهوات النفس وحببت فيه العفة والرحمة والسماحة ، وهى صفات لم تكن تتوفر فى كل من قريعيه ، فالمعتضد كان سفاحا مولعا بسفك الدماء ، قاسيا غليظ القلب ، واما المأمون بن ذى النون فكان غفلا من النباهة والذكاء ، سطحيا ومظهريا مولعا باللقاب وكان همه ان يقول الناس عنه انه ضم قرطبة الى ملكه ، اواقام قصرا لم يبين للملك مثله .

ويفضل ما اتصف به المظفر من صفات مثالية اعتبر بسجق من خيرة ملوك الطوائف ، واكثرهم سخاء فى المكارم والفضائل ، واعظمهم اثرا فى تاريخ الاسلام فى الاندلس .

فهرس موضوعات الجزء الاول

اهداء المؤلفة	١
تقديم الأستاذ الدكتور محمود على مكى	ز
تقديم الأستاذ الدكتور جوزيف نسيم يوسف	ف

المقدمة

أولا - موضوع الرسالة	١
ثانيا - دراسة نقدية لأهم المصادر والمراجع	١٥

الدراسة التمهيدية

١ - الحقائق التاريخية عن الموقع القديم لبطليوس والاراء المختلفة حول الاسم	١٣٧
٢ - الوضع الجغرافى لبطليوس المدينة ، وأهم المراكز العمرانية لبطليوس الاقليم	١٦١
١ - الجبال	١٧٣
٢ - الأنهار	١٧٤
٣ - الفحص (فحص بلاطة ، فحص البلوط)	١٧٧
٤ - الطرق الرومانية القديمة	١٨٠
٥ - أهم حصون اقليم بطليوس	١٨١
٦ - الحصون الموزعة بين وادى تاجة وواديائه	١٩٠
٧ - أهم مدن اقليم بطليوس	١٩٥

الباب الاول

بطليوس فى ظل بنى مروان الجليقى

الفصل الاول

بطليوس فى عهد مؤسسها عبد الرحمن بن مروان الجليقى

١ - تتابع الثورات فى ماردة وبداية ظهور عبد الرحمن بن	٢٢٣
مروان الجليقى	٢٢٣

- ٢ - ثورة عبد الرحمن بن مروان الجليقي وتأسيس بطليوس ٢٤٣
المرحلة الأولى ٢٤٣
المرحلة الثانية ٢٤٦
المرحلة الثالثة ٢٥٧
المرحلة الرابعة ٢٦٨
٣ - تمصير بطليوس ٢٨٣

الفصل الثانى

بطليوس فى عهد خلفاء عبد الرحمن بن مروان

- ١ - السنوات الأربعة الأخيرة من عهد عبد الرحمن الجليقي ٢٨٩ ..
٢ - بطليوس فى عهد عبد الله بن محمد حفيد ابن الجليقي ٢٩٥
١ - بطليوس فى مرحلة الانتقال بين رئاسة عبد الرحمن
الجليقي وحفيده عبد الله ٢٩٥
ب - موقف بطليوس من حركة ابن القط ٢٩٨
ج - بطليوس فى ظل السنوات الثلاثة الأولى من عهد
عبد الرحمن الناصر ٣٠٥
د - الأخطار التى أحاطت ببطليوس منذ عام ٣٠٢ هـ
حتى مصرع عبد الله ابن الجليقي سنة ٣١١ هـ ٣١٩ ..
٣ - سقوط دولة بنى الجليقي فى بطليوس سنة ٣١٨ هـ ٣٢٨ ..
١ - استرجاع الناصر لبطليوس ٣٢٨
ب - بطليوس فى ظل الخلافة الأموية ٣٣٥

الباب الثانى

مملكة بطليوس فى عهد دويلات الطوائف

الفصل الثالث

بطليوس فى عصر المنصور بن الأفطس وولده المظفر

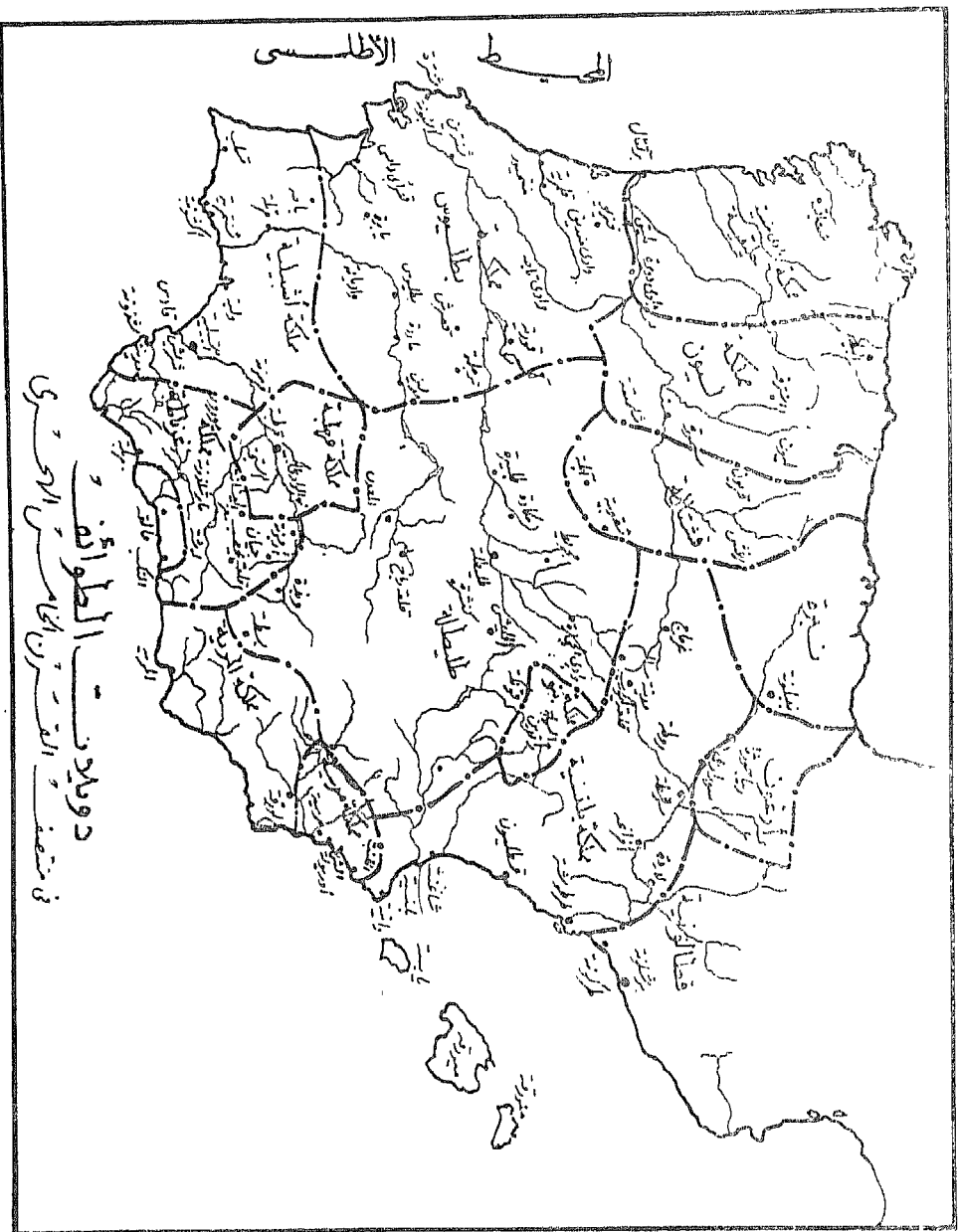
- ١ - بطليوس قاعدة غرب الأندلس فى عصر دويلات الطوائف ٣٤٧ ..

- ٢ - المنصور أبو محمد عبد الله بن محمد بن مسلمة
ابن الألفطس ٣٦٩
- ١ - بداية الصراع بين أبي محمد عبد الله بن محمد ..
ابن الألفطس وبين ابن عباد في اشبيلية .. ٣٦٩
- ب - الأوضاع السياسية في الغرب في عهد المنصور ابن
الألفطس ٣٧٨
- ٣ - بطليوس في عهد المظفر محمد بن عبد الله ابن الألفطس .. ٣٩٣
- أ - حروبه مع المعتضد بن عباد ٣٩٣
- ب - حروبه مع المأمون بن ذي النون ٤٠٨
- ج - صراع المظفر ابن الألفطس مع ملك قشتالة وليون .. ٤١٦
- د - المظفر بين ملوك الطوائف ٤٢٦

(تم الجزء الأول بعون الله ويليه الجزء الثاني)

رقم الايداع ٨٩/٤١١١

ترقيم دولى : ٥ - ٠٥٠ - ١٥٤ - ٩٧٧



دولت الطوائف و
فی نصفه النهران الخاضعین الی حسن العیسی



